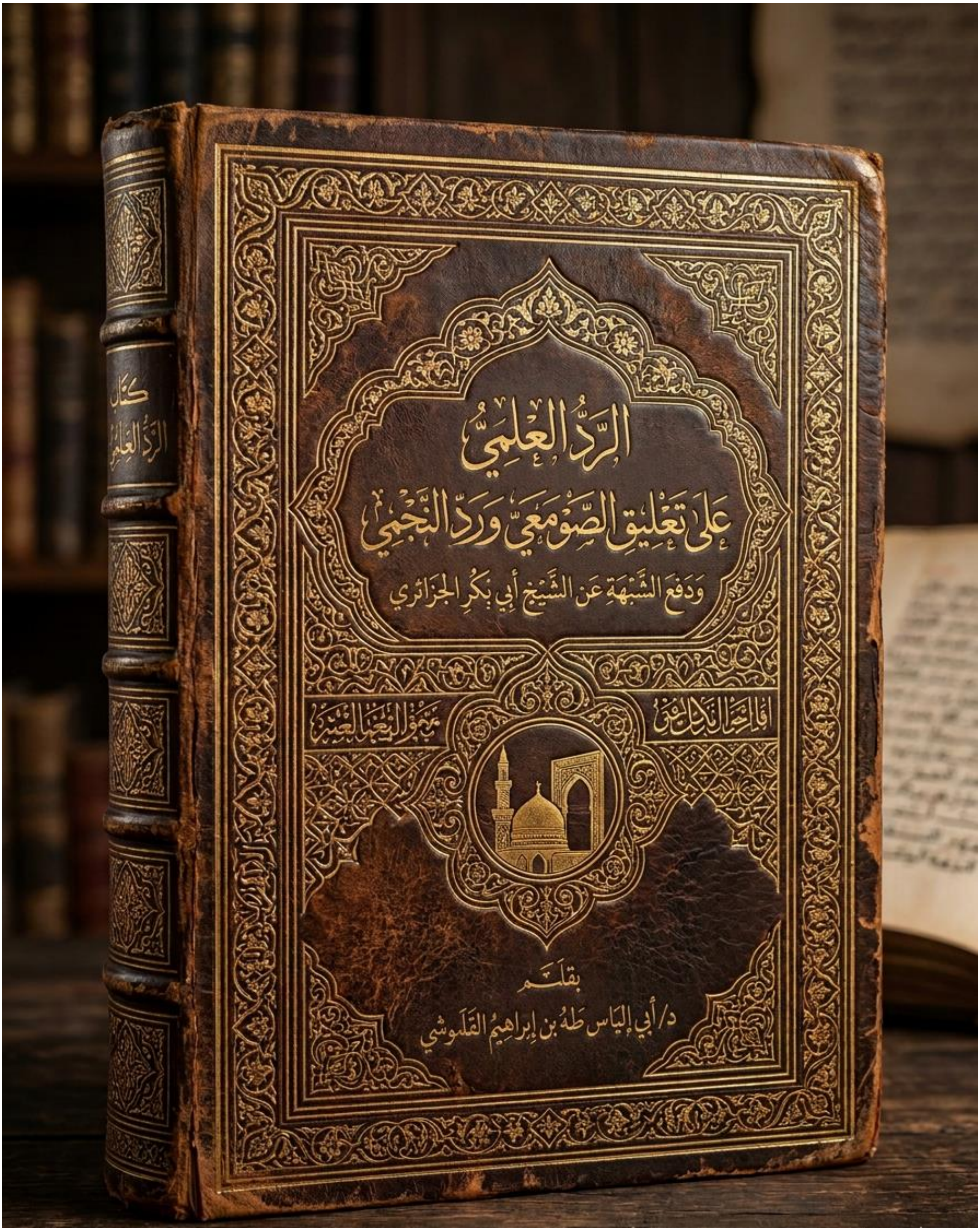

الرد العلمي
على تعليق الصومعي ورد النجمي
ودفع الشبهة عن الشيخ أبي بكر الجزائري
بقلم
د/ أبي إلياس طه بن إبراهيم القلموشي

الرَّدُّ العِلمِيُّ

عَلَى تَعلِيقِ الصَّومَعَيِّ وَرَدِّ النَّجمِي

ودفع الشبهة عن الشيخ أبي بكر الجزائري

بقلـم

د/ أبي إلياس طه بن إبراهيم القلموشي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا؛ أما بعد، فإن الباعث على تحرير هذه الوريقات هو القيام بواجب البيان العلمي والذود عن حياض الشريعة وحرمات علماء الأمة.

وبعد : فقد سطر الشيخ أحمد النجمي عفا الله عنه فتوى في أهل التبليغ واشتد في الكلام على الشيخ أبي بر الجزائري رحمه الله ووصفه بأوصاف لا تليق بالعوام ! ، فأخذها أحد أتباعه واسمه أبو همام محمد بن علي الصومعي البيضاني اليماني ودبج عليها بعض الكلام المؤيد للنجمي عفا الله عنه ، حيث قال النجمي (فقد أرسل إلي الشيخ أبو همام محمد بن علي الصومعي البيضاني اليماني رسالته التي سمها (التعليق البليغ على رد الشيخ أحمد بن يحي النجمي على مادح جماعة التبليغ) وهي تعليقات كتبها جزاه الله خيراً على فتواي التي كتبتها إنكاراً على أبي بكر الجزائري في قوله أن جماعة التبليغ لا توجد جماعة في العالم الإسلامي خير منها في نشر الدعوة الإسلامية وإصلاح الأفراد .) وانظر كيف ثارت ثائرة النجمي وأتباعه لمجرد قول الشيخ الجزائري (أن جماعة التبليغ لا توجد جماعة في العالم الإسلامي خير منها في نشر الدعوة الإسلامية وإصلاح الأفراد) وكلامه محدد في نقطة محددة وليس كلاما عاما ولا تزكية في كل شيء ! ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

لذا أضع بين يدي القارئ الكريم هذا الرد العلمي على تعليق الصومعي ورد الشيخ النجمي عفا الله عنه دفعا للشبهة عن فكر ومنهج أهل التبليغ والدعوة وذبا عن عرض الشيخ أبي بكر الجزائري رحمه الله تعالى ، كاشفاً زيف الادعاءات التي يروج لها تيار الغلو في التبديع.

واتبعت في الكتابة ذكر ما سطره الصومعي وشيخه في رسالته، والذي قصد به التلبيس على الناس تشويشاً وتدليساً، محاولاً تصوير الموحدين في صورة المشركين، والعلماء الربانيين في صورة الخاذلين للعقيدة ، ثم أردف ذل ببيان زيفه وبطلان قوله .

وإنَّ المنهجية العلمية المتبعة في هذا البحث تبنى أساسا على الوضوع في النقل والأمانة في العرض؛ وليعلم القارئ مدى الاتفاق والاختلاف بين الراد والمردود عليه، عمدت إلى نقل نصوص رسالته كما هي، معلقاً عليها بأسلوب منهجي يفند المغالطات واحدة تلو الأخرى، وهذا النقل مقصود لذاته لإقامة الحجة، وليس سرقة من دون عزو، بل هو توثيق للمحل الذي وقع فيه الخلل. وما نقلته عنه في ثنايا الرد ليس من كلامي ، وإنما هي نقولات ينقلها

الصومعي نفسه عن سلفنا الصالح رحمهم الله رحمة واسعة، فتنبه بارك الله فيك؛ إذ إنَّ جوهر الرد يكمن في كشف التدليس في تنزيل نصوص السلف بطريقة خاطئة على المعاصرين، حيث حشد الصومعي آيات الوعيد والآثار التي نزلت في المشركين والمبتدعة الأصليين ليسقطها بظلم صراح على أهل السنة والدعوة، مما استوجب بياناً يفرق بين إيمان وكفر، وبين وسيلة دعوية وعقيدة دينية.

وتتمثل خطة العمل والأهداف المرجوة من الرسالة في تبيان الحق ودمغ الباطل ؛ حيث اعتمدتُ في ترتيب المادة العلمية على تمييز الأقوال بالألوان والتراتيب لتسهيل الفهم على القارئ، مع التركيز على تفنيد مغالطة التعميم وإلزام المسلمين بما لا يلزم. وأسميت تلك الوريقات (**الرَّدُّ العِلمِيُّ عَلَى تَعلِيقِ الصَّومَعَيّ وَرَدِّ النَّجمِيّ وَدَفْعُ الشُّبْهَةِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الجَزَائِرِيّ**) ، **وظللنا كلام أحمد النجمي عفا الله عنه الذي هو اصل الرسالة باللون الأصفر ، وما كان من كلام المعلق أبي همام الصومعي فظللناه باللون اللبني .**

واعلم بارك الله فيك أنَّ الهدف الأسمى من هذه الرسالة ليس مجرد الانتصار للنفس ولا جدلا ورقيا، بل هو حماية لجناب التوحيد وذبا عن أعراض العلماء كالشيخ أبي بكر الجزائري رحمه الله من تطاول الأصاغر، وتبرئة لساحة الملايين من أهل الدعوة والتبليغ من تهم الشرك والقبورية التي رماهم بها الناقد بناءً على أوهام ذهنية وصور مشوهة. وهدفنا هو إرساء قيم التثبت والإنصاف في تقييم الجماعات الإسلامية، بعيداً عن الإرهاب الفكري الذي يمارسه تيار الغلو في التبديع، ليبقى الدين جامعاً للأمة لا مفرقاً لها، وحافظاً لحرمات الموحدين من مجازفات التكفير والتفسيق بغير حق. والله الموفق والمستعان

وكتبه د/ أبو إلياس طه إبراهيم القلموشي ، المصري الشافعي السني.

الجمعه ، 17 أكتوبر ٢٠٢٥ م 25 ربيع الآخر, 1447 هـ

بين يدي الرد :

فهذه الرسالة الصغيرة التي بين أيدينا كتبت وقرظت من أبناء تيار السلفية المعاصرة الغالية فى التبديع ، وهم أهل انحراف فى هذا الباب ، لا يفتئون عن الوقيعة فى ديانات المسلمين زعما أن هذا نصحا لله وللدين ، متجاهلين الحروب القائمة على ديانة الإسلام من أعداء الإسلام الداخليين والخارجيين ، ولا يستلون سهامهم إلا لتصويبها فى نحور الدعاة إلى الله على اختلاف طرقهم ، وصدق فيهم مفهوم قول النبي صلى الله عليه وسلم (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان) من حيث أن هذه الفرقة الغالية فى التبديع والتفسيق لا ترد ولا تنافح ولا تهتم بشيء سوى تثبيط عزائم الدعاة وتفريق الناس عنهم .

ولعلك إن دققت النظر فى جل كتاباتهم لا تجد فيها جديدا ، غير بعض الكذبات التى يتوارثونها ويرددونها عن بعضهم ، وتراهم ينفخ بعضهم فى بعض ويلمع بعضهم بعضا ، كخطة ممنهجة لجعل منهجهم واقعا ومبادئهم ثابتة وشيوخهم شيوخ الإسلام وسادته !

ففى هذه الرسالة التى نرد عليها ردا علميا تجد هذا النفس واضحا ، فالكاتب ينقل عن فلان وفلان وفلان كلاما عاريا عن الأدلة أو الفهم أو التدقيق أو التمحيص أو المناقشة العلمية ، وهو يظن أنه بذلك يستدل بشيء ذو قيمة ! فوصل الحال بأشباه الكاتب أن يضعوا هؤلاء الشيوخ موضع الدليل ، فالكل ينقل عنهم ويستدل بهم ويحتج بمواقفهم ! ولا تجد فى طول الرسالة وعرضها تأصيلا علميا أو سردا منهجيا أو ردا علميا ! اللهم إلا قال العلامة فلان وأفتى المحدث فلان وذكر الدكتور فلان كذا ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

افتراءات الصومعي البيضاني وفرقته الغالية في التبديع والدافع للرد عليهم

يا له من ركامٍ ثقيل من الاتهامات التي تنوء بحملها الجبال! إنَّ المتأمل في هذه القائمة التي حشدها الصومعي وفرقته يجد نفسه أمام محاكمة سريالية لا تكتفي بنقد منهج، بل تسعى لاغتيال جماعة بأكملها معنوياً وتاريخياً.

إنَّ الصبر على مثل هذه الافتراءات لا يعني الضعف، بل هو التزامٌ بأدب الأنبياء في دفع السيئة بالحسنة، ولكن حين يتحول السكوت إلى ذريعة للمفترين ليضللوا الأمة، يصبح الرد واجباً شرعياً ومسؤولية أخلاقية إليك بعضا مما افتراه المفترون في هذا الكتاب الأثيم المليئ بالأكاذيب ، قالوا عن أهل التبليغ :

1. ليس عندهم علم وبصيرة بالعقيدة.

2. عندهم خرافات وبعض بدع وشركيات.
3. لا يخرج معهم إلا لتعليمهم والإنكار عليهم.
4. لا يجوز الخروج معهم لمتابعتهم.
5. عليهم أن يتركوا المذهب الباطل.
6. عليهم ان يعتنقوا مذهب أهل السنة والجماعة.
7. جماعة التبليغ لا تقوم على منهج الكتاب والسنة ومنهج السلف .
8. لا يجوز الخروج معهم .
9. عليهم أن يتعلموا العلم
10. جماعة التبليغ أشبه ما يكونون بالإخوان المسلمين.
11. جماعة التبليغ لا عقيدة تجمعهم أشاعرة على صوفية.
12. دعوة التبليغ قائمة على كتل وجمع ثم ثقف.
13. جماعة التبليغ صوفية عصرية.
14. دعوتهم إلى الأخلاق أما التوحيد لا يدعون إليه.
15. جماعة التبليغ يقوون الاستغاثة والتوسل بغير الله.
16. لديهم بيعة لأربع طرق منها الطريقة النقشبندية.
17. جماعة التبيلغ ليس لهم منهج علمي.
18. جماعة التبليغ يتلونون.
19. جماعة التبليغ مبتدعة .
20. جماعة التبليغ مخرفون.
21. جماعة التبليغ أصحاب طرق قادرية.
22. جماعة التبليغ لا يدعون إلى الكتاب والسنة.
23. جماعة التبليغ في أي مكان هم مبتدعة.
24. الخروج الذي عندهم بدعة.
25. لا يجوز أن يدعوا بغير علم
26. منهج جماعة ا لتبليغ مخالف لمنهج دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم.
27. جماعة التبليغ دعوة صوفية.
28. جماعة التبليغ بدعية.

29. يجب التحذير منها.
30. جماعة التبليغ : عندهم بيعة .
31. جماعة التبليغ: نقشبندية صوفية قادرية وغيرها.
32. جماعة التبليغ: يخلطون بين العقيدة الصحيحة والفاسدة.
33. جماعة التبليغ: يخلطون بين السنة والبدعة.
34. جماعة التبليغ: يخلطون بين الولاء لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والولاء للمناهج البشرية.
35. جماعة التبليغ: تفسر النصوص على منهجها لا على منهج السلف الصالح .
36. جماعة التبليغ: تفسر الجهاد بالجهاد بالنفس فقط.
37. جماعة التبليغ: يدعون إلى الدعوة التبليغية
38. جماعة التبليغ: يدعون إلى الخروج التبليغي.
39. جماعة التبليغ: يدعون إلى السفر والسياحة.
40. جماعة التبليغ: لا يتكلمون في العقيدة.
41. جماعة التبليغ: ليسوا على منهج السلف الصالح.
42. جماعة التبليغ: عليهم بدراسة العقيدة.
43. جماعة التبليغ لا يخرج معهم
44. جماعة التبليغ ابتدعوا لهم أصولاً.
45. جماعة التبليغ يبايعون على أربع طرق.
46. جماعة التبليغ عقيدتهم ماتريدية أو أشعريه.
47. جماعة التبليغ لا يفهمون معنى لا إله إلا الله معنى صحيحاً.
48. جماعة التبليغ ربما رسخ عندهم تقديس الأشخاص وادعاء العصمة لهم وربما وصل الأمر إلى عبادتهم إذا ماتوا.
49. جماعة التبليغ : يضعون الأضرحة والقبور في مساجدهم.
50. جماعة التبليغ: فرقة تخالف الفرقة الناجية في الكتاب والسنة.
51. جماعة التبليغ: تريد لها منهجاً خاصاً.
52. جماعة التبليغ: ترى أن من لم يكن منها فليس من المهتدين.

53. جماعة التبليغ: قبورية.
54. جماعة التبليغ: جهال بمنهج الأنبياء.
55. جماعة التبليغ: يستخفون بالشرك
56. جماعة التبليغ: لا تدعو إلى التوحيد.
57. جماعة التبليغ: لا تحارب الشرك.
58. جماعة التبليغ: لا تسمح لاتباعها أن يتكلموا في التوحيد.
59. جماعة التبليغ: عليهم ان يدرسوا منهج الأنبياء.
60. جماعة التبليغ: اهل غلو في القبور والأولياء.
61. جماعة التبليغ: جماعة خرافية.
62. جماعة التبليغ: يرون العلماء قواعد عن الجهاد.
63. جماعة التبليغ: يرون العلم يأتيهم فيوضات
64. جماعة التبيلغ: لا يريدون العلم من علماء أهل السنة.
65. جماعة التبليغ: نقشبندية.
66. جماعة التبليغ: شاذلية.
67. جماعة التبليغ: جشتية.

وغير ذلك الكثير مما ستقرأه وتسمعه في طيات تلك الرسالة ، ومن العجيب أن يتحمل مسلمٌ واحد، فضلاً عن جماعةٍ عالمية، أكثر من سبعة وستين اتهاماً في وريقات قليلة ! تتنقل بين القبورية و الخرافة و مخالفة منهج الأنبياء ، دون أن يرتجف قلم المفترين. إنَّ السياق المتصل لهذه التهم يكشف عن منهجية الحشد للتهم ؛ فبدلاً من تقديم دليل علمي واحد متماسك، يتم إلقاء عشرات التهم (صوفية عصرية، نقشبندية، جشتية، أشعرية، ماتريدية) في خلطة عجيبة تهدف إلى إرباك المتلقي وإيهامه بأن الجماعة هي مجمع للبدع .

إنَّ اتهام جماعة التبليغ بأنها لا تفهم معنى لا إله إلا الله أو أنها تستخف بالشرك هو قلبٌ صارخ للحقائق؛ فالجماعة التي استنقذت ملايين الشباب من المواخير والحانات وأعادتهم إلى المساجد ساجدين موحدين، لا يمكن أن تُوصف بالجهل بالتوحيد. كيف يُقال إنهم لا عقيدة تجمعهم وهم الذين يخرجون لترسيخ اليقين على الله في قلوبٍ كانت خاوية؟ وكيف يُرمون بتقديس الأشخاص وهم أكثر الناس تواضعاً، حتى أنَّ أمرائهم يخدمون ضيوفهم بأيديهم في نكرانٍ تام للذات؟

إنَّ الكتاب في فصوله القادمة يفكك هذه العقدة تلو الأخرى؛ فيبين أنَّ الخروج التبليغي ليس بدعة مخترعة، بل هو وسيلة دعوية تهدف لتفريغ المسلم من شواغل الدنيا ليتصل بخالقه، تماماً كما تفرغ السلف للعلم والعبادة. والاتهام بالبيعة للأربع طرق ما هو إلا اجترار لقصص تاريخية في بيئات أعجمية لا تمثل المنهج العالمي للجماعة اليوم، والذي يقوم على الكتاب والسنة.

أما فرية أنهم أشبه بالإخوان أو أنهم يرون العلم فيوضات ، فهي محاولة لضرب الجماعة بخصومها السياسيين تارة، وبأوهام الغلو الصوفي تارة أخرى. والحقيقة أنَّ التبليغ يرفض تسييس الدين بقدر ما يرفض خرافات القبور ، ومنهجهم في العلم هو تعظيم العلماء والرجوع إليهم، لا ادعاء العصمة أو الفيوضات. إنَّ هذا الكتاب يأتي ليردَّ الاعتبار لهؤلاء المرابطين في المساجد ، وليثبت بالدليل القاطع أنَّ رميهم بالشركيات و القبورية ما هو إلا صدىً لأصواتٍ اعتادت أن تبحث عن العيوب تحت المجهر وتتغافل عن جبال الخير الساطعة.

ولقد وضعت في هذا الكتاب يدك – أخي القارىء - على جرح الأمة الغائر، حيث يُطعن المصلحون باسم السلفية والتوحيد؛ والله الموفق والمستعان ، فيسر لنا الخير وأعن يا كريم .

وكتبه الناصح لكم والحدب عليكم ، الراجي صلاح قلبه وعفو ربه (أبو إلياس طه بن إبراهيم القلموشي الشافعي المصري . 28 فبراير 2024

الاعتذار عن استخدام لفظ (جماعة التبليغ) وبيان أنها لحاجة :

يحسن بنا التصريح للقارىء الكريم بأننا سوف نستخدم لفظ (جماعة التبليغ) فى ردنا كثيرا معبرين بهذا اللفظ عن الدعاة المتحركين في المساجد والشوارع والطرقات المعروفين أحيانا بأسماء مختلفة منها (أهل التبليغ والدعوة) أو (الأحباب) أو (دعاة الحركة لنشر الدين) أو (المبلغون) أو (الدعاة المتحركون بأموالهم وأنفسهم) أو غير ذلك ، وذلك لأن الكاتب الصومعي وشيخه أحمد النجمي عفا الله عنه قد استخدما هذا اللفظ ، ونحن نرد عليهم بلفظ يناسب ألفاظهم ، وهذا ليس اعتقادا بأن فكر التبليغ والدعوة عبارة عن جماعة كما يحاول الخصوم تصويرهم ، بل هو فكر عالمي للأمة كلها لا يتقيد بأفراد معينين ولا بأماكن معينة ولا بأزمنة معينة ، ولكل مجموعة من الأفراد أن ينسقوا فيما بينهم كيفية العمل لنشر الدين بطريقة لا تتعارض مع الحكومات ولا مع الجماعات والأفكار الإسلامية الأخرى ولا تتصادم مع الأفكار الغربية التى لا قبل لنا بها ، بل يكون جل الاهتمام هو بذل الوسع والطاقة والأخذ بكل سبيل مباح فى تحصيل أكبر استفادة للمسلمين ، والطريقة المشهورة للتبليغ هي الأصل فى ذلك ، عليها نبني ومنها ننطلق ، وإذا لم يكن هناك داع لتغيير معالمها نأخذ بها ونسير عليها أما إذا وجد حال لا تتماشى معه هذه الطريقة والمنهجية نغير الطريقة بما يتناسب مع الحال والواقع والأفراد والبلدان !

ونكرر إن فكر التبليغ منهج عالمي يجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ليست جماعة مقيدة بمكان معين ولا تتبع أميرا معينا لا تخرج عن رأيه وتوجهه ، وما كان إمارة فهي إمارة سنة لتسيير الدعوة فقط وليست إمارة سلطة ولا بيعة ولا سمع وطاعة فأمير الدعوة ليس سلطان الأمة ولا خليفتها ، فلا يستشهدن أحد علينا بذكرنا اللفظ إنما ذكرناه تنزلا في تلك الرسالة ، فافهم ذلك بارك الله فيك .

ازدواجية المعايير عند الشيخ أحمد النجمي عفا الله عنه :

قال الشيخ النجمي عفا الله عنه فى تقريظه لهذه الوريقات ، وكأنها عملا علميا ذا قيمة يستحق كاتبها عليها تقريظا وتقدمة : [**أما بعد : فقد أرسل إلي الشيخ أبو همام محمد بن علي الصومعي البيضاني اليماني رسالته التي سمها (التعليق البليغ على رد الشيخ أحمد بن يحي النجمي على مادح جماعة التبليغ) وهي تعليقات كتبها جزاه الله خيراً على فتواي التي كتبتها**

إنكاراً على أبي بكر الجزائري في قوله أن جماعة التبليغ لا توجد جماعة في العالم الإسلامي خير منها في نشر الدعوة الإسلامية وإصلاح الأفراد .] انتهي .

ولعلك تلحظ كيف أن الشيخ النجمي عفا الله عنه ذكر الشاب كاتب هذه الرسالة بلفظ الشيخ وهذا فى حد ذاته مدح لمجرد أنه وافقه فى المنهج وجاراه فى الرؤية ، وفى نفس الوقت ذكر الشيخ أبو بكر الجزائري عاريا عن لفظ شيخ ! وهذا له دلالة واضحة عند المهتمين بتحليل عقليات هؤلاء الغلاة ، لأنهم يريدون إسقاط كل مخالف لهم مهما كان قدره وعلمه وتاريخه ومؤلفاته !

وإن هذا المسلك الخطير ليؤدي بأمثال هؤلاء الشباب الصغار إلى مهالك أخطرها التجرؤ على علماء الأمة الكبار ، فيقعون فيهم إرضاءا لأمثال الشيخ النجمي عفا الله عنه وغيره ممن لهم حظوة عند أولياء الأمور ، وهذا خطره عظيم على المدى المبعيد لأنه ينشيء شيوخا لا جذور علمية لهم ولا تأصيل منهجي ! نشأؤا وتربوا على قال الشيخ ونحن نرى ما يرى ونقول بما يقول .

ويجدر بالشيوخ أن ينشئوا الطلبة على التحرر الفكري بمعنى عدم وجوب التقيد باجتهادات الشيوخ وأن يجتهدوا فى التجديد فيما يجوز فيه التجديد وليس فقط التقليد الأعمى فيما يصح فيه التجديد ، وإن تلحظ كيف أن الشيخ النجمي عفا الله عنه مدح الطالب الصغير الصومعي ووسمه بالشيخ لأنه وافقه فقط وذلك بقوله : { **وكانت كتابته كلها تأييد لما كتبته وتصديقاً له فكانت مفيدةً في الموضوع ونافعة في معرفة ما عليه هذه الجماعة** } فهذا سبب الرضا من الشيخ على التلميذ ، ولو أن التلميذ اجتهد وأعمل عقله وفكره وخرج بنتيجة مغايرة لما أفتى به الشيخ لما خرج من الشيخ كلمة مدح له ولا تقريظ بل كان سيواجه بأقسى الكلمات وأفظها وأشدها ، فضلا عن سيول التحذير من مسلك الشاب المبتدع المقلد للجزائري المبتدع ...إلخ !

بيان أفضلية حركة التبليغ لنشر الدين :

اعلم بارك الله فيك أن الحركة لنشر الدين سنة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهي سنة الصالحين فى كل عصر ، وهذه الحركة لا رسم لها ثابت ولا شكل يحددها ، بل هي متروكة لأهل العصر يضعون شكلها ويخططون رسمها ويرتبون مسائلها ، ذلك لأن الحركة للدين وسيلة والوسائل لا حصر لها وليست توقيفية بل هي متعددة توفيقية .

ومن تلك الوسائل وسيلة أهل التبليغ فى حركتهم الإصلاحية بترتيب برنامج دعوي فى أوقات محددة تناسب أفراد الدعوة المتطوعين لها نصحا للغافلين ودعوة للمعارضين وهداية للمعترضين ، فهي وسيلة وحركة توفيقية لا توقيفية ، لها فوائد عظيمة ونتائج مبهرة يراها القاصي والداني ولا ينكرها إلا جاحد أو جاهل .

وترجع أفضلية تلك الحركة إلى أن الدعاة يتحركون ليل نهار باستمرار وتفان وجهد كبير على الناس فى محالهم ومساكنهم وأماكن لهوهم وأشغالهم وأسواقهم وبيوتهم يذكرونهم بالله تعالى وينصحونهم بالحكمة والكلمة الرقيقة والنظرة الحانية ، ولا ينتظرون الناس فى المساجد حتى يأتونهم ليخطبوا فيهم من أعلى ! وهذا هو المنهج الذي ابتدأ به النبي صلى الله عليه وسلم دعوته حتى قويت شوكتهم وانتشرت دعوتهم فأتاهم الناس أفواجا ! وما أشبه الليلة بالبارحة والخلف بالسلف .

التعالم وتقديس الرجال وازدراء العلماء :

قال راقم الرسالة السابق ذكره :{ **اعلم أيها القارئ لهذه الرسالة أنني قبل إخراجها توجهت إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتقيت بالشيخ أبي بكر الجزائري وكان ذلك في 1424/9/26 هـ وقلت له هل تراجعتم عن الثناء على جماعة التبليغ وأنها لا توجد جماعة في العالم الإسلامي مثلها فقال : والله لن أتراجع قلت له : أين ذهبتم بمعاصريهم من أهل العلم كابن إبراهيم وابن باز والألباني و الوادعي وهيئة كبار العلماء فقال هم أي جماعة التبليغ أفضل من هؤلاء العلماء قلت له : من أين جاءت هذه الأفضلية قال لأنهم يخرجون وهؤلاء لا يخرجون فقلت له :لكن هؤلاء وصل علمهم إلى أمكنة لم يصلوا إليها فقال هم أفضل منهم من حيث الأجر فقلت له : لو كان فعل جماعة التبليغ أفضل لترك الناس العلم فكيف تفضل جهال على علماء ؟ والله سبحانه يقول : يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** }

فسكت وقال ليسوا أفضل منهم فتركته وعرفت أن الرجل متعصب لهم والله المستعان) ويكأنه ألجم الشيخ بمقولته تلك الحجة وأسكته فلم يستطع جوابا عليه أو أفحمه فلم يستطع الرد على حجته ! والحق أن هذا الصبي المتعالم المتجرىء على العلماء لم يحترم قدر الشيخ أبي بكر الجزائري ولم يسأل سؤال المستفهم المسترشد إنما تحاور حوار المستفز لخصمه المستجوب له ! وهذه طريقة لا تليق بطالب علم طالبٍ للهدى ! ثم إن الشيخ الجزائري رد عليه ردا عقليا ليكمل معه الحوار العقلي والشرعي ليرى ما عنده من حجة فلم يجد سوى

عبادة الشيوخ والتستر خلف نقل فتاواهم ! فسكت الشيخ لما علم جهل المتعالم أمامه وهذا هو الموقف الصحيح ، فلا يصح أن تناقش جاهلا متعصبا لرأي شيخ أيا كان قدره ، أما أن تعتقد أن شيخك هذا هو الشيخ الذي لم تلده ولادة فهذا هو الضلال المبين ! هذا فضلا عن كونك تحاكم علماء العصر كلهم لفكر شيخك وفهمه وفتاواه واجتهاده !

من مغالطات السائل قوله : **(والتقيت بالشيخ أبي بكر الجزائري وكان ذلك في 1424/9/26 هـ)** وهذا لكي يوحي للقراء ويوهمهم بأنه يتكلم على دراية وعلم وأن له رحلات ولقيا مع الشيخ ومناظرات وصولات وجولات ! وهذه من ألاعيب الخبثاء الذين يمكرون بالسذج فيوهمونهم بأنهم قائمون بالحجة ناصحون للديانة وهم متسلقون على أكتاف أهل العلم متطلعين للمال أو للشهرة أو للجاه ، وهذا مسلك معروف عنهم كثيرا .

ومن مغالطاته أيضا قوله : **(وقلت له هل تراجعتم عن الثناء على جماعة التبليغ وأنها لا توجد جماعة في العالم الإسلامي مثلها)** وهذا السؤال له ما بعده ، فقد سأل الشيخ سؤال الند والنظير والمعاصر ! ولسان حاله يقول أنا هناك لكي أقيم عليك الحجة ياجابر ! أنا هنا لأستخرج منك قولا أنا أعلمه مسبقا لكي أحظى به وأنال منالا عند أسيادي ! ومن المعلوم أن الشيخ الجزائري مواقفه واضحة جلية من قديم في أهل التبليغ والدعوة ، وعليه فلا محل للقاء هذا الشاب كما زعم ولا غرض من هذا اللقاء إلا بغية الشهرة .

هل جماعة التبليغ جماعة ؟! بالطبع كل عمل جماعي يطلق عليه جماعة لغة ، وأما اصطلاحا فعلي حسب الاصطلاح ، فإن كان من حيث اصطلاح التبليغيين أنفسهم فلا يسوغ تسميتهم بجماعة لأنهم لا يسمون أنفسهم جماعة التبليغ ومن يتهاون فى سماع تلك التسمية أو يقولها فمجاراة للناس لا اعترافا بالتسمية ولا تأسيسا لأنها جماعة منفصلة عن جماعة المسلمين ، وإن كان من حيث اصطلاح من يرى أن مجموعة من الناس اجتمعوا على أصول معينة ومبادىء معينة متفقين فيما بينهم على دعم فكرتهم ونصرتها فهم بهذا المنطق جماعة ، وحالهم هنا كحال السلفيين والإخوان المسلمين والصوفية وغيرهم ممن يجتمعون على فكرة ينصرونها .

هل هي أفضل جماعة على الساحة الدعوية أم أفضل جماعة مطلقا ؟! وما توجيه تفضيل الشيخ أبي بكر الجزائري لذلك ؟!

الرد هنا على قول القائل : **(وأنها لا توجد جماعة في العالم الإسلامي مثلها) وقول الشيخ النجمي فقد عرض علي أحد الإخوة السلفيين فتوى صادرة من الشيخ أبي بكر الجزائري**

يقول: إن جماعة التبليغ – والله – لا توجد جماعة في العالم الإسلامي خير منها في نشر الدعوة الإسلامية وإصلاح الأفراد فنقول وبالله التوفيق .

إن أهل التبليغ والدعوة مجموعة من الأفراد اجتمعوا على البر والتقوي وهدفهم الأسمى هو تبليغ دين الله تعالى للناس كلهم فى المشرق والمغرب ونصح المسلمين ورفع راية الإسلام ، ويسلكون فى سبيل هذا كل ما أوتوا من وسائل ونعم ، ولم يبتدعوا فى دين الله تعالى بدعة إنما انتخبوا وسائل وجدوها جيدة نافعة ناجعة مفيدة ، وقد جربها كثيرا من العلماء منهم وأنتجت نتائج مبهرة ، فأسلم من الكفرة على أيديهم مئات الآلاف واهتدى على أيديهم من الضلال الملايين وبنيت بسبب جهودهم آلاف المساجد فى بلاد الإسلام وبلاد الغرب خاصة ، فلا ينكر جهدهم ولا يقلل منه ولا من منافعه .

وأما عن وسم جماعة معينة أو منهج أو جمعية أو حزب أو فصيل أو غير ذلك من المؤسسات بأنه أفضل مؤسسة دعوية إلى الإسلام على الإطلاق فمجازفة كبيرة لا يقول بها عاقل ، ومن يطلقها يكون فى الغالب متهور أو متعصب لها ، واما التفضيل النسبي فموجود بين كل المؤسسات أو الجماعات أو الأحزاب أو الجمعيات ، فمن حيث التحمل والصبر والدأب فى العمل والإنفاق والتفاني والحركة تجد جماعة متقدمة ومتميزة عن غيرها من الجماعات ! ومن حيث المال والجاه والمناصب تجد جماعة أخرى محصلة له ! ومن حيث الثقافة العلمية والتحقيق فيه والاهتمام بفروعه تجد جماعة ثالثة ناجحة فيه ! ومن حيث الاهتمام بشئون الفقراء والمساكين والسعي على شئون المحتاجين وسد حاجة المعوزين تجد جمعية ثالثة متفوقة فى ذلك ! إلى آخر هذه المناطات التى يختلف الناس بعضهم عن بعض فى ذلك .

واما من حيث توجيه تفضيل الشيخ أبى بكر الجزائرى رحمه الله لأهل الدعوة على غيرهم فمن حيث أنهم أناس بسطاء يطبقون كل ما يعلمون من دين الله ويسعى كل فرد منهم بما يعلم من دين الله من كتاب أو سنة وأن كل فرد فيهم يعد داعية إلى الله وإن قل علمه وأنهم منفقون من مالهم الخاص بشكل دوري على دعوتهم وأنهم يتحركون فى كل بقاع الدنيا ينشرون دين الله تعالى بما يستطيعون وأنهم لا يتقاعسون عن التقديم لهذا الدين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا وأنهم أكثر رحمة بالناس من غيرهم وأنهم أكثر تواضعا للناس وللعلماء فلا يتطاولون عليهم ولا يتجادلون ولا يتهارشون كما يفعل غيرهم ولا يقع بعضهم فى بعض ولا يبدع بعضهم بعضا ولا يسب بعضهم بعضا ، فمن هذه النقاط رأى الشيخ الجزائري رحمه الله أن

أهل التبليغ أفضل الجماعات على الساحة فى نشر الدين وتبليغه للناس ، وبالطبع هو لا يقصد تفضيلهم فى خطأ ظهر منهم ولا فى بدعة – إن صح أو وقع من بعضهم – وقعت من بعضهم !! بالطبع هذا بعيد كل البعد عن الشيخ الجزائري رحمه الله رحمة واسعة .

دفع تلبيس وتدليس الصومعي عن أهل التبليغ :

لعلك أخي بارك الله فيك حينما تقرأ مقدمات القوم للكتب يقشعر جلدك من هول الآيات التى يسوقونها ، وهذا ديدنهم ، فتراهم يهولون المسائل ويسوقون الآيات والأحاديث التى تتكفر وتبدع وتضلل وتفسق الناس والتى نزلت فى أقوام آخرين ليخوفوا الناس من أفعال لا يحبونها هم ! بغض النظر عن كونها صحيحة ام لا .

فانظر رحمك الله إلى الآيات التى ساقها صاحب الرسالة فى التلميح على أهل التبليغ والدعوة الناشرين للدين الداعين إلى الله تعالى : ({ وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون } [1]

والقائل : { وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى} [2]

والقائل:{ إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل } [3]

والقائل { من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم } [4] والقائل { أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ، فإن الله يضل من يشاء و يهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات }[5]

والقائل: {بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين} [6]

---

(1) التوبة آية 115.
(2) فصلت آية 17.
(3) النحل آية 37.
(4) الأنعام آية 39.
(5) فاطر آية 8.
(6) الروم آية 29.
(7) البقرة آية 272.
(8) السجدة آية 13.
(9) متفق عليه.
(10) رواه مسلم .

والقائل: ((ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء)) [7]

والقائل: ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها [8]

والصلاة والسلام على رسول الله القائل:

لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون[9]

والقائل: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك [1] **والقائل : لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها .**[2]

والقائل : لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك [3]) انتهي

فكل هذه الآيات والأحاديث الصريحة فى ذم أهل البدع الأصلية والتحذير من مسالكهم الردية والتحذير من الكفار أمثال قوم عاد وثمود ساقها فى التلميح إلى أن أهل التبليغ من ضمن هذه الفئات وأنهم فى الضلال مثل هذه الأقوام !! وهذا ضلال بحد ذاته حيث لم يفرق بين إلام وكفر ولم يبين مدى بدعة التبليغيين قبل سوق النتائج ، ولكن هذه الفئة تعودت على إلهاب المشاعر بالخطب الرنانة وتهييج الناس على علماءهم وعاداتهم وتقاليدهم طالما أنهم خارج ديارهم ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العي العظيم .

ديدن فكر المداخلة التقليل من الأقران :

لعلك تلحظ أخي القارىء لهجة الشيخ النجمي عفا الله عنه وهو يتكلم عن الشيخ أبى بكر الجزائري حيث وصفه بالواعظ ! تقليلا لشأنه ، مع أنه يعلم قدر الشيخ الجزائري وأنه رجل عالم متمكن فى العلم له مؤلفات كبيرة وكثيرة تدل على رسوخ قدمه فى العلم وليس مجرد واعظ قصاص ، وهو يعظ الناس فى المسجد النبوي اهتداءا واقتداءا بعمل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يعظ الناس فى هذا المكان ، فمهمة الوعظ مهمة نبوية وليست تقليلا ولا تحقيرا كما يريد الشيخ أن يصور !

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه البخاري.

فإن قيل أن الشيخ لم يقصد ذلك قلنا كيف تزعم ذلك وهو يكررها كثيرا فى حين أنه يصف غيره بالعالم والعلامة والإمام وغير ذلك من أوصاف التبجيل والإجلال والتقدير والتعظيم ! إن نفس التعالى ظاهر فى كلام الشيخ ، ولا مجال للهروب منه . فنبرة الشيخ أحمد النجمي عفا الله عنه في المقال حين وصف الشيخ أبا بكر الجزائري بالواعظ ينطوي على تقليل من شأن الشيخ الجزائري، رغم مكانته العلمية الراسخة ومؤلفاته العديدة التي تشهد على تمكنه وعمق علمه، فهو ليس مجرد واعظ قصاص .

التعالم وعدم احترام العلماء :

تشم رائحة التعالى من بعض الصغار حينما يتكلمون عن الشيوخ الكبار خاصة إذا كانوا مخالفين لهم فى التوجه العام ، ومن هذا ما تقرأه من كلام هذا الكاتب مصورا نفسه أنه ذا شأن يأتيه الناس للفتوى محتقرا غيره ، فيقول سامحه الله (**فإنه في عام 1421هـ جاءني بعض إخواننا الأفاضل بورقة بخط الشيخ أبي بكر الجزائري الواعظ بالمدينة النبوية بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم**) فتراه يصف الشيخ العالم العلامة أبا بكر الجزائري بالواعظ ! فى حين أنه لا ينفك لسانه عن وصف من هم فى مقام تلامذة الجزائري بالعلامة فلان والمحدث فلان والمحقق فلان ! وانظر لقوله (**وفي شهر 6 لعام 1424هـ جاءني بعض طلبة العلم بورقة للشيخ العلامة أحمد بن يحيي آل شبير النجمي** –) وقال أيضا فى صدر الرسالة (**قال الشيخ العلامة المحدث: أحمد بن يحيي النجمي حفظه الله تعالى.**) يصف الشيخ النجمي عفا الله عنه بالشيخ والعلامة والمحدث !! ثم يصف شيخنا هذا بأنه الواعظ بالمسجد النبوي ! ولا حول ولا قوة إلا بالله ! فالوصف بالشيخ و العلامة و المحدث هي ألقاب تُطلق غالبًا على العلماء والشيوخ ممن لهم باع في العلم الشرعي، خاصة في مجال الحديث والفقه. هذه الأوصاف بحد ذاتها لا تعني بالضرورة أن صاحبها يشغل منصبًا رسميًا كالمفتي العام أما بخصوص لفظ الواعظ بالمسجد النبوي فتعيين الوعاظ والأئمة في المسجد النبوي يتم بقرارات رسمية من الجهات المختصة في المملكة العربية السعودية، مثل الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي، ويكون لهم جدول محدد وموافق عليه فهو منصب أو وظيفة رسمية تأهل لها صاحبها دون غيره من العلماء وهم كثر جدا وكلهم يطمح لهذا الكرسي الجليل ..، ثم تجده يخترع منصبا جديدا من عند نفسه وهو على حد تعبيره (**مفتي عام جنوب المملكة العربية السعودية**) ولا ندرى منذ متى وجد هذا المنصب ! ومن سبقه فيه ومن خلفه عليه ! أم أنهم يخترعون من رؤوسهم ألقابا عظيمة فخمة للتهويل وتبيين أن هذا الرجل إماما عظيما

ومفتيا جليلا ولا يجوز أن تسأل عنه من هو وكيف تعلم وكيف وصل إلى هذا المستوى ؟! هذه عادة القوم التى تعودناها منهم وخبرناهم بها ، ولم نعد نكترث بكثرة دعاواهم . وبكل بساطة، نرد على من يزعم أن الشيخ أحمد النجمي عفا الله عنه مفتي عام جنوب المملكة العربية السعودية هو أن هذا الزعم غير صحيح.

فالمملكة العربية السعودية لديها مفتي عام واحد فقط، وهو أعلى منصب ديني وقضائي في المملكة. يشغل هذا المنصب حاليًا سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ. تم تعيينه بأمر ملكي في عام 1420هـ (1999م) بعد وفاة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، وهو يرأس هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

ومن بديهيات من يسمع قولهم أن يتسائل : هل للمملكة مفتيان (شمال وجنوب)؟

فالجواب لا، ليس للمملكة مفتيان (مفتي في الشمال ومفتي في الجنوب). هذا النظام غير موجود في الهيكل التنظيمي للإفتاء في المملكة العربية السعودية. والمنصب هو مفتي عام المملكة العربية السعودية ويشمل جميع مناطق المملكة.

المقصود من قولهم أن النجمي مفتي عام جنوب المملكة محاولة لتضخيم الرجل وتلميعه ! إذ لا يمكن اعتبار مثل هذا الزعم إلا محاولة لتضخيم الرجل وتلميعه، أو على الأقل يعكس جهلاً بالهيكل الرسمي للمؤسسة الدينية في المملكة العربية السعودية. فمنصب المفتي العام ذو مكانة رفيعة ومحددة، ولا يتم تقسيم هذه الصفة بناءً على المناطق الجغرافية. لذا، عند مواجهة هذا الزعم، يمكن الرد بثقة بتوضيح أن المنصب الوحيد للمفتي العام في المملكة يشغله سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، ولا يوجد تقسيم إفتائي على أساس المناطق الجغرافية. فتنبه .

الجواب فى العنوان والخاتمة فى المقدمة :

من الصفات العجيبة التى يسلكها القوم فى كتبهم هى الخلط !

فتجدهم يخلطون الأبحاث ويقدمون ويؤخرون ولا يهتمون بطريقة علمية ولا يحترمون عقول القراء ، فترى الكاتب فى المقدمة يحكم على التبليغ بالأحكام القاسية وهو ما زال فى السطر الأول من رسالته – زعم - ! فيقول : (**يشيد فيها بجماعة منحرفة المعتقد صوفية قبورية جمعت من الضلال والزيغ ما الله به عليم**)

ومحل ما كتب هذا أن يكون فى الخاتمة ، لأنها نتيجة عمله فى الرسالة ! ولكن هؤلاء القوم لا يسيرون على طريقة علمية ، وجل عملهم فتاوى ويكأنهم يملكون صكوك غفران ! فكل المسائل تحت أيديهم قابلة للفتوى ، ولا مسألة مما تعرض عليهم تحتاج للدراسة الميدانية أو اللجان العلمية ! لا تجد أحدا منهم يعجز عن مسألة ، ولا تكاد تسمع أحدا منهم قال فى مسألة دعني أتثبت أو لا أعلم جواب هذه !! الأجوبة تلقى على قلوبهم كالوحي فى كل شيء !! فالتهويل الذي صدر عن الشيخ أحمد النجمي - عفا الله عنه - في وصف جماعة التبليغ بأنها منحرفة المعتقد صوفية قبورية جمعت من الضلال والزيغ ما الله به عليم هو مثال صارخ على التهويل الذي لا دخل له بالمنهج العلمي المنصف، ويجانب الحقيقة والواقع. مثل هذه الأوصاف المطلقة تكشف عن فهم متشدد ضيق، وتعصب منهجي، وعدم إدراك لسعة الفقه واختلاف طرق الدعوة.

فالتهويل لا علاقة له بالمنهج العلمي: العلم الشرعي يقوم على الدليل، والإنصاف، والتجرد من الهوى، والتمييز بين الأصول والفروع. أما التهويل والتضخيم في وصف المخالفين فهو من سمات التعصب والغلو، ولا يُعد منهجًا علميًا رصينًا.

إن حركة لتبليغ ليست منحرفة إلا في فهم الغلاة: فالقول بأن جماعة التبليغ منحرفة المعتقد صوفية قبورية هو اتهام خطير لا يُسلّم به كل علماء المسلمين، بل هو فهم غالي يخص فئة معينة تبالغ في التبديع. الواقع أن العلماء من مختلف دول العالم قد أقروا بوجود خير في جماعة التبليغ ومدحوها في جوانب عديدة.

أصل منهج جماعة التبليغ يدعو إلى التوحيد الخالص، وإحياء السنة، وإقامة الصلاة، وتلاوة القرآن، وترك المعاصي. صحيح أن لديهم اجتهادات، لكن هذا لا يُخرجهم من دائرة أهل السنة والجماعة، ولا يجعلهم صوفية قبورية بهذا المعنى المطلق.

والتهويل والتبديع المطلق لا يُصلح، ولا يجمع، ولا يعكس روح الإسلام السمحة التي تدعو إلى الحكمة في الدعوة، والعدل في الحكم، والإنصاف مع المخالفين، خاصة إذا كانوا من أهل القبلة ويجتهدون في خدمة دين الله.

الكذب على أهل العلم وتضليل الناس وقلب الحقائق:

تلحظ هذا فى قول الناقل قوله : (**وقد أسائني ما فيها من ثناء على هذه الجماعة سيما وقد اشتهر كلام أئمة أهل العلم فيها والتحذير منها أمثال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وغيرهما من علماء أهل السنة والجماعة كما سيأتي ذكرهم**) فتراه يكذب وينقل الكذب عن غيره ليبرىء نفسه ويترك النقل على عهدة من نقل عنه !

ومعلوم موقف الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله فى أهل التبليغ وأنه كان يؤازرهم ويشد على أيديهم وينصح بمجالستهم وقد كتب بمناصرتهم ! ولم يثبت عنه أنه خالف ذلك ‘لى وفاته ، وما ورد عنه فى التحذر من جمعية التبليغ فليست هي بجماعة التبليغ إنما هم أناس غيرهم وقد تواتر الكلام بهذا المفاد ، حتى إن تلميذه الوفي الأبر عبد العزيز بن باز رحمه الله وخليفته على كرسي الإفتاء ظل يفتي بفتوى شيخه بن إبراهيم بعد وفاته بعشرين سنة ويكرر وكان يفتى شيخنا بهذا ! فهل جهل بن باز موقف شيخه بن إبراهيم حتى آخر عمره ؟!

وكذلك نقل الناقلون عن الشيخ بن باز هذا القول بأنه يؤيد التبليغ وينصح بالخروج معهم ومجالستهم ولم يحذر منهم رأسا إنما حذر من البدع وهذا صحيح ! فإن وجدت فيهم بدعا فاحذرهم واحذرها وإن لم تجد فيهم بدعا فخالطهم وناصرهم !

وقد بين الشيخ بن جبرين أن الشيخ بن باز مات وهو ينصرهم ! وغيره من المشايخ قال ما مفاده هذا .

وغيرهم من علماء السنة من وقف هذا الموقف ولكن هؤلاء الصغار يكثرون من النقل للأكاذيب حتى يصدقها الناس وتصير بعد ذلك حقائق !

قدح العلماء من حيث يظن المدح :

لقد قدح الكاتب العلماء الذين تمسح بهم قبل قليل ، فهو ذكر اسم الشيخ عبد العزيز بن باز وظلل اسمه بالخط العريض ليبين للقارىء أننى أحبه وعلى نهجه وها هو اسمه إن كنت أعمى لا ترى !! ثم قال : (**وتمنيت لو ان أحداً من أهل العلم يبين للشيخ أبي بكر خطئه سيما وهو يتربع على أحد كراسي الوعظ بالمسجد النبوي ولأن كلامه فيه جرأة على هؤلاء العلماء**

الذين قد جرحوا هذه الفرقة الضالة المضلة) وهذا قدح فى الشيخ بن باز الذى لم يؤثر عنه رد على الشيخ أبى بكر الجزائري !!

وكتاب الشيخ الجزائري وفتواه مشهورة ومنشورة فى الآفاق قبل وفاة الشيخ بن باز بعشرات السنين ! ومع ذلك لم يوجد رد من الشيخ بن باز على هذه الفتوى ولا على رسالة الشيخ الجزائري المسماة (القول البليغ فى جماعة التبليغ) ! مما يدل دلالة واضحة أن الشيخ بن باز لا يعارض قول الشيخ الجزائري ولا يخالفه أبدا .

خاصة أن الشباب سعد الحصين وفالح الحربي فى عام 1408 حينما راسلوا الشيخ بن باز بشأن التبليغ وردهم الرد القاسي والدرس الواضح والفتوى الصريحة بأن مسلكهم خاطىء وموقفهم غلط وردهم غير صحيح ! فهذا أبلغ من مائة رسالة وفتوى !

حيث إن رد الشيخ بن باز على هؤلاء الشباب كان صريحا بلا مواربة ولا تأويل ، فأين العقول التى تقبل الحق من الشيخ بن باز ؟!

وحينما راسله أيضا الشاب محمد بن إبراهيم التويجري فى عام 1408 بخصوص الزعم بأنه تراجع عن قوله ، جاءهم الرد الصريح من الشيخ بن باز بأنه ما زال على موقفه .

فهل اطلع الكاتب على كل هذه الرسائل الصريحة من الشيخ بن باز رحمه الله أم أنه تعمى عينه عن أشياء كثيرة ثم يرى بعينه الدقائق التى تحتاج إلى ميكروسكوبات ؟!!

النقل عن ناقل عن ناقل عن من أثق به عن مجهول :

من السمات التى لاحظناها فى مسلك هؤلاء الناس أنهم يكثرون الكتابة والتفريعات للمسائل ، عن عمد وقصد ليكثر الكلام فيها وتصير مادة الجدل ، فخذ مثلا مسألة التبليغ هذه ، تجد أول من كتب فيها هو سيف الرحمن وسيد طالب الرحمن ! وكلا منهما كتب كلاما غير ثابت وكذب أكاذيب غير موثقة وزعم أنه ألف رسالة علمية وهى فى الحقيقة أكاذيب واقعية ولكن لم يناقشوا ولم يراجعوا فيما كتبوا بل روجت كتبهم ونشرت فصارت مادة لها قيمة عنهم ، فأخذها عنهم رجلين وفخموها هما التويجري والهلالي فألف كلا منهما كتابا ضخما وحشاه بالطوام المهلكات والبدع الموبقات ! ثم أخذ عن هؤلاء الأربعة عشرات السلفين وكل منهم يفتى فتواه ويقول (جماعة بدعة وضلالة) هكذا قال سيد طالب الرحمن وسيف الرحمن والتويجري والهلالي ، فيأتي الغديان مثلا ويقول (جماعة بدعة وضلالة) هكذا قال سيد طالب الرحمن وسيف الرحمن والتويجري والهلالي ، ثم يأتى الفوزان ويقول (جماعة بدعة وضلالة) هكذا قال سيد طالب الرحمن وسيف الرحمن والتويجري والهلالي والغديان ، ثم

يأتى المدخلي ويقول (جماعة بدعة وضلالة) هكذا قال سيد طالب الرحمن وسيف الرحمن والتويجري والهلالي والغديان والفوزان ، ثم يأتي زيد وينقل عنهم فيضيف المدخلى فى القائمة ، ثم يأتى عمرو فينقل ويضيف زيدا فى القائمة ، ثم يأتى فلان وفلان وفلان حتى تجد قائمة من سبعين شخصا كلهم ينقل عن رجلين (سيف الرحمن وسيد طالب الرحمن) وكليهما كاذب فى نقله غير محقق فيه !

وهنا تجد الكاتب أراد هو أيضا أن يدلي بدلوه فنقل عمن نقلوا هم أيضا فتجده يقول : (**وقد استفدت في بحثي هذا من كتاب : القول البليغ للشيخ حمود التويجري رحمه الله وكتاب المورد العذب الزلال للشيخ احمد النجمي حفظه الله وجماعة التبليغ في شبه القارة الهندية : للشيخ سيد طالب الرحمن حفظه الله . وكتاب كشف الستار للشيخ: محمد بن ناصر العريني حفظه الله**) وهكذا دواليك ، خطة ممنهجة متوارثة عبر الأجيال ، ولا أجد لها حلا سوى الرد على كل كتاب بكتاب مثله ليعلم الجاهل ويفهم العاقل ، ولا نكتفي بفتوى واحدة على مجموع هذه الفتاوي التى تعد بالمئات ولا الرسائل التى قاربت مائة كتاب ورسالة !!!

وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين :

من المفارقات العجيبة عن هؤلاء القوم أن التثبت الذى يدندنون حوله يكون تثبتا إذا كانت النتيجة فى صالحهم وترجح كفتهم ، ويسمى ردا للحق وتحايل على الشرع إذا كان سيبين خطأهم ويرد عليهم !! فتجد قائلهم يقول : (لأن بعض الناس يحسن الظن بهذه الجماعة وعندما يقرأ كلام الشيخ حفظه الله أن هذه الجماعة ديوبندية - قبورية – ذات طرق وذات شرك يقول ما هي أدلة الشيخ وهذا سلاح كثير من أهل الباطل يريدون به رد الحق ويسمونه التثبت) فياسبحان الله ، كيف يقبلون فعلا ويردون نفس الفعل ! إلا لشىء فى القلب ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

دعوة السلفية العصرية للتثبت والإنصاف في تقييم جماعة التبليغ

إن الحق أبلج، والباطل لجلج. هذا المبدأ الذي نُسلّم به جميعًا، يقتضي منا أن نُعلي صوت الإنصاف والتبصّر، لا أن نُلقي الاتهامات جزافًا، أو نُروّج للظنون دون برهان. إن ما يُثار حول جماعة التبليغ من اتهامات، وما يُوجّه من سهام النقد لعلماء أثنوا عليها، يستوجب وقفة صادقة، وتأملًا عميقًا في منهج التثبت الذي هو من صميم ديننا.

إن ما يُثار اليوم من فتن واختلافات حول الجماعات الإسلامية، وما يُوجّه من اتهامات دون تثبت، هو سمٌ قاتل في جسد الأمة، فنرى من يُسارع إلى التحذير، ومن يُسارع إلى الطعن، وكأنه لم يسمع قول الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا}.

إن التبيُّن ليس خيارًا، بل هو أمر إلهي، والإنصاف ليس فضلاً، بل هو واجب شرعي، يجب علينا أن نتثبت من كل كلمة، وأن نزن كل رأي بميزان الشرع، وأن نُقيّم الناس والجماعات على ما يظهر منهم، لا على ما نظنه أو نتوقعه.

إن أهل التبليغ - وغيرها من الجماعات الدعوية - لها ما لها وعليها ما عليها، ولها أيادٍ بيضاء في الدعوة إلى الله، وأخطاء قد يقع فيها البشر. فهل يُعقل أن نرمي كل هذه الجهود الطيبة عرض الحائط؟ وهل يُعقل أن نجعل الأخطاء الفردية ذريعةً لهدم كل ما يُبنى من خير؟ فمن دواعي الحكمة والإنصاف أن نُقيّم الأعمال لا الأشخاص، فالعمل الصالح هو الذي يبارك فيه الله، وهو الذي يبقى، أما النقد المتهور والتحذير الجائر فإنه لا يُثمر إلا مزيدًا من الفرقة والشقاق ، فلنتقِ الله في ألسنتنا، ولنحمل همّ الأمة ووحدتها، ولنكن جميعًا على قلب رجل واحد.

حقيقة جماعة التبليغ وافتراءات السلفية العصرية :

لقد دأب البعض منكم، ممن يُطلقون على أنفسهم السلفية ، على وسم جماعة التبليغ بأوصاف تتجاوز النقد البنّاء إلى الافتراء الصريح. فزعمكم بأنها ديوبندية، قبورية، ذات طرق، وذات شرك هو قول عظيم، لا يستند إلى دليل يُحتج به، بل هو محض اتهام يُلقى على عواهنه.

لقد عايشنا هذه الجماعة، ورأينا عملها عن كثب، منذ عقود طويلة. شهدنا جهودها في الدعوة إلى أركان الإسلام، وتذكير الناس بالتوحيد الخالص، وإحياء سنة النبي صلى الله عليه وسلم في حياتهم اليومية. لم نر منهم قط ما يشير إلى عقائد قبورية، أو طرق صوفية ذات شركيات، بل على العكس تمامًا، كانت دعوتهم ترتكز على العودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة الصالح. منهجهم قائم على الخروج في سبيل الله للدعوة إلى التوحيد، والصلاة، والعلم والذكر، وإكرام المسلم، وتصحيح النيات. إن التركيز على تزكية الفرد وإصلاح المجتمع، بعيدًا عن الخوض في الخلافات الفقهية المعقدة والمسائل السياسية، هو ما يميز عملهم. فهل يُمكن لمنصف أن يرى في هذا المسعى النبوي، الذي يستلهم من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، شركًا أو ضلالة؟

إن ما ذُكر عن أهل التبليغ والدعوة من جهود في الدعوة إلى أركان الإسلام، وتذكير الناس بالتوحيد الخالص، هو حقيقة لا يمكن إنكارها، فلقد شهد الكثيرون على عملهم الميداني في الدعوة، ورأوا كيف يخرجون إلى الناس في كل مكان، يدعونهم إلى الصلاة، ويحثونهم على ذكر الله، ويعلمونهم أمور دينهم ببساطة وتواضع، هذا العمل المبارك الذي يقومون به في سبيل الله، وتركيزهم على تزكية الفرد ، وإصلاح المجتمع بعيدًا عن الخلافات الفقهية المعقدة، هو ما يميز دعوتهم ويجعلها تصل إلى القلوب، فلقد رأينا بعيوننا كيف يخرجون في سبيل الله تاركين بيوتهم وأهليهم، لا يبتغون من ذلك إلا وجه الله، وكيف أن دعوتهم قد أثمرت هداية الكثير من الشباب الذين كانوا بعيدين عن الدين، فصاروا بفضل الله ثم بفضل جهودهم من المصلين الملتزمين، إن دعوة التبليغ هي دعوة عملية عالمية، لا ترتكز على التنظير بقدر ما ترتكز على الفعل، وهو ما يجعلها تصل إلى كل طبقات المجتمع، هذا المسعى النبوي الذي يستلهم من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، لا يمكن لمنصف أن يرى فيه شركًا أو ضلالة، بل هو دعوة إلى الخير والهدى، فهل يمكن أن نُخفي

الشمس بالغربال، وننكر جهودهم في الدعوة إلى التوحيد الخالص والصلاة والعلم والذكر؟ إن هذا يُعد من الظلم الذي حذرنا منه الله ورسوله، فالحق أبلج، والباطل لجلج.

جماعة التبليغ جماعة توحيد بشهادة أهل العلم:

إن الزعم بأن التثبت سلاح لأهل الباطل لرد الحق هو قلب للحقائق وتجنٍّ على منهج شرعي أصيل. فالتثبت، كما سنبين، هو منهج أهل الإسلام، وهو الذي يُرسّخ الحق ويُبطل الزيف.

شهادة العلماء بسلامة عقيدة التوحيد: إن القول بأن جماعة التبليغ جماعة شرك هو قول مردود على صاحبه. فكثير من أهل العلم، وإن كان لهم بعض الملاحظات على جوانب منهجية أو علمية، لم يحكموا على الجماعة بالشرك أو الضلال المطلق. على سبيل المثال، الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، مع ملاحظاته على بعض الجوانب العلمية لديهم، لم يُنكر جهودهم في الدعوة وأجاز الخروج معهم لذي البصيرة لينفعهم. وكذلك الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، أقرّ بوجود الخير الكثير في عملهم. هذه الشهادات تدل على أن أصل دعوتهم يقوم على التوحيد، وليس على الشرك الذي يُرمون به. إنهم يدعون إلى تحقيق كلمة التوحيد لا إله إلا الله عمليًا في حياة الناس، وهو جوهر رسالة الأنبياء والمرسلين.

التثبت منهج أهل الإسلام لا أهل الباطل:

إن قول النجمي عفا الله عنه بأن التثبت هو سلاح أهل الباطل لرد الحق، هو مغالطة يجب تصحيحها. فالتثبت هو منهج أصيل في ديننا، أمرنا به الله تعالى في كتابه الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

والأمر القرآني بالتثبت: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1]. هذه الآية تأمر المؤمنين بالتبين والتثبت عند ورود الأخبار، وهي قاعدة عامة تُرسي مبدأ عدم التسرع في الحكم وإصدار الأحكام بناءً على الظن أو الشائعات.

الحث النبوي على التثبت: حذر النبي صلى الله عليه وسلم من التسرع في نقل الأخبار دون تحقق، فقال: كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع . هذا الحديث يؤكد على أهمية التحقق من صحة المعلومة قبل تداولها.

[1] [الحجرات: 6]

فالتثبت ليس حيلة لرد الحق، بل هو سبيل لإرسائه وتوضيحه. أهل الحق يدعون إلى التثبت لبيان الحقيقة، أما أهل الباطل فهم من يخشون التثبت لأنه يكشف زيفهم.

التثبت باقٍ ولا يضيرنا تحريف المبطلين :

إن محاولة أهل الباطل استخدام مصطلح التثبت أو تحريفه لأغراضهم الخاصة، لا يقدح في قيمة هذا المنهج الأصيل. فالحق ثابت لا يتزعزع، ولا يُمكن أن يُحجب بتحريف المبطلين أو مراوغتهم.

تميز الحق من الباطل: علينا أن نُدرك الفرق بين التثبت الحقيقي الذي يهدف إلى الوصول لليقين، والمراوغة التي يهدف إليها أهل الباطل لتضييع الحق أو التملص منه. هذه المراوغة لا تُلغي قيمة التثبت نفسه، بل تُلقي بظلال الشك على نية من يستخدمها.

إن مواصلة التمسك بالمنهج: لا ينبغي لنا أن نتخلى عن التثبت أو نُشكك فيه لمجرد أن بعض من نختلف معهم يحاولون استخدامه بشكل سيء. بل يجب أن نتمسك بهذا المنهج القرآني النبوي بقوة، ونُطبقه بوعي وحكمة، لنُظهر الحق بوضوح، ونكشف زيف الباطل.

فإلى أتباع السلفية العصرية ، ندعوكم إلى التثبت والإنصاف في الحكم على جماعة التبليغ، وعلى العلماء أمثال الشيخ أبي بكر الجزائري رحمه الله، الذي أثنى عليها بما رأى من خير. فالعدل والإنصاف هما أساس الحكم في ديننا، والافتراءات لا تليق بمن يدعي الانتساب إلى منهج السلف الصالح.

وهل الشيخ بن باز أعمى البصيرة ؟:

من السمات التى يتسم بها هؤلاء الناس إطلاقهم الكلام العام الذى إن طبقته عليهم كان بهم أليق ولحالهم أوصف ، فهذا الرجل يقع فى الشيخ الجزائري ويجمل كلامه بقوله رجلا من أهل السنة فى نهجه وعقيدته ثم يتغافل عن كثير من رجالات أهل السنة فى مناهجهم وعقائدهم قد وافقوها وناصروها ! فيقول الكاتب المتهور : (**ولعل الشيخ أبا بكر إذا اطلع عليها يغير رأيه كذلك ويصدر ورقة بتراجعه عما سطره من قبل وهذا هو الظن به وإلا فهل يعقل أن رجلاً من أهل السنة في نهجه وعقيدته يعرف عن هذه الجماعة ما سيأتي ذكره ويضل على دفاعه عنها لا والله إلا من أعمى الله بصره وبصيرته والله المستعان**) فهذا الشيخ بن باز الذي ذكرته قبل قليل قد نصرها فى عشرات الفتاوى وأيدها فى رسائل كثيرة لطلبته فلم تتعامى عن كل هذا الذي كتبه ؟! ولماذا لا تكون قويا مع نفسك فترميه بعمى البصيرة ؟! ألم يمت وهو موافق لهم بشهادة أقرب المقربين له !؟ أم أن المقربين له وكتبته الآن صاروا خوارج مبتدعة !! كما يزعم ربيع المدخلي .

إن ما قام به الكاتب (النجمي عفا الله عنه) ينم على تسرع وقلة إنصاف في الحكم على الآخرين، ورميهم بصفات خطيرة بناءً على اختلاف في وجهات النظر. من أبرز السمات التي يتسم بها هذا الأسلوب هو إطلاق الأحكام العامة الجائرة التي لو طُبقت على الكاتب نفسه، لكانت به ألْيق ولحاله أوصف.

لقد وقع الكاتب في خطأ بين حين رمى الشيخ بأعمى البصيرة لمجرد موافقته لجماعة معينة، وهو يعلم أن كثيرًا من رجالات أهل السنة قد وافقوا وناصروا جماعات مختلفة باجتهاد منهم. الأدهى من ذلك، أنه يتغافل عمدًا عن مواقف علماء أجلاء كالشيخ ابن باز، الذي شهد له القاصي والداني ببعد نظره وفطنته، فقد نصر الجماعة المشار إليها في عشرات الفتاوى وأيدها في رسائل كثيرة لطلبته. فهل يعقل أن يكون الكاتب قويًا مع نفسه فيرمي شيخًا فاضلًا كابن باز بأعمى البصيرة أيضًا؟! أم أن هذه التهمة مخصصة فقط لمن لا يوافق هواه؟

إن الشيخ ابن باز، رحمه الله، قد توفي وهو على موقفه الموافق لهذه الجماعة بشهادة أقرب المقربين له وطلبته الذين نهلوا من علمه. فهل أصبح هؤلاء المقربون والكتبة الذين دوّنوا

علمه خوارج مبتدعة كما يزعم ربيع المدخلي، ليبرر الكاتب تراجعه عن رميهم بنفس التهمة؟!
إن هذا التناقض الصارخ يكشف عن ازدواجية المعايير وعدم الإنصاف، فشتان بين من يحكم بإنصاف ومن يطلق الأحكام جزافًا مدفوعًا بالهوى أو العصبية.

إننا نرى أن الكاتب قد أخطأ في رمي الشيخ بأعمى البصيرة بالتلميح، فكيف يجرؤ على مثل هذا الاتهام الخطير لعالم يشهد له الجميع بالتقوى والعلم والاجتهاد، بينما يتغاضى عن مواقف علماء آخرين لا يقلون عنه شأنًا في الدعم والتأييد لنفس الجماعة؟! إن هذا ليس من شيم الإنصاف والعدل، ولا يليق بمن يسعى لبيان الحق. فالله وحده هو المستعان على ما نرى من أحكام متسرعة لا تستند إلى دليل، بل إلى محض الظن والتخرص.

ما أشبه سجع الكهان :

يحب القوم السجع فى الكتابة بغية الشهرة والصيت ! وتلحظ ذلك من نشراتهم ومنشوراتهم وكتبهم ورسائلهم فتجد أي سواد فى بياض يسمونه كتاب كذا فى بيان كذا ! سجعا كسجع الكهان ، يأسرون به عقول الناس ! وهذا الكاتب لم يبعد عن هذا المسلك ، فسمى شخابيطه على هامش شخابيط شيخه (**هذا وقد أسميتها التعليق البليغ على رد الشيخ أحمد بن يحيى النجمي على مادح التبليغ**) ملقبا شيخه بشيخ ذاكرا اسمه كاملا بأحب الأسماء معميا عن المردود عليه تقليلا من شأنه ولو كان محبا له ما ذكره بهذه الصفة .
إن ملاحظة أن بعض المؤلفين، وخصوصًا من التيار السلفي المعاصر الذي يميل للردود والمناظرات، يستخدمون عناوين جذابة أو تضخيمية قد تكون صحيحة إلى حد ما في بعض الأحيان. فالعنوان الذي معنا ، التعليق البليغ على رد الشيخ أحمد بن يحيى النجمي على مادح التبليغ ، هو مثال على ذلك. ففي سوق الكتب المتنافسة، يصبح العنوان أداة أساسية لجذب انتباه القارئ. العنوان الجذاب أو الذي يوحي بأهمية المحتوى أو قوة الرد قد يدفع المهتمين بهذا الجانب من النقاشات إلى اقتناء الكتاب أو قراءته. البليغ هنا توحي بالبلاغة وقوة الحجة، مما قد يوحي للقارئ بأن المحتوى يحمل ردًا قويًا ومقنعًا.
قد يكون هناك جانب - ولو ضئيل - من التفاخر أو المبالغة التي قد تصل إلى التضخيم في بعض الأحيان، خاصة عندما يكون المؤلف من طلاب عالم معين ويريد أن يظهر ولاءه

لمنهجه أو دفاعه عنه بقوة. في هذه الحالة، يصبح العنوان جزءًا من تضخيم عمل الطالب نفسه، و تخليد لرد شيخه.

هل هذا يعني أن العمل بالضرورة تضخيمي أو عادي ؟ هذا يعتمد على تقدير القارئ والناقد. ما يراه البعض تضخيمًا، قد يراه آخرون وصفًا دقيقًا لجهد علمي يُعتبر مهمًا في سياقه. في النهاية، قيمة الكتاب تكمن في محتواه وجودة حجته العلمية، وليس في عنوانه وحده. ولكن العنوان هو بالتأكيد بوابة العبور الأولى للقارئ. وهو ما سنراه في الصفحات القادمة

تطاول الشيخ أحمد النجمي عفا الله عنه على الشيخ أبي بكر الجزائري رحمه الله:

لقد تطاول الشيخ أحمد النجمي عفا الله عنه على الشيخ الجزائري رحمه الله في هذه الفتوى كعادته وكعادة بني فصيله وجماعته ، فقد اعتدنا منهم على أنهم لا يتخيرون الألفاظ ولا يحسبون لها حسابا ولكنهم يلقون ألفاظا ضخمة لها معاني عظيمة فاحشة دون تحسس لمعانيها ، فيقول غفر الله له : (فقد عرض علي أحد الإخوة السلفيين [1] فتوى صادرة من الشيخ أبي بكر الجزائري يقول: إن جماعة التبليغ – والله – لا توجد جماعة في العالم الإسلامي خير منها في نشر الدعوة الإسلامية وإصلاح الأفراد هكذا يحلف أبو بكر هذه اليمين الفاجرة أنه لا توجد جماعة في العالم الإسلامي خير من جماعة التبليغ وأقول مع الأسف يا أبا بكر ما كنت أظن أنه سيبلغ بك الخذلان إلى هذا الحد تفضل جماعة التبليغ الصوفية. .) فانظر رحمك الله كيف مدح الطالب الذي راسله بهذه الرسالة بأنه من السلفيين من غير غمز ! وظل طيلة كلامه لم يصرح بأن الشيخ الجزائري منهم ! وهذه قدح ضمني في الشيخ رحمه الله ، ثم يصرح عفا الله عنه بالسب حيث يقول (يحلف أبو بكر اليمين الفاجرة ...) قاطعا للرأي بأنها يمين فاجرة والله تعالى أعلم باليمين الصادقة واليمين الفاجرة ! ثم يصرح أيضا ويقول (بلغ بك الخذلان إلى هذه الحد) ! ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ويظهر جلياً في هذا السياق أن الشيخ النجمي —عفا الله عنه— قد سلك مسلكاً وعراً حين تجرأ على وصف يمين عالم جليل كالشيخ أبي بكر الجزائري باليمين الفاجرة ، وهي عبارة تمثل في حقيقتها قمة الجرأة على مقامات العلماء الراسخين، إذ إن الفجور في اليمين لا يُطلق شرعاً إلا على من تعمد الكذب لإبطال حق أو إحقاق باطل، وهو أمر أبعد ما يكون عن رجل قضى عمره بين أروقة المسجد النبوي معلماً ومربياً ومفسراً لكتاب الله. وفي سياق الرد على تطاول النجمي وتفنيد مغالطاته ومغالطات تلميذه الصومعي، يتضح أن رؤية المنصف تقابلها هنا غلو المبدّع؛ فحين أقسم الشيخ الجزائري بأن جماعة التبليغ هي خير الجماعات في إصلاح الأفراد، فإنه لم يحابِ أحداً بل انطلق من فقه الثمرة ، حيث يرى العالم الرباني الملايين الذين تابوا من المخدرات والجرائم والجهل وعادوا لتوحيد الله بفضل هذا الجهد الميداني، فكان قسمه مبنياً على واقع مشهود لا ينكره إلا جاحد أو محجوب بالتعصب. كما يتجلى وهن مغالطة الخذلان التي رماها النجمي في وجه الشيخ الجزائري زاعماً أن الخذلان

قد بلغ به مداه لمجرد إنصافه لهؤلاء المسلمين، بينما يؤكد الواقع أن الخذلان الحقيقي يكمن في إسلام جموع الموحدين لسهام التبديع والتكفير وتركهم لقمة سائغة لتيارات الغلو، بدلاً من احتوائهم وتوجيههم كما فعل الجزائري بحكمته المعهودة. أما التذرع بوصف الصوفية لتمرير الطعن ومحاولة حصر الجماعة في قالب منفر لإسقاط يمين الشيخ، فإنه يعكس قصوراً في الإدراك؛ فالشيخ الجزائري —رحمه الله— كان أعلم من النجمي والصومعي بمدارس الفكر الإسلامي، ولكنه لم ينظر للمسميات الجوفاء بل غاص إلى الحقائق والمقاصد، فرأى توحيداً عملياً وجهداً ميدانياً يحيي موات القلوب ويستحق الدعم والثناء، مما يجعل الهجوم عليه وعلى يمينه البارة مجرد خروج عن جادة العلم والإنصاف.

تخاريف أبي همام وافتراءه على العلماء :

يعلق الكاتب أبو همام على كلمة الشيخ أبي بكر الجزائري (إن جماعة التبليغ – والله – لا توجد جماعة في العالم الإسلامي خير منها في نشر الدعوة الإسلامية وإصلاح الأفراد) بكل صفاقة ووقاحة وتطاول على من هم أعلم منه وأسبق فى الدعوة بل من هم في مقام شيوخ أشياخه ، ولأنه لم يتربى على احترام علماء المسلمين فتجده كغيره من أبناء جلدته يسقط القامات لأنهم على غير نحلته ، ويرفع الأقزام - فقط – لأنهم يكررون ما يكرره شيخهم ، فيقول الكاتب الصومعي : (أقول وأين الشيخ جابر من دعوة أهل السنة والجماعة السلفيين السائرين على منهج سلف الأمة هل نسيها أم تناساها وهل ينسى الإنسان نفسه أليس هو من أهل السنة أم من جماعة التبليغ البعيدة عن السنة وأهل السنة ولعل الشيخ جابراً يرى أن قول نبينا صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس متفق عليه. أقول لعله يرى أن هذا الحديث وأمثاله ينطبق على جماعة التبليغ فإن قال نعم فأين يذهب بأئمة أهل السنة الذين نزلوا هذه الأحاديث على أهل الحديث ومن سلك مسلكهم ولذلك قال الشاعر:

أهل الحديث هم أهل النبي وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

من الذين فسروا الحديث السابق بأن المراد به أهل الحديث جمع من لأئمة .

قال ابن المبارك : هم عندي أصحاب الحديث .

وقال البخاري: قال علي بن المديني هم أصحاب الحديث .

وقال الإمام أحمد: إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أهل الحديث فلا أدري من هم:

وإن قال : لا ينطبق عليهم فعليه أن يتراجع عن مقولته فيهم وثناءه عليهم بأنه لا توجد جماعة في العالم الإسلامي خير منها في نشر الدعوة الإسلامية وإصلاح الأفراد: أليسوا أهل السنة والجماعة مهتمين بنشر الدعوة في العالم الإسلامي وإصلاح الناس أفراداً وجماعات ألم يطلع على كتبهم وأشرطتهم ومحاضراتهم ودوراتهم العلمية عبر الإذاعات وعبر القنوات الفضائية - الانترنت – أين يريد الجزائري أن يذهب بجهود علماءنا أمثال **العلامة ابن باز وابن عثيمين والألباني والوادعي والفوزان والنجمي والمدخلي والسبيل والغديان وابن غصول وآل الشيخ وهيئة كبار العلماء وعلماء الهند واليمن والشام وغيرها من الدول** .

إن أهل السنة والجماعة دعوتهم من الكتاب والسنة إلى الكتاب والسنة ويهتمون بالدعوة إلى التوحيد يدعون الناس إليه ويحذرونهم من الشرك أما جماعة التبليغ فإنها ترى أن الكلام في التوحيد والعقيدة من أمراض الأمة لذا يجب السكوت عنه إذا فما فائدة دعوة تدعوا إلى إكرام المسلم والفضائل كالذكر وغير ذلك من الأعمال وتترك أصلاً عظيماً عليه مدار سعادة المرء في الدنيا والآخرة وهو التوحيد الذي خلق الله الخلق من أجله قال تعالى: { **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** } الطور أية 56.

كان ينبغي للشيخ جابر أن يوجههم إلى الاهتمام بالعقيدة والرجوع إلى أهل العلم المعروفين بسلامة المعتقد ليتعلموا منهم العلم لأن العلم قبل القول والعمل .

ورحم الله الإمام البخاري فقد بوب في كتاب العلم من صحيحه باباً فقال باب العلم قبل القول والعمل) ثم استدل بقوله تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) .

قال ابن حجر رحمه الله في فتح الباري: قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للسنة المصححة للعمل فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى لذهن من قولهم : ((إن العلم لا ينفع إلا بالعمل)) تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه أقول وهذا هو سلاح جماعة التبليغ لصرف الناس عن العلم.

فعلى الشيخ جابر أن ينصحهم بالعلم قبل القول والعمل والله المستعان.) انتهي كلام المعلق أبى همام .

فأقول - وبالله التوفيق - إن كلام المدعوا أبو همام لا يخلوا من مغالطات لأنه يقتطع من كلام الشيخ أبي بكر الجزائري كلاما معينا ثم يفهمه برأسه بعيدا عن سياقه ومخالفا لفهم الشيخ له وبعيدا عن الفهم الصحيح الذي يجب أن يكون عليه ، ثم يُحمله ما لا يحتمل من

التبعات ثم يحكم عليه بما شاء من الأحكام ثم يحاكم الشيخ إلى كل هذا فيبدأ اللوم ويسرد النقول من أقوال السلف في ذم كل ما سبق ! وكل ما سبق باطل ولا يصح إسقاط نقول السلف عليه ونبين ذلك فيما يلي فتنبه .

ويظهر جلياً في هذا السياق حجم التخاريف والافتراءات التي ساقها الكاتب أبو همام، والتي تنضح بالصفاقة والوقاحة في حق عالم جليل كالشيخ أبي بكر الجزائري، حيث حاول بكل صلف تجريد الشيخ من أهليته العلمية واتهامه بنسيان منهج السلف أو التناسي له، وهو الذي أفنى عمره في خدمة هذا المنهج تدريساً وتأليفاً. إن محاولة أبي همام حشر الشيخ الجزائري في زاوية ضيقة عبر استدعاء نصوص الطائفة المنصورة وتفسير الأئمة لها بأنهم أهل الحديث ، هي محاولة بائسة للالتفاف على الواقع؛ فالشيخ الجزائري حين أثنى على جماعة التبليغ لم يكن يخرج نفسه ولا أهل الحديث من دائرة الطائفة المنصورة، بل كان يُنزل الحكم على الجهد الدعوي الميداني الذي يفتقده كثير من المشتغلين بالردود والتصنيف. إن ادعاء أبي همام بأن الجزائري يجهل جهود الأئمة كابن باز وابن عثيمين هو قمة التزييف؛ فالشيخ الجزائري كان زميلاً ورفيق درب لهؤلاء الأعلام، ولكن الفرق بينه وبين أبي همام وتياره هو سعة الأفق ودرك مقاصد الشريعة، حيث رأى الجزائري أن جهود العلماء في الإذاعات والقنوات والكتب هي زاد علمي ، بينما جهد التبليغ هو محرك عملي يأخذ بأيدي العامة من المقاهي والشوارع إلى حلق العلم والمساجد، فلا تعارض بينهما إلا في عقول المفتونين بالتبديع.

ويتجلى اللف والدوران في زعم أبي همام أن جماعة التبليغ ترى الكلام في التوحيد من أمراض الأمة ، وهو افتراء يكذبه واقعهم الذي يقوم أصلاً على تطهير القلوب من التعلق بغير الله وزرع اليقين على الله وحده، وهو جوهر التوحيد العملي. إن محاولة الكاتب استخدام تبويب الإمام البخاري العلم قبل القول والعمل كسلاح لضرب الشيخ الجزائري وجماعة التبليغ هي مغالطة كبرى؛ فالعلم الذي يدعو إليه أهل التبليغ في خروجهم هو علم الضرورة الذي يصحح العبادة ويحرك القلوب، بينما يريد أبو همام وأمثاله إغراق العامة في تفاصيل علم الكلام والتصنيف التي تنفرهم وتفرق جمعهم. إن نصيحة أبي همام للشيخ الجزائري بأن يتعلم قبل أن يتكلم هي ذروة الوقاحة الصبيانية، إذ كيف يتجرأ نكرة على نصيحة مفسر القرآن وشيخ المسجد النبوي في بديهيات العلم؟ إن هذا المسلك يثبت أن هؤلاء القوم لم يتربوا على احترام العلماء، بل جُبلوا على إسقاط القامات لمجرد أنهم لم يوافقوا طريقتهم الحادة

في التبديع، محولين الدين إلى قوائم إقصاء ترفض كل جهد لا يخرج من مشكاتهم الضيقة، وهو ما يجعل كلام أبي همام مجرد تخاريف لا تصمد أمام واقع الإنجاز الدعوي الذي شهد به المنصفون وحرسه الأوفياء كأبي بكر الجزائري رحمه الله.

تطاول وجهل المتعالم أبي همام على الشيخ الجزائري:

يقول أبو همام متعجرفا : (أقول وأين الشيخ جابر من دعوة أهل السنة والجماعة السلفيين السائرين على منهج سلف الأمة هل نسيها أم تناساها وهل ينسى الإنسان نفسه أليس هو من أهل السنة أم من جماعة التبليغ البعيدة عن السنة وأهل السنة) ولقد أثار المدعو أبو همام بكلامه المتعجرف استغراب كل من يدرك قيمة العلماء ومكانتهم في الأمة، إذ تطاول بكلمات لا تليق، ولا تخرج إلا ممن ضاقت نفسه ذرعًا بإنصاف العلماء وإنزالهم منازلهم التي تليق بهم. فحديثه عن الشيخ العلامة أبي بكر الجزائري فيه من الغلو والجهل الشيء الكثير، الأمر الذي يكشف عن قصور في إدراك حقيقة منهج أهل السنة والسلف الصالح الذي يزعم اتباعه.
فالشيخ جابر أبو بكر الجزائري علم من أعلام السنة، قضى عمره في خدمة العلم والدعوة، يجلس في مسجد رسول الله ﷺ، يعلم الناس التوحيد والفقه والسلوك، ويدعو إلى الحق برفق وحكمة، لا تأخذه في الله لومة لائم. وقد عرف دعوة جماعة التبليغ عن قرب، فلم يكن حكمه عليهم مبنيًا على أوهام أو تصورات سطحية، بل على علم ودراسة ومخالطة، فوجد فيهم الخير والدعوة إلى مكارم الأخلاق، فأنصفهم، ولم يجرهم إلى دائرة التبديع جزافًا كما يفعل بعض المتسرعين من أمثال النجمي عفا الله عنه وأضرابه.
أما أبو همام، فكلامه أقرب إلى التحامل منه إلى النصح، ولقد فاته أن الإنصاف ميزان العالم الرباني، وأن من منهج السلف تحري القول الحق، وعدم تسفيه المخالف في الرأي بغير بينة.
والسؤال الذي يفرض نفسه: هل من الإنصاف أن يُتهم عالم جليل كالشيخ الجزائري رحمه الله بالنسيان لنفسه والتخاذل لمجرد أنه لم يدخل في موجة التبديع التي اعتادها بعض الغالين من أمثال النجمي عفا الله عنه وطلابه ؟ وهل يُنكَر فضل العلماء لأنهم لم يتوافقوا مع مزاج المتشددين؟
إن من أخطر ما يهدد وحدة الصف الإسلامي عامة والسلفي خاصة هو هذا الفصيل الذي استعلن بالتبديع، فجعل الحكم على الناس شهوة لا تنضبط بضوابط العلم والعدل. وما هكذا يُصان منهج السلف، بل يُصان بالحكمة، والرحمة، والعدل، وإنزال كل أحد منزلته، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

فيا أبا همام لم ينسَ الشيخ أبا بكر نفسه، بل عرفها، وعرف قدرها، وسار في طريقها بعز وثبات. أما من لا يعرف للعلماء قدرهم، فليس عجيبًا منه أن يطعن فيهم، فإن الطعن لا يصدر إلا من قلبٍ تجرد من أدب الطلب وأخلاق أهل العلم.

الفهم الأسع للطائفة القائمة بأمر الله لا يضيقه التعصب:

يقول المتعجرف : (ولعل الشيخ جابراً يرى أن قول نبينا صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس متفق عليه. أقول لعله يرى أن هذا الحديث وأمثاله ينطبق على جماعة التبليغ فإن قال نعم فأين يذهب بأئمة أهل السنة الذين نزلوا هذه الأحاديث على أهل الحديث ومن سلك مسلكهم) ولقد قام هذا المتعجرف بتوجيه سؤال إلى الشيخ جابر، يفترض فيه أن الشيخ جابرا قد يرى أن الحديث النبوي الشريف: لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس (متفق عليه)، ينطبق على جماعة التبليغ ! وما المشكلة إذا كان ينطبق عليهم ما داموا من اهل الاسلام ؟! .

ثم يضيف أبو همام متسائلاً: إذا كان الشيخ جابر يرى ذلك، فكيف سيوفق بين هذا الرأي وبين ما ذهب إليه أئمة أهل السنة الذين طبقوا هذه الأحاديث على أهل الحديث ومن تبع منهجهم؟ فيضع أبو همام الشيخ جابر أمام خيارين: الأول: أن يوافق على انطباق الحديث على جماعة التبليغ. ولازمه في عقل ابي همام انه لا ينطبق على اهل الحديث .

والثاني: أن يخالف رأي أئمة أهل السنة الذين يرون أن الحديث ينطبق على أهل الحديث. وبالتالي لا ينطبق على اهل التبليغ !

ومن قال أن الحديث ينطبق على أحد التيارين فقط وإذا انطبق على أحدهما خرج الآخر !! هذا من ضيق عقول هذا الفصيل الغالي في التبديع .

ويهدف أبو همام من هذا السؤال إلى إحراج الشيخ جابر، أو بيان وجود تناقض محتمل في رأيه إن وافق على انطباق الحديث على جماعة التبليغ، وذلك بمقارنته برأي أئمة أهل السنة المعروفين.

ويبدو أن أبا همام – كعادة شباب المداخلة - قد وقع في فهم ضيق لحديث لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، وحصره في جماعة معينة (وهي السلفية العصرية) التي ينتسب إليها، ثم افترض أن الشيخ جابر سيحصرها في جماعة أخرى (التبليغ). وهذا الفهم بعيد عن دلالة الحديث الشريف الواسعة.

والفهم الصحيح للحديث الشريف حديث الطائفة القائمة بأمر الله أن لا يقصد به جماعة بعينها أو فرقة محددة لها اسم وتنظيم، بل ينطبق على كل مسلم قائم بحق الله، داعٍ إلى الإسلام على بصيرة، معتقد عقيدة الإسلام الصحيحة النقية من الشرك والبدع. وهذه الطائفة قد تكون منتشرة في أفراد متفرقين، أو في جماعات مختلفة، أو في أناس لا يعرف بعضهم بعضًا، ولكن يجمعهم أمر واحد: القيام بأمر الله والتمسك بالحق.

وتتلخص صفات هذه الطائفة وتتجلى في كل من:

يعتقدون العقيدة الصحيحة: وهي عقيدة أهل السنة والجماعة النقية من أي شوائب أو انحرافات.

يدعون إلى الله على بصيرة: أي بالعلم الشرعي والفهم الصحيح لدين الله، لا بالجهل أو الهرافات.

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر: فلا يخشون في الله لومة لائم، ويبذلون جهدهم في إصلاح المجتمع.

يتحملون الأذى في سبيل الله: لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، بل يزدادون ثباتًا وتمسكًا بالحق.

مستقيمون على منهج النبوة: يسيرون على خطى النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، في الاعتقاد والعبادة والمعاملة والأخلاق.

وهذا الدعي وغيره بحاجة إلى أن يقال لهم إن السلفية العصرية كغيرها من الجماعات ، فمن قصر الحديث على السلفية التي ينتمي إليها، فهذا تضييق لمفهوم الحديث العظيم. فالسلفية، كأي جماعة أو منهج، فيها الخير وفيها ما قد يكون فيه اجتهاد أو قصور. والمقياس ليس بالتسمية أو الانتساب إلى جماعة معينة، بل المقياس هو مدى الالتزام بالحق والقيام بأمر الله على الوجه الذي يرضيه.

فكثيرون قد ينتسبون إلى السلفية أو غيرها، ولكنه ليس كل من انتسب إليها فهو بالضرورة من الطائفة القائمة بأمر الله بالمعنى الشامل للحديث، والعكس صحيح، فقد يكون هناك أفراد لا ينتمون إلى جماعة معينة ولكنهم مجتهدون في القيام بأمر الله ونصرة دينه.

فالحديث الشريف بشارة عظيمة لكل من تمسك بالحق، وسار على هدي النبي صلى الله عليه وسلم، ودعا إلى الله على بصيرة. هو وعد إلهي بأن الحق لن يزول، وأن هناك دائمًا من يحمله ويدافع عنه، بغض النظر عن انتماءاتهم أو تسمياتهم، طالما كانوا قائمين بأمر الله حق القيام.

دحض افتراءات أبي همام الصومعي وتوضيح مفهوم الطائفة المنصورة القائمة بأمر الله :

يقول المتعجرف الصومعي : (ولذلك قال الشاعر:

أهل الحديث هم أهل النبي وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

من الذين فسروا الحديث السابق بأن المراد به أهل الحديث جمع من لأئمة .

قال ابن المبارك : هم عندي أصحاب الحديث .

وقال البخاري: قال علي بن المديني هم أصحاب الحديث .

وقال الإمام أحمد: إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أهل الحديث فلا أدري من هم:)

يُظهر أبو همام إصرارًا غريبًا على الجدل في نقطة لا تمثل محل خلاف جوهري، محاولًا جر الحوار إلى منطقة متفق عليها بين أهل الإسلام، ويفترض افتراضات خاطئة من عنده حول آراء الشيخ الجزائري. فادعاؤه أن الشيخ الجزائري يرى أن جماعة التبليغ وحدها هي الطائفة القائمة بأمر الله هو محض افتراء وتخمين لا أساس له، فالشيخ الجزائري وغيره من أهل العلم لا يحصرون الحق في جماعة معينة.

مغالطة أبي همام في الاستدلال بأقوال الأئمة :

فالغلط الكبير الذي وقع فيه أبو همام، هو فهمه السقيم وتنزيلاته المغلوطة لأقوال الأئمة الأعلام كابن المبارك، والبخاري، والإمام أحمد - رحمهم الله جميعًا - حينما قالوا: هم أهل الحديث . إن هؤلاء الأئمة لم يكونوا يقصدون بأهل الحديث جماعة تنظيمية معينة بمعناها المعاصر، أو فرقة محددة ذات اسم وشعار. بل كانوا يقصدون بأهل الحديث :

1. العلماء الذين اهتموا بجمع الحديث النبوي الشريف وحفظه وتدوينه وروايته ونقده وتمييز صحيحه من سقيمه. والذين كان جهدهم هو الأساس الذي حفظ لنا السنة النبوية المطهرة.

2. المتمسكين بالمنهج النبوي: أي الذين يدورون مع الحديث النبوي فهمًا وعملاً، ويقدمون السنة على غيرها، ويتبعون الأثر الصحيح. هذا هو جوهر ما كانوا يعنونه بأهل الحديث . هم من يقدمون قول النبي صلى الله عليه وسلم على قول أي أحد، ويستمدون عقيدتهم ومنهجهم من الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

فليس المقصود بهم جماعة مغلقة أو فرقة حصرية يقتصر عليها الحق، بل هم أهل الحق من المتبعين للسنة.

خطأ تنزيل أقوال الأئمة على الجماعات المعاصرة .

إن محاولة أبي همام تنزيل هذه الأقوال العظيمة التي قيلت قبل أكثر من 1200 عام على مفهوم الجماعة السلفية بمعناها التنظيمي المعاصر، أو أي جماعة أخرى، هو جهل وخلط كبير. فهذا التنزيل يلغي المعنى الشامل والواسع الذي أراده الأئمة، ويحصر فضل الطائفة المنصورة في من ينتسب إلى تنظيم معين أو يحمل اسمًا محددًا، وهذا يتنافى مع شمولية الإسلام وشمولية الفضل الإلهي.

فالحق لا يُعرف بالرجال أو التسميات، بل الرجال يُعرفون بالحق.

فمقولة الإمام أحمد: إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أهل الحديث فلا أدري من هم لا تعني حصرًا أو إقصاءً، بل هي تأكيد على أن القائمين بأمر الله هم بالضرورة من يتبعون الحديث النبوي الشريف ويتمسكون به ويعملون به، ويحاربون البدع والخرافات. وهذه الصفة لا تختص بفئة دون أخرى، بل هي لكل من توافرت فيه هذه الشروط.

إن جدل أبي همام يقوم على سوء فهم لمصطلحات السلف، ومحاولة حصر الحق في فئة معينة، وجر الحوار إلى نقطة لا قيمة للخلاف فيها. فالمسلمون جميعًا، على اختلاف مذاهبهم واجتهاداتهم، متفقون على أن الطائفة القائمة بأمر الله هم المتمسكون بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، سواء أُطلق عليهم أهل الحديث أو أهل السنة والجماعة أو غير ذلك من التسميات التي تدل على هذا المنهج القويم.

الشيخ الجزائري ومفهوم الطائفة القائمة بأمر الله .

ومن الضروري جدا التأكيد على أن الشيخ أبو بكر جابر الجزائري رحمه الله لم يكن ليخالف هذا الفهم الواسع والشامل لحديث الطائفة القائمة بأمر الله ، بل كان يعتقده ويؤصله في كتبه

ومؤلفاته. فلم يكن الشيخ ليحصر الحق في جماعة معينة أو تسمية محددة، بل كان من دعاة الوحدة والاجتماع على الحق.

ولعل من أوضح الشواهد على ذلك ما كتبه في مؤلفاته المعروفة، مثل عقيدة المؤمن و منهاج المسلم . ففي هذه الكتب، التي تعد من أصول منهجه الدعوي، يؤكد الشيخ الجزائري على:

- أهمية التمسك بالكتاب والسنة: فيعتبرهما المرجع الأساسي والأوحد لكل مسلم، وهما أساس النجاة والثبات.
- اتباع منهج السلف الصالح: حيث يشدد على ضرورة فهم نصوص الدين بفهم الصحابة والتابعين والأئمة المهديين، وهذا هو جوهر ما يعنيه أهل الحديث بالمعنى الصحيح.
- التحذير من البدع والضلالات: فيدعو إلى نقاء العقيدة والمنهج من أي شوائب أو انحرافات تخالف الشرع.
- عدم التعصب لجماعة أو شخص: حيث يؤكد على أن الولاء يجب أن يكون لله ورسوله ومنهجهما، لا للأفراد أو الجماعات.

هذه المبادئ التي طرحها الشيخ الجزائري رحمه الله تتوافق تمامًا مع الفهم الصحيح لـ الطائفة القائمة بأمر الله بأنها كل من تمسك بالحق، واعتمد على الدليل، ودعا إلى الله على بصيرة، بغض النظر عن انتمائه التنظيمي أو اسمه. فكان الشيخ الجزائري يرى أن هذه الطائفة تضم كل من كان على منهج النبوة الصحيح، من المحدثين والفقهاء والعلماء والعامة الصالحين، وهي ليست حكرًا على فئة دون أخرى.

فمحاولة المتهور أبي همام اختلاق خلاف وهمي حول رأي الشيخ الجزائري في هذه النقطة هي محاولة باطلة، لأن الشيخ كان من دعاة الاعتدال والشمولية في فهم نصوص الدين وتطبيقها.

لم يتراجع عن قوله بل أنتم المدلسون ، ولا يلزمه ما تلزمه به:

يُصرّ أبو همام على الجدل في فرضيات من نسج خياله، ويَبني عليها استنتاجات خاطئة، ثم يطلب من الشيخ الجزائري - رحمه الله - التراجع عن مقولات يزعم أنه قالها. هذا المنهج في النقاش يدل على ضلالة فكرية وعجز عن فهم القضايا على وجهها الصحيح، وسوء ظن بالعلماء.

فيقول المتعجرف : (وإن قال : لا ينطبق عليهم فعليه أن يتراجع عن مقولته فيهم وثناءه عليهم بأنه لا توجد جماعة في العالم الإسلامي خير منها في نشر الدعوة الإسلامية وإصلاح الأفراد) وهنا يُظهر أبو همام مرة أخرى فهمًا قاصرًا ومنطقًا معوجًا في تعامله مع قضايا الحق والباطل، محاولًا حصر الخيار بين طرفي نقيض: إما أن تكون جماعة التبليغ وحدها على الحق المطلق، فتكون جماعته السلفية على الباطل المطلق، أو العكس. هذا التفكير الثنائي، الذي لا يرى إلا الأبيض والأسود، هو فهم سقيم يتنافى مع طبيعة الإسلام السمحة، ومفهوم الحق الواسع، وواقع العمل الدعوي.

مغالطة (إما... أو...) في قضايا الحق والباطل :

إن هذا المنطق الذي يتبعه أبو همام هو مغالطة فكرية تُعرف بمغالطة الثنائية الكاذبة أو المعضلة الزائفة . فهو يقدم خيارين فقط على أنهما الوحيدان الممكنان، بينما الواقع يحتمل خيارات أخرى كثيرة. فالقضايا الشرعية، خاصة فيما يتعلق بالجماعات والجهود الدعوية، لا تُختزل في هذا التقسيم الضيق.

فالحق ليس حِكرًا على جماعة بعينها، والباطل ليس صفة مطلقة لكل ما عداها. فالإسلام دين شامل، ومنهجه الحق هو ما قام على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة. وهذا المنهج قد يلتزم به أفراد وجماعات بدرجات متفاوتة، وقد يُصيبون في جوانب ويُخطئون في جوانب أخرى.

التمييز بين الحق المطلق والعمل الدعوي :

يجب التفريق بين الحق المطلق في العقيدة والمنهج، وهو ما قام عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهذا لا يتعدد ولا يختلف، وبين العمل الدعوي للجماعات البشرية، الذي هو محل اجتهاد واجتهاد البشر يُصيب ويُخطئ.

- الحق المطلق: هو التوحيد الخالص، واتباع السنة الصحيحة، والبعد عن الشرك والبدع، والالتزام بأصول الدين. وهذا الحق لا تملكه جماعة دون أخرى، بل هو ملك لكل من اعتنقه وسار عليه.
- العمل الدعوي للجماعات: كل جماعة قد يكون لها جوانب قوة وجوانب ضعف. جماعة التبليغ قد تتميز بجهودها في إخراج الناس للدعوة الفردية وبث روح الصحبة والزيارات. والجماعات السلفية قد تتميز بالاهتمام بالعقيدة الصحيحة

وتحقيق التوحيد ونبذ البدع. هذا لا يعني أن كل واحدة منهما حق مطلق وكل ما عداها باطل مطلق .

منهج الشيخ الجزائري في التعامل مع الجماعات :

إن الشيخ أبو بكر جابر الجزائري - رحمه الله - ، كغيره من العلماء الربانيين، كان منهجه قائمًا على تقييم الجماعات الدعوية بناءً على مدى التزامها بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، وعلى مدى نفعها للإسلام والمسلمين. من الطبيعي أن يُثني العالم على جانب من جوانب الخير في جماعة ما، دون أن يعني ذلك إقراره المطلق لها في كل منهجها أو الاعتقاد بأنها الأفضل على الإطلاق، أو أنها الطائفة المنصورة الوحيدة.

وثناء العالم على جهد دعوي معين لا يعني إضفاء العصمة على هذا الجهد أو تلك الجماعة، أو إقرار كل ما يصدر عنها من اجتهادات، أو تفضيلها المطلق على كل الجماعات الأخرى.

وحينما يكون الشيخ الجزائري - رحمه الله - قد أثنى على جهود جماعة التبليغ في نشر الدعوة الإسلامية وبذلها الجهد في إصلاح الأفراد على مستوى معين، خاصة في مجال الدعوة الفردية والخروج للدعوة، وهذا أمر لا يُنكر فيه فضلهم. ولكن هذا الثناء لا يعني أبدًا:

1. اعتبارهم الطائفة المنصورة الحصرية: فالشيخ الجزائري يعتقد أن الطائفة المنصورة هي كل من كان على الحق، كما بيّنا سابقًا.
2. إقرار منهجهم الفقهي أو العقدي بالكامل: فلكل جماعة اجتهاداتها التي قد تُصيب وتُخطئ، وليس لأحد العصمة إلا للمعصوم صلى الله عليه وسلم.
3. تفضيلهم المطلق على جميع الجماعات الأخرى: فلكل جماعة جوانب قوة وضعف، وكلٌ له مجاله الذي قد يتميز فيه.

فالكاتب أبو همام يقع في مغالطة منطقية باستمرار، فهو يبني اعتراضه على افتراضه الخاص لرأي الشيخ الجزائري، ثم يطلب من الشيخ التراجع عن هذا الافتراض الذي وضعه هو بنفسه. وكان الأجدر بأبي همام أن يعود إلى كتب الشيخ الجزائري الموثقة، ليتثبت من أقواله قبل أن يبني عليها فرضيات خاطئة ويُطالب بالتراجع عنها.

وعلى فرض أن أبا همام يريد نقاشا علميا ، فالنقاش العلمي الجاد يقوم على البينة والدليل، لا على الافتراضات والتخمينات. وإذا كان هناك ثناء من الشيخ الجزائري على جهود دعوية معينة، فهذا لا يعني بالضرورة إقراره الكامل لكل منهج الجماعة أو حصر الحق فيها.

إمكانية وجود الخير في أكثر من منهج دعوي أو جماعة إسلامية :

إن الإسلام يعلمنا أن نأخذ بالخير حيث وجد، وأن نرد الباطل حيث كان. فمن الممكن جدًا أن:

- تكون جماعة التبليغ فيها خير عظيم في باب معين، كالدعوة الفردية وحث الناس على الصلاة والتزام المساجد، مع وجود اجتهادات قد تخالف المنهج السلفي في جوانب أخرى (مثل منهجهم في طلب العلم وعدم الخوض في مسائل العقيدة) وهذا ما يعنيه الشيخ الجزائري بالتفضيل في باب معين.
- تكون الجماعة السلفية فيها خير عظيم في باب آخر، كتحقيق التوحيد ونبذ البدع والاهتمام بالعلم الشرعي الأصيل، مع وجود اجتهادات قد لا تكون موفقة في جوانب أخرى (مثل طريقة التعامل مع المخالفين أو الانغلاق على الذات) وهذا ما يعنيه كثير من مشايخ السلفية المعاصرة.

فالواجب على المسلم الناصح هو أن ينظر إلى الحق بإنصاف، فيُثني على الخير أينما وجد، ويُحذر من الخطأ أينما كان، دون أن يقع في فخ التعصب المقيت لجماعة معينة أو منهج محدد يرى أنه الحق المطلق وما عداه باطل محض.

فتفكير أبي همام وتصويره السابق يوحي بضيق أفق وعجز عن استيعاب التنوع المشروع في العمل الدعوي، ويدفعه إلى التعصب لجماعته، ويرى أن أي ثناء على غيرها هو انتقاص من الحق الذي يظنه حكرًا على جماعته. والصواب أن يفهم أن الحق هو ما وافق الكتاب والسنة، وهو ليس محصورًا في جماعة دون غيرها. بل إن الطائفة المنصورة التي تحدث عنها الحديث النبوي الشريف هي كل من قام بأمر الله وتمسك بالحق، من أي مدرسة فقهية أو منهج دعوي، طالما كان على العقيدة الصحيحة والمنهج السليم.

لماذا يطالب الغلاة بتراجع الشيخ الجزائري عن قول حق؟:

إن أبا همام ومن على شاكلته من الغلاة في التبديع يطالبون الشيخ الجزائري (رحمه الله) بالتراجع عن مقولة حق ، وهي: لا توجد جماعة في العالم الإسلامي خير منها [جماعة

التبليغ] في نشر الدعوة الإسلامية وإصلاح الأفراد ، لأن هذا القول، حتى لو أُسيء فهمه أو نُسب بصيغة مبالغ فيها، يتعارض مع قناعاتهم المتشددة بأن جماعتهم (السلفية) هي وحدها من تمثل الحق المطلق، وأن أي ثناء على غيرها من الجماعات الدعوية يعد باطلًا أو تنازلاً عن الحق.

والسبب – في نظرنا - وراء إصرارهم، حتى مع أن القول المذكور، بصيغته المنصفة والمعقولة، حق يؤيده الواقع والشرع والعقل:

1. التعصب المذهبي والتضييق على الحق:

الغلاة في التبديع غالبًا ما ينطلقون من منطلق ضيق ومحدود للحق. فهم يرون أن الحق محصور في جماعتهم أو منهجهم الخاص، وأن كل من خالفهم في بعض الاجتهادات أو الطرق الدعوية، فهو على ضلال أو بدعة. ولذلك، فإن أي ثناء على جماعة أخرى، حتى لو كانت تقوم بجهود دعوية عظيمة ولها تأثير إيجابي، يُعد في نظرهم إقرارًا للباطل أو تشويشًا على منهج الحق الوحيد الذي يزعمون أنهم يمثلونه.

2. الإنكار لوجود الخير خارج دائرتهم:

طبيعة الغلو في التبديع تدفع أصحابها إلى إنكار الخير الموجود خارج دائرة جماعتهم. فإذا أقرّ عالم كفضيلة الشيخ الجزائري بوجود خير في جماعة التبليغ - خاصة في باب انتشار الدعوة الفردية وبث روح الطاعة والذهاب للمساجد - فهذا يتنافى مع قناعة الغلاة بأن هؤلاء مبتدعون أو منحرفون لا يمكن أن يكون فيهم خير يُذكر، أو أن خيرهم مختلط ببدعة يجب التحذير منها بشكل مطلق.

3. غياب المنهجية المنصفة في التقييم:

هؤلاء الغلاة يفتقرون إلى المنهجية العلمية والشرعية المنصفة في تقييم الجماعات والأفراد. فهم لا يفرقون بين الأصول والفروع، ولا بين المنهج العام والاجتهادات الخاصة. فبدلاً من الثناء على جانب الخير والنصح في جانب القصور، يميلون إلى إطلاق الأحكام العامة المطلقة بالتبديع والتضليل، وبالتالي يرفضون أي إشارة إيجابية لأي جماعة لا تتفق معهم في كل صغيرة وكبيرة.

4. الخوف من التميع أو التمييع :

يعتقد الغلاة أن الثناء على أي جماعة أخرى يمكن أن يؤدي إلى تمييع المنهج أو خلط الحق بالباطل. وهذا الخوف يدفعهم إلى التشدد في الحكم على الآخرين ورفض أي إشادة قد تُفهم على أنها إقرار بما يرونه باطلًا، حتى لو كان القول حقًا من حيث الواقع والشرع.

5. النزعة الإقصائية:

الغلو غالبًا ما يقترن بنزعة إقصائية شديدة، فهم يرون أن الآخرين يجب أن يتراجعوا عن أخطائهم أو أن ينضموا إليهم ليصبحوا على الحق. وفي هذه الحالة، يطالبون الشيخ الجزائري بالتراجع عن قول يرونه باطلًا (حسب فهمهم)، حتى يتماشى مع نظرتهم الضيقة للحق والباطل، وليؤكدوا أن جماعتهم هي الوحيدة على صواب.

إن مطالبة أبي همام وأمثاله بتراجع الشيخ الجزائري عن قول يُعد حقًا يؤيده الواقع والشرع والعقل، نابع من تعصبهم المذهبي، وضيق أفقهم، ونظرتهم الإقصائية للخير، وخشيتهم من أن يُفهم أي ثناء على الآخرين على أنه تنازل عن قناعاتهم الحصرية للحق. الشيخ الجزائري، رحمه الله، كان من أهل العلم الذين يُنصفون، ويرون الخير حيث كان، وهذا ما لا يتفق مع منهج الغلاة.

احتكار المتعجرف للسنة وتبديعه للأمة بأجمعها :

يُواصل أبو همام محاولاته إثبات أفضلية جماعته بناءً على فرضيات خاطئة، ويدفع باتجاه حصر الحق في فئة واحدة، محاولًا إجبار الشيخ الجزائري - رحمه الله - على التراجع عن الثناء الذي قاله في جماعة التبليغ. فيُظهر أبو همام غيظًا من تفضيل الشيخ الجزائري للتبليغ في الجانب الحركي الدعوي، وهو بذلك يخلط بين الجهد الدعوي المتخصص وبين الأفضلية المطلقة، ويتجاهل أن الحق لا محاباة فيه، وأن الفضل يُعطى لمن يستحقه بجدارة.

يقول المتعجرف الصومعي : (أليسوا أهل السنة والجماعة مهتمين بنشر الدعوة في العالم الإسلامي وإصلاح الناس أفراداً وجماعات ألم يطلع على كتبهم وأشرطتهم ومحاضراتهم ودوراتهم العلمية عبر الإذاعات وعبر القنوات الفضائية - الانترنت –)

وحيث إن الحق لا يُحصر والفضل يُقر لأهله والجهود تتكامل لا تتنافس فإن ما يفعله أبو همام هو محاولة للمقارنة السلبية والإلغاء، فبدلاً من رؤية التكامل بين الجهود الدعوية المختلفة، يرى تنافسًا وإقصاءً. وحيث أهل السنة والجماعة، بمن فيهم السلفيون، يهتمون بنشر الدعوة وإصلاح الناس أفرادًا وجماعات. ولديهم جهود مشكورة في هذا الصدد من

خلال الكتب والأشرطة والمحاضرات والدورات العلمية عبر وسائل الإعلام المختلفة. هذا حق لا يُنكر، وعليهم فيه أجر عظيم.

ولكن، هذا لا يعني أبدًا أن جهود جماعة التبليغ الدعوية الحركية لا تستحق الثناء والتقدير، أو أنها تُصبح باطلة بمجرد وجود جهود أخرى. فالشيخ الجزائري، وغيره من العلماء المنصفين، أثنوا على جماعة التبليغ في جانب معين وهو الجانب الحركي الدعوي المتمثل في الخروج للدعوة، والاجتهاد في حمل الناس على الصلاة، وزيارة المساجد، وبث روح الصحبة والعمل الدعوي المباشر على مستوى الأفراد.

تفنيد فكرة حصر الطائفة المنصورة في فئة محددة لبيان سعة رحمة الله ومنهج السلف:

يظهر التأمل في نصوص الشريعة وسير السلف الصالح أن محاولة أبي همام وأمثاله حصر الطائفة المنصورة في جماعة بعينها أو فئة ضيقة تتبنى أسلوب التبديع والتفسيق، هو ضيق أفق ومنزلق منهجي خطير؛ فبينما استشهد الكاتب بقول الأئمة إنهم أهل الحديث ، غفل عن المعنى الواسع الذي أراده هؤلاء الأئمة، وهو أن الطائفة المنصورة هي مجموع الأمة القائم بأمر الله في ثغور الإسلام المختلفة. فليس كل من اشتغل بالحديث صار من الطائفة المنصورة بغير عمل أو دعوة، وليس كل من انشغل بالدعوة والتربية خرج منها؛ بل إن الطائفة المنصورة كما يقول الإمام النووي: يجوز أن تكون هذه الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه، ومحدث، ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد ، وهذا هو الفهم الجامع الذي يدركه العلماء الربانيون كالشيخ أبي بكر الجزائري، ويجهله الغلاة الذين حولوا الدين إلى حزبية مغلفة بالسلفية .

ويتجلى التفنيد المنهجي لهذا الحصر في أن نصرة الدين لها أبواب شتى؛ فمنهم من ينصر الدين بالحجة والبيان كأهل العلم والحديث، ومنهم من ينصره بالدعوة والتربية وإصلاح أحوال العامة كأهل التبليغ، ومنهم من ينصره بالجهاد أو بالسياسة الشرعية. وإن زعم أبي همام بأن الثناء على جهد دعوي معين هو خذلان لأهل السنة، ينم عن جهل بحقيقة أن الطائفة المنصورة لا تكتمل قوتها إلا بتكامل هذه الثغور؛ فالشيخ الجزائري حين أثنى على التبليغ لم يكن يقصي أهل الحديث، بل كان يشير إلى ثغرة إصلاح الأفراد التي برع فيها هؤلاء. إن منهج السلف كان يقوم على استيعاب العاملين للإسلام ما داموا في دائرة الأصول العامة، ولم يكن من ديدنهم تتبع العثرات لإخراج الناس من الفرقة الناجية لمجرد اختلاف في

أسلوب الدعوة أو ترتيب الأولويات، وهو المسلك الذي شوهه الغلاة بجعل الولاء والبراء معقوداً على مواقفهم الشخصية من الهيئات والجماعات.

إن حصر النجاة والنصرة في فئة الردود والتصنيف هو عين البدعة التي تفتت شمل المسلمين؛ فالله عز وجل قال: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}، ولم يقل إن الولاية محصورة فيمن يبدع فلانًا أو يعادي علانًا. والشيخ الجزائري بمقامه الرفيع أدرك أن الطائفة المنصورة هي روح تسري في كل من نصر الله ورسوله بصدق، سواء كان في حلقة حديث أو في جولة دعوية في أقاصي الأرض؛ فما فائدة صحة السند إذا مات القلب عن تعظيم الله؟ وما فائدة العلم بالرجال إذا ضاع الرفق بالعباد ؟ إن هذا المنهج الإقصائي الذي يسلكه أبو همام ليس إلا محاولة لخصخصة رحمة الله، وضرباً لعلماء الأمة ببعضهم البعض، وهو ما يفنده صنيع كبار الأئمة الذين كانوا يثنون على أهل الخير والعبادة والدعوة حتى وإن وجدوا عندهم بعض القصور، تغليباً لمصلحة الإسلام الكبرى على معارك التصنيف الصبيانية التي لا تنتهي.

لماذا استحق أهل التبليغ هذا الثناء في الجانب الحركي؟.

لقد لهجت ألسنة الكثير من العلماء بالثناء على جماعة التبليغ في هذا الجانب بالذات لعدة أسباب:

1. الانتشار الواسع والوصول إلى عامة الناس: لقد وصلت جماعة التبليغ إلى شرائح واسعة من المسلمين في أنحاء العالم، بمن فيهم البسطاء والعوام، الذين قد لا تصل إليهم الدعوات المعتمدة على المحاضرات والكتب الأكاديمية أو القنوات الفضائية بنفس السهولة والفاعلية.
2. الدعوة العملية المباشرة (الخروج): منهجهم في الخروج في سبيل الله جعلهم يصلون إلى الناس في أماكن تواجدهم، ويدعونهم إلى أبسط أركان الدين كالصلاة وقراءة القرآن، وهو ما كان له أثر ملموس في إصلاح أعداد كبيرة من الأفراد.
3. غرس الروح الدعوية في الأفراد: ساهموا في غرس هم الدعوة في نفوس الكثير من أتباعهم، وجعلوا الأفراد العاديين يشعرون بمسؤوليتهم تجاه دينهم ودعوة غيرهم.
4. إخراج الناس من دائرة الغفلة إلى المسجد: كثير من المنصفين يشهدون بأن جماعة التبليغ كان لها دور كبير في تحبيب المسجد إلى قلوب كثيرين، وحملهم على المحافظة على الصلوات جماعة.

لا حصر للحق ، والتنافس في الخير محمود.

إن الحق لا محاباة فيه. فالإقرار بجهود السلفية العظيمة في الجانب العلمي والشرعي وتأسيس العقيدة الصحيحة لا يُلغي الإقرار بجهود التبليغ في الجانب الحركي الدعوي العملي. فكلاهما يخدم الإسلام بطريقته.

فحركة السلفية تركز على تصحيح العقائد والمنهج العلمي وترسيخ الأصول.

وحركة التبليغ تركز على تحريك الهمم الدعوية وإخراج الناس للدعوة الفردية وبناء روح الإخوة.

ويكمن اللوم على أبي همام في أنه يريد أن يجعل إثبات فضل فئة ما ينفي وجود الفضل في فئة أخرى. وهذا تفكير غير سديد. كان الأحرى به أن يُثني على الجميع حيثما كان الخير، وأن ينصح ويُوجه حيثما كان القصور، لا أن يُجبر العلماء على التراجع عن حق أو أن يُضيق واسعًا.

فالشيخ الجزائري - رحمه الله - لم يكن ليخفى عليه جهود السلفيين الذين هو منهم بل شيخهم ، ولكنه في الوقت ذاته كان من المنصفين الذين يضعون الأمور في نصابها ويُثنون على كل جهد مبارك، دون أن يقع في فخ التعصب أو حصر الحق.

لوازم الفهم الضيق للحق عند السلفية الغلاة في التبديع.

إن الفهم الضيق والمحدود للحق، الذي يحصره الغلاة في التبديع داخل دائرتهم ومنهجهم الخاص، يترتب عليه عدة لوازم خطيرة ومترابطة، تُشكّل إطارًا فكريًا يُعيق التعايش، ويُفرّق الصف، ويُعقّد العمل الدعوي. وهذه اللوازم كما وردت في النص مع شرح واستطراد لكل فقرة بما يفيد:

1. التعصب الأعمى والإقصاء:

عندما يُصبح الحق مُحتكرًا لجماعة معينة، يُصبح كل من خارجها في دائرة الشك أو التضليل. وهذا يؤدي إلى التعصب الأعمى للمنهج الذي يتبعونه، والإقصاء التام لكل من يخالفهم، حتى وإن كان الخلاف في مسائل اجتهادية أو طرق دعوية مشروعة. فكل من ليس معهم فهو ضدهم.

هذا المسلك يجعل من الجماعة أو التيار هو المعيار الوحيد للحق والباطل، بدلاً من الوحيين (الكتاب والسنة). وفي هذا الجو، يُلغى العقل النقدي، ويُستبدل به الانقياد المطلق لرموز الجماعة. إن الإقصاء هنا لا يتوقف عند حدود المخالف البعيد، بل يمتد ليشمل الأقربين الذين قد يختلفون في جزئية بسيطة، مما يجعل الدائرة تضيق باستمرار حتى تنتهي إلى فرقة معزولة ترى العالم كله ضالاً.

2. الافتئات على العلماء وتصنيفهم:

وذلك لأن الحق في نظرهم محصور، فإنهم يتجرؤون على تصنيف كبار العلماء والأئمة، فمن يُثني على غيرهم أو يُخالفهم في بعض آرائهم يُصبح مميعًا أو ضالًا أو منحرفًا . هذا يؤدي إلى الافتئات على مكانة العلماء وتقويض الثقة بهم، مما يُحدث بلبلة في الأمة.

يتجاوز هؤلاء الغلاة أدب التعامل مع ورثة الأنبياء ، فينصبون أنفسهم محققين ومدعين عامين وقضاة في آن واحد. فإذا ما قام عالم رباني كالشيخ ابن باز أو ابن عثيمين أو الجزائري بمناصحة أحد المخالفين بالرفق، اتهموه بعدم البصيرة بالواقع أو التمييع . هذا المسلك يهدم مرجعية الأمة، ويجعل صغار الطلبة يتطاولون على الجبال الشوامخ، مما يقطع الطريق على الأجيال في استقاء العلم الصحيح من أهله.

3. التبديع والتكفير بغير حق:

الفهم الضيق للحق يدفعهم بسهولة إلى رمي المخالفين بالبدعة والضلال، وقد يصل الأمر إلى التكفير في بعض الأحيان، حتى لو كان الخلاف في مسائل ليست من أصول الدين أو قطعياته. هذا يُشيع روح العداوة والبغضاء بين المسلمين، ويُفتت وحدة الصف.

إن التوسع في إطلاق أحكام البدعة هو المنزلق الذي يسبق التكفير ؛ فبمجرد أن يُدمغ المسلم بالبدعة، تُستباح كرامته العلمية ويُهجر. والغلاة يستخدمون اللازم و المآل لإثبات الضلال على المخالفين، متجاهلين شروط إقامة الحجة وانتفاء الموانع. هذا المناخ المشحون يحول المجتمع الإسلامي إلى ساحة صراع وتخوين بدلاً من أن يكون جسداً واحداً يسعى لمرضاة الله.

4. الجفاء والقطيعة:

يترتب على التبديع والإقصاء الجفاء والقطيعة الاجتماعية والدعوية مع كل من لا ينتمي إلى جماعتهم. فهم يرون أن التعامل مع المبتدعة أو الضالين يُعد تنازلاً أو تلويثًا للمنهج، مما يُعزلهم عن عموم الأمة، ويُقلل من تأثير دعوتهم.

يمارس الغلاة هجراً مبتدعاً لم يأمر به الله ولا رسوله، حيث يهجرون الموحدين ويقطعون أواصر الرحمة والإخوة لمجرد خلافات فكرية. هذا الجفاء يؤدي إلى انعزال شعوري عن الأمة، فيفقد هؤلاء القدرة على التأثير في الناس أو هدايتهم، لأنهم وضعوا بينهم وبين المجتمع جدراناً من الكراهية والتوجس، فأصبحوا كالجزر المنعزلة التي لا يزورها أحد ولا تستقبل أحداً.

5. الانشغال بالهوامش عن الأصول:

بسبب تركيزهم الشديد على تحديد من هو المبتدع ومن هو الضال ، ينشغل هؤلاء الغلاة بالهوامش والخلافات الفرعية، ويُضيعون جهدهم ووقتهم في الجدل والمخاصمة، بينما تتجاهل الأصول الكبرى للإسلام مثل الدعوة إلى التوحيد الخالص، والوحدة، وإصلاح المجتمع، ومواجهة التحديات الحقيقية.

إن استنزاف الطاقات في ملاحقة أخطاء الدعاة وتصيد عثرات الجماعات يصرف الأمة عن معاركها الحقيقية ضد الإلحاد والفساد الأخلاقي والتبعية الفكرية. فبينما يغرق الغلاة في تفاصيل هل فلان كذا أم كذا؟ ، تضيع قيم التراحم والإصلاح العملي. لقد تحول التوحيد عندهم من عقيدة بناء وإصلاح إلى أداة تصنيف وهدم، وهذا هو عين الضياع للمقاصد الشرعية الكبرى.

6. الغرور والكبر:

هذا الفهم الضيق يُولّد لدى أصحابه شعورًا بالتميز والتفوق، وغرورًا بأنهم وحدهم على الحق وغيرهم على الباطل. هذا الغرور يُعيقهم عن مراجعة أنفسهم، وقبول النصح، والتواضع أمام الحقيقة.

يتسلل الكبر إلى القلوب تحت ستار الغيرة على المنهج ، فيظن الغالي أنه الناجي الوحيد وأن غيره هالك لا محالة. هذا الاستعلاء الإيماني المدعى يمنع صاحبه من رؤية عيوبه أو

الاعتراف بخطئه، لأن الاعتراف بالخطأ في عرفهم هو هدم للمنهج . إنهم يعاملون آراءهم البشرية معاملة النصوص المقدسة، مما يحرمهم من بركة المشورة والتعلم من الآخرين.

7. إعاقة العمل الدعوي الشامل:

عندما يُصبح الهدف الأسمى هو نقد المخالف و التحذير من البدع بمنظور ضيق، يُعاق العمل الدعوي الشامل الذي يهدف إلى هداية الناس، وتزكية النفوس، وبناء المجتمع. فالطاقة تُصرف في الجدل الداخلي بدلاً من الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

الدعوة في أصلها هي بشارة ونذارة وجذب للخلق إلى الخالق، لكن منهج الغلاة حولها إلى طرد وتقبيح . إن الانشغال بالجرح والتعديل العبثي في المعاصرين عطل مشاريع تربوية ودعوية كبرى كانت كفيلة بتغيير وجه العالم الإسلامي. فبدلاً من أن يكون الداعية طبيباً يداوي الجراح، أصبح سيافاً يقطع الرؤوس، مما تسبب في نكسة دعوية جعلت الكثير من الشباب يزهدون في التدين بسبب هذه الصورة المنفرة للالتزام.

إن هذا الفهم الضيق للحق يُحوّل الدين من سبيل رحمة وهداية إلى أداة للتصنيف والتبديع والفرقة، ويُنتج بيئة مُشحونة بالصراعات بدلاً من التراحم والتعاون على البر والتقوى.

ردًا على تدليس أبي همام: لا خصومة بين الشيخ الجزائري وأكابر العلماء

يُمعن أبو همام في تدليسه ومحاولاته اليائسة لإيهام القارئ بأن الشيخ أبا بكر جابر الجزائري - رحمه الله - يقف في صف مضاد لجمهرة علماء الأمة الكبار، مستخدمًا أسماء لامعة كابن باز وابن عثيمين والألباني وغيرهم. وهذا الأسلوب هو محض مغالطة واستغلال لمكانة هؤلاء الأئمة لإضفاء شرعية زائفة على طرح أبي همام، وتشويه صورة الشيخ الجزائري، وهو أمر لا يقره عقل ولا شرع.

فيقول المتعجرف : (أين يريد الجزائري أن يذهب بجهود علماءنا أمثال **العلامة ابن باز وابن عثيمين والألباني والوادعي والفوزان والنجمي والمدخلي والسبيل والغديان وابن غصون وآل الشيخ وهيئة كبار العلماء وعلماء الهند واليمن والشام وغيرها من الدول .**)

بدايةً، يجب التأكيد على أن الشيخ أبا بكر جابر الجزائري - رحمه الله - لم يكن ليخالف هؤلاء المشايخ في الأصول الكبرى للعقيدة والمنهج. بل كان يسير على نفس الخطى في التمسك بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وهو ما يُعرف بمنهج أهل السنة والجماعة. فما

دخل ابن باز وابن عثيمين وغيرهم في هذا الأمر؟ ليس لهم دخل إلا في محاولة أبي همام رسم هالة كبيرة وإيهام القارئ بأن الشيخ الجزائري يُعارض كل هؤلاء العلماء.

فالشيخ الجزائري نفسه يُكنّ كل الاحترام والتقدير لهؤلاء العلماء الأفاضل، ويُجلّ علمهم وجهدهم في خدمة الدين. إن اتهام الشيخ الجزائري بأنه يريد أن يذهب بجهود علمائنا هو اتهام باطل لا أساس له من الصحة، بل هو تدليس صريح يهدف إلى إيجاد عصمة وهمية لمنهج أبي همام الخاص.

الخلط بين المنهج العلمي والتعصب الجماعي.

إن حقيقة الأمر أن الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين - رحمهما الله - ، وكثيرًا من العلماء الأفاضل ممن ذكرهم أبو همام، رأيهم في عموم المسائل الكلية يُشابه رأي الشيخ الجزائري في كثير من النقاط، خاصة فيما يتعلق بالإنصاف والابتعاد عن التبديع المطلق للجماعات الدعوية التي لا تخالف في الأصول.

وتكمن المشكلة في العصبية السلفية العصرية التي يتأثر بها أمثال أبي همام، والتي تدفع إلى التضييق والحصر وإقصاء من لا يتفق معهم في كل الاجتهادات أو الطرق الدعوية. هذه العصبية ليست سمة لكل السلفيين، بل هي ظاهرة موجودة لدى بعضهم ممن غلوا في التبديع والتضييق. وهذا الغلو يجعلهم يخلطون بين:

1. المنهج العلمي السلفي الأصيل: وهو التمسك بالكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، والذي يدعو إلى الإنصاف، وجمع الكلمة، ونبذ التعصب.
2. التعصب لجماعة معينة: وهو ما يُخرج البعض عن سعة المنهج السلفي الصحيح إلى تضييقه وحصره في فئة معينة، ويجعلهم يرون أن رضا حكامهم فقط هو الغاية، أو أن أي خلاف في الفروع هو ضلال.

الحق لا يُوزن بالرجال ولا يُقاس بالعصبية.

إن كون هؤلاء المشايخ الأجلاء (ابن باز، ابن عثيمين، الألباني، وغيرهم) يمثلون فصيلاً واحدًا وهو السلفية الحكومية السعودية - كما يدعي أبو همام - لا يعني أبدًا أن أي خلاف

معهم هو ضلال. فالحق لا يُعرف بالرجال، بل الرجال يُعرفون بالحق. وهؤلاء العلماء الكبار - رحمهم الله - كانوا يدعون إلى الحق ويرحبون بالإنصاف والنصيحة.

فالشيخ الجزائري، بإنصافه وثناءه على جهود جماعة التبليغ في جانبها العملي الدعوي، لم يكن ليُعارض أصول منهج هؤلاء العلماء، بل كان يُطبق مبدأ الإنصاف الذي يدعو إليه الإسلام، والذي هو جزء لا يتجزأ من المنهج السلفي الصحيح. جهود السلفية في الجانب العلمي والعقدي مُقدرة ومحمودة، وجهود جماعة التبليغ في الجانب الحركي الدعوي العملي مُقدرة ومحمودة أيضًا. لا تناقض بينهما، بل تكامل في خدمة دين الله.

إن محاولة أبي همام جر هؤلاء الأئمة الأجلاء إلى معركته الوهمية ضد الشيخ الجزائري هي تدليس مفضوح، يكشف عن جهله بمنهج الإنصاف، وتعصبه الأعمى، ومحاولته تضييق واسعٍ لا يقره الشرع ولا العقل. فالشيخ الجزائري كان على الحق في دعوته للإنصاف، وفي إقراره بجهود أهل الخير، وهذا الحق لا يتأثر بأقاويل المتعصبين وتدليس المدلسين.

تدعون دعوى ندعيها بل وتكذبون علينا

يقول المتعجرف : (إن أهل السنة والجماعة دعوتهم من الكتاب والسنة إلى الكتاب والسنة ويهتمون بالدعوة إلى التوحيد يدعون الناس إليه ويحذرونهم من الشرك أما جماعة التبليغ فإنها ترى أن الكلام في التوحيد والعقيدة من أمراض الأمة لذا يجب السكوت عنه إذا فما فائدة دعوة تدعوا إلى إكرام المسلم والفضائل كالذكر وغير ذلك من الأعمال وتترك أصلاً عظيماً عليه مدار سعادة المرء في الدنيا والآخرة وهو التوحيد الذي خلق الله الخلق من أجله قال تعالى: { **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** } الطور أية 56.)

لقد جانب أبو همام الصواب في وصفه لجماعة التبليغ، وأخطأ في فهم منهجهم ومقاصدهم، بل أوقع نفسه في مغالطة كبيرة حين نسب إليهم ترك التوحيد، وهو أصل دعوتهم ومركز اهتمامهم منذ نشأتهم.

فجماعة التبليغ، كما هو معلوم لمن خالطهم أو درس منهجهم، هي جماعة دعوية نشأت في الهند على يد الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي رحمه الله، وكان هدفها إحياء الإيمان في قلوب المسلمين، والدعوة إلى التوحيد، وإقامة الصلاة، والتمسك بالكتاب والسنة، بعيدًا عن الجدل والخلافات السياسية والمذهبية. فهم لا يتركون التوحيد، بل يدعون إليه بأسلوبهم الخاص، الذي يعتمد على الترغيب، والتذكير، والتربية العملية، لا على التنفير والتشدد.

أما قولهم إن الكلام في العقيدة من أمراض الأمة، فليس المقصود به إنكار العقيدة أو التوحيد، بل المقصود أن كثرة الجدل في مسائل العقيدة، والتبديع والتفسيق، والتنازع بين الفرق، هو مما يفرق الأمة ويضعفها، ولذلك آثروا التركيز على إصلاح الفرد، وتقوية الإيمان، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، وإكرام المسلم، والذكر، والصلاة، وغيرها من الأعمال التي تزرع المحبة وتجمع القلوب.

وهذا المسلك له أصل في السنة، فقد كان النبي ﷺ يبعث الدعاة إلى الناس فيقول لهم: بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا ، وكان يراعي حال المدعوين، ويبدأ بالأهم فالأهم، ويخاطب الناس على قدر عقولهم. وجماعة التبليغ تسير على هذا النهج، فتدعو إلى التوحيد، ولكن بأسلوب عملي، لا جدلي، وتذكر الناس بالله، وتحثهم على الصلاة، وتربطهم بالمساجد، وتدعوهم إلى الخروج للدعوة، ليعيشوا الإيمان ويذوقوا حلاوته.

فمن الظلم أن يُتهموا بترك التوحيد، وهم الذين يرددون في كل بيانهم: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويجعلونها أول صفاتهم الست، ويعلمون الناس معناها، ويحثونهم على الإخلاص والاتباع، ويذكرونهم بقدرة الله، واليوم الآخر، والجنة والنار.

أما من لا يعرف هذا المنهج، ولم يخالطهم، فربما يظن بهم ما ليس فيهم، ويقع في التسرع والتجني، كما فعل أبو همام. والعدل يقتضي أن يُنزل الناس منازلهم، وأن يُحكم عليهم بما ظهر من أعمالهم، لا بما يُظن أو يُتوهم.

فليتق الله من يتكلم في الناس، وليعلم أن الطعن في الدعاة والمصلحين بغير علم ولا بينة، هو من أسباب تفريق الأمة، وإضعاف الدعوة، وإثارة الفتنة. والله المستعان.

التوحيد هي أصل دعوة التبليغ :

يستمر أبو همام في محاولاته اليائسة لتشويه صورة جماعة التبليغ، ويزعم افتراءات لا أساس لها من الصحة، مدعيًا أنهم يرون أن الكلام في التوحيد والعقيدة من أمراض الأمة لذا يجب السكوت عنه . هذا الادعاء محض كذب وباطل، ويكشف جهله أو تعمده لتضليل القارئ.

فالقول بأن جماعة التبليغ لا تهتم بالتوحيد أو تراه من أمراض الأمة هو افتراء صريح يخالف واقع دعوتهم وأصولها. فأصل دعوة التبليغ، كغيرها من الدعوات الإسلامية الصحيحة، يقوم على التوحيد الخالص لله عز وجل، ويدعون الناس إلى الإيمان بالله وحده وترك الشرك

بجميع أنواعه. لا يمكن لأي حركة إسلامية تدعو إلى الله أن تُغفل أصل الأصول ومفتاح الجنة وهو التوحيد.

فجماعة التبليغ تعتمد الكتاب والسنة أساسًا لدعوتها، والتوحيد هو أول ما دعت إليه جميع الأنبياء والمرسلين، وهو جوهر رسالة الإسلام. كيف يمكن لأي مسلم يدعو إلى الله أن يتجاوز هذا الأصل العظيم؟ هذا لا يستقيم شرعًا ولا عقلاً.

مرادهم من أمراض الأمة و عدم الإكثار من ذكر المعاصي :

إن الفهم الصحيح لما تقصده جماعة التبليغ بأمراض الأمة هو ما يتعلق ببعض الأساليب الدعوية أو الخلافات الفقهية الفرعية، وليس أصل التوحيد والعقيدة. غالبًا ما تشير مقولتهم هذه إلى:

1. تجنب الخوض في الجدالات والخلافات العميقة التي تفرق ولا تجمع، خاصة في بداية دعوة العوام. هدفهم هو إخراج الناس من المعاصي والبعد عن الدين إلى التزام الطاعات الأساسية كالصلاة والذكر، وغرس حب الدين في قلوبهم أولاً.
2. التركيز على المبشرات والترغيب لا التنفير: يفضلون في دعوتهم ذكر فضائل الأعمال وثواب الطاعات والمبشرات، بدلاً من الإكثار من ذكر المعاصي والتهديد والوعيد الذي قد يُنفر البعض من الدين في بداية طريقهم. هذا المسلك ليس بدعة، بل هو مسلك دعوي ممدوح، وعليه دلائل كثيرة من السنة النبوية التي كانت تُراعي أحوال الناس، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يُخاطب كل قوم بما يناسبهم، ويُبشر ويُيسر. فالدعوة إلى الشر بضده (الدعوة إلى الخير بدلاً من التهديد بالشر) أسلوب تربوي قرآني ونبوي.

أهمية التوحيد ومكانه في دعوة الجميع :

إن أبا همام محق في قوله أن التوحيد هو الأصل الذي عليه مدار سعادة المرء في الدنيا والآخرة، وهو الغاية من خلق الجن والإنس، كما قال تعالى: { وما خلقت الجن والإنس إلا

ليعبدون } [1] وهذا عين ما تدعو إليه جماعة التبليغ وكل دعوة إسلامية حقة وهو ما لم يكن محق في فهمه أبو همام !.

فالفرق يكمن في طريقة تناول المسائل أو ترتيب الأولويات الدعوية، لا في إنكار أصل التوحيد. فجماعة التبليغ تركز على إخراج المسلم من الغفلة إلى المسجد والطاعة، ومع هذا التركيز العملي لا يُغفلون أبدًا أساس العقيدة الصحيحة، بل هي أصل كل عمل صالح يدعون إليه.

دعوة التبليغ لا تُنكر التوحيد :

إن محاولة أبي همام تصوير جماعة التبليغ وكأنها تُغفل أصل التوحيد هي مغالطة صارخة ومحض افتراء. أهل التبليغ، شأنهم شأن كل أهل الإسلام، يدعون إلى التوحيد، ويعتمدون الكتاب والسنة، وما يعنونه بأمراض الأمة يتعلق بالخلافات والجدالات التي تُفرق ولا تُصلح في بداية الطريق الدعوي، ويُفضلون أسلوب الترغيب والتبشير على التنفير، وهو أسلوب دعوي له أصوله في الشرع والعقل والواقع.

وعلى الرغم من أنهم قد لا يتناولون مسائل التوحيد والعقيدة بالتفصيل الأكاديمي الذي يُقدمه علماء أهل السنة المتخصصون في العقيدة (خاصة لمن هم حديثو عهد بالتدين أو العوام)، إلا أنهم يؤكدون على التوحيد كقاعدة أساسية للدين، ويرون أن إصلاح اليقين بالله هو أول خطوات إصلاح الفرد. مقولة الخوض في العقيدة من أمراض الأمة التي تُنسب إليهم لا تعني عندهم إنكار أصل التوحيد، بل هي غالبًا ما تُشير إلى تجنب الخوض في الخلافات الكلامية العميقة التي قد تُشتت العوام وتبعدهم عن الجوهر العملي للدعوة في بداية الأمر.

والخلاصة إن جماعة التبليغ، كأي حركة إسلامية، تُعلي من شأن التوحيد وتجعله أساسًا لدعوتها، وإن اختلفت طريقة عرضها أو تفصيلها له عن طرق أخرى، وذلك بما يتناسب مع منهجهم في إخراج الناس من الغفلة إلى الطاعة.

[1] (الذاريات: **56**).

وما أدراك بأن الشيخ لم يفعل ؟

إن ما يقوله أبو همام ليس إلا محاولة بائسة لتشويه صورة الشيخ الجزائري ومكانته العلمية والدعوية، وليلوي أعناق النصوص ويخرجها عن سياقها لإيهام القارئ والسامع بما يخالف الحقيقة. الواجب على كل من يطلب الحق أن يتحرى الصدق ويتثبت من الأخبار، ولا يغتر بأقوال المتعجرفين الذين يحاولون بث الفرقة والتشكيك في العلماء الأفاضل. إن منهج الشيخ الجزائري واضح كالشمس في دعوته إلى التوحيد الخالص، والرجوع إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، والأخذ عن أهل العلم الموثوقين.

يقول المتعجرف : (كان ينبغي للشيخ جابر أن يوجههم إلى الاهتمام بالعقيدة والرجوع إلى أهل العلم المعروفين بسلامة المعتقد ليتعلموا منهم العلم لأن العلم قبل القول والعمل .)

دحض افتراءات أبي همام على الشيخ الجزائري

يزعم أبو همام في تطاوله على الشيخ الجزائري – حفظه الله – أن الشيخ لم يوجه الناس إلى الاهتمام بالعقيدة والرجوع إلى أهل العلم المعروفين بسلامة المعتقد، مدعيًا بذلك أن الشيخ الجزائري متهاون في هذا الجانب الأساسي من الدعوة. هذا الافتراء والتدليس لا أساس له من الصحة، ويجانب الحقيقة التي يعرفها كل من اطلع على منهج الشيخ الجزائري وخطابه الدعوي.

وبناءً على السياق ، فإن قول أبو همام: كان ينبغي للشيخ جابر أن يوجههم إلى الاهتمام بالعقيدة والرجوع إلى أهل العلم المعروفين بسلامة المعتقد ليتعلموا منهم العلم لأن العلم قبل القول والعمل . هو تصريح مباشر بالاتهام. والمقصود هنا هو تصريح صريح ومباشر بأن الشيخ الجزائري لم يقم بهذا التوجيه، أو أنه أهمل هذا الجانب. هذا ليس من قبيل التعريض بالضد (أي التلميح غير المباشر)، بل هو اتهام واضح ومحدد له بعدم قيامه بواجبه في توجيه الناس إلى العقيدة الصحيحة وأهل العلم.

اهتمام الشيخ الجزائري الراسخ بالعقيدة الصحيحة وتوجيهه الدائم للرجوع إلى أهل العلم الراسخين:

ثم إن المتتبع لكتابات الشيخ الجزائري ودروسه وخطبه يجدها عامرة بالدعوة إلى توحيد الله عز وجل، ونبذ الشرك بجميع صوره، والتمسك بالعقيدة السلفية النقية. فالعقيدة عنده هي

الأساس الذي تبنى عليه جميع الأعمال، وهي المنطلق الصحيح لكل دعوة ورسالة. لم يدخر الشيخ الجزائري جهدًا في التنبيه على أهمية البدء بالعقيدة وتصحيحها، مؤكدًا على أن صلاح الظاهر مبني على صلاح الباطن، وأن العمل لا يكون مقبولًا إلا إذا بني على أساس صحيح من الاعتقاد.

وأما مزاعم أبي همام بأن الشيخ لم يوجه الناس إلى الرجوع إلى أهل العلم المعروفين بسلامة المعتقد، فهي فرية أخرى لا تستند إلى دليل. فالشيخ الجزائري دائمًا ما يذكر بضرورة الأخذ عن العلماء الربانيين الراسخين في العلم، الذين عُرفوا بسداد المنهج وصحة المعتقد. بل إن الشيخ الجزائري نفسه يعد من هؤلاء العلماء الذين يجب الرجوع إليهم في الفتاوى والأحكام، لمكانته العلمية وسلامة منهجه. فكيف يُتهم من يدعو إلى منهج السلف بالتهاون في الدعوة إلى الأخذ به؟

نصح دعاة التبليغ إلى تصحيح المسار:

وأما بخصوص جماعة التبليغ، فإن الشيخ الجزائري وغيره من أهل العلم قد وجهوا لهم النصح والتوجيه مرارًا وتكرارًا، ودعوهم إلى الاهتمام بالعقيدة الصحيحة والسنة النبوية الشريفة، والابتعاد عن المخالفات التي قد تقع منهم. وهذا النصح والتوجيه هو دليل واضح على اهتمام الشيخ الجزائري بقضايا الأمة كلها، وحرصه على إرشاد الجميع إلى الطريق القويم، لا كما يزعم أبو همام.

دوافع المداخلة وأهدافهم من الطعن في الشيخ الجزائري في هذه النقطة .

يحاول أبو همام وغيره من غلاة التبديع ضرب الشيخ الجزائري في نقطة العقيدة وتوجيه الناس إليها لعدة أسباب، تهدف جميعها إلى الطعن في منهج الشيخ ومصداقيته، وبالتالي تحجيم تأثيره وتنفير الناس عنه. ويمكن تلخيص مقاصدهم ودوافعهم فيما يلي:

1. الطعن في المنهج وتقويض الثقة:

إظهار الشيخ بمظهر المتهاون في الأصول: تهدف هذه الاتهامات إلى إظهار الشيخ الجزائري - رحمه الله - بمظهر من لا يولي العقيدة الأهمية الكافية، أو أنه لا يحرص على توجيه الناس إلى أهل العلم الراسخين فيها. وهذا يضعف ثقة عامة المسلمين فيه كمرجع علمي ودعوي.

كذا محاولة عزله عن الصف السلفي: فغالبًا ما يسعى غلاة التبديع إلى حصر السلفية في إطار ضيق يضمهم فقط، وأي عالم لا يتبع طريقتهم في التبديع أو يختلف معهم في بعض الجزئيات يُتهم بالانحراف أو التهاون في العقيدة، وذلك لإقصائه عن دائرة العلماء المقبولين لديهم.

2. التأسيس لتبديع الشيخ أو التحذير منه:

عن طريق ربط التقصير في العقيدة بالابتداع: يرى غلاة التبديع أن أي تقصير - حسب زعمهم - في الدعوة إلى العقيدة أو في التحذير من المخالفين، هو بذاته نوع من الابتداع أو على الأقل يؤدي إليه. وبالتالي، فإن اتهام الشيخ بعدم اهتمامه بالعقيدة هو خطوة أولى نحو تبديعه أو التحذير منه.

بناء قناعات لدى المتابعين: يهدفون إلى غرس فكرة أن الشيخ الجزائري متهاون في مسائل العقيدة في أذهان صغار المتابعين أو من ليس لديهم اطلاع كافٍ على منهجه، حتى يبتعدوا عنه ويتبعوا من يهتم بالعقيدة في نظرهم.

3. تضييق الخلافات الفقهية إلى خلافات عقدية:

بعض الخلافات بين العلماء قد تكون في الفروع الفقهية أو في طريقة التعامل مع المخالفين أو في أولويات الدعوة. ولكن غلاة التبديع غالبًا ما يحاولون تحويل هذه الخلافات إلى خلافات في الأصول والعقيدة لتبرير التبديع والتجريح.

4. إظهار أنفسهم كحماة العقيدة:

فمن خلال توجيه مثل هذه الاتهامات للعلماء الأفاضل، يحاول غلاة التبديع تصوير أنفسهم على أنهم حماة العقيدة الوحيدون، وأنهم الأحرص عليها، وبالتالي يسعون لجذب الأتباع الذين يرغبون في الالتزام بالصحيح في نظرهم.

فما يقصده أبو همام وغيره من غلاة التبديع من هذه المزاعم هو تشويه صورة الشيخ الجزائري، وتقويض مكانته العلمية والدعوية، وعزله عن المسلمين، وإظهار أنفسهم كحماة للعقيدة الصحيحة، وذلك كله ضمن منهجهم في التبديع والتجريح لغير من يوافقهم تمامًا.

الرد على مزاعم وافتراءات أبي همام على الشيخ الجزائري ودحض وذكر العلم في منهج جماعة التبليغ

يسترسل أبو همام، وكعادته، محاولًا التشكيك في منهج الشيخ الجزائري - حفظه الله - مدعيًا أنه لا يولي العلم الأهمية الكافية، خاصة فيما يتعلق بتوجيه الناس إلى أهل العلم الراسخين. يستشهد أبو همام بتبويب الإمام البخاري باب العلم قبل القول والعمل وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ[1]﴾، ثم قول ابن حجر في فتح الباري ، ليربط كل ذلك بزعمه أن جماعة التبليغ تصرف الناس عن العلم، ويختم قوله بأنه ينبغي على الشيخ الجزائري أن ينصحهم بالعلم قبل القول والعمل. هذا الافتراء والتدليس لا يعكس الحقيقة، بل ينم عن محاولة يائسة لتصوير جماعة التبليغ وكأنها خالية من العلم، وهو ما يناقضه واقع حالهم وأصولهم، كما يجانب الحقيقة المتعلقة بمنهج الشيخ الجزائري الواضح.

يقول المتعجرف : (ورحم الله **الإمام البخاري** فقد بوب في كتاب العلم من صحيحه باباً فقال باب العلم قبل القول والعمل) ثم استدل بقوله تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) .

قال ابن حجر رحمه الله في فتح الباري: قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للسنة المصححة للعمل فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى لذهن من قولهم : ((إن العلم لا ينفع إلا بالعمل)) تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه أقول وهذا هو سلاح جماعة التبليغ لصرف الناس عن العلم.

فعلى الشيخ جابر أن ينصحهم بالعلم قبل القول والعمل والله المستعان.)

إن الشيخ الجزائري، بصفته معلمًا معتبرًا ثقة في المسجد النبوي، هو من أهل العلم الذين يُعلمون الناس ويقودونهم إلى فهم صحيح للدين. لا يمكن لعالم بهذا المقام أن يغفل عن أهمية العلم قبل القول والعمل، بل إن جميع العلماء يدركون هذه الحقيقة المحورية في الإسلام، والشيخ الجزائري ليس استثناءً. محاولة ربط موقف الشيخ الجزائري (المُفترض من قِبَل أبي همام) بعدم اهتمام التبليغ بالعلم هي محض افتراء وتضليل لا يمت للحقيقة بصلة.

---

[1] [محمد: **19**]

أما الزعم بأن جماعة التبليغ بعيدة عن العلم وأنها تصرف الناس عنه، فهو يتناقض تمامًا مع الأصول الستة التي تقوم عليها دعوتهم، والتي يُعتبر العلم والذكر أحد أبرز هذه الأصول. فمن المعروف أن هذا الأصل يدعو أفراد الجماعة إلى طلب العلم الشرعي الأساسي، وفهم مسائل العقيدة والفقه والسيرة النبوية، بالإضافة إلى الإكثار من ذكر الله. لديهم حلقات علمية ودراسية تُعقد في المساجد وفي البيوت، حيث يقرأون كتبًا في الفقه والسيرة والفضائل والأحاديث النبوية. تعتمد الجماعة بشكل كبير على مبدأ المذاكرة ، وهي عملية تعليمية تشاركية يتم فيها قراءة الأحاديث والآيات وتفسيرها، ونقل التجارب الإيمانية، بهدف ترسيخ العلم في نفوس الأفراد وتشجيعهم على تطبيقه. قد يكون منهجهم في طلب العلم يختلف عن المنهج الأكاديمي الصارم لبعض المدارس السلفية المعاصرة، حيث يركزون على العلم الذي يؤدي إلى العمل والدعوة، وهذا لا يعني إطلاقًا أنهم لا يهتمون بالعلم، بل يرون العلم وسيلة للعمل والدعوة إلى الله. صحيح أنهم يركزون على فضائل الأعمال ويشجعون على العمل الصالح، لكن هذا لا يتعارض مع طلب العلم؛ فكيف يمكن للمسلم أن يقوم بالعمل الصالح دون علم به؟ التركيز على الفضائل هو جزء من دفع الناس إلى تطبيق ما تعلموه.

ثم إن محاولة أبي همام ومَن على شاكلته من غلاة التبديع ضرب جماعة التبليغ في نقطة العلم، رغم وجود أصل العلم والذكر لديهم، تندرج تحت عدة أسباب. إذ يرى هؤلاء أن المنهج الوحيد المقبول في طلب العلم هو المنهج الأكاديمي الصارم الذي يركز على العقيدة السلفية بالصورة التي يتبنونها، وعلى التحذير من المخالفين، وأي منهج آخر يعتبرونه قاصرًا أو منحرفًا. فهدفهم الأساسي هو تصنيف جماعة التبليغ على أنها بعيدة عن منهج السلف أو جاهلة ، وبالتالي إقصائها من المشهد الدعوي وتنفير الناس منها، وهذا جزء من منهجهم في تبديع أو تحجيم أي جماعة لا تلتزم بمنهجهم الغالي في التبديع والتجريح. كما يعتقدون أنهم وحدهم الأحق بتعليم الناس وإرشادهم، وأن أي دعوة لا تمر عبر قنواتهم ومنهجهم تعتبر قاصرة أو خاطئة.

فالقول بأن جماعة التبليغ تصرف الناس عن العلم هو افتراء بيّن، فلديهم حرص على نشر العلم الشرعي الأساسي الذي يحتاجه عامة الناس، ويدفعونهم إلى العمل به، وهذا هو جوهر قول الإمام البخاري العلم قبل القول والعمل . إن النصح بالعلم والعمل هو ديدن كل عالم ومعلم، والشيخ الجزائري يقوم بهذا الدور على أكمل وجه، أما محاولة ربط هذه الأمور بأجندات التبديع فهو أمر يضر بالدعوة ويشوه الحقائق.

محاولة أثبات صوفية التبليغ والخلط بين الفكر والمؤسسين :

يعلق أبو همام على مقولة الشيخ النجمي عفا الله عنه: (أقول مع الأسف يا أبا بكر ما كنت أظن أنه سيبلغ بك الخذلان إلى هذا الحد تفضل جماعة التبليغ الصوفية.) محاولا إثبات ما قال فيقول مستطردا وكأنه مدللا على كلام النجمي عفا الله عنه ومثبتا له ، وهنا يزعم النجمي عفا الله عنه كعامة غلاة التبديع من السلفية العصرية ، أن جماعة التبليغ ذات توجه صوفي بحت، مستدلين بزعمهم أن الجماعة ترى أن الله في كل مكان . وهذه الدعاوى ليست إلا افتراءً ومحاولة لتشويه صورة الجماعة والطعن في عقيدتها، وهي لا تستند إلى دليل شرعي أو واقعي من كتبهم المعتمدة أو أقوال أئمتهم.

إن المتتبع لمنهج جماعة التبليغ وأصولها الأساسية، التي وضعها مؤسسها الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي رحمه الله، يجد أنها تركز على الدعوة إلى التوحيد الخالص، وإحياء السنة النبوية، والدعوة إلى الله بالقول والعمل. لم تنص كتبهم المعتمدة، مثل حياة الصحابة أو منتخب أحاديث أو فضائل الأعمال ، على عقيدة وحدة الوجود أو الحلول التي يدعيها هؤلاء، وهي عقائد صوفية شططت عن منهج أهل السنة والجماعة. بل إن عقيدة الجماعة، كما يتضح من أقوال علمائها وممارسات أتباعها، هي عقيدة أهل السنة والجماعة التي تؤمن بأن الله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه بائن من خلقه، وهو معهم بعلمه وقدرته وسمعه وبصره وإحاطته، لا بذاته.

إن القول بأن الله في كل مكان تعبير قد يُفهم منه معانٍ متعددة، وقد لا يقصد المتكلم بها المعنى الحلولي الكفري الذي يرميه به هؤلاء المبطلون. ولكن، حتى لو صدرت مثل هذه العبارة من بعض الأفراد في الجماعة، فلا يمكن تعميمها على أنها عقيدة الجماعة الأساسية والراسخة. فالأصول هي التي تحدد المنهج، والأصول الستة لجماعة التبليغ، وعلى رأسها العلم والذكر ، تدعو إلى العقيدة الصحيحة المبنية على الكتاب والسنة.

فيقول أبو همام : (أقول من أراد أن يعرف صوفية هذه الجماعة فليقرأ عن مؤسسها وأتباعه وإليك بعضاً من ذلك أخي القارئ حتى لا يكون لديك شك في ذلك فأقول انهم يرون أن الله في كل مكان وهذه عقيدة صوفية بحته .)

فمحاولة ربط جماعة التبليغ بالصوفية بهذه الطريقة هو جزء من حملة التبديع التي تشنها بعض التيارات، والهدف منها هو إقصاء هذه الجماعة عن المشهد الدعوي، وتنفير الناس منها بتهم لا أساس لها من الصحة. الواجب على المسلم التثبت والتحقق قبل إطلاق الأحكام والاتهامات، والرجوع إلى المصادر الأصلية للجماعات لمعرفة حقيقة معتقداتها، لا الاعتماد على أقوال خصومهم الذين يسعون لتشويه صورتهم.

الرد على تهوكات الصومعي وافتراءاته وسوء ظنونه :

يحاول أبو همام إثبات أن ما سيذكره نقول عن جماعة التبليغ أو عن كتبها أو عن قادتها وكبارها ! وهو غلط محض فكل نقولاته عن رجالات له علاقة بالتبليغ وليس من لوازم ذلك أن يكونوا هم حجة على المنهج والحركة ! ، فيقول أبو همام (يقول الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي وهو يعلم طريقة الذكر كيف تكون: ((ثم يتفكر في آية أخرى مثل قوله تعالى: { الله نور السموات والأرض} **ويتصور أن الله في كل مكان ونوره في جميع العالم ثم يغرق في تصور نوره**

فضائل حج ص 66].

وقال: إن ولي الله الدهلوي نقل عن أبيه بأنه كان في أوائل أيام سلوكه يقول لا إله إلا الله مع كل تنفس مرة. [فضائل الذكر ص 117].

وأما تفسيره لقوله تعالى: (**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله**) قال: دعا إلى الأعمال الظاهرة أو إلى الأعمال الباطنة كما أن المشايخ والصوفية يدعون إلى معرفة الله [فضائل التبليغ] ص 5.

وأما صفات الذكر فذكر له عدة صفات من خلالها تعرف أن الرجل غارق في التصوف قال وهو يصف صفات الذكر.

1 - ذات ضربة واحدة . 2 - ذات ضربتين.

3 - ذات ثلاث ضربات 4 - ذات أربع ضربات.

- ذات ضربة واحدة : وهي أن يغمض عينيه ويميل رأسه إلى منكبه اليمنى ويضرب كلمة الله على قلبه بقوة كاملة.
- ذات ضربتين يوجه الضربة الأولى إلى الروح والثانية إلى القلب موضع الروح أسفل من الثدي اليمنى بقدر أصبعين .

- ذات ثلاث ضربات : يوجه الضربة الأولى إلى ركبته اليمنى والثانية إلى ركبته اليسرى والثالثة إلى قلبه
- ذات أربع ضربات: يوجه الضربة الأولى إلى ركبته اليمنى والثانية إلى ركبته اليسرى والثالثة إلى الروح والرابعة إلى القلب [صقالة القلوب ص 92].

أقول تأمل أيها الأخ المسلم إلى تعليم محمد زكريا لاتباعه كيف يذكرون الله بل أدخل في الذكر المبتدع وحدة الوجود وهو أن يتصور الذاكر لله أن الله في كل مكان تعالى الله عن ذلك واما أذكاره فقد فاق فيها مشايخه أهل التصوف فجاء لها بأعداد وصفات عجيبة وهذا حال من لم يتقيد بالكتاب والسنة وفهم سلف الأمة يصير ضالا منحرفاً لأن خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم اما من اتبع هواه فإنه يقوده إلى الضلال.

ولله در القائل

تبعوا الهوى فهووا بهم وكذا الهوى منه الهوان لأهله فحذار

فانظر بعين الحق لا عين الهوى فالحق للعين الجلية عار

وهناك ما يوضح لنا عقيدة وحدة الوجود لدى هذه الجماعة وإليك بعض أقوال محمد زكريا الكاندهلوي:

قال ليعلم أن السر في تجاوز العبد عن حده هو أن الله خلقه على صورته ومن المعلوم أن الله يوصف بصفاته الجلالية مثل الكبرياء والحياة والعزة والعظمة والمجد والجلال فسرت هذه الأوصاف في صورته [أم الأمراض ص 7].

وقال: إن الله سبحانه هو منبع الجمال كله حقيقة **ولا جمال في الدنيا حقيقة إلا جماله** [تبليغي نصاب ص 300].

أقول تأمل أيها المسلم إلى هذا الانحراف وإلى هذه العقيدة الزائغة الضالة المضلة أنه يعتقد أن الله حال في كل شيء وأن الجمال الموجود في الرجال أو النساء أو غير ذلك أنه في الحقيقة هو الله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً إن هذه العقيدة هي عقيدة الكافر ابن عربي القائل:

الرب عبد والعبد رب يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك حق أو قلت رب أنى يكلف) أ . هـ.

ويظهر فى سرده صبيانية في الطرح وجهالة في المناقشة وتحاملا على قوم لا رابط بينهم وبين من ينتقد سوى المعاصرة ، حيث إنه اتهم أناسا بما لا يثبت عليهم ، وحاكم أناسا لأمور لا

يعتقدونها ولا يسلمون بأنها واقعة ، وفيما يلي نعلق على تخرصاته ونفندها واحدة إن شاء الله تعالى .

دحض مغالطة التعميم بين انتماء المؤسس أو البعض و انتماء الكل ، والرد على قوله : (من أراد أن يعرف صوفية هذه الجماعة)

ومن ذلك قوله عفا الله عنه : (من أراد أن يعرف صوفية هذه الجماعة فليقرأ عن مؤسسها وأتباعه) والجواب : وهل لو ثبت أن مؤسس هذه الجماعة صوفيا يلزم منه أن تكون تلك الجماعة صوفية ؟! بالطبع والعقل والشرع لا يلزم ذلك من ذلك !

وهل صوفية بعض أتباع مؤسس الجماعة يلزم باقى أتباعها والمنتمين إليها بأن يكونوا صوفية ؟! العقل والشرع والطبع والعرف ينكر ذلك ويقول لا يلزم ذلك مطلقا !

والواقع يرد على هذا الصبي المتعجرف ، فهناك عشرات الملايين من المسلمين الذين ينهجون هذا النهج الدعوي ويسلكون تلك الطريقة فى الدعوة وتبليغ الدين ونشر فضائل الإسلام ومع ذلك ليسوا صوفية ! وهذا أبلغ دليل ضد هذا الصبي وجماعته .

يتوهم الكاتب ، في محاولته اليائسة لإلصاق تهمة الصوفية بجماعة التبليغ، أن مجرد زعم كون مؤسس الجماعة صوفيًا، أو وجود ميول صوفية لدى بعض أتباعها، يعني بالضرورة أن الجماعة بأسرها صوفية المنهج والعقيدة. وهذه مغالطة منطقية ومنهجية واضحة، تُدحض بالعقل والشرع والواقع.

فقول أبي همام: (من أراد أن يعرف صوفية هذه الجماعة فليقرأ عن مؤسسها وأتباعه) ، هو محاولة لتعميم خاطئ ومُدلّس. فالجواب المنطقي والشرعي والعقلي هو: لا يلزم أبدًا أن تكون الجماعة صوفية لمجرد أن مؤسسها صوفيًا مفترضًا! وكذلك، لا تلزم صوفية بعض أتباع مؤسس الجماعة باقي أتباعها والمنتمين إليها بأن يكونوا صوفية مطلقًا!

وتُدحض هذه المزاعم بأسباب عدة: فقد تكون لمؤسس أي جماعة فكرية أو دعوية خلفية معينة، أو توجهات شخصية تأثر بها قبل أو أثناء تأسيس الجماعة. لكن هذا لا يعني أن كل ما تبناه شخصيًا أصبح بالضرورة جزءًا لا يتجزأ من المنهج العام للجماعة الذي تُبنى عليه وتُدعى إليه الأجيال اللاحقة. فالجماعات الكبرى لها أصولها المعلنة وبياناتها الموحدة التي تمثل مرجعها، وليس بالضرورة كل ما صدر عن مؤسسها في مسيرته الشخصية. كما أن الدعوات والجماعات تمر بمراحل تطور؛ قد يبدأ مؤسس الدعوة بفهم معين أو تأثر ببيئة

معينة، ثم تتطور الدعوة وتنضج وتصبح لها معالم واضحة قد تختلف عن بعض الجوانب الشخصية لمؤسسها. التبليغ دعوة واسعة الانتشار، وقد استوعبت ملايين الأفراد من خلفيات متنوعة، وتكيفت مع ثقافات مختلفة، ولكن أصولها الأساسية بقيت ثابتة.

والأهم من ذلك كله ، أن العبرة في الحكم على جماعة تكون بالغالب والأعم والأصول المتبعة. لا يُحكم على عشرات الملايين من المسلمين المنتسبين لدعوة بهذه السعة بناءً على توجهات فردية لبعض الأشخاص، أو حتى لمؤسسها إذا كانت تلك التوجهات لا تُمثل جوهر الدعوة في أصولها المعلنة.

هذا ما يفضحه الواقع الذي يشهد ضد مزاعم أبي همام. فهناك عشرات الملايين من المسلمين الذين ينهجون هذا النهج الدعوي (التبليغي) ويسلكون تلك الطريقة في الدعوة وتبليغ الدين ونشر فضائل الإسلام، ومع ذلك ليسوا صوفية! بل كثير منهم من أهل السنة والجماعة عقيدة ومنهجًا، ولا يقرون عقائد الحلول أو وحدة الوجود أو الشطحات الصوفية المخالفة للشرع. هم يعملون بالدعوة إلى الله، ويُحيون المساجد، ويخرجون في سبيل الله، ويُركزون على أركان الإسلام والعقيدة الصحيحة، دون أن يتبنوا تلك الخرافات.

فمحاولات أبي همام للتعميم وإلزام الملايين بتوجهات يُزعم أنها لمؤسس أو لقلة من الأتباع هي محاولات يائسة تعكس ضحالة في الفهم، وتُكشفها أبسط مبادئ الإنصاف والعقل، ويُفنّدها واقع الدعوة التبليغية في العالم أجمع.

دحض مزاعم الله في كل مكان وبيان مغالطة التعميم وتأويل النصوص ، والرد على قوله (يرون أن الله في كل مكان ونوره في جميع العالم)

يركز أبو همام على اتهام جماعة التبليغ بعقيدة الله في كل مكان ، زاعمًا أنها عقيدة صوفية بحتة ، ويُشير إلى قول منسوب للشيخ زكريا الكاندهلوي. وهذا الاتهام مبني على مغالطة التعميم وتأويل النصوص تأويلاً متعسفًا، ويتجاهل المنهج السليم في الحكم على المعتقدات.

ومن ذلك الكذب قوله : (انهم يرون أن الله في كل مكان وهذه عقيدة صوفية بحته .) ونحن هنا نرد عليه ونقول قولك إنهم عموم والتعميم بلا استثناء لا يصح فى عالم العقلاء ، ففكر بحجم التبليغ فى العالم لا يصح عقلا وشرعا أن ينسب إليه قول عام بهذه السهولة من غير عزو لمرجع يعتقده كل التبليغيين فى العالم ! ولا يجوز شرعا وعقلا أيضا أن يحكم عليهم لمجرد قول صبي مثلك (انهم يرون أن الله في كل مكان وهذه عقيدة صوفية بحته .) فمن أنت

حتى تقول إنهم يرون !؟ ومن أين أتيت بهذا القول المنسوب لهم ؟! وما أدراك أنهم جميعا يعتقدون ذلك ؟!

ثم إنني من المنتسبين لهم ونشأت على منهجهم وفكرهم ولا أعتقد أن الله فى كل مكان بذاته ! وأعتقد أنه فى كل مكان بعلمه ومعيته لقوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) فلماذ تنسبون لعموم الفكر قولا لا يقولون به ؟! ولماذا لا تحترمون عقول الناس وتسلكون مسلك الدليل ؟!

ومن ذلك قوله عن الشيخ زكريا الكاندهلوي : (**ويتصور أن الله في كل مكان ونوره في جميع العالم**) والاعتراض هنا هو ، ما أدراك أنه يعني أن الله فى كل مكان بجسده ؟! وما المانع أن يكون قصده أن يتصور الانسان أن الله فى كل مكان بعمله ومعيته ؟!

إن قول أبي همام إنهم يرون أن الله في كل مكان وهذه عقيدة صوفية بحتة هو تعميم باطل لا يصح في عالم العقلاء. جماعة التبليغ حركة عالمية تضم عشرات الملايين من المسلمين من خلفيات وثقافات متنوعة. عقلاً وشرعًا، لا يمكن نسبة قول عام بهذه السهولة إلى جماعة بهذا الحجم دون عزو لمرجع يُعتقده كل التبليغيين في العالم. كما لا يجوز الحكم عليهم لمجرد قول شخص غير مؤهل بقوله إنهم يرون . فمن أنت حتى تدّعي علمك بمعتقدات الملايين؟ ومن أين أتيت بهذا القول المنسوب لهم؟ وما أدراك أنهم جميعًا يعتقدون ذلك؟

إن الكثيرين من المنتسبين لجماعة التبليغ، والذين نشأوا على منهجها وفكرها، لا يعتقدون أن الله في كل مكان بذاته، بل يعتقدون أنه في كل مكان بعلمه ومعيته، لقوله تعالى: **سمح**وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ**سجى** . هذا هو المعتقد الصحيح لأهل السنة والجماعة. فلماذا تُنسب لعموم الفكر قول لا يقولون به؟ ولماذا لا تُحترم عقول الناس وتُسلك مسلك الدليل؟

أما ما يُنسب للشيخ زكريا الكاندهلوي: ويتصور أن الله في كل مكان ونوره في جميع العالم ، فالاعتراض عليه هو: ما أدراك أنه يعني أن الله في كل مكان بذاته أو بجسده؟ وما المانع أن يكون قصده أن يتصور الإنسان أن الله في كل مكان بعمله ومعيته، وهو ما يُعرف بمعية الله العلمية والإحاطة ؟ النصوص التي تحمل أكثر من معنى يجب أن تُحمل على المعنى الصحيح الموافق للعقيدة السليمة، لا أن تُستخدم للطعن والتبديع بتأويلات متعسفة تخدم أهدافًا مسبقة.

تفنيد اتهامات إلصاق الذكر الصوفي بجماعة التبليغ ، ولا إلزام لجماعة بما لم تقم به :

يُواصل أبو همام نهجه في التجني والتدليس، مُحاولًا إلصاق ممارسات صوفية بجماعة التبليغ، مُستشهدًا بما نقله عن الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي حول ذكر لا إله إلا الله مع كل تنفس مرة ، ثم يقفز ليُدخله في باب الذكر المبتدع ويربطه بوحدة الوجود. هذا الاتهام باطل من عدة وجوه، ويُظهر جهل أبو همام بالواقع الدعوي لجماعة التبليغ وتعمده التشويه.

ومن ذلك ذمه بما لا يصح للذم في قوله عن الشيخ زكريا : (وقال: إن ولي الله الدهلوي نقل عن أبيه بأنه كان في أوائل أيام سلوكه يقول لا إله إلا الله مع كل تنفس مرة.) وهنا نقول وهل في هذا النقل محرم أو ممنوع ؟! رجل عابد متنسك يذكر الله مع كل نفس يقول فيه لا إله إلا الله ! هل هذا محرم أو ممنوع ؟! وهل يذم الرجل بأنه يذكر الله كثيرا مع كل نفس يتنفسه ؟! لا أرى في هذا الفعل محرما إلا إذا اعتقد الفاعل فيه اعتقادا يخالف دين الله تعالى أو يبتدع فيه ما ليس منه كأن يوجب ذلك على نفسه أو على الناس أو يخترع لهذا العمل فضائل أو ينسبه للدين أو للنبي صلى الله عليه وسلم ! وغير ذلك فلا حرج في كثرة الذكر والتعبد والتنسك والتبتل !

ومن ذلك أيضا كذبه وافتراءه في الحكم حينما نقل عن الشيخ زكريا فقال : (بل أدخل في الذكر المبتدع وحدة الوجود وهو أن يتصور الذاكر لله أن الله في كل مكان تعالى الله عن ذلك) وهل يفهم من قول الشيخ زكريا وحدة الوجود ؟! وهل قال الشيخ زكريا يوما بوحدة الوجود أو أن الله هو العبد والعبد هو الله ؟! وهل كان صعبا على الشيخ زكريا إن كان يعتقد عقيدة بن عربي أن يصرح بها ويكتبها في كتبه ؟!

إذن ما الذي يلجأكم إلى مسالك المراوغة لإثبات تهم لا تثبت ولا يقول بها الناس ؟! ما هو إلا رغبتكم في تشويه صور الناس وتفريق صفوفهم بالذم وإلصاق التهم بهم ، وهذا ما عهدناه منكم كثيرا .

حمل قول العالم على وجه مقبول :

أولًا، بخصوص نقل قول الشيخ زكريا الكاندهلوي عن ولي الله الدهلوي بأنه كان في أوائل أيام سلوكه يقول لا إله إلا الله مع كل تنفس مرة ، نسأل أبا همام: هل في هذا النقل محرم أو ممنوع؟ رجل عابد مُتنسك يذكر الله كثيرًا، ويقول لا إله إلا الله مع كل نفس يتنفسه، هل هذا محرم أو ممنوع؟ وهل يُذم الرجل لأنه يذكر الله كثيرًا بهذه الكيفية؟ لا نرى في هذا الفعل

محرمًا بحد ذاته، طالما أن الفاعل لا يعتقد فيه اعتقادًا يخالف دين الله تعالى، أو يبتدع فيه ما ليس منه، كأن يوجب ذلك على نفسه أو على الناس، أو يخترع لهذا العمل فضائل خاصة لم ترد في الشرع، أو ينسبه للدين أو للنبي صلى الله عليه وسلم بغير دليل. فكثرة الذكر والتعبد والتنسك والتبتل أمور محمودة في الإسلام، ما لم تقترن ببدعة عقدية أو عملية.

الذكر ليس للتبليغ ولم يثبت ذلك عنهم :

ثانيًا، الأهم من ذلك: إن هذا الذكر الخاص الذي نقله الشيخ زكريا الكاندهلوي ليس منهجًا لأهل التبليغ ولا يُمثل ممارستهم اليومية أو دعوتهم! لم يثبت عن جماعة التبليغ، في أصولها أو بياناتها أو ممارساتها الدعوية، أنها تدعو الناس إلى ذكر لا إله إلا الله مع كل تنفس مرة كمنهج أو عبادة لازمة. بل على كثرة مخالطة المنتسبين لجماعة التبليغ على مدار عقود طويلة (كما هو حال من تتبعهم لمدة 30 عامًا)، لم نَرهم يفعلون ذلك، ولا يُشيعونه بين أتباعهم. فجماعة التبليغ لا تخفي شيئًا من ممارساتها، وإذا كان هذا الذكر جزءًا من منهجهم لأعلنوه ودعوا إليه. لذا، فإن إلصاق هذا الفعل بالجماعة ككل هو محض افتراء وتضليل. قد تكون هذه الممارسة من مناقب الصوفية عند البعض، لكنها ليست من عمل التبليغيين ولا من أصولهم.

بين غلاة التبليغ و غلاة المتصوفة :

ثالثًا، أشد الكذب والافتراء هو حكم أبي همام القائل بأن الشيخ زكريا الكاندهلوي أدخل في الذكر المبتدع وحدة الوجود وهو أن يتصور الذاكر لله أن الله في كل مكان تعالى الله عن ذلك . وهذا قول بالغ الخطورة ويُفهم منه الاتهام بالكفر أو الابتداع الشديد. نسأل أبا همام: هل يُفهم من قول الشيخ زكريا وحدة الوجود بالمعنى الحلولي؟ وهل قال الشيخ زكريا يومًا بوحدة الوجود أو أن الله هو العبد والعبد هو الله؟ وهل كان صعبًا على الشيخ زكريا، إن كان يعتقد عقيدة ابن عربي، أن يُصرح بها ويكتبها في كتبه بوضوح؟ الشيخ زكريا الكاندهلوي كان عالمًا كبيرًا وفقيهًا ومحدثًا، ومعروفًا بمكانته العلمية. مجرد تفسير مبهم لعبارة الله في كل مكان لا يُجيز القفز إلى اتهام بوحدة الوجود الكفرية، لا سيما وأن أهل السنة والجماعة يفسرون معية الله بأنها معية علم وإحاطة وقدرة. إن هذا التسرع في التكفير والتبديع والاتهام بأعظم عقائد الزيغ لمجرد الظنون والتأويلات المتعسفة هو منهج المتبدعة لا منهج أهل العلم والإنصاف.

وهنا يأتي الجواب على التساؤل : ما الذي يلجئ أمثال أبي همام إلى مسالك المراوغة لإثبات تهم لا تثبت ولا يقول بها الناس؟ بأن هذا المسلم ليس هذا إلا رغبتهم في تشويه صورة الناس وتفريق صفوفهم بالذم وإلصاق التهم بهم، وهذا ما عُهد منهم كثيرًا. إن دافعهم هو هدم الدعوات والجماعات التي لا تتبع منهجهم الضيق في التبديع والتجريح، حتى لو اضطروا إلى الكذب والتدليس.

الرد على قوله : (عقيدة وحدة الوجود لدى الجماعة) .

ومن ذلك أيضا تخريف هذا المخرف بقوله : (وهناك ما يوضح لنا عقيدة وحدة الوجود لدى هذه الجماعة وإليك بعض أقوال محمد زكريا الكاندهلوي) فانظر كيف يهزى الجهول بمثل هذا الكلام فينسب جماعة بها ملايين المسلمين الموحدين إلى الفعل الكفري وهو وحدة الوجود من غير استثناء ، ولمجرد وهمه فى فهم قول للشيخ زكريا أو رغبته فى فهمه على هذا النحو ينسب هذا الفهم السقيم إلى عموم أتباع الجماعة !! اللهم إنا نعوذ بك من هذا الجهل العظيم .

وعلى فرض صحة فهم الجهول – وهو محال – هل يلزم بأن يكون كل أتباع التبليغ معتقدين لوحدة الوجود لمجرد أن الشيخ زكريا يعتقده ؟! بالطبع والعقل والشرع لا يلزم ذلك !

فإن قال الغر الأثيم : (أنا لم أقصد كل أفراد الجماعة وإنما قصدت بعضهم) قلنا وأين هو استثناؤك فى الكلام ! وأنت نسبت هذه العقيدة إلى الجماعة المعرفة بالألف واللام ! وهذا يشمل كل من فيها ؟!

وأما قوله : (وأما صفات الذكر فذكر له عدة صفات من خلالها تعرف أن الرجل غارق في التصوف) فهذا وإن ثبت عن الشيخ زكريا فهو خطؤه هو ! ما دخل جماعة بملايين الأتباع بهذا الذكر الذي ذكرته ؟! لا رابط بين أفراد تلك الدعوة وبين الشيخ وإن كان الشيخ محببا لقلوبهم ومقدما فى نفوسهم أيضا لا يلزم منه أن يتبعوه أو يعتقدوا عقيدته أو ينتهجوا سلوكه !

ومن ذلك الجهل العظيم أيضا نسبته عقيدة وحدة والوجود للشيخ زكريا الكاندهلوي بثقة وكأنه يقرأ نصا صريحا واضحا لا خفاء فى فهمه فيقول الجهول : (وهناك ما يوضح لنا عقيدة وحدة الوجود لدى هذه الجماعة وإليك بعض أقوال محمد زكريا الكاندهلوي:

قال ليعلم أن السر في تجاوز العبد عن حده هو أن الله خلقه على صورته ومن المعلوم أن الله يوصف بصفاته الجلالية مثل الكبرياء والحياة والعزة والعظمة والمجد والجلال فسرت هذه الأوصاف في صورته [أم الأمراض ص 7].

وقال: إن الله سبحانه هو منبع الجمال كله حقيقة **ولا جمال في الدنيا حقيقة إلا جماله**) فهل يفهم من قول الشيخ زكريا أن الله هو الانسان وأن الانسان هو الله ؟! وهل يفهم من كلام الشيخ زكريا أن الله هو العبد وأن العبد هو الله ؟! وهل يفهم من كلام الشيخ زكريا أن الرب هو الشجر وأن الشجر هو الرب ؟! نعوذ بالله من هذا الضلال !!

ثم انظر كيف يختم الجهول كلامه بالتكفير العلني لرجل ألف تكفيره مع أنه توقف فى إطلاق هذا القول على الشيخ زكريا لأنه يعلم من قرارة نفسه أنه يراوغ ويدس السم فى العسل ويستنبط استنباطات لا يبنى عليها حكم ولا يعتمد عليها فى تكفير ، فيصرح هنا بما يلمح إليه طويلا فيقول : (أقول تأمل أيها المسلم إلى هذا الانحراف وإلى هذه العقيدة الزائغة الضالة المضلة أنه يعتقد أن الله حال في كل شيء) وهذا كذب لم يقل به الشيخ زكريا مطلقا والكلام مذكور أعلاه فتأمله لتعلم كذب الكذوب ، ثم يقول (وأن الجمال الموجود في الرجال أو النساء أو غير ذلك أنه في الحقيقة هو الله) وهذا أيضا كذب لم يقل به الشيخ زكريا ، بل قال إن حقيقة الجمال هو الله وهذا لا يمنع أن يكون للخلق قسط من الجمال ولكنه ليس حقيقة الجمال وهذا كلام يفهمه كل العرب فما بال هذا العربي جهولا لا يفهم صريح العبارة ، ثم يقول (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً إن هذه العقيدة هي عقيدة الكافر ابن عربي القائل:

الرب عبد والعبد رب يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك حق أو قلت رب أنى يكـلف) أقول تعالى الله عما تقول أنت فالناس علوا كبيرا ! ، لماذا صرحت هنا بأن هذه العقيدة هي عقيدة الكافر بن عربي ؟! ولماذا لم تصرح بأن عقيدة الكافر زكريا الكاندهلوي هي عقيدة الكافر بن عربي ؟!؟ أم هي أصول المراوغة والتلاعب بديانات الناس ! نعوذ بالله من تكفيركم لمن لا يستحق التكفير .

تفنيد مزاعم أبي همام بتمييز المنهج الجماعي من خلال آراء الأفراد في جماعة التبليغ :

إن مواصلة أبي همام ومحاولاته الحثيثة لربط جماعة التبليغ بالغلاة من الصوفية وعقائدها الشاذة، مركزًا هذه المرة على نقولات منسوبة للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، أحد كبار مشايخ التبليغ. مستشهدا باقتباسات حول طرق الذكر، وتفسير بعض الآيات، وصفات الذكر المبتدعة، وبعض الأقوال التي يرى أنها تدل على عقيدة وحدة الوجود أو الحلول. ثم يقفز أبو همام إلى استنتاج أن هذه الأقوال تعكس عقيدة جماعة التبليغ ككل، وأنها عقيدة زائغة وضالة. منهج سقيم في الاستدلال ، يعاني من مغالطات منهجية واضحة، ويفتقر إلى الدقة والإنصاف:

1. المغالطة في تعميم أقوال الأفراد على المنهج العام للجماعة:

إن الخطأ الأكبر الذي يقع فيه أبو همام وغيره من غلاة التبديع هو التعميم والخلط بين آراء عالم أو شيخ معين ومنهج جماعة دعوية بأكملها. فالشيخ محمد زكريا الكاندهلوي من كبار العلماء الذين أثروا في جماعة التبليغ بكتاباته، خاصة في فضائل الأعمال و حياة الصحابة . ومع ذلك، فإن كونه شخصية مؤثرة لا يعني أن كل كلمة أو رأي أو تفسير أو طريقة ذكر وردت في كتبه تعتبر بالضرورة عقيدة ملزمة أو منهج أصيل لكل فرد من أفراد جماعة التبليغ، أو أنها تمثل الأصول المؤسسة للجماعة.

ولابد من فهم الأصول المؤسسة مقابل اجتهادات الأفراد: فجماعة التبليغ لها أصولها الستة المعروفة التي اقترحها الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي للكلام حولها في الجولات الدعوية . وهذه الأصول هي المرجعية الأساسية لمناهجهم الدعوية . بينما الكتب والمؤلفات التي كتبها العلماء، حتى وإن كانوا مرتبطين بالجماعة، تُعتبر اجتهادات شخصية أو شرحًا وتفصيلًا لبعض المسائل، وليست نصوصًا تأسيسية تلزم كل فرد من أفراد الجماعة بنفس الدرجة. فكثير من أتباع الجماعة قد لا يكون لديهم اطلاع تفصيلي على كل ما كتبه الشيخ زكريا الكاندهلوي، وقد لا يوافقون على كل رأي ورد فيها.

وكذلك لابد من الثقة بأن التأثر لا يعني التبني الكامل: فقد يتأثر بعض أفراد الجماعة في الهند والباكستان ببعض الجوانب الصوفية الموجودة لدى بعض مشايخهم، أو ببعض طرق الذكر الخاصة بخلاف الدعاة العرب عامة . ولكن هذا التأثير لا يرقى أبدا إلى مستوى تبني عقيدة الحلول أو وحدة الوجود بشكل جماعي ومنهجي ولا حتى بشكل فردي بين فئات من الدعاة

. فلا تُعلم الجماعة عقائد كهذه في أصولها أو في بياناتها الرسمية، ولا تُعد من أساسيات دعوتها. بل إن الأصل الأول والأهم في دعوتهم هو الكلمة الطيبة أي الإيمان بالتوحيد الخالص.

2. التدليس في تأويل النصوص والقفز إلى الاستنتاجات:

لا يكتفي أبو همام كشيخه النجمي عفا الله عنه بالتعميم غير المنصف عند حديثه عن جماعة التبليغ، بل يتجاوز ذلك إلى التدليس في تأويل النصوص والقفز إلى استنتاجات خاطئة تمامًا. فهو يأخذ عبارات منسوبة لبعض العلماء، ويقوم بتحميلها معانٍ لا تحتملها، أو يُخرجها من سياقها، أو يتجاهل التأويلات الشرعية الصحيحة لها، وذلك بهدف واحد: إلصاق تهمة وحدة الوجود أو الحلول بجماعة التبليغ، وهي تهمة عظيمة تستوجب التدقيق الشديد قبل إطلاقها. لنفكك هذه المزاعم الواحدة تلو الأخرى ونبين وجه الخطأ فيها:

- قوله يتصور أن الله في كل مكان : هذا التعبير، على فرض صحة النقل ودلالته الظاهرية، قد يكون المراد به معية الله بالعلم والقدرة لا الذات . كثير من النصوص الشرعية قد تُفهم على وجهين، والإسراع في اتهام المسلم بالحلول أو وحدة الوجود لمجرد تعبير مبهم أو غير دقيق هو من منهج التسرع في التبديع. وعلماء أهل السنة والجماعة يفسرون معية الله بأنها معية علم وإحاطة وقدرة، لا معية ذات، والجماعة لا تخالف هذا الأصل العظيم.
- وصف الذكر و صقالة القلوب : أما وصف طرق الذكر ذات ضربة واحدة أو ضربتين ونحوها، فهي بالفعل من الطرق الصوفية. لكن وجود هذه الطرق في كتاب لشيخ مرتبط بالجماعة لا يعني أن كل فرد في الجماعة يمارسها، أو أنها منهج ملزم للجميع. فكل أفراد التبليغ حول العالم يذكرون الله بالأذكار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم دون هذه الكيفيات الخاصة. كما أن مجرد وجود طريقة ذكر صوفية لا يستلزم بالضرورة تبني عقيدة الحلول أو وحدة الوجود.
- ونص الله خلقه على صورته : هذا النص من أم الأمراض يحتاج إلى تدقيق في السياق والمراد، فحديث إن الله خلق آدم على صورته حديث صحيح، وله تأويلات معروفة عند أهل السنة لا توصل إلى وحدة الوجود أو الحلول. القفز مباشرة إلى اتهام بالعقيدة الكفرية بناءً على نص مبتور أو غير مشروح هو أمر لا يجوز.

- جمال الله في الدنيا : هذه العبارة لا تدل على وحدة الوجود إطلاقًا. فالجمال الموجود في الكون هو من خلق الله وتصويره، وهو دليل على جمال الخالق وقدرته، ولا يعني أن الخالق نفسه حالّ في هذا الجمال.
- ونخلص مما سبق إلى أن محاولة الكاتب ربط جماعة التبليغ بأكملها بكل قول أو اجتهاد لشيخ أو عالم من علمائها، حتى وإن كان لهذا الشيخ بعض الميول الصوفية، هو منهج خاطئ ومضلل. فلا يمكن أن نلزم جماعة بأكملها بمنهج شيخ واحد أو بآراء فردية لا تمثل الأصول الجامعة التي اجتمعت عليها الجماعة. إن المنهج الصحيح للحكم على أي جماعة هو النظر في أصولها المعلنة، وكتبها المعتمدة المتداولة بين أتباعها، والمنهج العام للدعوة الذي تُعرف به، لا تتبع الشواذ أو الأقوال التي قد تصدر من بعض الأفراد أو ترد في كتب ليست هي المرجع الأساسي للعقيدة لديهم. هذه المحاولات ليست إلا جزءًا من حملة مستمرة لتشويه صورة جماعة التبليغ وتنفير الناس منها، بعيدًا عن منهج الإنصاف والعدل.

كتب الشيخ زكريا الكاندهلوي ليست كتب التبليغ المعتمدة .

يُصرّ أبو همام على الربط القسري بين جماعة التبليغ وكل ما جاء في مؤلفات الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، محاولًا إلزام الجماعة بما قد يرى فيه مخالفات أو شطحات. وهذه محاولة لتشويه صورة الجماعة الدعوية وتصنيفها بناءً على آراء فردية، وهذا منهج غير علمي ولا منصف.

والحقيقة الواضحة هي أن كتب الشيخ زكريا الكاندهلوي، على جلالة قدره وعلمه، ليست هي كتب التبليغ بالمعنى الإلزامي المطلق الذي يُقصد به المنهج العقدي والدعوي الرسمي للجماعة. بل هي كتب عالم من علماء الأمة الكبار، فيها ما يُقبل وفيها ما يُرد، وكل ذلك يُقاس بالدليل الشرعي.

كتب الشيخ زكريا الكاندهلوي عطاء علمي وفقهي لا منهج إلزامي

الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي - رحمه الله - عالم فاضل وفقيه ومحدث كبير، له مؤلفات كثيرة ومتنوعة في الحديث والفقه والفضائل والسيرة، ومن أبرزها فضائل الأعمال و حياة الصحابة و أوجز المسالك إلى موطأ مالك . هذه الكتب تُعد من ذخائر المكتبة الإسلامية، وقد انتفع بها عدد لا يحصى من المسلمين، ومنهم أفراد جماعة التبليغ.

ولكن، كون أفراد جماعة التبليغ في الهند ينتفعون بهذه الكتب ويقرأونها، لا يعني أبدًا أنها تُشكل المنهج العقدي أو الفقهي الرسمي للجماعة في كل تفصيل وجزئية. بل هي تُقرأ كأي كتب علمية أخرى، يُؤخذ منها ما وافق الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، ويُترك ما خالفهما، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع مؤلفات العلماء كافة، ف كلٌ يُؤخذ من قوله ويُرد عليه إلا صاحب هذا القبر (قبر النبي صلى الله عليه وسلم).

فإن وُجد في بعض مؤلفات الشيخ زكريا الكاندهلوي - رحمه الله - بعض الأقوال أو الطرق التي قد تُنسب إلى التصوف الزائد أو التي تحتاج إلى تأويل أو توضيح، فهذا لا يُلزم به كل فرد من أفراد جماعة التبليغ. كما أن علماء الأمة الكبار، على مر العصور، قد يكون لهم اجتهادات أو آراء تخالف فيها بعض مسائل العقيدة أو المنهج الصحيح، وهذا لا يطعن في أصل علمهم وفضلهم، ولا يجعل كل من استفاد من كتبهم يُنسب إليه كل ما ورد فيها.

المعتمد من جماعة التبليغ أصولها لا آراء أفرادها.

إن المنهج الأساسي لجماعة التبليغ، والذي يُعتبر إلزاميًا لأفرادها في دعوتهم، هو الأصول الستة التي وضعها مؤسسها الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي. هذه الأصول هي التي تُشكّل الدستور الدعوي للجماعة، وتُركز على دعوة الناس إلى الإيمان الصحيح والعمل الصالح، وإحياء السنة، وإكرام المسلمين، وإخلاص النية، والدعوة إلى الله، والعلم والذكر.

هذه الأصول لا تتضمن أي عقائد صوفية شاذة أو طرق مبتدعة للذكر بالصورة التي يدعيها أبو همام. فإذا كان بعض أفراد الجماعة، أو حتى بعض مشايخهم، قد تأثروا ببعض الجوانب الصوفية أو طرق الذكر الخاصة، فإن هذا يُعد اجتهادًا شخصيًا أو تأثرًا فرديًا، ولا يُعمم على أنه عقيدة أو منهج الجماعة بأسرها.

إن محاولات أبي همام لفرض آراء الشيخ زكريا الكاندهلوي الشخصية على جماعة التبليغ ككل، وادعاء أنها تمثل عقيدة ملزمة لهم، هي محاولة بائسة لتشويه الحقيقة. فكتب الشيخ زكريا الكاندهلوي تُعد مؤلفات لعالم جليل، تُعامل كغيرها من كتب العلماء؛ يُقبل ما وافق الحق فيها بدليله، ويُرد ما خالفه. أما جماعة التبليغ، فلها أصولها الواضحة التي تدعو إلى التوحيد والسنة، ولا يجوز تحميلها ما لم تنص عليه أصولها أو لم يُجمع عليه أفرادها. هذا

التمييز ضروري للإنصاف في الحكم على الجماعات والأفراد، وعدم الوقوع في فخ التعميم والتجريح غير المبرر.

مغالطة الربط بين بلد المنشأ والمنهج الوسطي المعلن المتبع بين أفراد جماعة التبليغ

يتعمّد أبو همام - والنجمي عفا الله عنه وغيرهم من غلاة التبديع - ، في استدلالاته المتكررة، الخلط المتعمد بين آراء الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي الشخصية (أو ما يُنسب إليه من أقوال) وبين منهج جماعة التبليغ الأساسي، مُحاولًا إلزام الجماعة بأكملها بما قد يُعد اجتهادات فردية أو حتى شطحات لا يقرها منهج أهل السنة والجماعة.

يطرح المتسائل تساؤلات جوهرية تكشف هذا الخلط: ما دخل كل هذه النقولات بأهل التبليغ؟ هل قال بها أحد من كبار علماء التبليغ بصفتها منهجًا؟ هل نُقلت في بياناتهم الرسمية؟ هل تلفظ أحد كبار علماء التبليغ بالثناء عليها ودعا الناس إليها؟ وإذا لم يحدث أي من هذا، فلماذا الجزم بأن التبليغ يقولون بها لمجرد أن هذا الشيخ كان له علاقة بهم؟

هذه التساؤلات تُصيب كبد الحقيقة، وتُبرز المغالطة المنهجية التي يعتمد عليها أبو همام وغيره من غلاة التبديع في طعنهم على الجماعات الإسلامية:

1. التمييز بين الأفراد والمؤسسة:

فجماعة التبليغ، كأي جماعة دعوية واسعة الانتشار، تضم تحت لوائها عددًا كبيرًا من الأفراد، بمن فيهم علماء وطلاب علم وعوام. فمن الطبيعي أن يكون لهؤلاء الأفراد آراء واجتهادات شخصية في مسائل فقهية أو عقدية أو في طرق الذكر. لكن هذه الآراء الفردية لا تُمثل بالضرورة المنهج الرسمي أو العقيدة الملزمة للجماعة بأسرها. فالمنهج الذي تُلزَم به الجماعة هو ما يُنص عليه في أصولها الأساسية، وما يُعلَن في بياناتها الرسمية، وما يتفق عليه كبار مشايخها وعلمائها كمنهج عام للدعوة والتربية.

2. الأصول الستة هي المرجع الأساسي:

تُعرف جماعة التبليغ بأصولها الستة التي وضعها مؤسسها الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي. هذه الأصول هي بمثابة الدستور الداخلي للجماعة، وهي التي تُدرّس وتُطبق في حلقاتهم

ومجالسهم. هذه الأصول لا تتضمن أي إشارة إلى عقائد صوفية مثل الحلول أو وحدة الوجود، ولا تُقرّ طرقًا للذكر بهذه الكيفيات التفصيلية التي ذكرها أبو همام. بل إنها تُركز على التوحيد، وإقامة الصلاة، والعلم والذكر (بمعناه الشامل)، وإكرام المسلم، وتصحيح النية، والدعوة إلى الله.

3. غياب الإلزامية وتبني الموقف الرسمي:

لم يصرح أي من كبار علماء التبليغ المعاصرين ولا القدامى بأن هذه النقولات التي استدل بها أبو همام تُمثل منهج الجماعة الرسمي في العقيدة أو الذكر. ولم تُنشر هذه الأقوال في بيانات رسمية للجماعة تُلزم أفرادها بها. كما أنهم لم يدعوا الناس إليها أو يُثنوا عليها بشكل جماعي كمنهج مُتبع. الاستدلال بكون الشيخ زكريا الكاندهلوي من التبليغ لا يعني أن كل ما كتبه أو قاله يُصبح بالضرورة منهجًا للجماعة. فالعالم قد يُصيب وقد يُخطئ، وكتبه تُقرأ للنفع والاستفادة، وليس للإلزام بكل ما فيها.

4. منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الكتب والعلماء:

إن منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع كتب العلماء هو الأخذ بما وافق الدليل الشرعي وترك ما خالفه. كل يُؤخذ من قوله ويُرد عليه إلا صاحب هذا القبر (مُشيرًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم). لا يجوز إلزام أمة أو جماعة بأسرها بآراء فردية لعالم، مهما بلغت مكانته. إذا وُجدت بعض الأخطاء في كتاب عالم، فإن هذا يُناقش ويُبين بالدليل، ولا يُنسب الخطأ إلى الجماعة التي ينتمي إليها العالم ما لم تتبنَّ الجماعة ذلك الخطأ بشكل صريح ومنهجي.

فمحاولات غلاة التبديع لربط جماعة التبليغ بعقائد أو ممارسات لم تنص عليها أصول تلك الدعوة، ولم تُقرّها بياناتها، ولم يدعُ إليها كبار علمائها، هي محاولات تفتقر إلى الأمانة العلمية والإنصاف. وهي تهدف في جوهرها إلى تشويه صورة الجماعة وتنفير الناس منها، بعيدًا عن المنهج العلمي السليم في تقييم الدعوات والجماعات.

لماذا يتجنب غلاة التبديع النقل المباشر من بيانات جماعة التبليغ؟ :

يتضح جليًا مما سبق أن أبا همام وغيره من الغلاة في التبديع يتحاشون النقل المباشر عن مشايخ جماعة التبليغ، سواء من العرب أو العجم، من واقع البيانات والخطب التي يُلقونها يوميًا. هذا التجاهل ليس مصادفة، بل هو تكتيك متعمد ينبع من حقيقة بسيطة ومُحرجة لهم: لم يجدوا في تلك البيانات الرسمية والمباشرة ما يوافق هواهم في التبديع والتضليل.

إن جماعة التبليغ، بانتشارها الواسع وعملها الدعوي اليومي في شتى بقاع الأرض، لا تخفى أنشطتها ولا خطب مشايخها. يُلقي مشايخهم كلمات وبيانات ودروسًا بشكل منتظم في المساجد والتجمعات، وهي غالبًا ما تُسجّل وتُوثّق. لو كان في هذه الخطابات والبيانات الرسمية ما يدعم مزاعم التبديع بالصوفية المنحرفة، أو بعقائد الحلول ووحدة الوجود، أو بالتهاون في العقيدة، لكان هؤلاء الغلاة أول من سارع بنشرها وتضخيمها والاستدلال بها.

لكن ما يحدث هو العكس تمامًا. فبدلاً من النقل المباشر من خطب ومشايخ التبليغ المعاصرين، نجد أبا همام يلتجئ إلى:

1. نقولات قديمة عن علماء لا يعنون بتأصيل منهج الحركة الدعوية ومقتطعة: يعود الناقل إلى كتب قديمة للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي (الذي توفي عام 1982م)، وينتقي منها عبارات محددة، غالبًا ما تكون خارج سياقها، أو تحمل تأويلاً قد يختلف عن المعنى الذي يرمي إليه. هذا الاستقطاع والتجزيء يُساعده على بناء صورة مشوهة لا تعكس الحقيقة الكاملة.
2. التأويل المتعسف على صورة ذهنية مسبقة: فيُقدم تفسيرات وتأويلات غالية لتلك النقولات، تدفعها نحو المعاني التي يُريد إثباتها (كالحلول ووحدة الوجود والغلو في التصوف)، حتى وإن كانت تلك النصوص تحتمل تفسيرات أخرى تتوافق مع منهج أهل السنة والجماعة، أو كانت مجرد أخطاء فردية فهي لا تُمثل منهج الجماعة.
3. إهمال المنهج الرسمي المعتمد من الدعوة والبيانات المعاصرة: فيتجاهل الناقد تمامًا ما يُطرح يوميًا في مجالس التبليغ وبياناتهم الرسمية، والتي تُركز على الأصول الستة التي لا تتضمن شيئًا من هذه الشطحات العقدية. فالمشايخ في بياناتهم يدعون إلى التوحيد

الخالص، وإحياء السنة، وإقامة الصلاة، والذكر المشروع، ومكارم الأخلاق، وهذا ما يسمعه ويشاهده الآلاف يوميًا.

والسبب في هذا الاتجاه الذي يسلكه الغلاة في التبديع واضح لكل ذي عينين ، فلا يستطيع غلاة التبديع أن يجدوا في الخطاب التبليغي اليومي والمنهج المعلن ما يدعم اتهاماتهم. لو فعلوا ذلك، لانكشف تدليسهم أمام عامة الناس. فمن السهل اتهام جماعة كبيرة بالضلال من خلال اقتباسات قديمة ومقتطعة، ولكن من الصعب جدًا الحفاظ على هذا الادعاء عندما يكون الواقع اليومي للجماعة مخالفًا لذلك تمامًا. ولذلك يتحاشى أبو همام وغيره النقل من البيانات اليومية لمشايخ التبليغ العرب والعجم لأن ما يُقال فيها لا يُوافق هواهم التبديعي، ولا يدعم أجندتهم في إقصاء المخالفين وتصنيفهم. فالصدق والإنصاف يقتضيان الرجوع إلى المصادر المباشرة والمعاصرة للحكم على أي جماعة، وليس الاكتفاء بانتقاءات قديمة وتأويلات خاصة تخدم أهدافًا مسبقة.

الافتراء والتدليس من الشيخ تقي الدين الهلالي :

ثم يكمل الناقل كذباته وافتراءاته على الدعاة ويحاول خلق صورة ذهنية فى أذهان القراء حتى تنطبع فى عقولهم الباطنية فينقل عن الشيخ الهلالي قوله (**قال الشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله** : أتريد شطحات المتصوفة وكفرهم وأكاذيبهم كقول الحلاج ما في الجبة إلا الله وقول الزنديق ابن عربي الحاتمي .

الرب عبد والعبد رب **يا ليت شعري من المكلف** ..

وقول ابي زيد البسطامي: خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله .

وقول علي بن وفاء:

أنا من أهوى ومن أهوى أنـا **نحن روحان حللنا بدنـا**

وقول غيره:

أنا فيه أنت ونحن انت وأنت هو **والكل في هو هو فسل عمن وصل**

[السراج المنير ص 32 - 33].)

ولا يدري القائل والناقل عما يتكلمون ! فالشيخ الهلالي يخلط الأبواب بعضها ببعض ! ويسرد شطحات الصوفية المنكرة التى لا يقبلها عقل فضلا عن أن يقبلها طالب علم أو عالم سني !! ثم يسقطها على أفراد دعوة التبليغ لمجرد أن فيهم صوفية ! وهذا مسلك السلفية المعاصرة وهو شيطنة المسالك الإسلامية بكل سبيل ووسيلة حتى لا يكون لها حسنة واحدة

فى نفوس المسلمين فيردون كل عمل لهم ويشوهون كل خير يقومون به ويشبهونهم بأقبح المشبهات وأفظعها ويقارنون بينهم وبين كبار المبتدعة ويربطون بينهم وبين الغلاة حتى ينطبع فى أذهان العامة صورة سيئة تحركهم من الداخل ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وهنا نرد على الناقل والكاتب معا فنقول :

كلا يا شيخ نحن لا نريد شطحات المتصوفة ولا كفرهم بل نريد سنة محمد صلى الله عليه وسلم وتوحيده وعبادته وسلوكه ! ونحن نتبع النبي صلى الله عليه وسلم ولا نتبع غيره من المتصوفة ولا المتسلفة ! فأنت يا هلالي ومن ذكرت من المتصوفة الغلاة طرفي نقيض وكليكما للآخر خصم عنيد ! فأنتم تكفرون وتفسقون وتبدعون الناس وفى أحيان كثيرة لا يستحقون تكفيرا ولا تفيسقا ولا تبديعا !! وهم يغالون فى أمور ما أنزل الله بها من سلطان ! ونحن منهم ومنكم براء ونتبع ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوسطية وحكمة !

فلا نقول بحلول ولا اتحاد كما نقلت عن الحلاج : (ما في الجبة إلا الله) ولا كما نقلت عن بن عربي : (**الرب عبد والعبد رب**) ولا نقول بأي قول يشبه ذلك !! ، ولا ندري لماذا تدلس يا هلالي على الناس وترمي التهم عليهم مع أنه لا رابط بينهم وبين تلك الأقوال المنكرة والاعتقادات المنحرفة ؟! نعوذ بالله من مسلكك ومن مسالك من هم على شاكلتك .

حقيقة مدح الجزائري لعمل الدعوة وسوء إسقاط النجمي عفا الله عنه وأتباعه لكلامه :

وبعد نقله عن مشايخ جماعته وحزبه يظن الناقل أن كتب شيئا ذا بال وأقام الحجة على غيره فيقول منتفشا (أقول: على الشيخ أبي بكر الجزائري أن يراجع نفسه ويتقي الله عزوجل وليتأمل في أقوال الكاندهلوي – يقصد زكريا – فأنها حجة عليه والله المستعان.) ولا يدري الكاتب أن ما كتبه مردود عليه غير مسلم له فيه !

وردنا عليه أبلغ رد ، كيف وقد أنكرنا جل ما بنى عليه أحكامه ! وأوهامه ! ؟

ونقول له تريث يا صغير وتأدب ، وتعلم قبل أن تتكلم فما ثبت من قولك شيئ وكل ما كتبته كذب وتلفيق ، وتدليس على عباد الله ، ولا علاقة لنا بما تنقل من كفريات أو شطحات فنحن ولله الحمد والمنة على منهاج السنة ، ولا نعتقد ما يوحيه غليك الشيطان ، فخذ منا ما نقول ، وانقل عنا ما نتكلم ، ولا تفتر على خلق الله فـ‘ن لك موعدا لن تخلفه وستعاقب عن كل

كلمة قلتها فيهم ولن ينفعك يومها شيخك النجمي عفا الله عنه ولا غيره ، بل أنت والنجمي مسئولون عن تكفير ملايين المسلمين وتفيسق ملايين أخر ! فأعد للسؤال جوابا .

إن هذا الادعاء بأن الشيخ أبا بكر الجزائري رحمه الله يقول بقول الشيخ زكريا الكاندهلوي هو تخرص واضح وتدليس مرفوض، فالمعروف عن الشيخ الجزائري أنه من علماء أهل السنة والجماعة، وله كتب ومؤلفات تشهد بذلك، ولم يُعرف عنه أنه مدح الشيخ زكريا الكاندهلوي أو أثنى عليه في أي من مجالسه أو كتبه أو أشرطته، فكيف يُلزم ببيان موقفه من شخص لم يتعرض له أصلاً؟ إن هذا من التعسف في النقد والطعن في العلماء بغير دليل.

ثم إن الشيخ الجزائري، في إثنائه على جماعة التبليغ، كان يقصد العمل الدعوي الذي يقومون به، لا عقيدة أفرادهم أو أشخاصهم، فهو كان يرى أن جهودهم في الدعوة إلى الله، وإخراج الناس من الغفلة إلى الطاعة، ومن ترك الصلاة إلى إقامتها، ومن الانشغال بالدنيا إلى التوجه إلى الآخرة، هو عمل مبارك يستحق الإشادة. وهذا هو المنهج الذي مدحه الشيخ، وهو منهج لا خلاف فيه بين المسلمين، أما ما يُنسب إليه من تأييده لأشخاص بعينهم، فهذا تدليس وتخرص.

وإلى كل من يريد أن يعرف موقف الشيخ الجزائري من القضايا العقدية، فليعد إلى كتبه ومؤلفاته، وسيجد فيها الرد الشافي على كل هذه التخرصات، فكتبه مليئة ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة، وموقفه من الفرق المخالفة، فلا حاجة للرد على مثل هذه الادعاءات الباطلة، إن هذا النوع من النقد الذي يهدف إلى إسقاط العلماء والطعن فيهم، لا يُثمر إلا مزيدًا من الفرقة والشقاق، وهو يتنافى مع مبدأ الإنصاف الذي هو من صميم ديننا.

ازدواجية المعايير والتناقض في الحكم على الانتماءات :

من المفارقات العجيبة التى اعتدنا عليها من هؤلاء القوم الكيل بمكيالين فتراهم يحكمون على فعل أو قول صدر من خصومهم بأحكام فى غاية القسوة ويتكلمون عليها بكلام فى غاية الشناعة ويصفونها بأوصاف الوضاعة وفى نفس الوقت إذا صدر مثل هذا القول أو الفعل ممن هو على منهجهم أو طريقتهم أو فى جماعتهم أو من المحبين لهم تراهم يجدون له مخارج كثيرة ويعتذرون عنها باعتذارات واهية ، فيقول الكاتب أبو همام : (نسبة إلى السلف الصالح وهذا ليس من التحزب الممقوت قال السمعاني في كتابه الأنساب السلفي بفتح السين واللام وآخرها فاء هذه النسبة إلى السلف وانتحال مذهبهم.) تفهم من كلامه أن النسبة جائزة وهنا

يستدل بقول السمعاني فى كتابه الأنساب ، وهذا يبيح لهم النسبة إلى السلف لأنها نسبة إلى خير القرون ، وهنا من نسب نفسه إلى السلفي فنسبته ممدوحة مع أنه لا دليل عليها من الكتاب والسنة ولا من إجماع سلف الأمة !!! فقط ذكرها السمعاني فى كتابه الأنساب ! وهو ليس كتابا شرعيا بل لغويا !!

وهنا نقول فهل إذا نسبت نفسي إلى التبليغ أو المبليغ أو الدعوي تقبلون تلك النسبة وتستدلون عليها بمثل هذا النقل عن السمعاني قياسا ؟! أم تردونها وتقولون (لم يرد عليها دليل وهي من المبتدعات ولم تكن فى سلف الأمة ولا قرونها السابقة ؟!) بالطبع لن تقبلونها وستردونها ! وهذا ما ألفناه منكم وهو رد كل اجتهاد من المسلمين وقبول كل اجتهاد من الموالين لكم السائرين على دروبكم !!

والحق الذي يجب علينا وعليهم قبوله أن النسبة إلى أي صفة ممدوحة لا مانع منها شرعا ولا عقلا ! فمن نسب نفسه إلى سلفي أو إسلامي أو دعوي أو تبليغي أو خيري أو غير ذلك من الصفات أو الأفعال التي لها معاني سامة وأهداف مطلوبة شرعا لا بأس بها مطلقا ما دامت فى دائرة التسمية من غير اعتقاد شرعية فى النسبة ولا المسمي !

تكمن المفارقة هنا في التالي:

- مبرر الانتساب لأنفسهم :يعتبرون انتسابهم إلى السلفي أمرًا مشروعًا وممدوحًا، ويستدلون على ذلك بقول السمعاني في كتاب الأنساب . وهذا الكتاب، كما أشار المعترض، ليس كتابًا شرعيًا أصيلاً يُستدل منه على الأحكام الشرعية، بل هو كتاب لغوي متخصص في الأنساب والنسب. ومع ذلك، يرون في مجرد ذكر هذه النسبة فيه كافيًا لتبرير انتسابهم والثناء عليه.
- التشنيع على انتساب الآخرين :ففي المقابل، عندما تنتسب جماعات أخرى إلى أسماء معينة (مثل الإخوان المسلمين ، أو التبليغ ، أو حتى الصوفية ببعض معانيها)، فإن هؤلاء الغلاة يبدؤون في التشنيع والذم، ويعتبرون ذلك تحزبًا ممقوتًا ومبتدعًا، حتى لو كان الانتساب لا يعني الخروج عن الشرع أو التبديع. هم لا يقبلون أي اسم سوى السلفي الذي اختاروه لأنفسهم، حتى لو كانت دوافع الجماعات الأخرى للانتساب لا تتعارض مع أصول الدين.

هذا المنهج الانتقائي لا يختلف عن ما حذر منه كبار العلماء، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (232/6) في سياق حديثه عن النفاق: فإن المنافق يقول ما لا يعتقد، وهو ذو

وجهين ذو لسانين... والمنافق يصف نفسه بما لا يكون فيه ويذم غيره بما هو متصف به، ويذكر عيوب الناس ويدع عيوبه. وإن لم يكن هذا نفاقًا في كل الأحوال، فهو يشبهه في منهج التناقض وازدواجية المعايير.

كما أن الإمام الشاطبي في الموافقات أكد على أن الشريعة جاءت بتحقيق العدل والمساواة بين المكلفين في الأحكام، فإذا صدر الفعل من شخصين فالحكم عليهما واحد ما دامت الشروط والضوابط متماثلة. والميزان الواحد هو ميزان الشرع.

وقد حذر الإمام الذهبي وغيره من أهل العلم من آفة التعصب التي تجعل المرء يرى عيوب غيره ولا يرى عيوب نفسه أو عيوب من يحب، وتجعله يتساهل في حق من يحب ويتشدد في حق من يكره.

تكفير غلاة التبديع لجموع أتباع أهل التبليغ في العالم بلا استثناء:

وغير خاف على ذي بصيرة ما انتشر فى القرن السالف من موجة التكفير العاتية والتي رفع رايتها دعاة السلفية المعاصرة – ولا أعني السلفية كلها بل أعنى المعاصرة أو السلفية السعودية – وساعدهم فى ذلك تمويل حكام الجزيرة العربية لإرساء قواعد حكمهم بأي طريقة متاحة تفرض سطوتهم وتجعل لهم كيان ذا صفة مختلف عن كيانات المنطقة ، فخرج من رحم تلك العلاقة سلفية لها جذور حميدة ولكنها أنبتت نبتة سوء قامت بتكفير كل من له أدني علاقة بمشبوه ! ومن ذلك قول الشيخ النجمي عفا الله عنه وهو يصف حال جماعة التبليغ معبرا عن ملايين المسلمين المنتمين لدعوة التبليغ فى العالم: (القبورية الخرافية الديوبندية المشركة) ويكفيك أن تقف عند هذه الكلمة عقدا تتفكر فيها !

فقوله الخرافية كلمة مطاطة !! وغير صريحة فى الضلال والانحراف ! مع أنها كلمة سيئة للغاية لا يجوز أن يوصف بها إلا أهل الضلال والفسوق لا أهل العلم والإيمان والدعوة !! فهذه الكلمة مع فظاعتها وشناعتها لن نتعرض إليها .

وكلمة الديوبندية نسبة إلى ديوبند الهند ! وهي جامعة إسلامية علمية عريقة حفظت دين الله تعالى فى شبه القارة الهندية لفترة زمنية طويلة ، وتخرج منها جهابذة علماء الإسلام لا ينكر ذلك إلا المتسلفة !! فهي كلمة عربية يفهم منها النسبة إلى مدرسة علمية ! ولكن الشيخ عفا الله عنه ينقلها هنا على سبيل الذم لا المدح ولا النسبة !! لأنه ترسخ فى ذهنه وفى أذهان

تلامذته ومريديه أن هذه المدرسة مدرسة منحرفة ضالة تنشر الكفر والبدعة !! وعلى كل لن نتطرق إلى تفصيل الرد على ذلك لأنها كلمة مطاطة أيضا وغير صريحة فى الذم والقدح هنا ! مع أن القدح قد فهم بمجرد قول النجمي عفا الله عنه !

ولكننا سنقف هنا مع كلمته الصريحة المانعة الجامعة وهي (القبورية المشركة) !!

فدعوة التبليغ ومن فيها في نظر النجمي عفا الله عنه وجماعته السلفية قبورية مشركة !! من غير استثناء فرد فى المشرق أو المغرب !! ومن غير ضابط واحد لهذا الشرك ! فإذا سمعت هذا القول الشنيع من النجمي عفا الله عنه فماذا عسى أن تسمع ممن هو دونه ! وكل الأتباع ينظرون إليه على أنه مفتى جنوب المملكة الذي لا يبارى !

فإذا قال النجمي عفا الله عنه هذا القول بكل يسر وسهولة فهل تنتظر منه عذرا عن شناعة اللفظ أو اعتذار عن مضمونه أو لازمه ؟!

هو يصرح بأن دعوة وجماعة التبليغ قبورية مشركة !! ومعناه أن كل منتم لهذا المنهج أو تلك الجماعة قبوري مشرك !! وهذا ليس صعبا على أي عاقل فهمه بل هذا هو صريح لفظه وظاهره ، والشيخ يعقل ما يقول ويدري مضمونه ولازمه !! فهو الرجل الذي يعرف دلالات الألفاظ من التضمن والالتزام ! وهو الذي يعرف التكفير وموانعه ! ويعرف أيضا الاستثناء فى الكلام !! فإذا لم يفعل دل ذلك علي أنه يقصد ما يقول !!

فلا يقبل من متسلف متعجرف بارد الدم أن يقول (إن الشيخ لا يقصد عموم جماعة التبليغ) لأن بارد الدم هذا لا يحترم الشيخ ولا علمه ولا معرفته ويحاول الهرب من مزلق وقع فيه الشيخ بأي طريقة فيقول إنه كان يقصد الاستثناء !! ولكنه لم يقل !!! فسبحان الله على عقول امتلأت ظلمة وقلوب امتلأت سواد وحقدا .

ومن هنا نزداد ثقة بأن منبع التكفير فى العصر الحديث هم أتباع هذه الدعوة الممولة من حكام دولة سعود لمآرب سياسية ، ولعل هذه المرحلة قد آذنت بالأفول ، وبدأ يخرج من هؤلاء الساسة قوم يبتغون تنحية هذه اللحى ويريدون وجوها جديدة بخطاب أقل حدة وأكثر مرونة ، وستبدي الأيام القادمة عجائب فى هذا المنهج الذي يحرك الساسة قادته ورموزه .

فإن قال قائل : (ولعل الشيخ لا يقصد تكفيرهم بالعموم والجملة ، بل يتكلم على بعضهم) نقول ولماذا لم يستثني الشيخ حينما يقول وهو الذي يطالب غيره بالتدقيق والتحقيق ! إذن هو غير محقق ولا مدقق بل يهرف بالعموم ويقصد به الخصوص وهذه أيضا مذمة للشيخ ، ثم إن قولكم مردود لأن فهم الشيخ – التكفير الصريح لعمومهم – وصل لتلميذه الذي يعلق على

رسالته ، وبدأ التلميذ النجيب فى نظر شيخه بالتدليل على كل كلمة قالها شيخه ، فسرد نقولا عن بعض أفراد من بلاد الهند ومن مدرسة ديوبند يستدل بهذه النقول على شركهم وقبوريتهم !!! وهذا يثبت أن الشيخ كان يقصد تكفيرهم حينما رمى تلك الكلمة ! وأن تلميذه فهم مقصوده جيدا !! وأن الشيخ حينما قرظ لتلميذه تعقبه علم أن تلميذه فهم مقصوده وشرحه على مراده !! وهنا لا يجوز الاعتذار عن تكفير النجمي عفا الله عنه وجماعته لعموم التبليغ فى العالم !! نعوذ بالله من مسلكه الضال وطريقة الغالية .

انتصار الصومعي لتكفير النجمي عفا الله عنه لجميع أهل التبليغ :

قال الصومعي معلقا على قول النجمي عفا الله عنه: ((القبورية الخرافية الديوبندية المشركة)) : (((وهذا امر لا يستطيع احد أن ينكره ابداً ولذلك قال سيف الرحمن بن احمد الدهلوي ان أكابر التبليغ يرابطون على القبور وينتظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور ويقرون بمسألة حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة الأولياء حياة دنيوية لا برزخية مثلما يقر القبوريون بنفس المعنى {نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية ص 7 } .)

إنّ النقد الموجه لجماعة التبليغ من قبل بعض التيارات، كما في كلام الصومعي والنجمي، غالباً ما يتسم بحدة التبديع والإطلاق، وهو ما يفتح باباً واسعاً للمناقشة العلمية والمنطقية.

أولاً: دعوى عدم القدرة على الإنكار رجم بالغيب :

حين يقول القائل هذا أمر لا يستطيع أحد أن ينكره ، فهو يمارس نوعاً من المصادرة على المطلوب . من الناحية المنطقية، إنكار الشيء فرع عن تصوره أو مشاهدته، وبما أن الملايين من المنتسبين لهذه الجماعة لم يشاهدوا تلك الممارسات (القبورية الشركية) في بيئاتهم، فإن ادعاء الاستحالة هو حكم شمولي يفتقر للدقة. إنه نوع من الرجم بالغيب لأنه يفترض المعرفة المطلقة بما يدور في خلد وواقع ملايين البشر في أزمنة وأمكنة متفاوتة، وهو ادعاء ترفضه القواعد العلمية التي توجب التثبت قبل التعميم.

إنّ الإمعان في قول الصومعي وهذا أمر لا يستطيع أحد أن ينكره أبداً يكشف عن مأزق منطقي ومنهجي يقع فيه من يعتمد أسلوب التبديع بالإقصاء . إليك التوسيع المستفيض على هذه النقطة في سياق متصل:

إنّ هذه العبارة الجازمة (لا يستطيع أحد أن ينكره) ليست مجرد وصف لحال، بل هي محاولة لمصادرة حق الآخر في التعبير عن واقعه، وهي سجن فكري يحاول الناقد من خلاله إغلاق باب النقاش قبل أن يبدأ. ومن هنا، فإنّ ردنا الصريح بالإنكار هو في حد ذاته هدم للمقدمة المنطقية التي بنى عليها الصومعي حكمه؛ فبمجرد أن يرتفع صوت ملايين المنتسبين لهذه الجماعة بالقول: نحن ننكر هذا، ولا نعرفه، ولا نتدينه ، تسقط دعوى الاستحالة وتتحول من حقيقة مزعومة إلى مجرد ادعاء يفتقر للبينة.

إنّ قدرتنا على الإنكار عليكم، وفعلنا ذلك فعلياً، هو رد صريح وإفحام مباشر يبين تهافت المنهج الذي يتبعه هؤلاء؛ فهم يدّعون الإجماع على تهمة لم تثبت، ويزعمون القطع في مسائل هي محل نزاع وتكذيب من أصحاب الشأن أنفسهم. هذا الإنكار الذي نمارسه ليس مجرد دفاع عاطفي، بل هو كشف لزيف هذا المنهج الذي يعتمد على تنميط الخصم وشيطنته عبر إلصاق تهم خرافية به ثم الادعاء بأنها أوضح من شمس النهار ، في حين أن واقع الحال والشهادات المتواترة من آلاف المساجد والمراكز الدعوية في العالم تنفي هذه القبورية جملة وتفصيلاً.

ثم إنّ وقوفنا في وجه هذه الافتراءات بالإنكار القاطع يُعد تعرية لأسلوب الرجم بالغيب الذي يمارسه الصومعي؛ فكيف يجرؤ على سلب ملايين المسلمين حقهم في نفي التهمة عن أنفسهم؟ إنّ هذا التعالي في الحكم يكشف أن القوم لا يبحثون عن الحقيقة، بل يبحثون عن مسوغات للتبديع حتى لو اضطروا لفرض الاستحالة على الإنكار. لذا، فإن إنكارنا هو السهم الذي يمزق غطاء الصدقية الذي يحاولون إضفاءه على آرائهم، ويثبت للناس أن منهجهم يقوم على بناء أحكام قطعية فوق رمال متحركة من الأوهام والافتراءات .

ثانياً: غياب المشاهدة والأثر في الخطاب العام :

هنا تكمن المفارقة؛ فجماعة التبليغ تعتمد في نشاطها على البيانات (المواعظ العامة) واللقاءات المفتوحة. فلو كانت القبورية و انتظار الكشوفات ركناً أصيلاً في منهجهم، لظهر ذلك جلياً في أدبياتهم الشفهية التي يسمعها القاصي والداني. إن خلو خطاباتهم في المساجد والمؤتمرات العالمية من هذه المسائل العقدية المعقدة (مثل الحياة الدنيوية للأنبياء بعد وفاتهم) يعد دليلاً قوياً على أن هذه القضايا ليست من صلب المنهج الدعوي الذي يتحركون به، بل هي إما ممارسات فردية أو تهم معلبة تُسقط عليهم من خارج سياقهم.

إنّ ما يغفله هؤلاء المنتقدون هو أن جماعة التبليغ ليست منظمة سرية تعمل في أقبية مظلمة أو تحت الأرض، بل هي أكثر الحركات الإسلامية شفافية وبروزاً في الفضاء العام. فهي تعتمد بالدرجة الأولى على البيان الذي يُلقى في المساجد أمام عامة المسلمين بشتى

توجهاتهم، وعلى الجولات التي تطرق أبواب الناس علانية. وهنا يبرز التساؤل الجوهري الذي يفحم كل أفّاك :

أين هو أثر هذه القبورية في آلاف البيانات اليومية؟ لو كانت المرابطة على القبور و انتظار الكشوفات و الفيوضات الروحية من الأموات ركناً أصيلاً أو حتى فرعياً في منهجهم، لكان من المستحيل منطقياً وعملياً أن تخلو منها خطاباتهم العامة التي يسمعها الملايين يومياً في أصقاع الأرض.

إنّ المتحدث في جماعة التبليغ يركز بصورة نمطية ثابتة على عظمة الخالق ، و اليقين على الله ، و اتباع السنة ، و أهمية الصلاة ؛ وهي مفردات تضاد تماماً منهج القبورية الذي يزعمونه. فكيف يستقيم في عقل عاقل أن تكون جماعة مشركة و خرافية وهي تقضي جل وقتها في دعوة الناس لترك التعلق بالمخلوق والتعلق بالخالق وحده؟

إنّ خلو هذه الخطابات في المساجد والمؤتمرات العالمية (الاجتماعات) من هذه المسائل العقدية الفلسفية (كالحياة الدنيوية للأنبياء) ليس مجرد تقية كما يحلو لبعض الغلاة تصويره، بل هو دليل قطعي على أن هذه المسائل ليست جزءاً من هويتها الدعوية. إنّ التبليغ منهج حركي تبسيطي، يبتعد عن التعقيدات العقدية التي تفرق ولا تجمع، فمن أين لهؤلاء القدرة على الجزم بأن الجماعة تقر بهذه الخرافات وهي لا تذكرها في أدبياتها ولا تدرسها لأتباعها؟

إنّ هذا الإصرار على إلصاق تهم معلبة هو في الحقيقة نوع من الإسقاط الفكري؛ فبدلاً من أن يحكموا على الجماعة من واقع أفعالها وأقوالها المشاهدة، ذهبوا ينبشون في كتب تاريخية أو ممارسات فردية لبعض الأكابر في بيئات معينة، ثم عمموا ذلك بظلم صراح على الملايين. وهذا يثبت أن منهج الصومعي وشيخه لا يقوم على التحقيق بل على التصيد ، وهو ما يجعل ردهم باطلاً شرعاً وعقلاً؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره الحقيقي، وليس عن التصور المشوه الذي رسمته أوهام الخصوم.

بناءً على ذلك، فإنّ سكوت ملايين التبليغيين عن هذه المسائل، وعدم ممارستهم لها، بل وإنكارهم لها عند سماعها، هو الرد العملي الذي يخرس كل لسان يدعي الإجماع على انحرافهم. إنّ منهجكم في التبديع يا هؤلاء هو الذي يحتاج إلى تصحيح ، لأنكم تعادون صورة ذهنية صنعتموها بأيديكم، ولا صلة لها بالبشر الذين يملؤون المساجد طاعةً وذكراً.

ثالثاً: معضلة الحكم عن غير تصور ولا مخالطة ولا معرفة تامة :

كيف لمن يعيش خارج المنظومة ولم يخالط أفرادها في خروجهم وتفاصيل عبادتهم أن يجزم بحقائق يجهلها من قضى عمره داخلها؟ هذا التساؤل يضرب في مصداقية المنهجية النقدية للصومعي وشيخه. فالأصل في الحكم على الجماعات هو المعايشة أو الاستناد إلى نصوص

قطعية في مناهجهم المعتمدة، أما الاعتماد على نقل الناقل دون تمحيص، فيجعل الناقد يقع في فخ الأحكام الانطباعية التي تفتقر للأمانة العلمية.
إنّ ما يمارسه الصومعي وشيخه النجمي، ومن يسير على دربهم من التيارات التي تبالغ في التبديع ، يمثل انحداراً في أدوات النقد العلمي؛ فمن المعلوم شرعاً وعقلاً أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، وتصور الحركات الدعوية الجماهيرية كجماعة التبليغ لا يمكن أن يتم عبر قراءة وريقات لخصم حاقد أو ناقد موتور، بل يتم عبر المعايشة و المخالطة وسبر أغوار المنهج في ميدانه العملي.
الانفصال عن الميدان: كيف يجرؤ ناقد يقبع في مكتبه، ولم يخرج يوماً في سبيل الله مع هؤلاء القوم، ولم يشاركهم مبيتهم في المساجد، ولا طعامهم، ولا حلقات ذكرهم وبياناتهم، أن يجزم بوجود قبورية شركية ؟ إنّ هذا الجزم هو تجاوز للحدود العلمية، وافتراض للملقن في عقل المتلقي. الملايين الذين قضوا أعمارهم داخل هذه الجماعة، في مختلف القارات، ينفون هذه التهم جملة وتفصيلاً، فهل يُعقل أن يكون الغريب أعلم ببيت القوم من أهله ؟
آفة نقل الناقل عن غير ثقة : المأساة الحقيقية في منهج هؤلاء هي اعتمادهم على سلسلة منقطعة من المعلومات؛ فهم ينقلون عن أفراد ليسوا من التبليغ أصلاً، أو عن منشقين يحملون خصومة شخصية، أو عن كتب تتحدث عن بيئات ديوبندية خاصة في الهند قبل مائة عام، ثم يسحبون هذه الأحكام بتعسف ظاهر على واقع الجماعة اليوم في مشارق الأرض ومغاربها. هذا ليس نَقداً ، بل هو نَقْلٌ للاشتباه، وتكريس للوهم.
تزييف الوعي بالتبديع: إنّ السلفية العصرية الغالية حين تتبنى هذا الأسلوب، فهي تمارس نوعاً من الإرهاب الفكري على أتباعها؛ حيث تصور لهم التبليغ كبعبع مخيف يفيض بالشركيات، لكي تمنعهم من مجرد المخالطة التي قد تكشف لهم زيف هذه الادعاءات. إنهم يخشون أن يرى أتباعهم واقع الجماعة البسيط، والزاهد، والمتمسك بأصول العبادة، لأن ذلك سيفضح الأحكام الانطباعية التي بنوا عليها صروحهم النقدية.

الافتقار للأمانة العلمية: إنّ الجزم بحقائق يجهلها أهل الشأن أنفسهم هو قمة الافتراء ؛ فإذا كان التبليغي لا يجد في نفسه ولا في شيخه ولا في بيانه أي ذكر للقبورية أو الكشوفات، فمن أين أتى الصومعي بهذه الحقائق القطعية ؟ إنها ليست إلا أصداء لخصومات منهجية قديمة يتم تدويرها وتسويقها كحقائق معاصرة، مما يضرب مصداقية منهجهم النقدي في مقتل، ويجعلهم أبعد الناس عن معرفة حقيقة ما يجري داخل أروقة هذه الدعوة.
إنّ ردنا هنا ليس مجرد دفاع، بل هو تعرية لهذا المسلك الذي يفتقد للورع العلمي؛ فمن لم يخالط لا يحق له أن يحاكم، ومن لم يعايش لا يملك حق التعميم. وإنّ إصراركم على التبديع

بناءً على السماع من غير ثقة هو إفلاس حقيقي، وكشف لزييف منهجكم الذي يقدم سوء الظن على بينة الواقع .

رابعاً: الاستشهاد بسيف الرحمن وهو الخصم اللدود :

الاستناد إلى كتاب نظرة عابرة اعتبارية لسيف الرحمن الدهلوي لا يعد دليلاً دامغاً بحد ذاته. في البحث العلمي، كلام الخصم أو حتى المنشق عن الجماعة يحتاج إلى قرائن تؤيده من واقع الجماعة الحالي وعموم ممارساتها. إن إلقاء التهم بالمرابطة على القبور دون تقديم صور، أو وثائق، أو شهادات متواترة من أقطار مختلفة، يجعل من كلام سيف الرحمن مجرد دعوى تفتقر إلى البينة، والبينة على مَن ادعى.

حين تعجز السلفية الغالية في التبديع عن إيجاد طوام ملموسة في واقع ملايين التبليغيين الذين يملؤون المساجد زكاةً وصلاةً، فإنها تلجأ إلى تدوير بضاعة مزجاة من كتب الخصوم المنشقين. إنّ الاستناد إلى كتاب نظرة عابرة اعتبارية كدليل قطعي هو سقوط لمنهجية التثبت الشرعي، وذلك من عدة وجوه:

شهادة الخصم مجروحة شرعاً: من القواعد المقررة في القضاء والبحث العلمي أن كلام الأقران يُطوى ولا يُروى إذا قام على الخصومة، فكيف إذا كان الناقل خصماً لدوداً كرس حياته للهجوم على الجماعة؟ إنّ اتخاذ كلام سيف الرحمن كـ حقائق منزلة لا تقبل النقاش هو ضرب من الهوى، فالأصل أن يُطالب الناقل ببينة مستقلة لا بحكاية رواها ناقم.

غياب القرائن المعززة : في عالم اليوم، حيث الكاميرات والتوثيق في كل مكان، كيف يجرؤ الصومعي على ترديد فرية المرابطة على القبور دون أن يخرج لنا بصورة واحدة، أو مقطع فيديو، أو وثيقة رسمية من مركز نظام الدين أو رانديوند تأمر الناس بهذا الشرك؟ إنّ الاكتفاء بكلام سيف الرحمن هو عجز عن الإثبات وتغطية على غياب الدليل المادي بضجيج الادعاءات الإنشائية.

تجهيل الأتباع بالنقل عمن لا يعرفون: كما تفضلت بذكرك عقمت أرحامهم ، فإن هذا المسلك يكشف أن هؤلاء الغلاة لا يعرفون حقيقة التبليغ من الداخل، بل يقرؤون عنه في كتب الأعداء ثم يعيدون تصدير تلك السموم لأتباعهم على أنها علم غزير . إنهم ينقلون عمن لا يعرفون، ليضللوا من لا يعلمون، وهذا هو التدليس بعينه.

معضلة التعميم الظالم : حتى لو افترضنا جدلاً أن سيف الرحمن رصد ممارسة خاطئة لشخص ما في زاوية ما من الهند قبل عقود، هل من الأمانة العلمية أو العدل الرباني أن تُسحب هذه التهمة على ملايين المسلمين في أفريقيا، وأوروبا، والعالم العربي؟ إنّ هذا التعميم هو سلاح العاجز الذي لا يملك القدرة على نقد المنهج الحالي فيلجأ لشيطنة التاريخ المنسي .

إنّ ارتماء الصومعي في أحضان كتابات الدهلوي وأمثاله هو إقرار ضمني بأن واقع جماعة التبليغ اليوم نظيف من هذه الشركيات، وإلا لكان استخرج لنا من بياناتهم المعاصرة ما يغنيه عن كتب عفا عليها الزمن. إنّ هذا المنهج في التبديع لا يبني حقاً، بل يراكم أوهاماً، ويؤكد أن هؤلاء القوم يعيشون في فقاعة فكرية بعيدة كل البعد عن إنصاف المسلمين.

خامساً: الخلط المنهجي والغلو في التبديع :

وهذه النقطة تلامس جوهر الخلاف؛ حيث يتم التعامل مع جماعة التبليغ ككتلة صماء واحدة ، مع إغفال التنوع الجغرافي والفكري داخلها. فالغلو في التبديع يدفع صاحبه لرمي العوام من المنتسبين للجماعة بتبعات آراء خاصة قد توجد عند بعض المشايخ في بيئات صوفية معينة (كالهند أو باكستان)، وهذا تدليس على الناس؛ لأنه يوهمهم بأن تبليغيّاً في المغرب أو السعودية يعتقد بالضرورة ما قد يعتقده ديوبندي متطرف في أقصى الشرق، وهو خلط شنيع.

إنّ أكبر سقطات الصومعي وشيخه النجمي تكمن في نظرتهما الضيقّة التي تختزل ملايين البشر في قالب فكري واحد ، متجاهلين بديهيات التدافع الجغرافي والثقافي. وهذا الخلط يمثل ذروة التدليس على العامة من خلال الآتي:

إلغاء التنوع الجغرافي والفكري: يتعامل هؤلاء مع التبليغ وكأنه مصنع ينتج نسخاً كربونية متطابقة في العقيدة والسلوك، متناسين أن الجماعة في بلاد الحرمين أو المغرب العربي أو أوروبا قد تأثرت ببيئتها العلمية والشرعية. فالتبليغي في هذه البلاد غالباً ما يكون سلفي العقيدة في توحيد الألوهية والأسماء والصفات، ولا يعرف عن الديوبندية أو الماتريدية إلا أسماءً يسمعها من خصومه! فكيف يُرمى بالشرك والقبورية بناءً على مرجعية جغرافية (الهند) لم يزرها ولم يقرأ كتبها؟

تحميل العوام أوزار الخاصة : من أقبح أنواع الظلم أن يُحاسب عامل أو موظف خرج ليذكر الناس بالصلاة واليقين بتبعات آراء كلامية دقيقة أو فلسفية قد توجد في بطون كتب بعض المشايخ في أقصى الشرق. إنّ الغلو في التبديع جعل الصومعي يضرب بالقواعد الشرعية عرض الحائط، فجعل اللازم مذهباً ، وحمّل ملايين المسلمين مسؤولية آراء لم يتدينوا بها يوماً، وهذا هو جوهر الخلط الشنيع الذي يضلل الناس عن حقيقة القوم.

التدليس بفزاعة الديوبندية: يستخدم هؤلاء النقاد مصطلحات مثل الديوبندية كفزاعة لتنفير الناس، موهمين إياهم أن كل من خرج مع الجماعة قد دخل في عقد تنظيمي يلزمه بكل شطحات المتصوفة في الهند. والحقيقة أن منهج التبليغ الحركي المعتمد على الأصول الستة هو المنهج الحاكم للغالبية العظمى، وما وراء ذلك من تفصيلات عقدية هي مسائل أعيان لا يصح بحال سحبها على منهج الجماعة العام.

غياب العدل في الحكم: إنّ هذا المسلك يفتقر إلى التقوى العلمية ؛ فبدلاً من أن يشجعوا هؤلاء الملايين على تصحيح أخطائهم (إن وجدت)، ذهبوا يخرجونهم من دائرة السنة والجماعة بالظنة والتعميم. إنهم يصنعون عدواً وهمياً عبر خلط الأوراق، ليبرروا لغة الإقصاء والتبديع التي يقتات عليها منهجهم.

بناءً على هذا، فإن قول الصومعي هو محاكمة للأشباح لا للواقع؛ فمن أراد أن يحكم على جماعة التبليغ في بلد ما، فعليه أن ينظر في عقيدة أفرادها هناك وما يدعون إليه في مساجدهم، أما استيراد أحكام من بيئات عرقية معينة لتعميمها عالمياً، فهو ليس إلا عجزاً عن المواجهة العلمية ولجوءاً إلى أساليب التهويش الفكري.

سادساً: الأمانة العلمية ومبدأ ولا تزر وازرة وزر أخرى

فأنه من أبجديات العدل والإنصاف عدم تعميم حكم على ملايين البشر بناءً على تصرفات آحاد أو حتى أكابر في بيئة محددة. هل من الأمانة أن نُلبس المنهج التبليغي العالمي ثوباً محلياً ضيقاً؟ إن تعميم الحكم على بلاد وأقطار مختلفة يعكس قصوراً في الإدراك الواقعي، فالتجربة التبليغية في العالم العربي، مثلاً، تأثرت كثيراً بالمنهج السلفي في توحيد العبادة، وتكاد تخلو تماماً من مظاهر التعلق بالقبور، فكيف يُسحب عليها حكم القبورية ؟

فالمغالطة التي يقع فيها المهاجمون تكمن في محاولة تعليب ظاهرة دعوية عالمية عابرة للقارات وحصرها في نطاق جغرافي أو تاريخي محدد كبيئة المنشأ في الهند أو باكستان، وهو ما يتنافى كلياً مع مبادئ العدل والإنصاف التي أقرها القرآن الكريم في قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى). إن اتهام ملايين البشر بالقبورية أو الانحراف العقدي بناءً على تصرفات أفراد أو ممارسات في بيئة معينة يمثل قصوراً حاداً في الإدراك الواقعي، فالحركة التبليغية في العالم العربي، وخاصة في منطقة الخليج والشام، خضعت لعملية فلترة عقدية طبيعية بحكم الاحتكاك المباشر بالمنهج السلفي ومدرسة توحيد العبادة، ومن الخطأ المنهجي الفادح أن يُسحب حكم فقهي أو عقدي صدر بحق مجموعة في إقليم ديوبند على داعية في الرياض أو عمان يرفع راية التوحيد وينبذ الشركيات بل ويكاد لا يعرف عن تلك المخالفات شيئاً. ويظهر الخلل المنهجي لدى هؤلاء المعممين في إغفالهم لحقيقة أن المنهج الدعوي كائن حي يتأثر بالبيئة المحيطة، حيث أصبح التبليغ في بلاد التوحيد سلفي المشرب في جوهره العقدي وإن احتفظ بآلية الخروج كوسيلة دعوية، فمعاقبة الجماعة بفعل الفرد وتحميل مجموعات بشرية ضخمة مسؤولية نصوص قديمة في كتب لم يقرؤوها أو ممارسات لم يشاهدوها هو ضرب من الجور الذي يأباه الشرع والمنطق. إن هؤلاء المهاجمين يقعون في مغالطة الجمود الفكري والاستدلال بالمنشأ، حيث يصرون على أن أصل الشيء هو حقيقته الحتمية إلى الأبد، متجاهلين أن الواقع العيني في العالم العربي يكاد يخلو تماماً من مظاهر التعلق بالقبور أو

الاستغاثة بغير الله، مما يجعل الأمانة تقتضي أن يُحكم على الناس بواقعهم المشهود لا بتاريخ غيرهم المكتوب، فمن يغلب الوهم الذهني على الواقع العيني ويحاصر الموحدين بتهمة هم منها براء ليس فقط مخطئاً في الحكم، بل هو مغالط في المنهج ومخالف للصريح من نصوص العدل والإنصاف.

سابعاً: التبليغ كمنهج دعوي لا مدرسة عقدية :

هذا هو الفصل في القضية؛ جماعة التبليغ في أصلها (خاصة الأصول الستة) هي آلية دعوية تهدف لتحريك المسلمين نحو المساجد والالتزام بالفرائض. هي ليست مدرسة كلامية أو عقدية لها اختيارات في مسائل الصفات أو البرزخ. الخلط بين خلفية المؤسسين وبين المنهج الدعوي الحركي هو ما يقع فيه الخصوم. فالمسائل التي ذكرها الصومعي هي من فضول الكلام الذي لا يدرسه التبليغي في خروجه، ولا يُطلب منه اعتقاده، مما يجعل حشرها في سياق التبديع نوعاً من التلبيس المتعمد لإبعاد الناس عن النشاط الدعوي للجماعة.

إننا نرى في هذا الطرح فصلاً حاسماً للقضية، فالفخ الذي يقع فيه خصومنا هو الخلط المتعمد أو الجاهل بين الآلية الدعوية وبين المدرسة العقدية ؛ فأننا حين نتحرك في هذا الجهد، نتحرك ضمن منظومة أصول ستة هي في جوهرها وسيلة حركية تهدف لاستنهاض المسلمين نحو بيوت الله والالتزام بفرائضه، وليست مدرسة كلامية منظمة تمتلك تقريرات تفصيلية في مسائل الصفات أو دقائق أحوال البرزخ. إن هؤلاء الذين يحاكموننا اليوم يرتكبون مغالطة كبرى حين يحاولون إلباسنا ثوب الخلفية المدرسية للمؤسسين ويقحمونها في منهجنا الدعوي الميداني ، متجاهلين أن تلك المسائل التي يثيرها الصومعي وغيره هي من فضول الكلام الذي لا ندرسه في خروجنا، ولا يُطلب منا اعتقاده، بل ولا يمثل جزءاً من أدبياتنا التي نتعلمها في المسجد. إن حشر هذه التفاصيل العقدية المعقدة في سياق التبديع ليس إلا نوعاً من التلبيس المتعمد لإبعادنا وإبعاد الناس عن هذا النشاط الدعوي المبارك، فنحن لسنا بصدد تقرير مذهب عقدي بقدر ما نحن بصدد إحياء سنة الدعوة والتبليغ، ومحاكمتنا بناءً على اختيارات كلامية دقيقة لم تكن يوماً جزءاً من وعينا الدعوي هي عين الظلم وقصور الإدراك؛ فالواقع المشهود أن جهدنا هو محرك للإيمان والعمل، وليس مختبراً لآراء المتكلمين، ومن هنا يتضح أن خصومنا يهاجمون خيالاً في رؤوسهم لا حقيقة ما نمارسه في واقعنا.

محاولة الصومعي التدليل على أمر غير ثابت لدى أهل التبليغ في العالم :

قال الصومعي معلقا (أقول : لا نذهب بعيداً لقد صرح محمد زكريا بذلك فقال: اهتموا بإيصال الثوابت الى الأكابر فإذا علمتم بهذا تتوجه اليكم ارواحهم وتنالون منها الفيوض والبركات (تيس مجالس ص 211) .

وقال : وإذا استفاد شيئاً من قبور الأولياء فليحسبه من الشيخ نفسه فإن بركة صاحب القبر انما وصلت ا ليه بواسطه (صقالة القلوب) .

وأما تعظيم القبور فحدث ولا حرج ، يقول محمد زكريا الكاندهلوي ان الحط من شأن الخانقاهات واهانتها أمر خطير جداً (صقالة القلوب) ص 85 .

وقال أيضاً : وبركات القبور أي القبور ذات البناء شئ لا ينكر وبركاتها مسلمة وعظيمة (فضائل حج ص 129)

أنظر رعاك الله إلى أهل القبور كيف فتنوا بها أنظر توجيهه لاتباعه التبلغيين أن من استفاد شيئاً من قبور الأولياء فليحسبه من المقبور ويرى أن بركاتها عظيمة .

أقول يا لها من عقول أضلها الله أين هؤلاء من قوله تعالى { **واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون** } البقرة ، اية رقم 186 . أي فائدة يستفيدها الحي من الميت كشف الضر أم ماذا ؟ . النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك ذلك ولو كان الأولياء ينفعون أو يضرون او يفيدون الأحياء لكان الأولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه لا يملك ذلك كل ذلك لله سبحانه وتعالى .

يقول تبارك وتعالى : { **قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون** } الأعراف ، آية 188)

إن مسلك الصومعي يفتقر إلى التقوى العلمية ؛ فهو يبني أحكاماً قطعية فوق رمال متحركة من الأوهام والافتراءات. فإذا كان التبليغي في واقعه لا يتدين بالارتباط بالقبور، بل ينهى عن التعلق بغير الله، فإن إلصاق هذه التهم به هو ظلم معرفي وتناقض صارخ يجمع بين غلو التبديع وبين جهل الواقع . والرد العلمي على تدليس الصومعي وتعميمه الجائر في مسألة القبور والفيوضات يتلخص في التالي .

أولاً: مغالطة التعميم وإلزام الملايين بآراء الأفراد إن الخطأ المنهجي الأكبر الذي يقع فيه الصومعي هو التعميم والخلط بين اجتهادات آحاد العلماء وبين منهج حركة دعوية عالمية؛ فالعقل والشرع ينكران إلزام ملايين المسلمين بتبعات قول صدر من فرد، حتى وإن كان من الأكابر كالشيخ الكاندهلوي. إن هذه الجماعة تضم عشرات الملايين في مختلف الأقطار، وكثير منهم لا يقرون عقائد الحلول أو وحدة الوجود ولا الشطحات المخالفة للشرع، بل هم من أهل السنة والجماعة عقيدة ومنهجاً. والمصدر الحقيقي للحكم على الجماعة هو الأصول الستة التي وضعها الشيخ محمد إلياس، وهي المرجعية الأساسية التي تُدرّس في حلقاتهم وتخلو تماماً من التعقيدات الصوفية أو الشركية التي يحاول الصومعي إلصاقها بهم. فمن الظلم أن تُحاكم حركة بهذا الحجم بناءً على بيئة المنشأ أو أقوال فردية لم تصبح يوماً جزءاً

من البيان الرسمي الموجه للعامة، لأن التبليغ فكر عالمي لا يتقيد بأفراد معينين ولا بأماكن معينة.

ثانياً: كتب الكاندهلوي ليست دستوراً عقديّاً ملزماً يصر الصومعي على ربط الجماعة قسرياً بكل ما ورد في مؤلفات الشيخ محمد زكريا، وهذا مسلك غير علمي؛ فكتبه مثل فضائل الأعمال أو صقالة القلوب تُعامل كغيرها من كتب العلماء، يُقبل ما وافق الحق فيها ويُرد ما خالفه. إن هذه الكتب تُقرأ في بيئات معينة للنفع والترغيب، لكنها ليست نصوصاً تأسيسية تُلزم كل مبلغ في المشرق أو المغرب باعتناق ما فيها من دقائق صوفية. والواقع المشهود أن الملايين من أتباع الجماعة في العالم العربي وأفريقيا لا يعرفون شيئاً عن الخانقاهات أو طرق الذكر الخاصة المذكورة في تلك الكتب، بل ينصب جلّ تركيزهم في بياناتهم الميدانية على تعظيم الخالق، واليقين على الله، واتباع السنة، وإقام الصلاة. فإلزام الجماعة بآراء فردية لعالم، مهما بلغت مكانته، هو افتئات على الأمانة العلمية وتجاهل لمنهج أهل السنة في التعامل مع زلات العلماء، فالشيخ زكريا عالم فاضل وفقيه ومحدث كبير، لكن كتبه عطاء علمي وليست منهجاً إلزامياً.

ثالثاً: التدليس في تأويل المصطلحات الفيوضات والبركات يسلك الصومعي مسلك التبديع باللازم، فيأخذ عبارات موهمة عند علماء الهند ويحملها محامل كفرية بتعسف ظاهر. فمصطلح الفيوضات عند هؤلاء المشايخ غالباً ما يُقصد به الفتح الرباني في الدعوة وانشراح الصدر والقبول لدى الناس، وليس الاستمداد من الأموات أو الشرك الأكبر. إن اتهام ملايين الموحدين بالقبورية بناءً على نقولات قديمة مقتطعة من سياقها البيئي هو رجم بالغيب وجناية على حرمة المسلمين الذين يخرجون ليدعوا العصاة في المقاهي والشوارع للعودة إلى المساجد. إن خلو خطاباتهم العامة في المساجد من هذه المسائل العقدية الفلسفية مثل الحياة الدنيوية للأنبياء يعد دليلاً قطعياً على أنها ليست جزءاً من هويتهم الدعوية، بل هي تهم معلبة يُسقطها الخصوم عليهم من خارج واقعهم، فالمتحدث فيهم يركز على عظمة الخالق واليقين عليه وحده.

رابعاً: تناقض الصومعي في استخدام فزاعة الصوفية يدّعي الصومعي الغيرة على التوحيد، لكنه يمارس لعبة مفهومة بشيطنة الجماعة عبر فزاعة الصوفية، متجاهلاً التنوع الجغرافي والفكري داخلها. فالتبليغي في بلاد الحرمين أو العالم العربي غالباً ما يكون سلفي العقيدة في توحيد الألوهية والأسماء والصفات، ولا يعرف عن الديوبندية أو الماتريدية إلا أسماء يسمعها من خصومه. إن الصومعي يهرب من نقد المنهج الحالي المتمثل في دعوة الناس للتوحيد والعبادة، ليلجأ إلى شيطنة التاريخ المنسي في كتب قديمة، محاولاً إلباس الموحدين ثوباً محلياً هندياً ضيقاً لا ينطبق على واقعهم. وهذا التناقض يكشف أن القوم لا يبحثون عن

الحقيقة، بل عن مسوغات للتبديع لإقصاء المخالفين، حتى لو اضطروا لفرض الاستحالة على إنكار التهمة من أصحابها الذين ينفونها جملة وتفصيلاً.

خامساً: الجماعة آلية دعوية وليست مدرسة كلامية جوهر القضية أن جماعة التبليغ هي آلية حركية لاستنهاض المسلمين، وليست مدرسة عقدية تمتلك تقريرات في مسائل البرزخ أو الروح. إن حشر هذه التفاصيل التي يثيرها الصومعي في سياق التبديع هو تلبيس متعمد لإبعاد الناس عن النشاط الدعوي؛ فالمبلغون في خروجهم يركزون على إحياء روح التوحيد العملية، أي إخراج اليقين الفاسد على الأشياء وإدخال اليقين الصادق على ذات الله وموعوده. إن الجماعة تمثل حركة إحياء تهدف لاستنقاذ العصاة ونشر الخير، وما يراه المنتقدون أصولاً صوفية ليس في حقيقة الأمر إلا أدوات تربوية عامة مثل التواضع والذكر والخدمة تجردت من صبغة الطرق لتلبس حلة الاتباع النبوي. ومحاكمتهم بناءً على اختيارات كلامية دقيقة لم تكن يوماً جزءاً من وعيهم الدعوي هي عين الظلم وقصور الإدراك؛ فجهدهم محرك للإيمان والعمل، وليس مختبراً لآراء المتكلمين.

نقل الصومعي عن الهلالي عفا الله عنه :

إن كلام الصومعي والهلالي ينضح بالتعصب المنهجي وضيق الأفق؛ فهو يحاكم حركة إحيائية عالمية بناءً على اختيارات مدرسية ضيقة، ويستخدم نصوص الوحي للهجوم على من يسعى لنشرها. إن الحق لا يعرف بالرجال والأسماء، والواقع يشهد أن جهد التبليغ هو ترجمة عملية لخيرية هذه الأمة، وأن اتهام مؤسسها بالنزول إلى دركة هو تطاول لا يسنده دليل، بل هو خروج عن جادة الإنصاف والعدل التي أمر الله بها المسلمين تجاه إخوانهم.

قال الصومعي معلقا ومنتصرا لتكفير شيخه النجمي لجموع أهل التبليغ (**قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله** : سمعت أن التبليغيين يحتجون بقوله تعالى: ((أخرجت للناس)) على الخروج للسياحة المبتدعة ولكن لم يخطر ببالي قط أن شيخهم محمد إلياس ينزل إلى هذه الدركة حتى يحتج بها على ذلك ورحم الله من قال عش رجباً ترى عجباً والآن نذكر ما قاله الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير في تفسير هذه الآية باختصار: يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم قال البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه { **كنتم خير أمة أخرجت للناس**} قال: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام

وهكذا قال ابن عباس وغيره من المفسرين الأولين والمعنى أنهم خير الأمم وانفع الناس للناس ..

وبعد ما ذكر أقوال المفسرين قال: لو فهم الشيخ محمد إلياس هذه الآية حق الفهم لأمر الأصحاب (الطريقة الجشتية) أعني أهل طريقته بالتوبة إلى الله من طريقتهم البدعية وأمرهم باتباع الكتاب والسنة ولو فهم الآية حق الفهم لغير مدرسة ديوبند وبدل مناهجها وجعلها متبعة لكتاب الله وسنة رسوله تعتقد عقائد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الفقه الأكبر وفي كتب الحديث والعقيدة الطحاوية التي ألفها أحد ائمة الحنفية .. [السراج المنير ص 45].) أهـ ، ويمكن الرد على ترهات الصومعي وتخرصاته وعلى نقول الشيخ الهلالي أيضا بالتالي :

أولاً: مغالطة تسمية الدعوة بالسياحة المبتدعة إن أول ما يواجهنا في كلام الشيخ الهلالي هو وصفه لـ الخروج في سبيل الله بأنه سياحة مبتدعة، وهذا وصف يفتقر إلى الدقة الفقهية والواقعية؛ فالحركة لنشر الدين هي سنة المرسلين صلوات الله وسلامهم عليهم، وهي وسيلة دعوية تهدف إلى استنقاذ الناس من الغفلة. والوسائل في الشريعة ليست توقيفية بل هي توفيقية تخضع للمصلحة والزمان والمكان، وطريقة أهل التبليغ في حركتهم لا تخرج عن كونها آلية لتنظيم وقت المتطوعين للدعوة، تماماً كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في بداية دعوته حين كان يتحرك للناس في محالهم وأسواقهم. فتسمية هذا الجهد سياحة هو نوع من التلبيس المتعمد لصرف الناس عن الجهد الميداني الذي يحيي موات القلوب ويعيد العصاة إلى المساجد.

ثانياً: فقه الثمرة في قوله تعالى أخرجت للناس يزعم الشيخ الهلالي أن الشيخ محمد إلياس نزل إلى دركة سحيقة في فهم الآية، والحقيقة أن الشيخ إلياس انطلق من فهم عميق لـ فقه الثمرة ومقاصد الشريعة؛ فإذا كان المفسرون كابن كثير قد فسروا الآية بأن هذه الأمة هي أنفع الناس للناس، فهل هناك نفع أعظم من أخذ أيدي الناس من طريق الضلال إلى طريق الهداية؟ إن خروج التبليغيين هو تجسيد عملي لكونهم أنفع الناس للناس ، فهم لا ينتظرون الناس في المساجد حتى يأتوهم، بل يخرجون إليهم ليأتوا بهم (بالمعنى الدعوي لا بالسلاسل المادية) إلى حياض الإسلام والاستقامة. ففهم الشيخ إلياس للآية هو فهم حركي يهدف لتحقيق خيرية الأمة عبر العمل لا عبر مجرد التغني بالألقاب، وهو ما جعل الملايين يتوبون على أيديهم في شتى بقاع الأرض.

ثالثاً: التدليس بشيطنة مدرسة ديوبند والطريقة الجشتية ، حيث يستخدم الشيخ الهلالي ومن خلفه الصومعي مصطلحات مثل ديوبند و الجشتية كفزاعات لتنفير الناس، متجاهلين أن مدرسة ديوبند هي جامعة إسلامية عريقة حفظت دين الله في شبه القارة الهندية لقرون، وتخرج منها جهابذة العلماء. أما محاولة إلزام الجماعة المعاصرة بكل تفاصيل الطريقة الجشتية فهو مغالطة الربط ببيئة المنشأ ؛ فجماعة التبليغ اليوم في مشارق الأرض ومغاربها لا تتدين بالطرق الصوفية، بل مرجعيتها هي الأصول الستة التي ترتكز على التوحيد والسنة والذكر والعلم. إن إصرار الهلالي على مطالبة الشيخ إلياس بتبديل المناهج يكشف عن عقلية إقصائية تريد صبغ الأمة كلها بصبغة مدرسة واحدة، متجاهلاً التنوع الفقهي والعلمي المشروع في الأمة.

رابعاً: التناقض في دعوى عدم فهم الآية ، حيث يدعي الشيخ الهلالي أن الشيخ إلياس لو فهم الآية لأمر أصحابه باتباع الكتاب والسنة، وهذا قلب للحقائق؛ فما هو خروج التبليغيين إلا دعوة صريحة للتمسك بالكتاب والسنة في واقع الحياة اليومية. إنهم يدعون إلى الصلاة، والذكر، وإخلاص النية، وإكرام المسلم، وهي أصول ثابتة في الكتاب والسنة. فالهلالي يهاجم الصورة الذهنية التي صنعها في عقله عن الجماعة، ولا يحاكم الواقع المشهود الذي يراه الجميع في المساجد. إن دعوى أن العلم قبل القول والعمل (التي ساقها الصومعي دعماً للهلالي) هي عين ما يطبقه التبليغيون في خروجهم ، حيث يتعلم العامي صفة الصلاة والوضوح في العقيدة العملية التي تصفي القلب من التعلق بغير الله.

خامساً: لعبة الإقصاء وتزييف مراد المفسرين إن استشهاد الهلالي بكلام ابن كثير وابن عباس هو استشهاد صحيح في ذاته، لكنه خاطئ في تنزيله على الواقع؛ فإذا كان المعنى أنهم أنفع الناس للناس، فإن أهل التبليغ هم أكثر الجماعات اليوم نفعاً لعوام المسلمين الذين ضاعوا في دوامة المادية. إن الهلالي ومن انتصر لقوله يمارسون نوعاً من الظلم المعرفي عبر بتر السياق التاريخي والدعوي للشيخ إلياس، وتصويره كمن يبتدع ديناً جديداً، بينما هو في الحقيقة أحيا وظيفة الأنبياء في التبليغ. إن هذا المسلك لا يخدم العقيدة كما يدعون، بل يقطع سبل الإصلاح، ويجعل من التوحيد أداة لتصنيف وتبديع الموحدين بدلاً من أن يكون مظلة تجمعهم وتؤلف بين قلوبهم.

لماذا يقع مشايخ كبار كالشيخ تقي الدين الهلالي في مثل تلك الزلات ؟.

يمكن تفسير تحامل بعض العلماء الأكابر، ومنهم الشيخ تقي الدين الهلالي، على أهل التبليغ من خلال عدة أبعاد منهجية وتاريخية أدت إلى اتساع الفجوة بين الصورة الذهنية التي نقلوها في كتبهم وبين الواقع الميداني الذي يمارسه أتباع الجماعة، وذلك وفقاً للنقاط التالية:

• الاعتماد على نقولات الخصوم غير الموثقة: فالشيخ الهلالي لم يعتمد في حكمه على ممارسة ميدانية أو مخالطة مباشرة، بل اعتمد على ما كتبه خصوم الجماعة الأوائل مثل سيف الرحمن وسيد طالب الرحمن. ويصف المصدر هؤلاء الناقلين بأنهم نقلوا أكاذيب غير موثقة، ثم جاء الهلالي وغيره فأخذوا تلك النقولات وحشوها في كتب ضخمة لتصير مادة للجدل، مما أدى إلى توارث هذه الأحكام دون تمحيص.

• مغالطة التعميم الجائر: سلك الشيخ الهلالي مسلكاً يقوم على حشد شطحات المتصوفة الغلاة وإسقاطها على أفراد التبليغ لمجرد وجود نزعة صوفية لدى بعضهم. ويرى المؤلف أن هذا النوع من التحامل يهدف إلى شيطنة المسالك الإسلامية وربط الجماعة بأقبح المشبهات لتنفير العامة منها، متجاهلاً أن ملايين التبليغيين بريئون من هذه العقائد الحلولية والاتحادية.

• تفسير الوسائل الدعوية كبدع: اعتبر الشيخ الهلالي الخروج في سبيل الله نوعاً من السياحة المبتدعة، وهاجم فهم الشيخ محمد إلياس رحمه الله لآية أخرجت للناس. ويرى المصدر أن هذا التحامل نابع من ضيق أفق في استيعاب أن الحركة للدين هي وسيلة توفيقية تهدف لإصلاح العامة، وليست سياحة بالمعنى المذموم.

• التأثر بتيار السلفية الغالية في التبديع: وهذا التحامل سمة عامة في منهج السلفية المعاصرة (المدخلية) التي لا تهتم بشيء سوى تثبيط عزائم الدعاة وتفريق الناس عنهم. ويصف هذا المسلك بأنه رجم بالغيب يفترض المعرفة المطلقة بما في نفوس ملايين البشر، ويُقدّم سوء الظن على بينة الواقع.

• الانفصال عن الواقع الميداني: فهؤلاء العلماء حكموا عن غير تصور أو مخالطة تامة، فاعتمدوا على كتب التاريخ المنسي وشيطنة بيئة المنشأ، متجاهلاً أن الجماعة في بلاد الحرمين والعالم العربي قد تأثرت بالمنهج السلفي في توحيد العبادة، وتكاد تخلو تماماً من مظاهر التعلق بالقبور أو الاستمداد من غير الله.

ولذلك فإن تحامل رجل بقيمة الشيخ الهلالي يرجع إلى التدليس المنهجي الذي مارسه الناقلون عنه، وإلى ميله لاستخدام فزاعة الصوفية لإسقاط الجماعة كلياً، وهو ما يصفه المؤلف بأنه ظلم معرفي يجمع بين غلو التبديع وبين الجهل بحقيقة الواقع الدعوي المشهود.

نقل الصومعي عن صديق حسن خان :

إن الرد على الصومعي والهلالي يرتكز على أن الدعوة حركة وليست قوالب جامدة ، وأن استنباط معانٍ حركية من آيات القرآن ليس ابتداعاً بل هو إحياء لوظيفة الأنبياء. إن محاولة حجر واسع رحمة الله وحصر فهم كتابه في اختيارات مدرسة معينة هو الذي يفتت الأمة، بينما جهد التبليغ هو ترجمة عملية لقوله تعالى أخرجت للناس عبر بذل الجهد والمال والوقت لنفع الخلق وهدايتهم، وهو ما يثبته الواقع الميداني الذي لا ينكره إلا محجوب بالتعصب.

قال الصومعي معلقا ومنتصرا لتكفير شيخه النجمي لجموع أهل التبليغ (**قال العلامة صديق حسن خان** في تفسيره فتح البيان في تفسير قوله تعالى : { **أخرجت للناس**} أي أظهرت لهم أي لنفعهم ومصالحهم في جميع الأعصار حتى تميزت وعرفت.

وقال – الهلالي - كذلك: وهذا يرد ما فهمه محمد إلياس من أن لفظ أخرجت يدل على الرحلة والتنقل فأخرجت معناها أظهرها الله تعالى ولم يفهم أحد منها لا من الصحابة ولا من التابعين فمن بعدهم أنها تدل على السياحة.)

والرد العلمي والتفنيد العقلي والشرعي على ما أثاره الصومعي نقلاً عن الشيخ الهلالي عفا الله عنه وصديق حسن خان رحمه الله ، لكشف التدليس المنهجي لمحاولة حصر فهم الوحي في قوالب جامدة وتصوير الوسائل الدعوية كبدع منكرة:

أولاً: مغالطة حصر دلالة كلمة أخرجت للناس في الظهور المجرد ، حيث إن استشهاد الصومعي بكلام العلامة صديق حسن خان في أن أخرجت للناس تعني أظهرت لنفعهم ومصالحهم، لا يتعارض بحال مع ما ذهب إليه الشيخ محمد إلياس؛ فالظهور لنفع الناس وتحقيق مصالحهم في جميع الأعصار لا يمكن أن يكون مجرد ظهور سلبي ينتظر الناس في زوايا المساجد، بل هو ظهور حركي يتطلب الانتقال والتبليغ. إن التدليس يكمن في محاولة الصومعي والهلالي إيجاد تعارض وهمي بين الظهور وبين الرحلة ، بينما الواقع أن أمة الإسلام ما ظهرت وعرفت وتميزت إلا بحركتها بالدين شرقا وغربا. فالفهم الذي قدمه الشيخ

إلياس هو فهم استنباطي يربط بين الغاية (نفع الناس) وبين الوسيلة (الوصول إليهم)، وهو ما يتفق تماما مع روح الآية ومقاصدها.

ثانياً: رد دعوى البدعية في وسائل الدعوة ، فالصومعي يصور أن التبليغيين ابتدعوا في الدين حين فسروا الآية بما يبرر خروجهم، وهذا خلط شنيع بين العبادات التوقيفية وبين الوسائل الدعوية التوفيقية ؛ فالحركة لنشر الدين هي سنة المرسلين وصحابتهم الكرام، وهي وسيلة لا حصر لها ولا شكل ثابتا يحددها، بل هي متروكة لأهل كل عصر يضعون رسمها ويخططون مسارها بما يحقق المصلحة. فوصف هذا الجهد بأنه سياحة مبتدعة هو نوع من الجناية على العمل الدعوي، لأن التبليغيين لا يخرجون للسياحة والتنزه، بل يخرجون لتبليغ كلمة التوحيد، وهو عمل مشروع بأصله، وتخصيص وقت له ليس بدعة بل هو تنظيم للجهد لاستنقاذ الغافلين.

ثالثاً: تفنيد دعوى جمود التفسير وعدم الاستحداث ، فقد وقع الشيخ الهلالي عفا الله عنه في مزلق تصوير التفسير المأثور وكأنه قالب مغلق لا يقبل الاستنباط المعاصر؛ والحقيقة أن القرآن الكريم كتاب لكل زمان ومكان، ومن إعجازه أن تتجدد معانيه وتتكشف أسراره بحسب ما يستجد من أمور العصر. فإذا كان السلف قد فسروا الآية في سياق زمانهم، فإن العالم المعاصر له الحق في استخراج دلالات حركية تناسب واقع الأمة اليوم وموات قلوب عوامها. إن ادعاء الهلالي بأن أحداً من الصحابة لم يفهم منها الرحلة هو استدلال بالعدم ، والعدم لا يصلح دليلاً؛ فالصحابة مارسوا الرحلة والانتقال فعلاً لنشر الدين ولم يحتاجوا لتبريرها بآية معينة لأنها كانت واقع حياتهم، والشيخ إلياس استلهم دلالة الآية ليحيي هذا الواقع المفقود في عصر الغفلة.

رابعاً: التناقض في محاكمة فهم العالم بمصطلحات إقصائية ، حيث إن وصف الهلالي لفهم الشيخ إلياس بأنه نزول إلى دركة سحيقة، هو تطاول يفتقر للإنصاف؛ فالفهم الذي يقود الملايين للتوبة وإقامة الصلاة والرجوع إلى المساجد لا يمكن أن يكون دركة ، بل هو قمة الفهم لمقاصد الوحي. إن الصومعي والهلالي يحاولان إلباس التبليغيين ثوباً مذهبياً ضيقاً (الطريقة الجشتية أو مدرسة ديوبند) ليصرفا النظر عن الثمرة الدعوية المشهودة. إن مطالبة الشيخ إلياس بتبديل المناهج وترك طريقته هو محاولة لـ خصخصة التوحيد وحصره في مدرسة واحدة، بينما التوحيد الذي يدعو إليه أهل التبليغ هو توحيد عملي يقوم على إخراج

اليقين الفاسد من القلوب وإدخال اليقين الصادق على الله، وهو ما لم يفهمه المنتقدون المنشغلون بالردود النظرية.

خامساً: لعبة التدليس في تصوير التبليغ كخروج عن المأثور ، فالتدليس الواضح في كلام الصومعي هو إيهام القارئ بأن التبليغيين يفسرون القرآن بالمنامات أو بعيدا عن أصول التفسير؛ والحقيقة أنهم يطبقون التفسير العملي للآية. فإذا قال ابن كثير أنهم أنفع الناس للناس ، فإن التبليغيين رأوا أن أنفع شيء للناس اليوم هو أخذ أيديهم من المقاهي والشوارع إلى المساجد، وهذا يتطلب رحلة وانتقالاً. فالمشكلة ليست في فهم الآية، بل في عجز المنتقدين عن الإتيان بمثل هذا الجهد، فلجأوا إلى تخطئة الفهم لشرعنة القعود. إن العالم الرباني هو من يغوص في الحقائق والمقاصد كما فعل الجزائري، لا من يقف عند الرسوم والألفاظ ليقطع سبل الإصلاح.

الرد على زعم الصومعي أن منطلق دعوة التبليغ مناما :

((قال أبو همام: الخلاصة: ان الشيخ محمد الياس بني دعوته على منامات وأحلام شيطانية وإلا فكيف يفسر كلام الله برؤيا منامية تفسير كتاب الله يكون بكتاب الله القرآن يفسر بالقرآن وبأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها توضح ذلك وبأقوال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فهم أعلم منا بذلك لأنهم عايشوا فترة نزول القرآن على نبيهم ولما لهم من الفهم والعلم والعمل ولذلك يقول عبد الله بن مسعود: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوز هن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن، ومما تقدم تعرف أن ما قاله الشيخ أحمد من أن جماعة التبليغ جماعة خرافية هو الحق الذي ينبغي أن يعرفه المسلمون حتى يحذروا هذه الجماعة المنحرفة عن الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة.)))

إن الرد على هذه الشبهة يتلخص في أن التبليغ حركة عمل لا مدرسة أحلام، وأن ربطها بالمنامات هو تدليس مكشوف لتغطية العجز عن منافسة تأثيرهم الميداني في هداية الخلق. إن الحق أبلج، وواقع المساجد يخرس ألسنة المتقولين الذين يبحثون عن شواذ النقول أو المنامات المبتورة ليضربوا بها أصول العمل الدعوي النافع الذي أعاد الملايين إلى حظيرة الإسلام والتوحيد.

والرد العلمي والتفنيد العقلي والشرعي على زعم الصومعي أن منطلق دعوة التبليغ هو المنامات والأحلام، يتلخص في النقاط التالية:

أولاً: تفنيد فرية بناء الدعوة على المنامات والأحلام : حيث يزعم الصومعي أن الشيخ محمد إلياس بنى دعوته على منامات وأحلام شيطانية ، وهذا ادعاء يفتقر إلى أبسط قواعد التثبت العلمي والشرعي؛ فالدعوة في حقيقتها وبشهادة الملايين تقوم على أصول ستة واضحة ومستمدة كلياً من نصوص الكتاب والسنة وهي: الكلمة الطيبة، والصلاة ذات الخشوع، والعلم والذكر، وإكرام المسلم، وإخلاص النية، والخروج في سبيل الله. إن محاولة اختزال جهد عالمي يحيي السنن في منام هو نوع من التهوين المتعمد والشيطنة المنهجية التي تمارسها السلفية الغالية لصرف الناس عن الواقع المشهود إلى أوهام مرسومة في مخيلتهم. فالجماعة لم تخرج للناس برؤى منامية لتلزمهم بها، بل خرجت بأركان الإسلام العملية تدعوهم إليها.

ثانياً: التفريق بين الرؤيا المبشرة والتشريع الديني ، حيث يخلط الصومعي عمداً بين الرؤيا الصالحة التي هي جزء من أجزاء النبوة للمبشرات، وبين التشريع؛ فأهل التبليغ لا يجعلون من المنامات مصدراً للأحكام الفقهية أو العقائدية، بل مرجعهم هو الوحي المعصوم. أما ما قد يُروى في سياق تاريخي عن رؤى للمؤسس، فهي تندرج تحت باب الاستئناس الشخصي أو التشجيع النفسي لبذل الجهد، وليست نصوصاً تأسيسية تُلزم الأتباع بغير ما جاء في الكتاب والسنة. إن ادعاء أن تفسير القرآن عندهم يكون بالرؤى هو كذب صراح؛ فكتبهم المعتمدة مثل حياة الصحابة و منتخب أحاديث ومجالسهم العامة عامرة بنقل أقوال المفسرين الأوائل وسير السلف، فكيف يُتهم من يقرأ سير الصحابة ليل نهار بأنه يترك منهجهم ليتبع الأحلام؟

ثالثاً: تهافت وصف الجماعة بالخرافية بناءً على الظنون : إن وصف الجماعة بأنها خرافية بناءً على قصص فردية أو منامات مفترضة هو عين الخرافة المنهجية التي يقع فيها الناقد؛ فهل يُعقل أن الملايين الذين تابوا من الفواحش والمخدرات وعادوا للمساجد وأقاموا الصلوات في القارات الخمس فعلوا ذلك اتباعاً لـ خرافة ؟ إن الواقع العملي يثبت أنهم جماعة واقعية ميدانية تأخذ بيد العاصي للمسجد، بينما الناقد يجلس خلف مكتبه ليصنف الناس ويسميهم بألقاب التنفير. إن منهج التبليغ هو محرك إيماني يستحث الناس للعمل بالوحي واليقين على الله، لا للغرق في الأوهام الشيطانية كما يدعي الصومعي بتعسف ظاهر.

رابعاً: التدليس في دعوى مخالفة منهج السلف وابن مسعود : حين يستخدم الصومعي كلام ابن مسعود رضي الله عنه في تعلم العلم والعمل به كـ فزاعة لضرب الجماعة، متجاهلاً أن جوهر جهد التبليغ هو تعلم العلم النافع والعمل به ؛ فهم يعلمون العوام ما لا يسع المسلم

جهله من صفة الصلاة والوضوح في العقيدة العملية التي تخرج اليقين الفاسد من القلوب. إنهم يطبقون وصية ابن مسعود في العمل بالعلم واقعاً مشهوداً، بينما خصومهم يغرقون في تصنيف الرجال وهجر المسلمين، وهو أبعد ما يكون عن هدي السلف الصالح. فالتبليغيون في خروجهم يركزون على علم الضرورة الذي يصحح العبادة ويحرك القلوب، وهذا هو عين ما قصده السلف بالعلم النافع.

خامساً: لعبة الإقصاء عبر تزييف منطلقات الدعوة : إن الخلاصة التي وصل إليها الصومعي هي نتيجة مقدمات كاذبة؛ فإذا كان المنطلق الفعلي للدعوة هو الهمّ النبوي لإصلاح الأمة وليس مناماً، والتفسير المتبع هو نصوص الفضائل وليس حلماً، والواقع المشهود هو عمارة المساجد وليس خرافة، فإن حكمه بالانحراف يسقط كلياً. إن الصومعي يمارس اللف والدوران ليصرف الناس عن النشاط الدعوي المبارك الذي شهد به المنصفون كالشيخ الجزائري، محاولاً حصر التوحيد والسنة في تياره الضيق الذي يرى كل جهد إسلامي غير نابع منه هو ضلال ومنكر، متناسياً أن البركة مع الأكابر المصلحين لا مع المشغلين بتبديع الموحدين.

تكفير الصومعي لجموع ديوبند وتشبيهه لهم بالبريلوية :

وقال الصومعي أيضا (((الديوبندية هم طائفة من الحنفية في شبه القارة الهندية وغيرها يسلكون مسلك جامعة ديوبند وينتمون إليها وذلك تمييزاً لهم عن إخوانهم البريلوية إحدى طائفتي الحنفية الذين ينتمون إلى إمام البدعة أحمد رضا خان البريلوي الذي ولد بمدينة بريلي إحدى مدن ولاية أوترا براديش بالهند عام 1272 م ومات في 1340 هـ إما انتماء الديوبندية وضلالها والطرق التي تنتمي إليها فكما يقول الشيخ خليل أحمد السهارنفوري : أحد كبار الحنفية وفقهائهم قرأ على مشايخه بجامعة ديوبند ثم عين أستاذاً مساعدا في (مظاهر العلوم بديوبند ثم اختير استاذا في دار العلوم بديوبند وفي عام 1314 هـ انتقل إلى مظاهر العلوم وتولى رئاسة التدريس فيها ثم نظارتها إلى أن غادرها إلى الحجاز عام 1344 هـ وتوفي بالمدينة النبوية عام 1446 هـ من مؤلفاته [البذل المجهود في شرح سنن أبي داود [ترجمته في نزهة الخواطر ص 133].

فقد سئل عن سؤال وجه إليه فاجاب قائلاً: ليعلم أولاً قبل أن نشرع في الجواب أنا بحمد الله ومشائخنا رضوان الله عليهم أجمعين وجميع طائفتنا وجماعتنا مقلدون لقدوة الأنام وذروة الإسلام الإمام الهمام أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه في الفروع ومتبعون للإمام الهمام أبي الحسن الأشعري والإمام الهمام أبي منصور الماتريدي رضي الله عنهما في الاعتقاد والأصول ومنتسبون من طرق الصوفية إلى الطريقة العلية المنسوبة إلى السادة **النقشبندية** والطريقة الزكية المنسوبة إلى السادة **الجشتية** وإلى الطريقة البهية المنسوبة إلى السادة **القادرية** وإلى الطريقة المنسوبة إلى السادة **السهروردية** رضي الله عنهم [المهند على المفند له ص 30] .

وبعد ما عرفت أيها الأخ الكريم عقيدة هذه الفرقة المنحرفة الضالة المضلة فماذا تقول في قول الشيخ أحمد حفظه الله تعالى ان جماعة التبليغ ديوبندية ولكني اذكر لك دليلاً ليطئمن قلبك ولتعلم أن الشيخ وفقه الله لم يقل ما قاله إلا بعد دراسة واستقراء لمنهج هذه الجماعة لإنه قد انتقدهم في كتابه القيم **المورد العذب الزلال** فراجعه إن شئت .)))

إن كلام الصومعي هو ألاعيب صبيانية تهدف لتفتيت وحدة المسلمين وإضعاف شوكة أهل الدعوة عبر قوائم تصنيف إقصائية. إن الديوبندية مدرسة علمية رصينة، والشيخ السهارنفوري عالم متمكن، وما نسبه الصومعي إليهم من ضلال هو في حقيقته مجرد مخالفة لنمط فكري ضيق يتبناه الصومعي، ولا يمثل حكماً شرعياً معتبراً يخرجهم من دائرة الإسلام أو السنة.

والرد على خلط الصومعي وتدليسه في مسألة الديوبندية والبريلوية عبر النقاط المرتبة التالية:

أولاً: الجهل الفاضح والخلط بين الديوبندية والبريلوية ، حيث وقع الصومعي في خطأ تاريخي وعقدي فادح حين يحاول جعل الديوبندية والبريلوية وجهين لعملة واحدة، بينما الواقع العلمي يثبت أنهما نقيضان.

إن التفريق بين الديوبندية والبريلوية ضرورة علمية وتاريخية نظراً للاختلاف الجوهري والمنهجي بينهما، حيث يُعتبران نقيضين لا يجتمعان. فالمدرسة الديوبندية هي جامعة إسلامية علمية عريقة، تخرج منها جهابذة العلماء الذين حفظوا دين الله في شبه القارة الهندية لقرون طويلة، وهي مدرسة تعظم الدليل والحديث النبوي وتسير على منهاج السنة. وينتمي الديوبنديون إلى المذهب الحنفي في الفروع، ويتبعون الإمامين الأشعري والماتريدي في العقيدة والأصول، مع التزامهم بطرق التزكية والإحسان الصوفية الشرعية كالنقشبندية والجشتية التي تهدف لإصلاح القلوب لا إلى الخرافة.

وفي المقابل، تُعرف البريلوية بأنها طائفة تتبع أحمد رضا خان البريلوي، وتوصف بأنها طائفة غالية في القبور والشركيات والبدع. وتكمن الفجوة الكبرى بينهما في أن علماء الديوبندية كانوا أول من تصدى لضلالات البريلوية بالحجة والبيان وفندوها علميّاً. لذا، فإن محاولة الخلط بينهما أو تصويرهما كأخوين هي نوع من التدليس التاريخي المنهجي الذي يهدف لشيطنة الديوبندية وإلصاق مخازي البريلوية بها لتسهيل تبديعها. فبينما يمثل الديوبنديون ملايين الموحدين الذين يركزون على تعظيم الخالق واليقين عليه وحده، تظل البريلوية مرتبطة بممارسات القبورية التي تتنافى مع جوهر التوحيد الذي تدعو إليه مدرسة ديوبند وأتباعها كجماعة التبليغ.

ثانياً: تهافت التبديع بناءً على التزام المذاهب الفقهية والكلامية : يستدل الصومعي بكلام الشيخ خليل أحمد السهارنفوري في كتاب المهند كوثيقة إدانة، والحقيقة أن هذا الكلام هو اعتراف صريح بالانتساب لمدرسة أهل السنة؛ فكونهم يقلدون الإمام أبا حنيفة في الفروع ويتبعون الأشعري والماتريدي في الأصول هو حال غالبية علماء الأمة في المشرق والمغرب لقرون. ففي الفروع: التقليد السائغ للمذاهب الأربعة ليس خروجاً من الإسلام ولا بدعة ضلالة، بل هو منهج متبع في كل الأقطار الإسلامية. وفي الأصول: اتباع الماتريدية والأشعرية هو اختيار مدرسي داخل دائرة أهل السنة، ولا يصح بحال أن يُجعل مبرراً للتكفير أو التبديع الإقصائي الذي يمارسه الصومعي. إن محاولة الصومعي إخراج ملايين المسلمين من دائرة الهداية لمجرد انتسابهم لهذه المدارس هو أفق ضيق وجهل بسعة رحمة الله ومنهج السلف في استيعاب التنوع المدرسي.

ثالثاً: حقيقة الطرق الصوفية (التزكية لا الخرافة) : فانتساب السهارنفوري للطرق الأربعة (النقشبندية، الجشتية، القادرية، السهروردية) يُفسر عند علماء الديوبندية بأنها طرق تزكية وإحسان تهدف لتربية النفس وإصلاح القلوب، وليست طرق بدع وشركيات كما يصور الصومعي. إن التصوف عند هؤلاء العلماء هو التصوف الشرعي الذي يهدف للتقرب إلى الله بالذكر والطاعة، وليست عقيدة وحدة الوجود المنكرة. إن خلط الصومعي بين الوسيلة التربوية وبين الخرافات هو تلبيس متعمد لإسقاط القامات العلمية، متجاهلاً أن هذه الطرق كانت ولا تزال جزءاً من ثقافة بلدان إسلامية كثيرة، والميزان فيها هو موافقة الكتاب والسنة؛ فصحيحها مقبول وخطؤها مردود.

رابعاً: تحليل نفسية الصومعي وجماعته السلفية الغالية : إن هذه الفرقة الغالية في التبديع لديها ملامح نفسية ومنهجية خطيرة ، ففي خطاب الصومعي وتياره، تتلخص نزعة الإقصاء واحتكار الحق، فهم يعتقدون أنهم الممثل الوحيد للحق، وأن أي ثناء على غيرهم هو محاربة للتوحيد. ووصل الغلو بالصومعي وشيخه النجمي إلى حد التألي على الله والحكم بمصائر العلماء في الآخرة والوعيد بسوء الخاتمة، وهو تجاوز لمقام الربوبية. كما يمارسون ازدواجية مذهلة بقبول الاجتهاد لأنفسهم ورفضه لغيرهم، ويصفهم المؤلف بأنهم أسود على الدعاة صقور على الناصحين، بينما تنخرس ألسنتهم أمام العلمانية والليبرالية والفجور المجتمعي الحقيقي. وأخيراً يعتمدون منهج التبديع باللازم، فيحملون الناس تبعات نصوص لم يقرؤوها، وهو مسلك أهل الأهواء والزيغ.

البراءة من الغلو والشطط لدى المتصوفة كائنا من كانوا :

ونحن إذ نبين بوضوح أن التصوف الذي تتبناه مدرسة ديوبند، والذي استقت منه جماعة التبليغ جانبها التربوي، هو تصوف سني منضبط بضوابط الشريعة، ويقوم في جوهره على مفهوم التزكية والإحسان وليس على الخرافة أو الغلو؛ فالديوبندية مدرسة علمية عريقة تخرج منها جهابذة العلماء الذين قضوا حياتهم في خدمة الحديث والسنّة، وهم يلتزمون بالمذاهب الفقهية المتبوعة والعقيدة السنية الراسخة، ويرون أن التصوف الشرعي هو أقرب الطرق للتقرب إلى الله تعالى من خلال إصلاح القلوب وتطهير النفوس. وهذا الانتساب لطرق مثل النقشبندية والجشتية والقادرية والسهروردية ليس انتساباً لعقائد مبتدعة، بل هو اتخاذ لوسائل تربوية تهدف إلى استنهاض الهمم للعبادة والدعوة، مع التأكيد التام على أن الحجة هي فقط في قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن أي قول لشيخ أو مذهب لا يُقبل إلا بموافقة الدليل الشرعي.

وفي هذا السياق المتصل، نؤكد براءة هذه المدرسة ومنهجها من كل ما يُنسب إلى متصوفة الغلاة من شطط أو انحراف عقدي؛ فهم يبرأون تماماً من عقائد الحلول أو الاتحاد أو وحدة الوجود بمعناها الفلسفي الكفري الذي نُسب لبعض الأفراد في الشرق أو الغرب. ويوضح المصدر أن المصطلحات الموهمة التي قد ترد في كتب بعض مشايخ الهند، مثل الفيوضات أو المعجزة ، تُحمل عند هؤلاء العلماء على معانيها الشرعية اللغوية، والتي تعني الفتح الرباني في الدعوة وانشراح الصدر والقبول لدى الناس، ولا علاقة لها بالاستمداد من

الأموات أو الشرك الأكبر. بل إن علماء ديوبند كانوا هم الحصن المنيع والجهة الأولى التي تصدت لضلالات طوائف مثل البريلوية الغالية في القبور والشركيات، مما يثبت أن منهجهم قائم على تعظيم الخالق واليقين عليه وحده، وتجريد التوحيد من كل شائبة.

إن براءة مدرسة ديوبند وأهل التبليغ من شطحات الغلاة تظهر في تركيزهم الميداني على الكلمة الطيبة التي تهدف لإخراج اليقين الفاسد على المخلوقات وإدخال اليقين الصادق على ذات الله وأفعاله؛ فكيف يُتهم بالصوفية المنحرفة من يقضي جل وقته في دعوة الناس لترك التعلق بغير الله والعودة للمساجد؟ إنهم يرفضون مسالك الشطح كقول ما في الجبة إلا الله أو غيرها من الكلمات المنكرة التي قد تصدر من بعض المتصوفة، ويتمسكون بوسطية الإسلام وحكمة الدعوة. وبهذا يتبين أن تصوفهم هو تصوف عملي يهدف لاستنقاذ العصاة وإحياء روح الإيمان، وهو منهج لا يخرج عن دائرة أهل السنة والجماعة، بل هو ترجمة عملية لمقام الإحسان الذي جاء به الوحي، بعيداً عن أوهام الخصوم الذين يحاولون شيطنة الجماعة عبر إلصاق مخازي الغلاة بها بغير حق ولا إنصاف.

حنق الصومعي على أهل الهند افتخارهم بمدرسة حفظت الدين قرونا متتابعة:

قال الصومعي : (((وإليك دليلنا: يقول الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي أمير جماعة التبليغ سابقا ما يلي: وعلى أية حال فاننا جماعة نرى ضرورة التقليد في هذا العصر كما نرى التصوف الشرعي أقرب الطرق للتقرب إلى الله تعالى فالذي يخالفنا في هذين الأمرين فهو برئ من جماعتنا وكلا الأمرين ذو أهمية بالغة في المذهب الديوبندي فالذي يرى أنه لا فرق بين جماعة المودودي والجماعة الديوبندية في المذهب فهو مكابر. [فتنة مودوديت له ص 126].

ويقول الشيخ محمد زكريا: **انا مشتاق إلى تراجم مشايخ الديوبندية** [ولي كامل ص 254].

أقول بل الشيخ محمد إلياس وابن أخيه محمد زكريا يفتخران بعلماء الديوبندية ويريان أن لهما أعمالاً جبارة منهما من يتمنى نشر تعاليم علماء الديوبندية وإليك أيها المسلم شيئاً من ذلك.

يقول الشيخ محمد إلياس مفتخراً بأعمال التهانوي الديوبندي : قد قام الشيخ التهانوي بعمل جبار كما أتمنى أن يستخدم الأسلوب الذي تبنيته لنشر تعاليمه حتى تعم وتنتشر [ملفوضات محمد إلياس ص 50].

ويقول: لئن جمع بين تعاليم الشيخ التهانوي وبين الأسلوب الذي تبنيته في التبليغ ما بقي أحد ينكر عليها [تبليغي نصاب ص 128].)))

إن مدرسة ديوبند وعلماءها كالتهانوي والكاندهلوي هم تيجان على رؤوس أهل السنة في الشرق، وافتخار التبليغيين بهم هو افتخار بالعلم والعمل والزهد. وتدليس الصومعي عبر بتر النصوص أو تحميل المصطلحات (كالتصوف والتقليد) محامل كفرية هو أسلوب المفلس الذي لا يملك حجة ميدانية، فيلجأ إلى شيطنة الرموز لإسقاط المنهج. والحق أن التبليغ جهد عالمي استمد أدواته التربوية من مدرسة ديوبند الرصينة، وطبّقها في واقع الناس، مما أثمر هذا القبول الذي لا ينكره إلا جاحد أو محجوب بالتعصب. والرد العلمي والتفنيد المنهجي على حنق الصومعي تجاه افتخار أهل التبليغ بمدرسة ديوبند وعلمائها، وزيف ادعاءاته وتهافت منطقه الإقصائي في التالي :

أولاً: مدرسة ديوبند حصن الشريعة في الهند :

إن حنق الصومعي على انتساب أهل التبليغ لمدرسة ديوبند يكشف عن جهل تاريخي وعلمي بوزن هذه المدرسة؛ فجامعة ديوبند هي مدرسة إسلامية علمية عريقة، قامت بدور عظيم في حفظ دين الله في شبه القارة الهندية لقرون متطابقة، وتخرج منها جهابذة في الحديث والفقه والتفسير. إن وصف الصومعي لهذا الانتساب وكأنه صك إدانة هو نوع من التدليس الفكري الذي يحاول من خلاله شيطنة مدرسة سنية رصينة لتنفير الناس من جهد التبليغ. فالافتخار بعلماء ديوبند ليس افتخاراً ببدعة، بل هو اعتزاز برجال حفظوا السنة في بيئة واجهت عواصف التغريب والشرك، والديوبندية في أصلها ليست فرقة، بل هي نسبة لمدرسة علمية تعظم الدليل والاتباع.

ثانياً: حقيقة التقليد والتصوف الشرعي :

يستدل الصومعي بكلام الشيخ محمد زكريا حول ضرورة التقليد و التصوف الشرعي كدليل على الضلال، وهذا قلب للحقائق؛ فالتقليد الذي عناه الشيخ زكريا هو التزام المذاهب الفقهية المتبوعة (كالحنفية) في بلد يفتقر أهله لأدوات الاجتهاد، وهو مسلك سائغ عند جماهير علماء الأمة. أما التصوف الشرعي فهو مقام الإحسان والتزكية الذي يهدف لإصلاح القلوب

وتطهير النفوس من الرذائل، وليس شطحات الغلاة أو الحلوليين. إن محاولة الصومعي إخراج ملايين المسلمين من دائرة السنة لمجرد تمسكهم بمذاهبهم الفقهية أو طرقهم في التزكية هو ضيق أفق وتشدد لا تقره قواعد العلم؛ فالتبليغي يرى في هذه الوسائل أدوات لإحياء الإيمان، بينما يراها الصومعي فزاعة لتبرير التبديع.

ثالثاً: الافتخار بالشيخ التهانوي وعمله الجبار :

ينتقد الصومعي ثناء الشيخ محمد إلياس على أعمال الشيخ أشرف علي التهانوي، والحقيقة أن التهانوي هو حكيم الأمة في تلك البلاد، وله مؤلفات فاقت المئات في شتى العلوم، وكان عمله جباراً حقاً في صياغة الفقه والتربية لعامة المسلمين. إن تمني الشيخ إلياس استخدام أسلوبه الدعوي لنشر تعاليم التهانوي هو رغبة في الجمع بين المنهج العلمي الرصين وبين الحركة الدعوية الميدانية ، ليكون المبلّغ على بصيرة علمية. وهذا التكامل هو ما يخشاه الصومعي وأمثاله، لأنه يسقط تهمة الجهل عن الجماعة، ويثبت أن منطلقاتها نابعة من مشكاة العلم والعلماء الأكابر.

رابعاً: مغالطة حصر الحق في مدرسة واحدة :

يكشف كلام الصومعي عن نفسية إقصائية ترى أن أي ثناء على مدرسة غير مدرسته (السلفية العصرية بمفهومه الضيق) هو خيانة للتوحيد . إن الشيخ محمد زكريا حين يقول أنا مشتاق لتراجم مشايخ الديوبندية ، فإنه يعبر عن حب طبيعي لعلماء بيئته الذين نفع الله بهم، وهذا من الوفاء لأهل الفضل. أما الصومعي فيمارس لعبة مفهومة بتصوير هذا الوفاء وكأنه انحراف عقدي. إن الميزان عند الصومعي هو قال شيخي ، بينما الميزان عند المنصفين هو الثمرة الدعوية ؛ فإذا كان منهج ديوبند قد أنتج ملايين التائبين والموحدين، فإن الطعن فيه لمجرد اختلاف في اصطلاح التصوف أو التزام المذهب هو ظلم معرفي وجناية على واقع المسلمين.

خامساً: تحليل نفسية الغلو عند الصومعي وتياره :

يظهر من سياق الرد أن الصومعي وتياره يعانون من ازدواجية مذهلة ؛ فهم يبيحون لأنفسهم الانتساب لمصطلح سلفي ويجعلونه معياراً للحق والباطل، بينما يحرمون على غيرهم الانتساب لمدرسة علمية كـ ديوبند أو جهد دعوي كـ التبليغ . إنهم يستخدمون التوحيد كأداة لتصنيف العباد لا لجمعهم، وينشغلون بهدم الحركات الإسلامية بدلاً من مواجهة الإلحاد والفجور الحقيقي. إن هذا الحنق النابع من الغيرة من القبول الذي وضعه الله للشيخ الجزائري وأهل التبليغ هو المحرك الحقيقي لهذه الردود، وليس الغيرة على العقيدة كما يزعمون؛

فالموحد الحقيقي يفرِحُه رجوع الناس للمساجد، بينما الغالي في التبديع يزعجه أن يكون ذلك الرجوع عن غير طريقه.

كذب الصومعي على مشايخ الإسلام وافتراءه على أفعالهم :

(**أقول** وقد اتفق محمد إلياس والتهانوي ان يعقدا اجتماعا عاماً لأجل أن يعارضا المناهج الحديثة وكان الذي سيترأس الاجتماع هو الشيخ المدني وهو من مؤيدي المناهج الحديثة فقال الشيخ محمد إلياس لابن أخيه محمد زكريا أن يحاول إقناع المدني بأن يترأس الاجتماع وإليك نص كلامه: يقول الشيخ محمد زكريا: قال لي العم لا تناقش أمض حيث أمرتك قلت: سوف اضطر إلى الكلام أمام الشيخ المدني فلا بد أن أكون على بصيرة من القضية فإن الطلاب الذين يتعلمون قراءة القرآن نظراً لو قرر عليهم مادة اللغة الأردية ومادة الحساب فأي حرج في هذا قال المولوي عبد الكريم: قد امر الشيخ التهانوي باستثنا قسم التحفيظ وقسم النظر عن هاتين المادتين قلت من هذا التهانوي وأين يكون فغضب المولوي عبد الكريم غضبا شديداً فقام من ساعته وذهب إلى العم وقال له إن هذا قد فسدت معتقداته فقلت لمولوي عبد الكريم عجباً يا هذا ما فهمت قصدي مع مكانتك العالية إن حضرت التهانوي زيد مجدهم حجة ملزمة لي ولك جميعاً [محبوب العارفين ص 30].)

إن الرد العلمي على هذه الافتراءات يثبت أن ما نقله الصومعي هو محض تلفيق وتشويه لمواقف إصلاحية رصينة. فجهد التبليغ الذي أحياه الشيخ إلياس هو آلية دعوية عالمية لا تتصادم مع العلم، بل تستخدمه وسيلة للإصلاح. وتصوير المشاورات بين العلماء كمؤامرات هو سقوط منهجي وأخلاقي، يكشف عن عجز المنتقدين عن مجاراة هذا التأثير الميداني المبارك، فلجأوا إلى شيطنة التاريخ وبتر النصوص لصد الناس عن سبيل الإصلاح الذي نفع الله به الملايين ، وبيانه كالآتي :

أولاً: قلب الحقائق وتصوير الشورى كـ مؤامرة : إن أول ما يلحظه المتأمل في نقل الصومعي هو محاولته اليائسة لإضفاء صبغة إجرامية على لقاء بين قامات علمية وإصلاحية كالشيخ محمد إلياس والشيخ التهانوي والشيخ المدني. والحقيقة أن هذا اللقاء لم يكن إلا شورى علمية تهدف للبحث عن أنجع الوسائل لحفظ هوية المسلمين ودينهم في ظل تغيرات العصر. إن التدليس يكمن في تصوير المعارضة للمناهج الحديثة وكأنها محاربة للعلم، بينما هي في

واقع الأمر رؤية تربوية كانت تخشى من ذوبان المنهج الإسلامي الأصيل في قوالب استعمارية أو مادية تضعف روح التدين. فالعلماء الربانيون يتشاورون فيما بينهم لتوحيد الكلمة، وما سعيهم لإقناع الشيخ المدني برئاسة الاجتماع إلا دليل على تقديرهم لقدره وحرصهم على وحدة الصف ، لا كما صوره الصومعي بأسلوبه التهويلي الفج.

ثانياً: فقه التغيير والانتقال من الحلقة إلى الحركة : حيث يكمن جوهر الخلاف الذي لم يفهمه الصومعي في طبيعة الجهد الدعوي ؛ فالطريقة التقليدية التي كانت سائدة هي جلوس الشيخ في حلقة العلم بانتظار الطلاب، وهي طريقة مباركة لكن ثمرتها محدودة في استيعاب عموم الأمة الغارقة في الغفلة. والشيخ محمد إلياس أدرك ببصيرته أن هذا الواقع يحتاج إلى حراك ميداني يصل بالدين إلى الناس في محالهم وأسواقهم وأماكن لهوهم. وهذا الانتقال من الجمود إلى الحركة هو ما جعل الملايين يعودون للمساجد. فما يراه الصومعي انحرافاً هو في حقيقة الأمر إحياء لسنة الأنبياء الذين كانوا يتحركون للناس ولا يكتفون بانتظارهم، وهو المنهج الذي بدأ به النبي ﷺ دعوته حتى قويت شوكتها.

ثالثاً: تفنيد فرية الحجة الملزمة وتقدير الأكابر : يستغل الصومعي عبارة الشيخ محمد زكريا إن حضرة التهانوي حجة ملزمة لي ولك ليشن هجوماً على عقيدة القوم، وهذا من قبيل التدليس اللفظي وبتر السياق؛ فالإلزام هنا ليس إلزاماً تشريعياً يضاهي الوحي —كما يزهم الصومعي— بل هو إلزام أدبي وتربوي نابع من احترام التلميذ لشيخه ومن اعتراف الخبير بفضل الأكابر في فنون الإصلاح والتربية. إن الصومعي الذي يقدس أقوال شيخه النجمي ويجعلها معياراً للحكم على الملايين، هو آخر من يحق له التحدث عن عدم الحجة في قول الرجال . فبينما كان الشيخ زكريا يتكلم بلسان الأدب مع العلماء ، يتكلم الصومعي بلسان الإقصاء والتبديع لكل من لا يسير خلف منهجه الضيق.

رابعاً: مغالطة اقتطاع الكلام وتزييف الوعي التربوي : إن النقاش الذي دار حول إقرار مادة اللغة الأردية والحساب لطلاب القرآن يظهر مدى الأمانة العلمية والحرص التربوي لدى هؤلاء المشايخ، حيث كانوا يناقشون أولويات التعليم لضمان عدم تشتت الطالب في بداياته. فتصوير الصومعي لهذا النقاش التربوي الدقيق وكأنه فساد معتقد هو قمة الصبيانية في الطرح؛ فهل أصبح النقاش في المناهج الدراسية موجباً للقدح في ديانة الناس؟ إن الصومعي يمارس لعبة مفهومة باقتطاع مواقف حوارية عفوية بين العلماء ليصورهم كعصابات تتآمر، متجاهلاً أن القوم كانوا يحملون همّ أمة، ويبحثون عن وسيلة تحمي العامة من الجهل والضياع.

خامساً: تحليل نفسية الصومعي وتياره في التعامل مع المخالف : يتبين في هذا النقل حنق شديد لدى الصومعي تجاه أي قبول يوضع لغير مدرسته؛ فهو يضيق ذرعاً برؤية مشايخ الهند يفتخرون بمدرستهم (ديوبند) التي حفظت الدين قروناً، ويحاول شيطنة رموزهم بكل وسيلة. إن الصومعي وتياره أسود على الدعاة الذين يبذلون وقتهم ومالهم في سبيل الله، بينما تنخرس ألسنتهم أمام المفسدين الحقيقيين في المجتمع. إن محاولته تصوير هؤلاء المصلحين كـ بلطجية هي انعكاس لنفسية إقصائية ترى أن الحق حكر عليها، وأن أي جهد إسلامي ناجح خارج إطارها هو ضلال يستوجب الهدم، مما يثبت أن محرك الرد ليس الغيرة على التوحيد، بل هي الخصومة الحزبية المغلفة بعبارات العقيدة.

تناقض الصومعي ، يقدس قول شيخه النجمي ثم ينتقد غيره :

وقال الصومعي : (**أقول** انظر أيها المسلم إلى الشيخ محمد زكريا يجعل قول التهانوي حجة ملزمة، يا هذا، لا حجة في قول أحد، الحجة في قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم اما قول غيرهما فليس بملزم إلا بالدليل إن فعل الكاندهلوي هذا ضلال وعلى كل أيها المسلم عافانا الله وإياك من الضلال وأهله قد تقول من هو التهانوي وما الذي يدرينا أنه ديوبندي . **أقول** لك خذ بعض أقواله كي تقطع الشك باليقين.)))

إن الرد على ما أثاره الصومعي من اتهام للشيخ محمد زكريا بالضلال بدعوى تقديس الرجال يكشف في طياته التناقض المفضوح في صناعة المرجعية؛ فمن أعجب ما يواجه القارئ في كلام الصومعي هو هذا الورع البارد في الادعاء بأنه لا حجة إلا في قول الله ورسوله، بينما تنطق كل أفعاله وتصنيفاته بنقيض ذلك تماماً، إذ جعل من فتوى شيخه النجمي ميزاناً فاصلاً بين الإيمان والكفر والسنة والبدعة، ممارساً بذلك عبادة الشيوخ والتستر خلف نقل فتاواهم ووضع هؤلاء الشيوخ في موضع الدليل، فلا تجد في رسالته تأصيلاً علمياً بل مجرد حشد لأقوال من يوافقونه ليحاكم الأمة كلها لفهم شيخه واجتهاده ثم ينهى غيره عن مثل ذلك بصلف ظاهر.

ويتجلى التدليس في تكييف الحجة الملزمة حين يحمل الصومعي عبارة الشيخ محمد زكريا عن الشيخ التهانوي بأنه حجة ملزمة على المحمل التشريعي الكفري، متجاهلاً السياق التربوي والأدبي الذي انطلق منه الشيخ زكريا في كلامه عن الأدب مع الأكابر والاعتراف بفضل الخبير، حيث يقصد الإلزام الأدبي والمرجعية في فنون التربية والإصلاح لا التشريع

الذي يزاحم الوحي، بينما نجد واقع تلامذة النجمي يظهر تقديساً لأقوال شيخهم يتجاوز الإلزام الأدبي ليصل إلى حد التألي على الله والحكم بمصائر العلماء في الآخرة بناءً على موافقتهم لشيخه أو مخالفته، مما يثبت أن الصومعي يهرب من نقد المحتوى إلى شيطنة المصطلحات بأسلوب يفتقر للإنصاف.

كما تبرز ازدواجية المعايير في الألقاب والتبجيل من خلال محاولة الصومعي تضخيم وتلميع شيخه النجمي عبر اختراع مناصب لم توجد أصلاً، مثل مفتي عام جنوب المملكة، في محاولة لإضفاء هالة من العصمة والقداسة على أقواله تجعلها حجة ملزمة على الملايين، وفي الوقت ذاته يستكثر على علماء الهند الافتخار بمدرستهم ديوبند التي حفظت الدين قروناً، فيرفع الأقزام لمجرد أنهم يكررون ما يقوله شيخه ويسقط القامات العلمية كالشيخ الجزائري والشيخ زكريا لأنهم خارج دائرته الحزبية، مما يؤكد أن محرك الرد ليس نفي الحجية عن الرجال بل هو نفي الحجية عن غير رجاله هو.

وإن اعتماد قوائم الإقصاء وحصر الحق هو المنهج الفعلي للصومعي رغم زعمه نصرة التوحيد، حيث جعل من أقوال شرذمة قليلة من المتأخرين حجة تقضي على تعديل وتوثيق كبار علماء الأمة، فمنهجه يفتقر إلى التقوى العلمية لأنه يبني أحكاماً قطعية فوق رمال متحركة من الأوهام والخصومات الشخصية، ويستخدم نصوص الوحي كسلاح حزبي لتصنيف العباد وإسقاط هيبتهم العلمية، وهو عين الضلال الذي يحاول رمي غيره به، فإذا كان الشيخ زكريا يرى في التهانوي مرجعاً تربوياً فإن الصومعي جعل من النجمي مرجعاً يوزع صكوك الغفران والتوبة على مفسري القرآن بغير حق.

ويكشف تحليل نفسية الغلو والادعاء عن نفسية إقصائية تعاني من الغيرة المنهجية، فنجاح أهل التبليغ في هداية الملايين جعل الصومعي يبحث عن أي زلة لفظية ليحولها إلى قضية عقدية، ومطالبته للناس بترك الضلال وهو يغرق في غلو التبديع وسوء الأدب مع العلماء هو قمة التناقض، فالموحد الحقيقي هو من يحترم حرمات المسلمين ولا يتخذ من التوحيد مطية لتفريق شمل الأمة والنيل من رموزها، فالحق لا يعرف بالرجال الذين يقدسهم الصومعي بل الرجال يعرفون باتباعهم للحق والعدل والإنصاف، وهي المعاني التي غابت عن تعليقات الصومعي المليئة بالحقد واللف والدوران، مما يجعل رده إدانة لنفسه قبل كل شيء، فالواقع المشهود أن جهد التبليغ بني على تعظيم الخالق وعمارة المساجد بينما بني منهج الصومعي على تقديس الردود وإسقاط الرموز.

تكفير الصومعي لعموم المسلمين من أهل التبليغ لمجرد فهمه لكلام شيخ هندي :

وقال الصومعي : (((يقول الشيخ أشرف التهانوي: إن أهل التصرف يقدرون على العناصر فيركبون الأجساد ويتشكلون في الأشكال وذلك لأن الروح ذات انبساط فيوقفون بينها وبين عدد من الأجساد مما يسهل عليهم التشكل في أشكال مختلفة [مقالات حكمت ص 31]. انظر وتأمل وأعجب من أقوال التهانوي جعل البشر يتصرفون في الكون هذا كلام سفسطة وزندقة وكفر وإلحاد نسأل الله العافية .

ويقول التهانوي : يقول ديوان محمد ياسين وكان من خدام الشيخ النانوتوي رحمه الله عليه: كنت مشغولاً بالذكر تحت القبة الشمالية في مسجد جهته وكان الشيخ النانوتوي رحمه الله عليه مراقباً في صحن المسجد في الجهة الشمالية نفسها وكان متوجهاً إلى قلبي إذ طرأت علي حالة خاصة ورأيت وأنا في حالة الذكر أن غاب سقف المسجد وقبته مع بقاء جدرانه وأن نوراً عظيماً في الفضاء ممتد إلى السماء وعليه الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة على الزوايا الأربعة نزل العرش حتى استقر قريباً مني في المسجد فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد خلفاءه : إذهب وآت بالشيخ محمد قاسم فذهب وأتى به فطلب الرسول صلى الله عليه وسلم من الشيخ محمد قاسم حساب المدرسة بكل دقة ففرح الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا فرحا شديداً وأذن له بالذهاب ثم صعد العرش إلى السماء وغاب عن الأنظار تعليق التهانوي ماذا تظن أيها المسلم أن التهانوي سيقول تجاه هذه الخرافة السخيفة التي تمجها الفطر السليمة لقد استحوذ عليهم الشيطان ولبس عليهم فظنوه محمداً صلى الله عليه وسلم أحمد الله أيها المسلم على نعمة الإسلام وعلى نعمة السنة ونعمة العقل السليم ولكن انظر ماذا قال التهانوي الذي يتمنى محمد إلياس أن يستخدم أسلوبه في دعوته بقول: إن هذه الواقعة كانت نوعاً من الكشف والذي يحتمل أن يكون قد حصل بتوجه الشيخ ولعل تعبير هذه الواقعة هو أن يرى صاحبها ما رأى فيها من تدقيقه صلى الله عليه وسلم لحساب المدرسة حتى يطئمن الذين كان في قلوبهم شك حول ذلك وأما المعاندون فمن دأبهم التشكيك حتى في الوحي [أرواح ثلاثة] ص 434.

قال الشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله : أقرأوا أيها الناس واعجبوا كيف يؤسس النبي صلى الله عليه وسلم مدرسة تحارب سنته وتنبذ هديه فهي ماتريدية في العقائد حنفية في المذهب أسست على معصية الرسول والتفرق في الدين لا يرضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء الراشدون المهديون ولا أبو حنيفة رحمه الله لأن عقيدة أبي حنيفة التي رواها عنه الثقات بعيدة كل البعد من الماتردية والتقليد والتفرق ولكن إذا لم تستح فاصنع ما شئت وقل ما شئت [السراج المنير ص 17].

قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله : قلت ما جاء في هذه القصة الخرافية فهو من أعظم الافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى خلفاءه واصحابه وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

فلا يأمن الذين افتروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلىخلفائه وأصحابه أن يكون لهم نصيب وافر من هذا الوعيد الشديد وكذلك الذين يعتقدون صحة هذه الخرافة من التبليغيين وغيرهم لا يأمنوا أن يكون لهم نصيب وافر من الجزاء على هذه الفرية العظيمة [القول البليغ ص 72].)

إن هذه الشبهة العظيمة التي أثارها الصومعي ومن خلفه الهلالي والتويجري، يكشف عن خلل عميق في تصورهم للأمور واندفاع غير مبرر نحو التكفير والتبديع بناءً على فهم قاصر أو تأويل متعسف لنصوص مقتطعة، حيث إن هذه الشبهة مبنية على سلسلة من الإلزامات الباطلة والفهم المغلوط للنصوص والوقائع؛ فكلام التهانوي في دقائق السلوك لا يمثل منهج جماعة عالمية، والواقع العملي للتبليغيين يثبت براءتهم من الشرك والبدعة جملة وتفصيلاً. وإنَّ استغلال آيات الشرك الأكبر لتكفير الموحدين المصلين هو خروج عن جادة أهل السنة، ومسلكٌ يورث الفرقة ويقطع سبل الإصلاح، بينما يبقى فقه الاحتواء والإنصاف الذي سلكه الأكابر كالشيخ الجزائري هو المنهج الأرشد في حماية الأمة ودعوتها. ويتضح ذلك من خلال المحاور التالية:

أولاً: تفنيد مغالطة التعميم وإلزام الملايين بأقوال الأفراد ، حيث يبرز الخطأ المنهجي الأكبر في محاولة الصومعي سحب كلام الشيخ أشرف التهانوي —على فرض ثبوته وفهم مراده— على ملايين المسلمين من أهل التبليغ في مشارق الأرض ومغاربها؛ فالعقل والشرع ينكران إلزام أمة من الناس بتبعات قول صدر من عالم في بيئة جغرافية وتاريخية معينة، خاصة وأن جلّ أتباع التبليغ اليوم لا يقرؤون هذه الكتب المعقدة ولا يتدينون بما فيها من دقائق صوفية،

بل مرجعيتهم هي الأصول الستة المباشرة التي تدعو للتوحيد واليقين على الله، فإسقاط أحكام الكفر والزندقة على الموحدين بناءً على رابط مدرسي قديم هو محض ظلم معرفي وجناية على حرمة المسلمين.

ثانياً: التدليس في تأويل المصطلحات وحقيقة التصرف والروح ، إذ يسلك الصومعي مسلك الشيطنة عبر بتر كلام التهانوي عن أهل التصرف ووصمه بالسفسطة والزندقة، متجاهلاً أن المصطلحات الصوفية عند علماء الهند والديوبندية تُحمل على معانٍ تربوية وذوقية تتعلق بالفتح الرباني وانشراح الصدر وتأثير الروح بالذكر، ولا تعني بحال من الأحوال مشاركة الخالق في تدبير الكون أو ادعاء الربوبية؛ فإسراع الناقد إلى اتهام المسلم بالحلول أو وحدة الوجود لمجرد تعبير مبهم أو فلسفي هو من منهج التسرع في التبديع الذي يغفل عن معية الله العلمية والإحاطة، ويحول الوسيلة التربوية إلى عقيدة شركية بـ تعسف ظاهر.

ثالثاً: تكييف الواقعة الكشفية ورد دعوى الافتراء على النبي ﷺ ، فعند النظر في قصة حساب المدرسة التي شن عليها التويجري والهلالي هجوماً عنيفاً، نجد أن التهانوي نفسه وصفها بأنها نوع من الكشف ، والكشف عند أهل العلم هو رؤية قلبية أو منامية يُستأنس بها ولا يُبنى عليها تشريع ولا تُزاحم الوحي المعصوم؛ فتصوير هذه الواقعة وكأنها تأسيس لدين جديد أو كذب متعمد هو تهويل يفتقر للإنصاف. إن هذه الرؤى تهدف لتطمين القلوب في سياق تربوي خاص، وأهل التبليغ لا يجعلون من هذه القصص مصدراً للعقيدة، بل المبلّغ في الميدان يدعو لعظمة الخالق واليقين عليه وحده، والادعاء بأنهم يعتقدون صحة كل خرافة هو رجم بالغيب وافتراء على واقعهم المشهود في المساجد.

رابعاً: تهافت الطعن في مدرسة ديوبند والمذهب الحنفي والماتريدي ، حيث يظهر شطط الشيخ الهلالي —عفا الله عنه— في وصف مدرسة ديوبند بأنها أُسست على معصية الرسول لمجرد كونها ماتريدية في العقيدة حنفية في المذهب؛ وهذا المسلك هو ضيق أفق شديد يخرج غالبية علماء الأمة وتاريخها من دائرة السنة. فالماتريدية والأشعرية والمذاهب الأربعة هي مدارس سنية معتبرة حفظت الدين قروناً، والديوبندية كانت الحصن المنيع ضد القاديانية والبريلوية الغالية، فوصف التزامهم المذهبي بنبذ الهدي هو نوع من خصخصة الحق وحصره في فئة ضيقة، وهو ما يفتت شمل المسلمين ويخدم أعداء الملة.

خامساً: تحليل منهجيةء الغلو والإقصاء عند الناقدين ، إذ يكشف هذا الهجوم عن عقلية تقسيم الناس التي لا ترى إلا اللونين الأبيض والأسود؛ فالنجمي وتلامذته يستخدمون نصوص الوعيد والشرك كـ سلاح حزبي لإسقاط الخصوم الدعويين، ويجبنون في المقابل عن مواجهة الإلحاد والفجور الحقيقي. إن محاكمتهم للشيخ الجزائري ومطالبته بالتوبة لأنه أنصف هؤلاء الموحدين، هي قمة التألي على الله ومصادرة لرحمته التي وسعت كل شيء. إنهم يصنعون صورة ذهنية مشوهة عن الجماعة عبر نبش كتب التاريخ المنسي، ثم يحاكمون الأحياء بناءً على أوهامهم، متجاهلين أن التوحيد العملي الذي يغرسه أهل التبليغ في قلوب العوام هو أعظم رد على تهم القبورية والخرافة التي يرميهم بها المفتونون بالتبديع.

براءة أهل التبليغ من شطحات الغلاة وشهادة الواقع الميداني ترد على الافتراءات.

إن الحق أحق أن يتبع، وهذا هو المبدأ الأصيل الذي يجب أن يحكم علاقتنا بالعلماء والدعاة؛ فمنهج أهل السنة والجماعة يقوم على الأخذ بما وافق الدليل الشرعي وترك ما خالفه، حيث إن القاعدة الذهبية تقرر أن كل شخص يُؤخذ من قوله ويُرد عليه إلا صاحب القبر الشريف صلى الله عليه وسلم. ومن هنا، فإننا نؤكد احترامنا وتقديرنا للأكابر من العلماء والصلحاء، ولكن هذا الاحترام لا يعني أبداً تقديسهم أو اتباعهم في زلاتهم وأغلاطهم، فالعالم قد يصيب وقد يخطئ، وعطاؤه العلمي يُعامل كاجتهاد يُعرض على نصوص الوحيين، ولا يجوز بحال إضفاء هالة من العصمة على أحد غير المعصوم صلى الله عليه وسلم.

إن التناقض الصارخ يظهر عند الخصوم الذين يرمون غيرهم بتقديس الرجال، بينما هم يمارسون عبادة الشيوخ والتستر خلف فتاواهم، جاعلين من أقوال شيوخهم ميزاناً فاصلاً بين الحق والباطل، ومحاكمين الأمة كلها لاجتهادات أفراد بعينهم. فبينما يرى المنصفون أن كتب الأكابر كالشيخ زكريا الكاندهلوي هي عطاء علمي وفقهي يُقبل منه ما وافق الحق ويُعذر صاحبه فيما أخطأ فيه، نجد المتطرفين في التبديع يحاولون إلزام ملايين المسلمين بتبعات كل عبارة أو شطحة لفظية وردت في كتب قديمة، متجاهلين أن هذه الكتب ليست دستوراً عقدياً ملزماً للجماعة، بل العبرة بالأصول الستة المعلنة والمتبعة ميدانياً.

وأبلغ رد على من يحاول إلصاق تهم القبورية أو وحدة الوجود أو غيرها من الشطحات بجهد التبليغ هو واقع الميدان ؛ إذ لم يُؤثر قط عن أحد من الملايين الذين يخرجون للدعوة في مشارق الأرض ومغاربها أنه يدعو للقبور أو ينطق بتلك الكفريات التي ينبش عنها الصومعي

في بطون الكتب المنسية. إن الخطاب التبليغي اليومي في آلاف المساجد يتمحور حول عظمة الله، واليقين عليه، واتباع السنة، وإقامة الصلاة، وهي معانٍ تضاد تماماً ما يرميهم به الخصوم. فلو كانت تلك الشطحات جزءاً من المنهج، لظهرت في بياناتهم ودروسهم العامة، ولكن خلو واقعهم منها يعد دليلاً قطعياً على براءتهم منها، وأن ما ينقله الناقدون ليس إلا صورة ذهنية مشوهة صنعها الخصوم لصد الناس عن سبيل الإصلاح.

إننا نبرأ إلى الله من كل غلو أو انحراف عقدي، ونؤكد أن جهد التبليغ هو وسيلة دعوية حركية تهدف لاستنقاذ العصاة ورد الناس إلى المساجد، وليست مدرسة كلامية تتبنى دقائق الفلسفات الصوفية. ومحاولة الصومعي سحب أخطاء آحاد الناس أو عبارات موهمة لعلماء في بيئة معينة على مجموع الأمة الموحدة هو ظلم معرفي وجناية على الحقيقة. فالحق لا يُعرف بالرجال، بل الرجال يُعرفون بالحق، والواقع المشهود يثبت أن أهل التبليغ هم أهل توحيد وصلاة وذكر، وأن كل ما يُلصق بهم من خرافات هو محض تدليس وتلفيق لا رصيد له في ممارستهم الدعوية العالمية.

تدليس الصومعي وتكفيره عموم أهل التبليغ في العالم كله وإلزامهم بما يلزم :

أقول أما الآن أيها المسلم الغيور على دينه فما أظن أنه يبقى لديك شك في قول الشيخ أحمد حفظه الله تعالى من أن جماعة التبليغ جماعة ديوبندية والله المستعان.)))

إن محاولة الصومعي حصر جماعة التبليغ في قالب الديوبندية وتصوير هذا الانتساب وكأنه صك إدانة أو دليل قطعي على الانحراف هو مسلك يفتقر للأمانة العلمية ويقوم على مغالطة الربط ببيئة المنشأ؛ فالمدرسة الديوبندية في حقيقتها هي جامعة إسلامية علمية عريقة حفظت السنة والحديث في شبه القارة الهندية لقرون، وتخرج منها جهابذة علماء الإسلام، وليست فرقة ضالة كما يحاول الخصوم إيهام العامة. والتدليس هنا يكمن في استخدام هذا المصطلح كـ فزاعة لتنفير الناس، متجاهلاً أن التبليغ فكر عالمي تجاوز حدود الجغرافيا والمذهبية المدرسية؛ فالمبلغ في بلاد الحرمين أو العالم العربي يرجع في فتاواه وعقيدته إلى علماء بلده الموثوقين، وكثير منهم سلفيو العقيدة في توحيد الألوهية والأسماء والصفات، ولا يعرفون عن تفاصيل المذهب الديوبندي أو الماتريدي إلا أسماء يسمعونها من خصومهم.

إن الصومعي يسلك منهج الإلزام بما لا يلزم ، حيث يحاول قسرياً إلزام ملايين المسلمين بتبعات آراء كلامية دقيقة أو فلسفية قد توجد في بطون كتب قديمة لعلماء في بيئة معينة،

محولاً الآلية الدعوية التي تهدف لإصلاح العوام إلى مدرسة عقدية منظمة، وهو خلط شنيع؛ فجماعة التبليغ هي وسيلة حركية لاستنهاض الهمم نحو المساجد والالتزام بالفرائض عبر الأصول الستة الميسرة، وليست مختبراً لآراء المتكلمين. فإسقاط أحكام التبديع والتكفير على مجموع الموحدين بناءً على رابط مدرسي قديم لم يتدينوا به يوماً هو ظلم معرفي وجناية على حرمة المسلمين الذين يملؤون المساجد ركوعاً وسجوداً.

إن هذا المنهج الإقصائي يغلب الوهم الذهني على الواقع العيني ، متجاهلاً أن التوحيد العملي الذي يغرسه أهل التبليغ في قلوب العامة —عبر إخراج اليقين الفاسد من القلوب على المخلوقات وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله— هو أعظم رد على تهم القبورية والشرك التي يرميهم بها المفتونون بالتصنيف. إن صمت الجماعة عن المسائل الخلافية وتركيزهم على المجمع عليه من أركان الإسلام هو عين الحكمة في جمع الكلمة، مما يثبت أن محرك ردود الصومعي وشيخه هو الخصومة الحزبية والضيق بالقبول الذي وضعه الله لهؤلاء المصلحين، وليس الغيرة على العقيدة كما يزعمون تضليلاً للعامة.

تكفير سيف الرحمن والصومعي لجموع أهل التبليغ بلا استثناء :

قال الصومعي : (((**يقول سيف الرحمن بن أحمد الدهلوي** في كتابه نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية : ما نصه ومن بعض مميزات الجماعة واكابريها ما عرف عنهم أنهم يقرون بالتوحيد ولكن توحيدهم لا يزيد عن توحيد مشركي مكة أي أن كلامهم يطول في جانب من توحيد الربوبية فقط وبصبغة التصوف وفلسفة التصوف فقط أما توحيد الألوهية والعبادات فهم فقراء معدمون ومفلسون بل بصراحة هم مشركون فيها وأما توحيد الأسماء والصفات فهم بين أشاعرة وما تريدية فيها وإلى الثانية هم أقرب.

ويقول محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ في قصيدة البردة الشركية : **قصيدة البردة عندنا من المقرر قراءته على العلماء** [ملفوضات الياس ص 53].

أقول إن إلياس: بقوله هذا يقرر لجماعته المتبعين له مقررات شركية وهي قصيدة **(البردة)** لمؤلفها البوصيري الذي جعل علم الغيب كعلم اللوح والقلم ووجود الدنيا والآخرة أن هذه الأمور التي هي من خصائص الله سبحانه وتعالى جعلها لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا شرك لا ينكر ذلك أحد عرف التوحيد إلا من أضله الله .

ولذلك يقول الشيخ محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله : وأما البردة والهمزية ففيها من الشرك والضلال ما لا يرتضيه إلا كل مشرك دجال فمنها قوله:

يا اكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وقوله:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فماذا بقي لله تعالى ؟ قاتل الله الغلاة المشركين .)))

إنَّ تكفير سيف الرحمن والصومعي لجموع أهل التبليغ بلا استثناء يكشف عن تجرؤٍ خطيرٍ على حرمات المسلمين ومجازفةٍ عقديةٍ كبرى؛ فوصف سيف الرحمن لتوحيد ملايين المصلين بأنه لا يزيد عن توحيد مشركي مكة، ووصمهم بالشرك الصريح في الألوهية، هو رجمٌ بالغيب وجنايةٌ ترفضها القواعد الشرعية التي توجب التثبت قبل التعميم. إن هذا المسلك يمثل قمة الخذلان، حيث تُنزل آيات الوعيد التي نزلت في كفار قريش على أمةٍ تشهد أن لا إله إلا الله وتقيم الصلاة، متجاهلاً أن التكفير حكمٌ عينيٌ يقتضي إقامة الحجة واستيفاء الشروط، ولا يصح عقلاً ولا شرعاً أن يُكفّر الملايين بناءً على رابط مدرسي أو فهمٍ قاصرٍ لنصوصٍ مقتطعة.

ويظهر التدليس في تأويل حقيقة التوحيد عند الجماعة من خلال تجاهل ما يسمونه الصفة الأولى (الكلمة الطيبة)، وهي في حقيقتها شرحٌ عمليٌ لتوحيد الألوهية والربوبية يهدف لإخراج اليقين الفاسد من القلوب على المخلوقات وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله وأفعاله. إن ادعاء سيف الرحمن بأنهم مشركون في الألوهية هو قلبٌ للحقائق ؛ فكيف تكون جماعةٌ غاية جهدها ربط القلوب بالخالق وحده وتجريد التوحيد من التعلق بالأسباب مؤسسة على الشرك ؟ إن هذا التيار يستخدم التوحيد كـ سلاحٍ حزبي لتصنيف العباد وإسقاط الخصوم الدعويين، بينما يثبت الواقع الميداني أن أهل التبليغ هم أهل إيمانٍ وذكرٍ وعمارةٍ للمساجد.

أما بخصوص فرية التأسيس على قصيدة البردة الشركية، فإن محاولة الصومعي والهلالي إلزام ملايين التبليغيين بتبعات أبياتٍ شعرية في كتبٍ قديمة هي نوعٌ من التبديع باللازم الذي حذر منه العلماء. إن الواقع يثبت أن الجماعة في صورتها العالمية هي آلية دعوية وليست مدرسة عقدية تتبنى فلسفات البوصيري أو غيره؛ فالمبلغ في الميدان يرجع في عقيدته لعلماء بلده الموثوقين، وكثيرٌ منهم سلفيو العقيدة لا يعرفون عن تعقيدات البردة شيئاً. إن حشر هذه

التفاصيل في سياق التبديع هو تلبيسٌ متعمدٌ لإبعاد الناس عن النشاط الدعوي، وتصويرٌ للعدو الوهمي عبر نبش التاريخ المنسي ومحاكمة الأحياء بناءً عليه بظلمٍ صراح.

ويتجلى سقوط المنهجية النقدية والاعتماد على خصومٍ مجروحين في استناد الصومعي إلى كتاب سيف الرحمن الدهلوي، وهو خصمٌ لدود كرس حياته للهجوم على الجماعة؛ والقاعدة العلمية تقرر أن كلام الأقران يُطوى ولا يُروى إذا قام على الخصومة. إن هؤلاء الناقدين يمارسون لعبة تدوير الأكاذيب ، حيث ينقل المتأخر عن المتقدم دون تمحيص، حتى تجد قائمةً طويلةً من الأسماء تكرر اتهامات سيف الرحمن وسيد طالب الرحمن دون دليلٍ ماديٍ واحد من واقع البيانات المعاصرة للجماعة. وهذا الجبن الانتقائي في النقل يثبت أن محرك الرد هو الخصومة الحزبية والضيق بالقبول الذي وضعه الله للمصلين، وليس الغيرة الصادقة على التوحيد.

إن الواقع الميداني يخرس ألسنة المتقولين الذين يحاولون شيطنة الجماعة بألقابٍ مثل القبورية والخرافية ؛ إذ لم يُؤثر قط عن ملايين الخارجين في سبيل الله أنهم يدعون لقبورٍ أو ينطقون بكفريات. إن استغلال آيات الشرك لتكفير الموحدين هو مسلكُ الخوارج الذي يفتت وحدة الأمة ويخدم أعداء الملة بتمزيق جسدها من الداخل. وسيظل جهد التبليغ وسيلةً لإحياء الإيمان ورد العصاة، بينما تبقى ردود الصومعي وأمثاله شاهدةً على منهج اللف والدوران الذي يبني أحكاماً قطعية فوق رمالٍ متحركة من الأوهام والظنون الكاذبة.

ماذا تفهم وبم تفسر قول الهلالي (فماذا بقي لله تعالى ؟ قاتل الله الغلاة المشركين) :

هذا القول هو ذروة الإرهاب الفكري الذي يمارسه هذا التيار عبر إسقاط نصوص الوعيد والشرك في غير محلها لإسقاط القامات العلمية وصد الناس عن جهود الإصلاح، محولين معارك العقيدة إلى منصات للترهيب والسب والقذف بغير حق.

يُفهم من قول الشيخ محمد تقي الدين الهلالي فماذا بقي لله تعالى؟ قاتل الله الغلاة المشركين ، الذي نقله عنه الصومعي، أنه تعبير عن الاستنكار الشديد والإنكار العقدي لما ورد في أبيات من قصيدة البردة و الهمزية ، حيث يرى الهلالي عفا الله عنه أن تلك الأبيات قد منحت صفات الألوهية والربوبية لغير الله قولا واحدا.

ويمكن تفسير هذا القول وسياقه من خلال النقاط التالية المستمدة من المصادر:

الاحتجاج بتجاوز خصائص الربوبية: جاء هذا القول تعليقاً على أبيات البوصيري التي يقول فيها: فإن من جودك الدنيا وضرتها، ومن علومك علم اللوح والقلم ؛ حيث اعتبر الهلالي أن إثبات علم الغيب المطلق وملك الدنيا والآخرة للنبي ﷺ هو اعتداء على خصائص الله سبحانه، وبناءً عليه طرح سؤاله الاستنكاري فماذا بقي لله؟ ليخلص إلى أن هذا الفعل هو شرك لا ينكره أحد عرف التوحيد .

استخدام لغة التهويل والتشنيع : إن هذا الأسلوب يندرج ضمن شيطنة المسالك الإسلامية وتهييج المشاعر عبر استخدام ألفاظ ضخمة وفاحشة ووصم المخالفين بالغلاة المشركين . هذا الخطاب يهدف إلى خلق صورة ذهنية سيئة لدى العامة تنطبع في عقولهم بأن الخصم هم مشركون دجالون.

مغالطة الإلزام باللازم : يُفسر هذا القول بأنه نوع من التبديع باللازم ؛ حيث يتم إلزام ملايين الموحدين بتبعات أبيات شعرية قديمة أو عبارات في بطون الكتب لم يتدينوا بها يوماً. فبينما يرى الهلالي والصومعي أن قراءة البردة تستوجب الشرك، يثبت الواقع الميداني أن أهل التبليغ هم أهل توحيد وإيمان، وغاية جهدهم هي تحقيق اليقين على الله وتجريد التوحيد من التعلق بالأسباب.

التناقض ومنهج الجبن الانتقائي : نقول إن هذا الاندفاع في تكفير المصلين تحت ستار الغيرة على التوحيد يقابله جبن وصمت أمام الطغيان الحقيقي للعلمانية والليبرالية والفجور المجتمعي. فبينما يصرخ الهلالي فماذا بقي لله؟ في وجه الدعاة، تنخرس ألسنة هذا التيار أمام من ينشر الرذيلة والكفر الصريح، مما يثبت أن المحرك هو الخصومة الحزبية والضيق بالرموز المقبولة عند الناس.

براءة المنهج العملي من شطحات الشعر: كلامنا وردنا يؤكد أن جماعة التبليغ في صورتها العالمية هي آلية دعوية وليست مدرسة عقدية تتبنى فلسفات البوصيري؛ فالمبلغ في الميدان يدعو للكلمة الطيبة التي تعني عندهم إخراج اليقين الفاسد على المخلوقات وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله، وهو ما يضاد تماماً دعوى الشرك التي أطلقها الهلالي.

استمراء إلزام ملايين المسلمين بقول شيخ لا يتبعونه :

ثم يستمر الصومعي في الاستدلال على تكفيره لأهل التبليغ كما توهم فيقول (((وقال العلامة حمود التويجري رحمه الله : وأما قراءة دلائل الخيرات وقصيدتي البردة و الهمزية وجعلها ورداً فهو أمر قبيح جداً لما في هذه الثلاث من الغلو والإطراء الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهي عنه ويشدد فيه بل إن قصيدتي ا لبردة و الهمزية قد اشتملتا على **الشرك الأكبر** الذي هو أعظم الظلم وأقبح المنكرات وأشد المحرمات تحريماً فلا يجعل هاتين القصيدتين و دلائل الخيرات ورداً إلا من هو مفتون بالشرك والبدع والغلو والاطراء [القول البليغ ص 90].

أقول وجاء في كتابهم تبليغي نصاب في باب فضائل الحج ما يلي: **إن الأولياء والأبدال والأقطاب يشتركون في الحج من جميع أنحاء العالم فهذه فرصة للاستفادة من فيوضهم وبركاتهم وأنوارهم وكمالاتهم.**

أقول إن هذا شرك بالله سبحانه وتعالى الناس يذهبون إلى الحج طاعة لربهم وتقرباً إليه ويطلبون منه المغفرة والجنة والرزق والصحة وغيرها وهذا يطلب الفيوض والبركات والأنوار من أقطابه وإبداله وأولياءه يا لها من مصيبة أيريد هؤلاء أن يعلموا الناس الدعوة المحمدية التي كان عليها محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته بل إنهم يعلمون الناس الشرك والكفر ومحاربه هدي محمد صلى الله عليه وسلم إن الدعاء لا يكون للإبدال والأقطاب والأولياء: يقول تعالى : { **قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا**} [الجن آية رقم 20] وقال تعالى : { **حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتحطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق** } [الحج آية 31].

وبين سبحانه وتعالى أن من دعا غيره أنه من أضل الناس قال تعالى: { **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**} [الأحقاف آية رقم 6].

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله:

التاسع : أن الله أسجل على من دعا غيره أنه لا أضل منه فقال{**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له**} الآيتين وفيها خمسة أمور كل واحد منها يبطل دعاء غير الله وينقض ما أصله هذا المعترض من أساسه :

الأول: قوله تعالى: { **ومن اضل ممن يدعو من دون الله** } ففيها بيان أن دعوة غير الله هي الغاية في الضلال.

الثاني: قوله: { **من لا يستجيب له إلى يوم القيامة** } فدعاء من لا يستجيب لداعيه عناء وشقاء ووبال وخسران في الحال والمال .

الثالث: قوله: { **وهم عن دعائهم غافلون**} فالداعي لمن هو غافل لا أضل منه وكيف يدع القريب المجيب ويدعو من هو غافل عنه لا يسمعه ولو سمعه ما استجاب له .

الرابع: قوله: {**وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء**} فخاب سعي من دعا مع ا لله غيره وخسر وشقي من يكون مدعوه خصماً له يوم القيامة.

الخامس: قوله: {**وكانوا بعبادتهم كافرين**} فإذا كان كل نبي أوولي أو عبد صالح يكفر بعباده من دعاه مع ا لله يوم الحشر بنص الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ويصير مصير الداعي بدعوته تلك إلى النار فلا أضل منه ولا أخسر من صفته ولا أكبر من حسرة وندامة يوم القيامة ومن تدبر كتاب الله وجد نظائر هاتين الأيتين كثيرة: [السيف المسلول على عابد الرسول ص 60].)))

إنَّ المتأمل في طعون الصومعي وشيخه النجمي يجد تناقضاً صارخاً في صناعة المرجعية، حيث يدّعون أنه لا حجة إلا في قول الله ورسوله بينما يجعلون من فتاوى شيوخهم ميزاناً فاصلاً بين الإيمان والكفر والسنّة والبدعة، ويحاكمون الأمة كلها لفهمهم الخاص واجتهادهم الفردي، وهذا المسلك يربي الصغار على التجرؤ على كبار علماء الأمة كالشيخ أبي بكر الجزائري الذي نال ثقة المفتي العام واللجنة الدائمة لعقود، فيصفونه بالواعظ تقليلاً من شأنه بينما يخلعون على شيوخهم ألقاباً مخترعة مثل مفتي عام جنوب المملكة لإضفاء هالة من العصمة على أقوالهم. ويتجلى التدليس في تكييف الحجة الملزمة حين يحملون عبارة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي عن الشيخ التهانوي على المحمل التشريعي الكفري، متجاهلين السياق التربوي والأدبي الذي يقصد الاعتراف بفضل الخبير في فنون التربية والإصلاح، بينما يمارس تيار الصومعي تقديساً لشيوخه يتجاوز الإلزام الأدبي ليصل إلى حد التألي على الله

والحكم بمصائر العباد في الآخرة والقطع بسوء عاقبة المخالفين، وهو مسلك يفسد الدين ويقطع أواصر الأخوة الإيمانية.

كما يظهر الغلو في تكفير عموم المسلمين من أهل التبليغ بناءً على فهم قاصر أو تأويل متعسف لنصوص مقتطعة من كتب قديمة لعلماء الهند، متجاهلين أن جل أتباع التبليغ اليوم يرجعون في عقيدتهم لعلماء بلدانهم الموثوقين وأن منهجهم الميداني يقوم على الأصول الستة التي تدعو للتوحيد الخالص وإخراج اليقين الفاسد من القلوب على المخلوقات وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله وأفعاله. وإن محاولة الصومعي سحب كلام التهانوي عن أهل التصرف ووصمه بالزندقة هو من منهج التسرع في التبديع الذي يغفل عن معاني الفتح الرباني وانشراح الصدر في المصطلحات التربوية والذوقية لعلماء ديوبند، كما أن القصص التي هاجمها الناقدون وُصفت بأنها نوع من الكشف الذي لا يُبنى عليه تشريع ولا يُزاحم الوحي المعصوم، وأهل التبليغ لا يجعلون من هذه الرؤى مصدراً للعقيدة بل هي لتطمين القلوب في سياقات خاصة.

إن هذا التيار يمارس ازدواجية معايير مذهلة؛ فهم يبرزون كصقور على الدعاة والعلماء الربانيين بينما تنخرس ألسنتهم أمام طغيان العلمانية والليبرالية والفجور الحقيقي في المجتمع، ويستخدمون نصوص السلف التي نزلت في المبتدعة الأصليين كالجهمية والاتحادية ليسقطوها بظلم صراح على الموحدين المصلين وعلى عالم جليل كالشيخ الجزائري الذي أفنى عمره في تدريس عقيدة المؤمن. إن الحق لا يعرف بالرجال بل الرجال يعرفون باتباعهم للحق والعدل، والواقع الميداني يثبت براءة أهل التبليغ من تهم القبور والخرافة؛ فالمبلغ في آلاف المساجد يدعو لعظمة الخالق واليقين عليه وإقامة الصلاة، بينما ينشغل الغلاة بتقديس الردود ونبش التاريخ المنسي لمحاكمة الأحياء بناءً على أوهام، مما يجعل ردهم إدانة لأنفسهم وتعرية لمنهج يفتت وحدة الأمة ويقطع سبل الإصلاح بالحقد والظنون الكاذبة التي لا تصمد أمام فقه الإنصاف والواقع المشهود.

كذب الصومعي ودلس وظن أنه أحسن صنعا :

وقال الصومعي : (**أقول** ولعله قد انزاح من صدرك الشك من أن جماعة التبليغ مبنية ومؤسسة على الشرك فاحمد الله على ذلك.)))

إن مسلك الصومعي وتجرئه على تكفير ملايين المسلمين يكشف عن غلو فاحش وانحراف منهجي يسلكه هذا التيار، فقول الصومعي انزاح الشك من صدرك أن الجماعة مؤسسة على الشرك هو قمة التلبيس والافتراء؛ فالحق أبلج، والواقع يثبت أن أهل التبليغ هم أهل إيمان وصلاة وذكر. إن محاولة تشويههم بالألقاب المعلبة مثل القبورية والخرافية هي بضاعة مزجاة لا تصمد أمام فقه الإنصاف الذي سلكه الأكابر كالشيخ الجزائري. وسيظل جهد التبليغ سفينة نجاة للمقصرين، بينما تبقى ردود الغلاة شاهدة على منهج يفتت الأمة ويقطع سبل الإصلاح بالحقد والظنون الكاذبة. ويمكن تفنيد ادعائه بأن جماعة التبليغ مؤسسة على الشرك من خلال الحقائق التالية:

أولاً: فجور الخصومة والجرأة على التكفير بالعموم:

إن ادعاء الصومعي بأن الجماعة مبنية ومؤسسة على الشرك هو كذب صراح ومجازفة عقدية كبرى؛ إذ كيف يجرؤ عاقل على وصم ملايين الموحدين الذين يملؤون المساجد ركوعاً وسجوداً بالشرك الأكبر؟ إن هذا المسلك يمثل قمة الخذلان والجناية على حرمة المسلمين، حيث يسقط الصومعي آيات الوعيد التي نزلت في كفار قريش وعباد الأوثان على ثلة من المؤمنين الذين لا يسجدون إلا لله ولا يدعون سواه. إن هذا التكفير الإجمالي يتجاهل تماماً ضوابط الشريعة التي تفرق بين الخطأ في الوسيلة وبين الفساد في العقيدة، مما يجعل حكمه رجماً بالغيب واعتداءً على مقام الربوبية بتوزيع صكوك الكفر على أمة تشهد أن لا إله إلا الله.

ثانياً: حقيقة الأصول الستة وبطلان فرية التأسيس على الشرك:

إن الواقع الميداني والمنهجي يكذب دعوى الصومعي جملة وتفصيلاً؛ فأصل دعوة التبليغ ولبّها هو الصفة الأولى وهي الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله)، والتي يشرحونها عملياً بأنها إخراج اليقين الفاسد من القلوب على المخلوقات، وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله وأفعاله . فكيف تكون جماعة غاية جهدها ربط قلوب العوام بالله وحده وتجريد التوحيد من التعلق بالأسباب المادية مؤسسة على الشرك ؟ إن الصومعي يمارس نوعاً من الإرهاب الفكري عبر حشد نصوص التوحيد ليوهم القارئ بأن خصومه يجهلونها، بينما الحقيقة أن الجماعة تجعل من التوحيد محركاً عملياً للحياة، وليس مجرد تقسيمات كلامية جافة يشتغل بها المنتقدون خلف مكاتبهم.

ثالثاً: منهج التبديع باللازم وشيطنة المصلحين:

يسلك الصومعي وشيخه النجمي مسلك التبديع باللازم ، وهو من أظهر خصال أهل الأهواء؛ حيث يحاولون إلزام ملايين المسلمين بتبعات نصوص قديمة أو عبارات موهمة لعلماء في بيئات معينة لم يقرؤوها يوماً ولم يتدينوا بها. إنهم يصنعون عدواً وهمياً عبر نبش كتب التاريخ المنسي، ثم يحاكمون الأحياء بناءً على تلك الأوهام، متجاهلين أن المبلّغ في الميدان لا يدرس الفلسفة الصوفية بل يدرس فضائل الأعمال وعظمة الخالق. وهذا التدليس يهدف إلى حشر الجماعة في قالب منفر لصد الناس عن سبيل الإصلاح الذي نفع الله به الملايين، وهو نوع من الظلم المعرفي الذي يقدم سوء الظن على بينة الواقع المشهود.

رابعاً: ازدواجية المعايير والجبن أمام المفسدين الحقيقيين:

يكشف خطاب الصومعي عن نفسية إقصائية تعاني من الغيرة المنهجية من القبول الذي وضعه الله لأهل التبليغ وللشيخ أبي بكر الجزائري؛ فهم يبرزون كـ صقور على الدعاة والعلماء الربانيين، بينما تنخرس ألسنتهم أمام طغيان العلمانية والليبرالية والفجور المجتمعي الحقيقي. إن هذا الجبن الانتقائي يثبت أن محرك الردود هو الخصومة الحزبية وضيق الصدر بكل جهد إسلامي ناجح خارج إطارهم الضيق. فبدلاً من أن يفرحوا برجوع العصاة للمساجد على يد أهل التبليغ، ذهبوا يبحثون عن مسوغات لتكفيرهم، مما يؤكد أنهم أحذية لمن يملك السلطة، وأسود فقط على من ينصح الناس بالرفق واللين.

أثر الخطاب المدخلي والغلو في التبديع على الشباب وإفراز جماعات تكفيرية :

إن جذور جماعات التكفير المعاصرة والمنهج الإقصائي نشأت من رحم تيار السلفية الغالية في التبديع ، وهو فصيل انحرف عن جادة المنهج السلفي الأصيل ليحول الدين إلى أداة للتصنيف والوقيعة في ديانات المسلمين. وترجع بذور هذا الفكر إلى علاقة مشبوهة بين ساسة استخدموا الدين لإرساء قواعد حكمهم وبين دعاة قاموا بتكفير كل من له أدنى علاقة بمن يعتبرونه مشبوهًا ، مما أنتج نبتة سوء تعتمد التكفير بالعموم وسيلة لفرض السطوة وتصفية الخصوم الدعويين. ويقوم هذا المنهج على تحويل التوحيد من عقيدة بناء وإصلاح إلى سلاح حزبي وقوائم إقصاء ترفض كل جهد إسلامي لا يخرج من مشكاتها الضيقة، بل وتصمه بالشرك الأكبر والضلال المخرج من الملة.

وتعتمد هذه الجماعات في نشأتها على منهجية التبديع باللازم ، حيث يسحبون أحكام الكفر والفسوق على ملايين الموحدين بناءً على استنتاجات وتأويلات بعيدة لـ عبارات مقتطعة أو

نصوص قديمة، متجاهلين ضوابط الشريعة في التفريق بين الخطأ الفردي والمنهج الجماعي. كما يبرز دور الأصاغر والمتعالمين في تأجيج هذا الفكر عبر التجرؤ على كبار علماء الأمة وإسقاط مكانتهم لفتح الطريق لتسييد رموزهم الخاصة الذين يوزعون صكوك الغفران والتوبة على المخالفين. وتتغذى هذه التيارات على ازدواجية معايير مذهلة؛ فهم يبرزون كـ صقور على الدعاة والعلماء الربانيين، بينما تنخرس ألسنتهم أمام طغيان العلمانية والليبرالية، مما يجعلهم في نهاية المطاف مجرد أدوات تخدم أصحاب السوط لتمزيق وحدة الصف المؤمن.

إن استقرار هذا الفكر في المجتمع جاء نتيجة تغييب منهج التثبت والإنصاف واستبداله بالرجم بالغيب وسوء الظن بالمسلمين، حيث يتم تصوير المجتمع والحركات الدعوية كـ أعداء للتوحيد لتبرير لغة الهجر والقطيعة. وقد أدى هذا الظلم المعرفي إلى نشوء بيئة مشحونة بالصراعات الجانبية، حيث ينشغل هؤلاء بالبحث عن زلات اللسان ليحولوها إلى قضايا عقدية تستوجب التكفير، مما يقطع سبل الإصلاح بالحكمة والموعظة الحسنة ويخدم أعداء الملة بتمزيق جسد الأمة الواحدة من الداخل.

تدليس النجمي عفا الله عنه وتلاعبه بالألفاظ :

إن محاولة النجمي التدليس على الشيخ الجزائري وتصويره وكأنه يفضل شيئًا على عقيدة التوحيد هي اتهام باطل لا أساس له. والواقع أن أهل التبليغ هم أهل سنة وجماعة في مجمل عقيدتهم ومنهجهم، ولا يوجد فرق جوهري بينهم وبين السلفيين في الأصول، وإن اختلفت بعض طرقهم الاجتهادية أو أساليب دعوتهم، أو في نظرتهم إلى احتكار الحق.

تفنيد اتهام النجمي: الشيخ الجزائري لم يفضل شيئًا على عقيدة التوحيد.

فقول النجمي: (تفضلها على عقيدة التوحيد العقيدة السلفية) قول باطل ، في محاولة للتدليس والطعن في منهج الشيخ يزعم النجمي أن الشيخ أبا بكر الجزائري قد فضّل التبليغ شيئًا على عقيدة التوحيد العقيدة السلفية ،. وهذا الزعم باطل ومردود عليه، فالشيخ الجزائري، رحمه الله، كان من دعاة التوحيد البارزين، ولم يُعرف عنه تفضيل أي منهج على عقيدة السلف الصالح. بل كان دائمًا يدعو إلى التمسك بالكتاب والسنة على فهم السلف.

دحض مزاعم النجمي حول الشيخ الجزائري:

إن الشيخ أبا بكر الجزائري، رحمه الله، لا يُعرف عنه إلا أنه من العلماء الربانيين الذين أمضوا حياتهم في الدعوة إلى التوحيد الخالص، والتحذير من الشرك والبدع. تدريسه في المسجد النبوي الشريف، ومؤلفاته العديدة، وخطبه المسموعة والمرئية، كلها تشهد على رسوخه في العقيدة السلفية وحرصه الشديد على تعليمها للناس. فكيف يُتهم مَن هذا حاله بأنه يفضل شيئًا على عقيدة التوحيد؟ هذا افتراء صريح لا يليق بمكانة الشيخ ولا بتاريخه الدعوي.

إذا كان النجمي عفا الله عنه يقصد أن الشيخ الجزائري قد يُظهر لينًا أو مرونة في التعامل مع جماعات إسلامية أخرى (مثل جماعة التبليغ)، فهذا لا يعني أبدًا تفضيل شيء على عقيدة التوحيد بل هو منهج الاسلام في قول الحق حتى ولو كان الحق مع فئة أخرى . فالشيخ الجزائري كان يرى أن التعامل مع المسلمين جميعا بالنصح والرفق، ومحاولة تقريبهم إلى الحق، لا يُنافي التمسك بالعقيدة الصحيحة، بل إن الحكمة في الدعوة تقتضي هذا الأسلوب.

جماعة التبليغ وجماعات السلفية: مقاربة للواقع:

أما محاولة النجمي عفا الله عنه التمييز بين جماعتين كبيرتين هما أهل التبليغ و السلفية بهذا المعنى الذي يفضّله هو، فهي محاولة لتأجيج الخلافات وتصنيف المسلمين. فـــ :

1. كلتاهما جماعات دعوية إسلامية: فجماعة التبليغ وحركات السلفية (بمختلف أطيافها) هي جماعات إسلامية دعوية تسعى إلى هداية الناس إلى دين الله وإصلاح أحوالهم. كلتاهما تنطلق من مرجعية الكتاب والسنة، وتدعو إلى التمسك بهما.
2. المنهج الاجتهادي المشترك: فكلتاهما تعتمد على منهج اجتهادي في كثير من تفاصيل الدعوة والتطبيق. فالاجتهاد وارد في فهم النصوص وتنزيلها على الواقع، وفي تحديد أولويات الدعوة، وفي طرق التعامل مع المدعوين. لا توجد جماعة إسلامية معاصرة تستطيع أن تدعي أنها لا تجتهد في بعض المسائل.
3. اتباع السلف الصالح: فكلتاهما تدعي اتباع منهج السلف الصالح، وهو المنهج الذي يُعد أساسًا لأي فهم صحيح للإسلام. ولكن الفرق يكمن في طريقة تطبيق هذا المنهج، وفي مدى التعصب له، وفي النظرة إلى الآخر.
4. احتساب الحق والتعامل مع الآخر: وهنا تظهر نقطة الخلاف الجوهرية:
   a. فبعض الحركات السلفية (وخاصة غلاة التبديع) تميل إلى احتكار الحق، وتصور نفسها على أنها الممثل الوحيد للمنهج السلفي الصحيح، وترى في كل من يخالفها في بعض الجزئيات، أو لا ينتمي إليها، أنه على ضلال أو بدعة. وهذا يؤدي إلى التضييق على مفهوم السلفية والحكم على الآخرين بالتهم الباطلة.
   b. وأما حركة التبليغ، فعلى النقيض من ذلك، ترى أنها من عامة المسلمين، وتتعامل مع المسلمين جميعًا باللين والرفق، وتُركز على دعوة الناس إلى أصول الدين وإحياء شعائر الإسلام، دون الدخول في تفصيلات الخلافات العقدية أو الفقهية الدقيقة التي قد تُفرق ولا تجمع. هي تُركز على الجوامع، وتدعو الناس إلى المسجد، وإلى الإيمان بالله، والعمل الصالح، وإكرام المسلمين.

كذب الشيخ النجمي عفا الله عنه وحرب المصطلحات :

قال : (ألم تعلم أن مؤسس هذه الجماعة قبره في المسجد ألم تعلم أنه يجلس عند قبور الصوفية يطلب منهم الفيوضات ألم تعلم ان جماعة التبليغ مبنية على أربع طرق صوفية ألم تعلم أنهم يعادون أهل التوحيد.)

إن الصراع بين الشيخ النجمي والشيخ التويجري عفا الله عنهما من جهة، وبين مدافعين كالشيخ الجزائري رحمه الله من جهة أخرى، هو صراع بين منهج التصفية والتحذير وبين منهج التربية والاحتواء . فما يراه النجمي عفا الله عنه كذباً وافتراءً، قد يراه هو نصحاً للأمة بناءً على ما نقل إليه من كتب قديمة، بينما يرى المدافعون أن العبرة بالواقع المشاهد للجماعة اليوم.

إن خلاصة الرد على مقولة الشيخ النجمي عفا الله عنه يتلخص في عدة محاور أساسية:

تفنيد شبهة القبر في المسجد وبراءة مؤسس الجماعة الإمام إلياس:

يُثار دائماً أن الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (المؤسس لتلك الحركة) دُفن في المسجد، والحقيقة أن قبره يقع في نطاق مدرسة (مظاهر العلوم) أو بجوار بنجلي والي مسجد في نظام الدين بنيودلهي، لكنه ليس داخل صحن الصلاة الذي تقام فيه الشعائر بحيث يُسجد إليه. والخلط هنا يأتي من التصاق المباني في البيئة الهندية، بينما الجماعة في أدبياتها تنهى عن التبرك بالقبور أو الغلو فيها وفق ما يقرره علماء ديوبند الذين خرجت من رحمهم الجماعة.

إن تدقيق النظر في الهندسة المعمارية والممارسة العملية داخل مركز نظام الدين بنيودلهي يكشف بوضوح تهافت هذه الفرية، ويؤكد أن الخلط ناتج عن عدم إدراك لطبيعة المكان أو تعمد التشويه.

إن الناظر في واقع مقر جماعة التبليغ في نظام الدين يجد أن القبور الموجودة (ومنها قبر الشيخ محمد إلياس) تقع في زاوية منعزلة تماماً عن مصلى الجماعة؛ فهي ليست في مقدمة المسجد، ولا في وسطه، ولا يمر بين يديها المصلون. وإليك النقاط التي تدحض دعوى المسجد الضرار أو الغلو في القبور هناك:

انفصال جهة القبلة: فالقبر يقع في جهة مخالفة تماماً لجهة القبلة؛ فالمصلون في المسجد الجامع يولون ظهورهم لتلك المنطقة ولا يستقبلونها بأي حال من الأحوال، وهذا يقطع الطريق على أي شبهة تتعلق بالصلاة إلى القبر أو اتخاذه قبلة.

الإهمال وعدم الزخرفة: فعلى خلاف قبور أهل البدع والغلو، فإن قبر الشيخ محمد إلياس يظهر بمظهر القبر الشرعي البسيط؛ فهو غير مجصص، ولا مزخرف، ولا تعلوه قبة شاهقة مذهبة، ولا تسرج عنده القناديل. هذا الإهمال الظاهري هو رسالة عملية من الجماعة بأن صاحب القبر عبدٌ أفضى إلى ما قدم، وليس مزاراً يُطلب منه النفع.

انعدام الطقوس الشركية: فلم يُرصد في تاريخ الجماعة - لا من العرب ولا من العجم الذين يتوافدون بالألوف - أي ممارسة لـ المراقبة (وهي الجلوس لانتظار الفيوضات من الميت) أو التمسح بأعتاب القبر. بل إن التعليمات الصارمة داخل المركز تمنع التجمهر حول القبور، ويُركز المشايخ في بياناتهم على أن النفع والضر بيد الله وحده، وأن القبر إنما هو للعبرة والدعاء للميت بالرحمة فقط.

طبيعة العمران الهندي: يغيب عن المنتقدين أن المدارس والمساجد القديمة في الهند (كما في مدرسة مظاهر العلوم) كانت تُبنى كأوقاف متداخلة، فوجود القبر في فناء أو حوش ملحق بالمبنى لا يجعله داخل المسجد حكماً ولا عرفاً، خاصة مع وجود الحوائل المعمارية التي تفصل مكان الصلاة عن مكان الدفن.

دعوى طلب الفيوضات من الصوفية :

إن الاتهام بالجلوس عند القبور لطلب الفيوضات هو من قبيل تفسير السلوك بغير قصده . فالتبليغيون يؤكدون أن خروجهم هو لإحياء الإيمان بالعمل والخدمة، وما يُنسب للمؤسس من وجد أو فيوضات هو مصطلح صوفي يُقصد به عند علماء الهند الفتح الرباني في الدعوة وليس الشرك الأكبر أو دعاء غير الله. فالجماعة تُركز على (لا إله إلا الله) كمنطلق لتصفية القلب من التعلق بغير الله، وهو عين التوحيد الذي يطلبه منتقدوهم.

إن شهادة المنصفين، وعلى رأسهم الشيخ أبو بكر الجزائري، تؤكد أن هذه الجماعة هي حركة إحياء لجهد النبي ﷺ في تبليغ الدين، وأن ما يثار حولها من حرب مصطلحات إنما هو نتاج قراءات مجتزأة لا تراعي مقاصد القوم، ولا تفرق بين الوسيلة التربوية وبين العقيدة الشركية التي تبرأ منها الجماعة براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

إن رمي جماعة التبليغ بتهمة طلب الفيوضات من القبور لا يصمد أمام الفحص الدقيق لواقع هذه الجماعة التي تمثل عموم الأمة الإسلامية؛ فهي ليست طائفة منغلقة ولا تنظيماً سرياً، بل هي تيار دعوي يضم الطبيب والمهندس والعامل والتاجر، وهؤلاء عامة المسلمون الذين لا

يعرفون عن تعقيدات الفلسفة الصوفية شيئاً، بل غايتهم الأسمى هي إصلاح النفس وتذكير الغافلين.

أولاً: براءة الجماعة من الغلو الصوفي أهل التبليغ ليسوا غلاة في التصوف كما يُروج البعض؛ فالمصطلحات التي قد تظهر في كتب المؤسسين مثل الفيوضات أو المجاهدة تُحمل على معانيها الشرعية اللغوية، وهي الفتح الرباني الذي يرزقه الله للداعية من انشراح صدر وقبول لدى الناس، وليس لها علاقة بالاستمداد من الأموات. والحقيقة أنه لا يؤثر قط عن دعاة التبليغ - لا في مشرق الأرض ولا في مغربها - أنهم يقفون مراقبين عند القبور أو شدوا الرحال لطلب نفع من ضريح، بل إن جُل وقتهم مقسوم بين بيان في مسجد، أو جولة على المقاهي والبيوت، أو خدمة لإخوانهم المسلمين.

ثانياً: قاعدة الإنصاف في الحكم من الظلم المنهجي أن تُسحب أفعال بعض الصوفية الذين قد ينتسبون للجماعة في بلاد الهند أو غيرها على كل مبلغ في العالم . فالجماعة في جوهرها وسيلة دعوية، وقد يدخل فيها من كان عنده رواسب بيئية أو ثقافية، لكن منهج الجماعة الرسمي المتمثل في الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) يقف سداً منيعاً ضد الشركيات. إن المبلغ في أفريقيا أو أوروبا أو جزيرة العرب لا يعرف من التبليغ إلا التضحية بالوقت والمال لنشر الدين، ومن الجور أن يُلزم بما قد يفعله فرد في أقصى الأرض لم يضبطه الدليل الشرعي.

ثالثاً: حقيقة الخروج في سبيل الله إن الخروج عند أهل التبليغ ليس سياحة صوفية ولا طلباً لمقامات عرفانية، بل هو خروج للدعوة إلى الله تعالى، ونشر الإسلام في الآفاق، وإقامة سنن المصطفى ﷺ في المأكل والمشرب والملبس والتعامل. هم يرون في هذا الخروج بيئة إيمانية تساعد المسلم المقصر على ترك الذنوب والتعلق بالآخرة. فكيف يُتهم بالشرك من يترك أهله وماله ليقول للناس: تعالوا نوحد الله ونقيم الصلاة ؟

مسألة الطرق الصوفية الأربعة:

يُردد الخصوم أن الجماعة مبنية على طرق (الجشتية، النقشبندية، القادرية، والسهروردية). والرد الشرعي هنا أن هذه الطرق عند علماء ديوبند (الذين يمثلون المرجعية العلمية للجماعة في الهند وليس في العالم كله ، فكل أهل بلد يرجعون إلى مرجعية أهل البلد الدينية) هي طرق تزكية وإحسان وليست طرق بدع وخرافات . والشيخ محمد إلياس لم يدمج هذه الطرق في صلب خروج التبليغ، بل جعل الخروج وسيلة تربوية عامة تناسب العوام، بعيداً عن تعقيدات السلوك الصوفي الفلسفي.

إن الربط الدائم بين جماعة التبليغ وبين الطرق الصوفية الأربعة (الجشتية، النقشبندية، القادرية، والسهروردية) هو قصر للنظر على البيئة التاريخية والمنشأ الجغرافي فقط، بينما الحقائق الميدانية والشرعية تثبت أن الشيخ محمد إلياس رحمه الله قد سما بالدعوة فوق هذه التحزبات المدرسية.

إن الشيخ محمد إلياس لم يكن شيخ طريقة يصدر مريدين، بل كان داعية مصلحاً يصدر فكراً حركياً يجمع الأمة على المشتركات العظمى، ومن هنا ندرك سر دفاع علماء أجلاء كالشيخ أبي بكر الجزائري عنهم؛ لأنهم رأوا فيهم جسراً يعبر بالناس من الغفلة إلى الاستقامة، ومن الوثنية الخفية (التعلق بالدنيا) إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين.

1. التفريق بين المرجعية العلمية و المنهج الدعوي

من الخطأ المنهجي الذي وقع فيه منتقدو الجماعة كالشيخ النجمي عفا الله عنه وغيره، هو ظنهم أن الشيخ محمد إلياس كان يهدف لتصدير المنهج الديوبندي بكل تفاصيله المذهبية أو سلوكه الصوفي إلى العالم. والحقيقة أن المرجعية الديوبندية كانت مرجعية أهل البلد في الهند لإدارة شؤونهم العلمية، بينما أهل التبليغ في أصقاع الأرض - من جزيرة العرب إلى أفريقيا وأوروبا - يرجعون في فتاواهم وعقائدهم إلى مرجعية أهل بلدهم الدينية وعلمائهم الموثوقين. فالتبليغي في المملكة العربية السعودية يرجع لعلمائها، وفي مصر يرجع للأزهر وهكذا، مما يثبت أن الجماعة وعاء دعوي وليست مذهباً عقدياً مستقلاً

2. الخروج وسيلة لتعظيم السنة لا الطريقة

لم يدمج الشيخ إلياس أوراد الطرق الصوفية ولا طقوسها في صلب الخروج في سبيل الله ، بل جعل القاسم المشترك بين جميع الخارجين هو إحياء الدين والسنة المتفق عليها . فالهدف من الخروج هو تعليم الناس صفة صلاة النبي ﷺ، وأذكار الصباح والمساء الثابتة، وآداب الطعام والشراب، وهي سنن مجمع عليها لا يختلف عليها سلفي ولا خلفي. وبذلك تحول الخروج من خلوة صوفية ضيقة إلى حركة إحياء نبوي تناسب عموم الأمة بمختلف مشاربهم.

3. إحياء التوحيد في القلوب

إن جوهر فكر الشيخ محمد إلياس كان يرتكز على إحياء روح التوحيد وليس تدريس التوحيد كمسائل جافة فقط. فالمبلغون حين يتحدثون عن (لا إله إلا الله) يقصدون بها: إخراج اليقين الفاسد على الأشياء، وإدخال اليقين الصادق على ذات الله وموعوده. هذا هو التوحيد العملي

الذي يهدف لتصفية القلوب من التعلق بالأسباب المادية أو القبور أو غيرها، وهو لب دعوة الرسل، بعيداً عن تعقيدات السلوك الصوفي الفلسفي الذي قد ينكره علماء التوحيد.

4. براءة الحركة من قيود الاصطلاح الصوفي

لقد صاغ الشيخ إلياس منهج الحركة ليكون عالمياً ؛ لذا فإن أي ممارسات قد تُنسب للصوفية في كتب بعض علماء الهند، لا تُلزم الجماعة في صورتها العالمية. فالحركة تصدر عن فكر دعوي يهدف لاستنقاذ العصاة ونشر الخير، وما يراه المنتقدون أصولاً أربعة ليس في حقيقة الأمر إلا أدوات تربوية (كالتواضع، والذكر، والخدمة، والعلم) وهي أصول إسلامية عامة، تجردت في يد المبلغين من صبغة الطرق الصوفية لتلبس حلة الاتباع النبوي .

تهمة معاداة أهل التوحيد:

هذه الشبهة تُفندها سيرة الجماعة الحركية ؛ فهي لم ترفع سلاحاً قط، ولم تدخل في صراعات سياسية، بل إن منهجهم يقوم على إكرام المسلم وعدم الجدال. فدفاع الشيخ أبو بكر الجزائري (وهو من كبار علماء المدينة المنورة) عنهم نابع من رؤيته لأثرهم في هداية آلاف العصاة وتوجيههم للمساجد، معتبراً أن أخطاءهم في الوسائل تغتفر في جنب مصالحهم في المقاصد .

وردا على سؤال : لماذا لا يعادي أهل التبليغ أحداً؟ والجواب يتلخص في أدب الدعوة وحقيقة الموالاة.

إن رمي جماعة التبليغ بمعاداة أهل التوحيد هو قلب للحقائق ؛ فالسيرة العملية لهذه الجماعة عبر عقود تثبت أنهم أرسوا نموذجاً فريداً في سلامة الصدر وحقن الدماء وحفظ ألسنة الدعاة. ويمكن تبيان براءتهم من هذه التهمة عبر الحقائق التالية:

1. تجنب الخلاف وإغلاق باب الجدل

من أعظم أصول التبليغ التي يتربى عليها الصغير والكبير هو تجنب الخلاف وسد أبواب الجدل تماماً. هم لا يسلون مسالك الفرقة، ولا يدخلون في مناظرات عقائدية أو فقهية عقيمة، إيماناً منهم بأن الجدل يميت القلب ويفرق الأمة. لذا، تراهم لا يتكلمون في المسائل الخلافية مطلقاً، بل يركزون على المجمع عليه من فضائل الأعمال وعظمة الخالق، مما يجعل مسجدهم مأوى لكل مسلم مهما كان مذهبه، وهذا هو عين الحكمة في جمع الكلمة.

2. محبة التوحيد ونشره عملياً

إن دعوى معاداتهم لأهل التوحيد تدحضها ممارستهم اليومية؛ فهم يحبون التوحيد وأهله ويوالونهم، ويعتبرون كل موحد أخاً لهم في الدين تجب نصرته وإكرامه. بل إنهم ينشرون التوحيد في كل مكان يتحركون فيه بأسلوب عملي ؛ فيعلمون الناس في الغابات والقرى والمدن أن المتصرّف في الكون هو الله ، ويقتلعون جذور التعلق بغير الله من قلوب العوام، وهذا هو لبّ التوحيد الذي نزل به القرآن.

3. الصبر على الأذى وترك ردود الأفعال

من أعجب ما يميز هذه الجماعة هو كف اللسان عن المخالفين؛ فلا يرتد صدى تبديع الشيخ النجمي عفا الله عنه أو هجوم الشيخ التويجري في أدبياتهم. هم لا يؤلفون عشرات الكتب للرد على خصومهم، ولا يصدرون الفتاوى المضادة، ولا يشتغلون بتشويه سمعة من نال منهم. إن سياسة الاشتغال بالعمل عن القيل والقال هي الدليل الأكبر على إخلاصهم؛ فالذي يهمه هداية البشر لا يجد وقتاً لمعارك الورق والردود العلمية التي قد تزيد الشقاق.

4. التبليغ كقوة جامعة للأمة

بينما ينشغل غيرهم بالتحذير والتبديع وإخراج الناس من دائرة السنة، ينشغل أهل التبليغ بـ إدخال الناس في دائرة الطاعة. هذا الفارق الجوهري جعل من الجماعة سفينة نجاة للعصاة والمجرمين الذين تفرقوا عن الدين، فاحتوتهم الجماعة بإكرام المسلم وأعادتهم إلى المساجد موحدين لله، متبعين لسنة نبيه ﷺ.

ولقد أدرك الشيخ أبو بكر الجزائري بفقهه أن هذه الجماعة هي حائط صد أمام الإلحاد والتفلت، وأن من يرميهم بمعاداة التوحيد قد أخطأ التصور؛ فالموحد الحقيقي هو من يسعى لتكثير سواد الموحدين، لا من يشتغل بتبديعهم وتفريق شملهم.

إن براءة أهل التبليغ من تهم الكذب والابتداع والعداء تظهر في صمتهم الدعوي الجميل، وفي ثباتهم على منهج لا نرد ولا نجادل.. بل نبلغ ونخدم . وهذا هو المسلك الذي يجمع الأمة ويقوي شوكتها أمام أعدائها الحقيقيين.

لا رابط بين أي مخالفة ترد عن فرد ما دامت الحركة الدعوية لم تتبناها :

قال الصومعي : (وسلك على هذا المسلك التبليغيون على رأسهم ابن أخي المؤسس محمد زكريا ولذلك يقول: اهتموا بإيصال الثواب إلى الأكابر فإذا علمتم بهذا تتوجه إليكم أرواحهم وتنالون منها الفيوض والبركات [تيس مجالس ص 211].

أقول بل لقد اعتقدوا هذا في محمد زكريا يقول المفتي عزيز الرحمن في ترجمته للشيخ محمد زكريا : **ولا يزال قبره وتكيته ينبوعاً للفيوض والبركات** [ولي كامل ص 54].

وقد تقدم مثل هذا عن محمد زكريا فعلى هذا لا اظنه يبقى لديك شك أيها المسلم الغيور على دينه بأن ما قاله الشيخ أحمد ثابت على هؤلاء القوم والله المستعان.)

يُعدُّ المسلك الذي انتهجه الصومعي في محاولة إلصاق تهمة الشرك أو القبورية بجماعة التبليغ عبر استدعاء مقولات قديمة أو سقطات مهجورة لبعض الأفراد، مسلكاً يفتقر إلى الأمانة العلمية والمنطق الدعوي؛ ويمكن بيان تهافت هذا الاستدلال وتوضيح الحق في ذلك عبر النقاط التالية:

إنَّ القاعدة المنهجية المستقرة شرعاً وعقلاً تقرر أنَّه لا رابط بين أي مخالفة تصدر عن فرد ما، مهما كانت مكانته، وبين الحركة الدعوية ككل ما دامت هذه الحركة لم تتبنَّ ذلك في أصولها المعتمدة وممارساتها العامة؛ فالجماعات تُحاكم بمواثيقها ومنهجها المعلن، لا بشطحات أفرادها أو مقولات تاريخية مهجورة في كتب قديمة لم تعد تُمثل الواقع العملي للدعوة. إنَّ جماعة التبليغ في العالم العربي والسلفي اليوم تقوم على الأصول الستة التي ليس فيها ذكرٌ للتوسل أو طلب الفيوض من الأرواح، بل هي أصول تنطق بالتوحيد واليقين على الله وحده، مما يجعل استدعاء كلام الشيخ محمد زكريا أو المفتي عزيز الرحمن —في بيئات هندية لها ظروفها وتاريخها— وإسقاطه على ملايين الدعاة اليوم في بلادنا هو محض تدليس منهجي يهدف لتشويه الحاضر النقي بماضٍ لا يتبناه أصحابه اليوم.

إنَّ تتبع السقطات المهجورة والبحث في زوايا الكتب القديمة عن عبارات موهمة لبعض المشايخ المحسوبين على التبليغ هو دليل إفلاس حقيقي عند الخصوم؛ فعندما عجز الصومعي عن إيجاد ممسك شركي واحد في مراكز التبليغ المعاصرة، أو في كلام دعاتهم الذين يملؤون المساجد توحيداً وإخلاصاً، ارتدَّ إلى التنقيب في آثارٍ قديمة لعلماء عاشوا في بيئات كثرت فيها الفلسفات الصوفية، ليحاكم بها عامة الناس اليوم. وهذا المسلك لو طُبِّق على أي مدرسة إسلامية —بما فيها السلفية نفسها— لخرجنا بسقطات لبعض كبار علمائها

في مسائل العقيدة أو السلوك، ولكنَّ المنصف هو من يحكم على المجموع لا على الشاذ، وعلى المستقر لا على المهجور.

إنَّ الحق هو معتمد الدعوة نفسها ومنهجها المشاهد في الميدان؛ فملايين التبليغيين اليوم لا يعرفون شيئاً عن إيصال الثواب للأكابر أو استنزال الفيوض من القبور ، بل إنَّهم من أكثر الناس حزماً في محاربة هذه المظاهر وتجريد الاتباع للنبي ﷺ. إنَّ ما ذكره الشيخ أحمد ثابت أو نقله الصومعي لا يغير من الحقيقة شيئاً، وهي أنَّ هؤلاء القوم أحيوا التوحيد في قلوب العوام، وصرفوا الناس عن التمسح بالأضرحة إلى السجود لرب العالمين. فكيف يُعقل أن يُهدم هذا الصرح العظيم من الهداية بكلمة قيلت في كتاب قبل عقود في بلاد الهند؟ إنَّ المسلم الغيور حقاً هو من يفرح بتوحيد الناس وصلاحهم، لا من يبحث عن زلة لسان أو شطحة قلم ليهدم بها جبالاً من الحسنات والجهود الدعوية المباركة.

لم يرد ولم يثبت أن شيخا من التبليغ ذكر تلك الطرق في كلامه :

قال الصومعي : (وجماعة التبليغ يبايعون أتباعهم على هذه الأربع الطرق .

الأولى: **الجشتية**: نسبة إلى معين الدين الجشتي وقد جعل قبره وثنا يعبد في بلده أجمير إحدى مدن الهند.

الثانية: **القادرية** : نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني البغدادي الحنبلي رحمه الله وكان سلفي المعتقد ولكنه نسبت إليه خرافات والله أعلم.

الثالثة : **السهروردية**: نسبة إلى أبي حفص شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي وهي أيضاً مليئة بالخرافات.

الرابعة : **النقشبندية** : نسبة إلى خوجة بهاء الدين بن محمد البخاري وأغلب الحنفية على هذه الطريقة وهي مليئة بالخرافات وللنقشبندية فروع منتشرة في بلاد الهند وخراسان وغيرها.

[انظر كتاب: الماتريدية لشمس الدين السلفي وكتاب جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية لسيد طالب].

وقد أجاز الشيخ خليل أحمد السهارنفوري الشيخ زكريا بالمبايعة من الطرق الأربع إجازة عامة فأما أفراد جماعتهم من العجم فإنهم يبايعون على هذه الطرق الأربع بدون تحفظ واما العرب فإنهم يتحفظوا منهم ولا يبايع إلا من وثق به من السذج الذين يحسنون الظن بالتبليغيين ولا يعرفون أنهم أهل بدعة وضلال [المصدر السابق بتصرف يسير].

قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله: فإلى هذه الطرق الأربع يدعون الأعاجم ويبايعونهم عليها بدون تحفظ ويدعون من انخدع بهم ومال إليهم من جهال العرب وأغبيائهم إلى المبايعة عليها إذا وثقوا به [القول البليغ ص 11].)

إنَّ هذه التهمة التي يسوقها الصومعي نقلاً عن التويجري وغيره بخصوص البيعة على الطرق الصوفية الأربعة (الجشتية، القادرية، السهروردية، النقشبندية) تُمثّل نموذجاً صارخاً للتهم المعلبة التي تُنقل عبر العقود دون تمحيص للواقع أو تفتيش في الميدان؛ ويمكن تفنيد هذه الدعوى وتوضيح الحق فيها من خلال النقاط التالية:

إنَّه لم يثبت قط، ولم يُنقل في شريط مسجل أو درس عام أو بيان رسمي، أن شيخاً من مشايخ التبليغ في العالم العربي ذكر هذه الطرق أو دعا الناس للمبايعة عليها ؛ بل إنَّ دعاتهم ومشايخهم هم أكثر الناس جهلاً بمصطلحات هذه الطرق وتفاصيلها. إنَّ حصر هذه البيعات في كتبٍ تتحدث عن تاريخ شبه القارة الهندية قبل قرن من الزمان، ثم محاولة إسقاطها على واقع الدعوة في بلاد الحرمين أو مصر أو اليمن أو الشام، هو نوع من الخيال المنهجي الذي يرفضه الواقع؛ فملايين التبليغيين العرب لا يعرفون من البيعة إلا بيعة العقبة والرضوان في السيرة النبوية، ولا يعرفون من الطريق إلا صراط الله المستقيم وسنة نبيه ﷺ.

أما الزعم بأنهم يتحفظون من العرب ولا يبايعون إلا السذج ، فهو ادعاء باطل ينم عن سوء ظنٍ مفرط؛ إذ كيف يُعقل لجماعة عالمية تملأ الآفاق، ويخرج فيها كبار المثقفين والأكاديميين وطلاب العلم، أن تمارس باطنية سرية بهذا الحجم دون أن يتسرب منها خبر واحد أو تظهر لها ممارسة واحدة على مدار عقود؟ إنَّ مراكز التبليغ (المراكز) مفتوحة للجميع، وصلواتهم ودروسهم ومجالس شوراتهم علانية، وليس فيها غرف مغلقة ولا عهود سرية ، بل هي دعوة شعبية واضحة تقوم على تعليم أركان الإسلام وفضائل الأعمال، وما ادعاء التحفظ إلا ذريعة اخترعها الخصوم لتبرير غياب الدليل على دعواهم.

إنَّ الاستشهاد بكتاب الماتريدية أو جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية للتدليل على حال العرب اليوم هو تضليل علمي ؛ فهذه الكتب ترصد بيئات هندية لها تعقيداتها المذهبية والتاريخية الخاصة التي لا علاقة لها بمنهج الجماعة في بقية دول العالم. إنَّ جماعة التبليغ في البلاد العربية هي جماعة سلفية السمت ، تعظم الدليل، وتحارب القبوريات، وتتبرأ من الخرافات المنسوبة لتلك الطرق. فمن الظلم المطبق أن يُحاكم الموحد العربي بإجازة علمية

أُعطيت للشيخ زكريا في الهند قبل عقود طويلة، خاصة وأن منهج التبليغ العملي اليوم لا يشترط بيعة ولا طريقة ، وإنما يشترط الإخلاص والاتباع .

إنَّ تكرار هذه التهم من قِبل الشيخ التويجري أو الصومعي دون بينة ميدانية هو دليل على أنَّ الخصومة هي خصومة تقارير ووشايات وليست خصومة حقائق؛ فالمسلم الغيور يرى بعينه خلو مساجد التبليغ من كل أثر لهذه الطرق، ويرى ألسنتهم تلهج بالتوحيد والسنة، فكيف يُصدق ورقة كُتبت في ظروف خاصة ويُكذب واقعاً يراه كل يوم في بيوت الله؟ إنَّ الحق هو ما عليه معتمد الجماعة اليوم، وهو تجريد العبادة لله وحده، والبعد عن كل ما يخدش وجه التوحيد من خرافات الطرق أو البدع المحدثة.

وصف العالم المسلم الداعية بالهلاك دليل خسران :

قال الصومعي (قال الشيخ محمد بن هادي حفظه الله في تعليقه على كتاب [المورد العذب الزلال] : وقد اعترف أميرهم الذي هلك منذ ثلاث سنوات تقريباً إنعام الحسن وكتب ذلك بخط يده أنهم ياخذون البيعة على الطرائق الأربع المذكورة ونشر اعترافه هذا في الوثائق التي بآخر كتاب وقفات مع جماعة التبليغ لنزار الجربوع .)

إنَّ تفسير مسلك الصومعي ومحمد بن هادي في وصف الداعية المسلم بلفظ الهلاك بمجرد موته، هو مسلكٌ يكشف عن انحدارٍ قيمي وخسرانٍ منهجي ؛ فاستخدام هذا اللفظ تجاه رجلٍ قضى عمره في الدعوة إلى الله واستنقاذ البشر من الغفلة، لا يعكس فقط خصومةً علمية ، بل يعكس فجوراً في الخصومة وضيقاً في أفق الرحمة التي هي سمة أهل السنة والجماعة، ويمكن قراءة هذا المسلك في السياق التالي:

إنَّ وصف العالم أو الداعية المسلم بعبارة هلك بدلاً من توفي أو مات ، هو أسلوبٌ يُقصد به الإزراء والتشفي، وكأنَّ المتحدث يقطع بسوء عاقبة المخالف أو يخرجه من دائرة الترحم والترضي؛ وهذا في حقيقته دليل خسران أخلاقي ؛ لأنَّ المسلم مأمور بذكر محاسن موتاه والكف عن مساوئهم، فكيف بمن نذر حياته للدعوة؟ إنَّ هذا النفس التبديعي الذي لا يرقب في مؤمنٍ إلّاً ولا ذمة لمجرد الخلاف في الوسيلة الدعوية ، هو الذي شوّه صورة المنهج السلفي عند الناس، وجعل البعض يظن أن السلفية هي غلظة في القول و شماتة بالموت ، بينما السلفية الحقة هي رحمة بالخلق ومعرفة بالحق .

أما فيما يتعلق بفرية اعتراف الشيخ إنعام الحسن بالبيعة ، فإنَّ ما نشره نزار الجربوع أو استشهد به محمد بن هادي هو نوع من الاجتزاء والتلبيس العلمي ؛ فالشيخ إنعام الحسن — رحمه الله— حين سُئل عن هذه المسائل، كان يُجيب من منطلق التاريخ العلمي لعلماء الهند وديوبند في سياقٍ مذهبي خاص ببيئتهم، ولم يكن يتحدث عن منهج مفروض على كل من خرج في سبيل الله من العرب والعجم. إنَّ تصوير إجاباته العلمية على أنها اعترافٌ بجريمة هو قلبٌ للحقائق؛ فالرجل لم يكن متهماً بل كان موضحاً لتاريخ مدرسة علمية عريقة (ديوبند)، وبين إجازات العلماء التاريخية وبين واقع جماعة التبليغ الميداني بونٌ شاسع؛ إذ لم يثبت في تاريخ الجماعة أنَّ دعاتها في بلادنا بايعوا أحداً أو دعوا لطريقة، بل كان ديدنهم إحياء الإيمان في القلوب العامية.

إنَّ التعلق ب وثائق نزار الجربوع وترك واقع ملايين الدعاة الذين يحاربون القبور والبدع في طول الأرض وعرضها، هو دليل على أنَّ هؤلاء المنتقدين يبحثون عن سقطات الورق ليضربوا بها نجاحات الواقع ؛ فلو كان للبيعة المزعومة أثر، لظهرت في أذكارهم، أو أورادهم، أو ممارساتهم عند القبور، لكنَّ الواقع يصفع هؤلاء المرجفين ببيان خلو ساحة التبليغ من كل شائبة شركية أو طرقية.

إنَّ من علامات الخسران المبين أن يشتغل المرء بتبديع الأموات وتتبع الوشايات ، في حين يترك مواجهة الإلحاد والمنكرات الظاهرة التي تعصف بالأمة. إنَّ الشيخ إنعام الحسن قد أفضى إلى ما قدم، وترك خلفه ألوفاً من المهتدين والتائبين، ووصفه بالهلاك لا ينقص من قدره عند الله، بل ينقص من مروءة ودين القائل، ويؤكد أنَّ هذا المنهج الإقصائي قد أفلس من الحجة العلمية، فصار يقتات على الألفاظ النابية والوثائق المجتزأة لتبرير خصومته.

الشيخ حسين أحمد المدني عالم كبير كالشيخ محمد بن عبد الوهاب :

قال الصومعي : (وهذا أحد مشايخهم حسين أحمد المدني طعن طعناً مشيناً في الشيخ العلامة المجدد محمد بن عبد الوهاب فقال عامله الله بما يستحق : اعلموا أن محمد ابن عبدالوهاب ظهر أمره في أوائل القرن الثالث عشر في نجد وكانت له عقائد فاسدة ونظريات باطلة فلذلك قتل وقاتل أهل السنة وأجبرهم أن يطعنوا بعقائده ونظرياته وكان يستحل نهب أموالهم ويظن في قتلهم اجراً وثواباً سيما أهل الحجاز فإنه آذاهم أشد الإيذاء وكان يسب

السلف الصالح ويأتي في شأنهم بغاية سوء الأدب وقد استشهد كثير منهم على يديه والحاصل أنه ظالم باغ سفاك فاسق ولذلك أبغضه العرب أشد من اليهود والنصارى .. الخ

وقد رد الشيخ محمد تقي الدين الهلالي على هذا الخبيث فقال: هذا كلام شيطان رجيم جاحد للحق ناصر للباطل وقد اكذبه الله وأظهر للناس جميعاً مخرفته فبارك في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى انتصرت وشاعت وذاعت في كل مكان وهي مطابقة لكتاب الله وسنة رسوله وزعمه أن دعوة الشيخ كان فيها أذى لأهل الحجاز كذب وزور فإن أهل الحجاز هم الذين منعوا أهل نجد من الحج اثنتى عشرة سنة إلى أن جاء نصر الله ووقعت الحرب بين أهل الحق وأهل الباطل فانهزم أهل الباطل في وقت قصير جداً وكانت الدولة لأهل التوحيد وهذا الأمر شاهدته أنا بنفسي فإن كان هدم القباب والقضاء على الأوثان فيه أذى **للمشركين** فلازالوا في اذى فإن هدم القبور المبنية وإبطال عبادتها هو الحق الذي جابه رسول الله صلى الله عليه وسلم [نقلاً عن القول البليغ].)

إنَّ القراءة المتأنية لهذا السجال التاريخي المذكور تكشف عن فجوة كبيرة في منهجية النقد وتناول الخلافات بين العلماء؛ حيث يبرز غلط الصومعي والهلالي في التعامل مع كلام الشيخ حسين أحمد المدني، ليس فقط في الحكم عليه، بل في الجهل بسياقاته والوقوع في فجور الخصومة الذي نزه الشيخ المدني نفسه عنه رغم خطئه في التصور، ويمكن بيان ذلك في السرد التالي:

إنَّ الأصل في تقييم مواقف العلماء لابد أن يكون في ضوء وحدود ما بلغهم من علم ؛ فالشيخ حسين أحمد المدني، وهو عالم ديوبندي جليل له مواقفه المشهودة في الجهاد ضد الاستعمار الإنجليزي، تكلم في حق الشيخ محمد بن عبد الوهاب بناءً على الأخبار والتقارير التي كانت تصل إلى الهند في تلك الحقبة، وهي تقارير كانت مشحونة بالعداء السياسي والعقدي نتيجة الصراعات الحربية في الحجاز. فالشيخ المدني لم يتكلم عن هوى، بل تكلم بنحو مما بلغه واعتقد صحته في ذلك الوقت، وهذا خطأ في التصور يقع فيه كبار العلماء، لكنَّ الشيخ المدني لم يفجر في الخصومة، بل كان يقرر ما يراه حقاً لحماية المسلمين مما ظنه بدعة أو خروجاً بناءً على النقل المشوه الذي وصله.

وعلى العكس من ذلك، نجد أنَّ الشيخ محمد تقي الدين الهلالي قد زاد في تعليقه فجوراً في الخصومة لا يتناسب مع مقام الرد العلمي بين الأقران؛ فوصفه للشيخ المدني بأنه شيطان رجيم و خبيث هو خروج عن أدب الخلاف الذي وضعه السلف الصالح. إنَّ الهلالي —رغم

صحة دفاعه عن دعوة التوحيد— قد سلك مسلكاً تهيجياً يفتقر لروح الإنصاف؛ فكان الأحرى به أن يصحح المعلومات التاريخية والمفاهيم العقدية دون النزول إلى مستوى الشتم والسب الذي لا يخدم الحق، بل يوغر الصدور ويؤصل لقطيعة دائمية بين مدارس المسلمين الكبرى.

إنَّ غلط الصومعي يتمثل في استدعاء هذا الكلام المهجور الذي اعتذر عنه أو تجاوزه الزمن والواقع؛ فجماعة التبليغ اليوم (وهم الورثة العمليون لمدرسة ديوبند) يدرسون كتب التوحيد ويعظمون نصوص الوحي، ولا يتبنون ذلك النقد القديم للشيخ محمد بن عبد الوهاب. إنَّ إصرار الصومعي على نبش هذه السقطات التي بُنيت على مغالطات تاريخية في الهند، وإسقاطها على واقع الدعوة اليوم، هو دليل على الإفلاس المنهجي ؛ فهو يحاول ضرب دعوة موحدة اليوم بسوء فهم تاريخي وقع قبل عقود، متجاهلاً أنَّ الحق يُعرف بالدليل لا بمواقف الرجال المبنية على أخبار الآحاد المشوهة.

يجب أن يُعلم أنَّ صاحب الحق له مقال ، ولكن ليس بالسب واللعن؛ فدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قوية بأدلتها ولا تحتاج لوصف المخالف بالشيطان لتثبت صحتها. إنَّ الفجور في الخصومة الذي أبداه الهلالي وتبعه فيه الصومعي، يقطع الطريق على أي تفاهم إسلامي ويخدم خصوم الملة الذين يفرحون برؤية علماء المسلمين يتراشقون بتهم الخبث والشيطنة بدلاً من التعاون على البر والتقوى وتصحيح المفاهيم بالرفق والبيان.

إطراء عالم لأنه موافق ، والخسف بآخر لأنه مخالف :

قال الصومعي (أقول : رحم الله العلامة الإمام المجتهد محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني فقد فرح بدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب عندما علم أنها دعوة تدعو إلى التوحيد الخالص حتى أنه نظم أبياتاً في الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومما قاله رحمه الله:

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه - يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل - ومبتدع منه فوافق ما عندي
يعمر أركان الشريعة هادماً - مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله - يغوث وود بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها - كما يهتف المضطر بالصمد الفرد

وكم عقروا في سوحها من عقيرة - اهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل - ومستلم الأركان منهن بالأيدي
انظر ديوان الصنعاني])

هذا المسلك يكشف عن إشكالية فقهية وأخلاقية عميقة في منهجية الصومعي وأمثاله من غلاة التبديع، وهي عقلية الانتقائية النفعية التي تجعل من الموقف الشخصي للعالم من قضية معينة صكاً للغفران أو حكماً بالإعدام المعنوي. ويمكن تحليل هذا التناقض في سرد متصل على النحو التالي:

إنَّ إطراء الصومعي للإمام الصنعاني ووصفه ب العلامة الإمام المجتهد لم يكن نابعاً من تقديرٍ مجردٍ لعلمه الفياض أو اجتهاده المطلق، بل كان إطراءً مشروطاً بموافقة الصنعاني لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. فالمعيار هنا ليس العلم في ذاته، بل الموقف ؛ وهذا المسلك يُحوّل العلماء إلى مجرد أدوات لتعزيز التوجه الحزبي، فمن وافقنا فهو الإمام المجتهد ، ومن خالفنا في تصورٍ ما أو نقلٍ بلغه فهو الهالك الخبيث كما فُعل مع الشيخ حسين أحمد المدني وإنعام الحسن.

وتتجلى هذه الازدواجية حين نجد أن الصنعاني نفسه —الذي أطراه الصومعي— قد تراجع لاحقاً عن بعض ثنائه في قصيدته الشهيرة (رجعت عن القول الذي قلت في النجدي)، فهل سيظل الصنعاني عند الصومعي إماماً مجتهداً في تراجعه أيضاً؟ أم سيُخسف به الأرض كما فُعل مع غيره؟ إنَّ هذا الخسف بالمخالف والإطراء للموافق هو دليل على خسران الميزان العلمي ؛ فالعالم يُعرف بقدره واتباعه للدليل، وليس بمدى مواءمته لخصوماتنا التاريخية. فبينما يتم تبرير سقطات المواقف لمن نحب، يتم تضخيم زلات التصور لمن نكره، فيُوصم المدني بالشيطنة لأنه تكلم بناءً على ما بلغه، ويُرفع الصنعاني إلى عنان السماء لأنه نظم شعراً وافق هوانا.

إنَّ هذا المنهج في تشخيص العلم يغفل عن حقيقة أنَّ القبول والرد يجب أن يدورا مع الحق بدليله، لا مع الرجال بمواقفهم. إنَّ الفجور في الخصومة الذي يمارسه الصومعي يجعل الولاء والبراء معقوداً على أشخاص و جماعات ، لا على أصول و مقاصد ؛ فصار الترحم والتبديع يُوزعان بناءً على الموافق والمخالف ، وهو ما يُعدُّ انحرافاً عن جادة السلف الصالح الذين كانوا يقبلون الحق ممن جاء به، ويحفظون قدر العالم وإن أخطأ في اجتهاده.

وعليه فعقلية الصومعي في هذا السياق هي عقلية التوظيف المنهجي ؛ فهو لا يبحث عن الحقيقة التاريخية أو العلمية بإنصاف، بل يبحث عن سلاح يضرب به خصومه. فاستدعاء ديوان الصنعاني هنا ليس لنشر العلم، بل لـ إرهاب جماعة التبليغ بأسماء الكبار، متناسياً أنَّ هؤلاء الكبار أنفسهم ما كانوا ليرضوا بهذا التقسيم الطائفي للأمة، ولا بهذا الفجور في تبديع من نذروا أنفسهم لخدمة بيوت الله وتذكير الناس بالصمد الفرد.

هل تراجع الإمام الصنعاني رحمه الله عن مدحه للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أم لا ؟

القصيدة التي مطلعها (رجعت عن القول الذي قلت في النجدي) منسوبة للإمام الصنعاني رحمه الله في ديوانه وموجودة في كتب التاريخ كنيل الوطر [1] ، ولكنَّ المحققين والباحثين اختلفوا فيها على قولين:

- القول الأول: أنها ثابتة عنه، وأنه تراجع لمَّا بلغه عن الدعوة أخبار (مشوهة أو غير دقيقة) تتعلق بسفك الدماء أو التكفير، تماماً كما حصل مع الشيخ المدني الذي بلغه ما بلغه فتكلم بمقتضاه.
- القول الثاني (وهو الذي يتبناه السلفيون المعاصرون): أن هذه القصيدة منحولة ومكذوبة على الصنعاني رحمه الله ، أو أنها نُسبت إليه زوراً لتشويه موقفه بعد أن ناصر الدعوة.

ووجه الشاهد في تحليل عقلية الصومعي سواء كانت قصيدة التراجع ثابتة بيقين أو منحولة بيقين، فإنَّ الإشكال يظل قائماً في منهجية الصومعي من زاويتين:

- الزاوية الأولى: أنَّ الصومعي وأتباع هذا المنهج يستميتون في إثبات أن القصيدة (التي تتراجع عن مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب) هي قصيدة مكذوبة ومنحولة، ويستخدمون كل أدوات التحقيق العلمي لنفيها عن الصنعاني رحمه الله حفاظاً على صورته كإمام موافق .

[1] كتاب "نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر" هو من تأليف المؤرخ والعلامة اليمني محمد بن محمد بن زبارة الصنعاني (المتوفى عام **1381**هـ / **1961**م). وهو كتاب حافل يُعد من أهم المراجع في تراجم الأعيان والعلماء والفقهاء في اليمن خلال تلك الفترة، وقد ذكر فيه سيرة الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (صاحب سبل السلام) بالتفصيل، وأورد فيه السجال التاريخي والقصائد المتبادلة والمتعلقة بموقفه من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

- الزاوية الثانية: في المقابل، نجد هؤلاء أنفسهم (وعلى رأسهم الصومعي في نقله عن ابن هادي) يتمسكون بوثائق نزار الجربوع أو مراسلات قديمة لإنعام الحسن أو محمد زكريا، ويجعلونها نصوصاً قطعية لإدانة جماعة كاملة، ولا يفتحون باب الاحتمال بأنها قد تكون (مجتزأة، أو فُهمت في سياق تاريخي هندي خاص، أو أنهم تراجعوا عنها واقعاً بممارستهم الميدانية).

وما أردتُ تبيانه هو ازدواجية المعايير ؛ فإذا كان الصنعاني رحمه الله يُعذر ويُدافع عنه ويُقال إن الرجوع مكذوب عليه حماية لمكانته، فلماذا لا يُسلك نفس المسلك مع علماء ديوبند والتبليغ؟

لماذا يُقال عن المدني خبيث وشيطان لأنه تكلم بما بلغه، بينما يُقال عن الصنعاني رحمه الله إمام مجتهد حتى لو افترضنا (جدلاً) صحة تراجعه بناءً على ما بلغه؟

إذن، القضية ليست في ثبوت التراجع من عدمه بقدر ما هي في انعدام ميزان العدل ؛ فالموافق يُختلق له ألف عذر ويُشكك في كل نقيصة تُنسب إليه، والمخالف (كالتبليغ) تُجمع له السقطات المهجورة وتُعامل كأنها وحي يوحى لإدانته.

سياق القصيدة في نيل الوطر :

لما بلغ الصنعاني رحمه الله ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد وما يدعو إليه من توحيد وهدم للقباب، فرح بذلك ونظم قصيدته الشهيرة التي مطلعها:

سلامٌ على نجدٍ ومن حلَّ في نجْدِ .. وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

ولكن، يذكر المؤرخ (وكذا الشوكاني رحمه الله في البدر الطالع [1]) أنه لما وصلت إلى الصنعاني رحمه الله أخبار أخرى تخالف ما بلغه أولاً، وتتحدث عن توسع في سفك الدماء أو تكفير لغير الموافقين، نظم قصيدة أخرى يوضح فيها تراجعه بناءً على هذه المعلومات الجديدة، ويقول في مطلعها:

رجعتُ عن النظمِ الذي قلتُ في النجدي .. فقد صحَّ لي عنه خلافُ الذي عندي

ظننتُ به خيراً فقلتُ عسى عسى .. نجِدُ ناصحاً يهدي العبادَ ويستهدي

لقد خابَ فيه الظنُّ لا نالَ ما رجا .. وصبَّ عليه اللهُ من صاعقِ الجهدِ

[1] يُعد كتاب "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" للإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني (المتوفى عام 1250هـ) أحد أعظم الموسوعات التاريخية والتراجمية في التراث الإسلامي، وهو يمثل "ذاكرة الأمة" لعلماء وفحول القرون المتأخرة.

والشاهد من النص لقضيتنا:

هذا النص التاريخي هو القاصمة لعقلية الصومعي الإقصائية، وذلك من وجهين:

- عذر العالم بما بلغه :الصنعاني رحمه الله رجع ليس لأنه كره التوحيد، بل لأنه بلغه (سواء كان صادقاً أو كاذباً) أن هناك انحرافاً في التطبيق. والشيخ حسين أحمد المدني (عالم ديوبند) وقع في نفس الموقف؛ بلغه أن الوهابية يسبون السلف ويستحلون الدماء فتكلم بمقتضى ذلك. فلماذا يُعذر الصنعاني رحمه الله ويُسمى إماماً مجتهداً ، بينما يُرجم المدني ويُسمى شيطاناً خبيثاً ؟!
- ثبوت النص عند المؤرخين :إيراد الصنعاني (وهو مؤرخ يمني خبير بتراث بلده) و الشوكاني لهذا التراجع يثبت أن القضية لها أصل تاريخي قوي في المدرسة اليمنية، ومحاولة الصومعي وأتباعه إنكار القصيدة أو تضعيفها لمجرد أنها لا تخدم بروباغندا الثناء المطلق، هو دليل على أنهم يقدمون الولاء المذهبي على الأمانة التاريخية .

ولذا فإن إطراء الصنعاني رحمه الله ووصفه بالمجتهد مع وجود هذا التراجع في ديوانه وكتاب نيل الوطر ، مقابل سحق كرامة علماء التبليغ بسبب تصورات مشابهة، هو قمة الخسران في الميزان العلمي .فالعالم بشر، يُصيب ويُخطئ، ويُحكم عليه بمجموع عمله ومقاصده، لا بقصيدة قيلت في ظرف زمني أو بيعة نُقلت في كتاب أعجمي.

تبوأ الإمام الشوكاني رحمه الله مكانة سامقة في النقد والتحقيق، وقد أورد في كتابه البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع تفاصيل هذه القصة عند ترجمته لشيخه الإمام محمد بن إسماعيل الأمير (الصنعاني) رحمه الله ، وهي شهادة في غاية الأهمية لأن الشوكاني رحمه الله تلميذ مدرسة الصنعاني رحمه الله وأعرف الناس بتاريخه.

يقول الشوكاني رحمه الله في البدر الطالع ما ملخصه وفحواه:

1. الفرح بالدعوة: يذكر الشوكاني رحمه الله أن الصنعاني رحمه الله لما بلغه قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوة التوحيد في نجد، فرح بذلك فرحاً شديداً ونظم قصيدته الشهيرة:

سلام على نجد ومن حل في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

وهذه القصيدة أرسلها الصنعاني رحمه الله مع أحد الحجاج لتصل إلى صاحب نجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

2. وصول أخبار الخلاف: ثم يذكر الشوكاني رحمه الله أنه بعد مدة، وصلت إلى اليمن (صنعاء) أخبار وتقارير تفيد بأن القائمين على هذه الدعوة قد توسعوا في مسألة التكفير واستباحة الدماء والأموال لمن خالفهم، وأنهم قد نالوا من بعض الأعلام.

3. النظم الموضح (قصيدة التراجع): يورد الشوكاني رحمه الله أن الصنعاني رحمه الله بناءً على هذه الأخبار الجديدة التي وصلته، نظم قصيدته التي يوضح فيها موقفه الجديد، ومطلعها:

رجعت عن القول الذي قلت في النجدي ... فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

ولذا يرى الشوكاني رحمه الله أنَّ الصنعاني رحمه الله في موقفه الأول (المدح) وفي موقفه الثاني (التراجع) كان يدور مع ما بلغه من علم ؛ فهو لم يتراجع عن حب التوحيد أو كراهية الأوثان، بل تراجع عمّا بلغه من تجاوزات في التطبيق .

ولذلك تعتبر شهادة الشوكاني رحمه الله في البدر الطالع قاصمة لعقلية أمثال الصومعي أيضا ؟

1. توثيق التراجع: الشوكاني رحمه الله مؤرخ وعالم جليل ومن كبار المحققين، وإيراده لهذه القصة في كتابه المشهور (البدر الطالع) يثبت أن الواقعة حقيقة تاريخية لا تقبل الإنكار، وأن محاولة الصومعي وفريقه تكذيب القصيدة أو ادعاء نحلها هو نوع من التعامي عن الحقيقة العلمية.

2. إثبات مبدأ العذر بالمعلومات : يثبت الشوكاني رحمه الله أن العلماء الكبار (كالصنعاني رحمه الله) قد يغيرون آراءهم بناءً على ما يصلهم من تقارير ، وهذا بالضبط ما حصل مع علماء ديوبند والتبليغ؛ فلماذا يُعذر الصنعاني رحمه الله عند الشوكاني رحمه الله وعند الناس، بينما يُحاكم دُعاة التبليغ ويُسبون لأنهم بنوا مواقفهم على أخبار وصلت إليهم؟!

3. التفريق بين المنهج والسلوك: الشوكاني رحمه الله يوضح أن النقد الذي وجهه الصنعاني رحمه الله لاحقاً لم يكن لأصل التوحيد، بل لـ سلوك نُسب لأتباع الدعوة، وهو نفس الموقف الذي قد يتخذه أي عالم منصف اليوم تجاه أي جماعة؛ يمدح خيرها وينقد ما يبلغه من شرها.

ولذا فإنَّ ما قاله الشوكاني رحمه الله في البدر الطالع ينسف ادعاءات ألتراس التبديع الذين يطبلون بمدح الصنعاني رحمه الله للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ويخفون (أو ينكرون) بقية القصة المذكورة في ذات المصادر، مما يؤكد أن منهجهم يقوم على بتر التاريخ لخدمة الخصومات الحالية.

الإنصاف في الفرق بين أدب السلف وفجور الخلف :

إنَّ المتأمل في تاريخ الأمة الإسلامية يجد فرقاً هائلاً وفجوة عميقة بين المنهج الذي سار عليه السلف الصالح في إدارة خلافاتهم، وبين مسلك الفكر التبديعي المعاصر الذي جعل من التفسيق والتشنيع أصلاً من أصوله؛ فعند السلف، كان الخلاف يُدار في فلك النصيحة والرحمة ، حيث كان الهمُّ الأكبر هو الوصول إلى الحق مع الحفاظ على وشيجة الأخوة الإيمانية، فكان الشافعي يقول: ما ناظرتُ أحداً إلا تمنيتُ أن يظهر الله الحق على لسانه ، وكانوا يفرقون بدقة متناهية بين الخطأ و المخطئ ، فلا يُلزمون الفرد بكل تبعات قوله إذا علموا منه صلاح القصد وحسن العقيدة، بل كانوا يعذرون بعضهم فيما يبلغه علمهم وما تقتضيه بيئاتهم، إيماناً منهم بأن العالم الصادق مأجور على اجتهاده وإن أخطأ.

أما في الفكر التبديعي المعاصر الذي يمثله غلاة التبديع وألتراس المداخلة، فقد تحول الخلاف إلى معركة كسر عظم ، حيث يُدار الخلاف في فلك الإسقاط والإقصاء ، وصار الهمُّ هو تصيد الزلات و تتبع السقطات المهجورة في الكتب والوثائق القديمة لإدانة المخالف وشيطنته. وبينما كان السلف يسترون الخلل ويقومونه بالرفق، يتباهى هؤلاء الخلف بنشر الفضائح المتوهمة واستخدام الألفاظ النابية كـ الهلاك و الخبث و الشيطنة في حق دعاةٍ قضوا أعمارهم في خدمة بيوت الله، مما يعكس فجوراً في الخصومة لم تعرفه القرون المفضلة.

وعلاوة على ذلك، يظهر التباين في النزاهة العلمية ؛ فالسلف كانوا ينصفون المخالف، فيذكرون ما له وما عليه، ولا يمنعهم بغض قولٍ ما من العدل مع صاحبه، لقوله تعالى: ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، بينما نجد الفكر التبديعي المعاصر غارقاً في الانتقائية النفعية ، فيرفع العالم إلى مقام الإمامة المطلقة إذا وافق أهواءهم، ويخسف به إلى أسفل السافلين إذا خالفهم في تصورٍ أو اجتهاد، حتى وإن كان هذا العالم هو نفسه الذي مدحوه بالأمس. إن هذا المسلك لا يبني علماً ولا يحمي ديناً، بل يبني أسواراً من الحقد ويمزق جسد الأمة لصالح فئات تظن أنها تحتكر الحق دون سواها، في حين كان السلف يرون الحق أوسع من أن يحصر في فرد أو جماعة، ويرون أن الجامع بين المسلمين هو أصل الإيمان الذي لا يجوز هدمه بظنون أو تأويلات فاسدة.

إن الفرق بين المنهجين هو الفرق بين بناء القلوب و هدم الرقاب ؛ فمنهج السلف أحيا الأمة وجعلها أمة واحدة رغم تنوع مذاهبها، بينما منهج التبديع المعاصر جعل الأمة الواحدة شذر

مذر، وصرف الشباب عن مواجهة التحديات الكبرى كالإلحاد والفساد إلى الاشتغال بتبديع الصالحين وتفسيق الدعاة، مما يستوجب العودة إلى فقه الإنصاف والرحمة لتستعيد الدعوة روحها وهيبتها.

كذب الصومعي وافتراءة على أهل التبليغ :

(**أقول** إن معاداة أهل البدع عامة وجماعة التبليغ خاصة لأهل السنة والجماعة لا ينكره أحد فهو كالشمس في رابعة النهار وعلى كل ذمهم لأولي العلم دليل على جهلهم : ورحم الله القائل : -

أتاني ان سهلاً ذم جهلاً - علوماً ليس يدركهن سهل
علوماً لو دراها ما قلاها - ولكن الرضى بالجهل سهل)

إنَّ ادعاء الصومعي بأن جماعة التبليغ تعادي أهل السنة والجماعة وأن عداءهم ظاهر كالشمس في رابعة النهار ، هو قلبٌ للحقائق وافتراءٌ محض لا يستند إلى أثرٍ أو عين؛ بل إن واقع الحال والميدان يكذبان هذا الزعم من عدة وجوه:

أولاً: قلب الحقائق

من العجيب أن يُتَّهم من نذر حياته لجمع كلمة المسلمين في المساجد بالمعاداة ؛ فجماعة التبليغ قائمة أصلاً على إكرام المسلم وتوقير العلماء، وهو أصل من أصولهم الستة. فكيف يُعادى أهل السنة من يقضي ليله ونهاره في دعوة عصاة المسلمين إلى الصلاة والذكر والتمسك بالسنة؟ إنَّ المعاداة الحقيقية هي التي يمارسها الصومعي وفريقه عبر تبديع المسلمين، وتفسيق الدعاة، وضرب وشائج الأخوة الإيمانية، مما يجعلهم هم من يعادي جمهور أهل السنة باسم حماية السنة.

ثانياً: تهافت الاستشهاد ببيت الشعر

استخدم الصومعي أبيات الشعر التي تتحدث عن سهل ليلمز أهل التبليغ بالجهل وذم العلوم، وهذا من أقبح الاستدلالات؛ ذلك أنَّ:

واقع التبليغ: يقوم على تعظيم العلم والذكر ، ولا يخرج فرد في التبليغ إلا وهو مأمور بحضور حلقات العلم ومجالسة العلماء.

العلماء والمشايخ: كبار مشايخ التبليغ (في الهند، باكستان، والوطن العربي) هم خريجو مدارس ومعاهد شرعية عريقة، ولهم مؤلفات في الحديث والفقه يرجع إليها الصومعي نفسه.

فوصم هؤلاء بجهل علوماً ليس يدركها سهل هو جهلٌ من الصومعي بقدر هؤلاء الأعلام، أو تعامٍ عن تراثهم الضخم لمجرد الخلاف في أسلوب الدعوة.

ثالثاً: ميزان الشمس في رابعة النهار

يقول الصومعي إن عداءهم ظاهر كالشمس، والحقيقة أنَّ الشمس التي يراها الناس هي:

1. عمارة المساجد: التي هجرها الناس فأحياها أهل التبليغ بالصلاة والتعليم.

2. التوحيد العملي: بصرف الناس عن التعلق بالأسباب المادية والقبورية إلى التعلق بمسبب الأسباب سبحانه.

3. أدب العلماء: فلم يُعرف عن مشايخ التبليغ قط أنهم سبوا عالماً من علماء السنة أو نالوا من قدر الألباني أو ابن باز أو العثيمين، بل يلهجون بذكر فضلهم، بينما يمتلئ خطاب الصومعي بسبّ الأموات والأحياء.

4. استنقاذ العصاة وبناء الفرد الصالح : بينما ينشغل الصومعي وأمثاله بتصنيف المصنفين وتبديع المهتدين ، تنشغل جماعة التبليغ باستنقاذ الغارقين في وحل المعاصي والآثام. لقد رأى الناس بأعينهم كيف تحول شاربو الخمور، ومدمنو المخدرات، وقطاع الطرق إلى مصلين ذاكرين، متبعين للسنة في سمتهم وهديهم. هذا الإحياء الأخلاقي هو ثمرة السنة النبوية في تزكية النفوس، وهو ما لا يستطيعه من جعل بضاعته القيل والقال وتنفير الناس عن بيوت الله.

5. العالمية وكسر حواجز القومية والحزبية : تعد هذه الجماعة من القلائل الذين استطاعوا جمع المسلم (العربي، والهندي، والأوروبي، والأفريقي) في حلقة ذكر واحدة، على مائدة واحدة، وفي مسجد واحد، دون أدنى تمييز عرقي أو حزبي. هذا النسيج الواحد هو التطبيق الحرفي لقوله ﷺ: المسلم أخو المسلم ، وهو رد عملي على من يتهمهم بالحزبية؛ فالحزبي يفرق، وهؤلاء يجمعون الأمة على أصول الإسلام العظيمة.

6. الزهد في المناصب والسياسة : من أقوى الأدلة على إخلاص وجهة هذه الدعوة هو ابتعادها الكلي عن صراع الكراسي و بريق المناصب والخصومات السياسية التي مزقت الحركات الإسلامية الأخرى. إن تفرغهم لـ إصلاح الذات وتذكير الناس بالآخرة جعلهم بمأمن من الانزلاق في الفتن التي تعصف بالأمم، وهو مسلك يوافق هدي السلف في لزوم الجماعة والاشتغال بخاصة النفس وعمارة المساجد.

7. الصبر على الأذى وعدم المقابلة بالمثل : يُشهد لهذه الجماعة أنها تُسب وتُقذف وتُتهم منذ عقود، ومع ذلك لم يصدر عن مراكزهم أو مشايخهم بيان سب واحد، أو رد فاحش على مخالف. إنهم يمتثلون قوله تعالى: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}. هذا الخلق الرفيع في تحمل أذى المرجفين أمثال الصومعي هو في ذاته برهان على صدق المنهج؛ فالباطل دائماً ما يلجأ للصراخ والشتم، أما الحق فيكتفي بالعمل والبناء.

8. التضحية بالوقت والمال دون سؤال الناس : من أظهر الحقائق التي تُعجز الخصوم هي أنَّ التبليغي يخرج في سبيل الله بماله ونفسه، فلا يطلب من الناس أجراً، ولا يجمع تبرعات لجمعية، ولا يتقاضى راتباً على دعوته. هذا الزهد العملي وتقديم التضحية الشخصية هو أرقى صور الإخلاص التي تعلمها الدعاة من سير الصحابة الكرام؛ فبينما ينشغل غيرهم بجمع الدنيا باسم الدين، ينشغل هؤلاء بإنفاق الدنيا لشراء الآخرة، وهو ما يحطم فرية التبعية أو الأهداف المستترة .

9. إحياء السمت النبوي في المظهر والمخبر : في زمنٍ جرفت فيه العولمة أخلاق الشباب ومظاهرهم، نجد أن جماعة التبليغ نجحت في إعادة هيبة السُنّة إلى الشارع؛ فترى الشاب التبليغي حريصاً على السواك، واللباس المتواضع، واللحية، والوقار، والسكينة في المشي والتعامل. هذا الانضباط السلوكي ليس مجرد قشور، بل هو انعكاس لتعظيم النبي ﷺ في قلوبهم، وهو ردٌ عملي على من يتهمهم بمخالفة السنة؛ إذ كيف يعادي السنة من يحييها في هندامه وكلامه وطعامه وشرابه؟

10. فقه التعايش وجمع الكلمة في الأزمات : لقد أثبتت التجربة الميدانية أن جماعة التبليغ هي صمام أمان في المجتمعات الإسلامية؛ فهي لا تدخل في صراعات طائفية، ولا تُحرض على ولاة الأمر، ولا تثير القلاقل بين المذاهب. بل إنَّ المركز (المسجد) يجمع الجميع على كلمة سواء . هذا الحرص على وحدة الصف وتجنب إثارة الفتن هو عين مقاصد الشريعة، وهو ما يغيظ أهل التبديع الذين لا يقتاتون إلا على الفرقة والتمزيق؛ فالحق يجمع، والباطل يفرق.

ولذا فإنَّ افتراء الصومعي على هذه الجماعة بالعداء لأهل السنة هو بهتان عظيم ؛ فالمعاداة تقتضي بغضاً وتحريضاً، وهو ما لا يُوجد في أدبيات التبليغ. أما الصومعي، فقد سلك مسلك رمتني بدائها وانسلت ، فصار يذمُّ من هم في ثغور الدعوة بكلمات الشاعر التي تنطبق عليه

هو؛ فهو الذي ذم جهلاً منهجاً لم يدركه، وقلى (أبغض) علوماً دعوية لو دراها وفهم مقاصدها لما رماها بالبدعة والضلال.

أهل التبليغ هم أهل التوحيد وبرائتهم من افتراء المفترين:

ومن أعجب العجب أن ينسج الخصوم قصصا من وحي خيالهم لا تتماشي حتى مع أفلام هوليود الأمريكية ! فيرسمون أحداثا لم تحدث ويسطرون قصصا وينشرونها بين الناس ولا يشهد عليها أحد في اجتماع يحضره الألاف من الناس من كل بلاد العالم !! ، فيقول الصومعي (وأختم الكلام على معاداتهم لأهل التوحيد بقصة ذكرها العلامة التويجري في كتابه [القول البليغ] وقد كتب هذه القصة صاحبها بخط يده فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

في الاجتماع المنعقد لجماعة التبليغ يوم السبت 1402/7/28هـ الموافق 1982/5/22 وحيث الحشود والوفود تجتمع في مدينة شارلوروا قررت الذهاب هنالك لملاقاة بعض الأخوة الباكستانيين القادمين من الدانمارك لحضور اللقاء وتم بحمد الله التقائي بهم في قاعة التجمع واستمعنا معا إلى بيانات مشايخ التبليغ وغير ذلك طيلت يوم السبت إلى صلاة العشاء وبعد انقضاء الصلاة قمت مع أمير جماعة التبليغ في الدانمارك لنذهب إلى المكان الذي حطوا فيه رحالهم وأثنا ذلك اعترضني القادري أميرهم في الدار البيضاء فظننت أنه سائلي سؤالاً عابراً ومضى صديقي دون أن يشعر بتخلفي عنه فسألني القادري قائلاً: كيف تجد قلبك تجاه العمل الذي نقوم به والخروج في سبيل الله ؟ فأجبته بأني غير مطئمن لطريقة هذا الخروج فاستفسرني عن سبب ذلك فأجبته قائلاً إني أفضل ان يكون خروجي **أربعة أشهر لتعلم العربية والحديث والفقه في الدين ولا أرغب الاستماع إلى الخرافات والمنامات التي لا شأن لي بها** فأجابني على الفور بكلامه إذا في قلبك نفاق فقلت له: هل أنت مطلع على قلبي ؟ !

فأجاب أن نعم ! فقلت له ما دمت بهذه المنزلة فأنت ربي لأنه هو وحده المطلع على القلوب كما قال تعالى : { **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** } فقبض من يدي بقوة فقلت له إليك عني : فقال لي: ورد في الحديث **من رأى منكم منكراً فليغيره بالعصا** فبادرته قائلاً اتق الله لا تحرف حديث النبي صلى الله عليه وسلم وإنما قال: **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده** .. الحديث.

فلم يصبر آنذاك حتى جرني إليه بقوة ولم يدع لي فرصة لأخذ نعلي فأخذني إلى حجرة صغيرة وطلب مني أوراقي كأنه رجل مخابرات فسلمته أوراقي فأخذها وانصرف بعد أن خلف من يحرسني ثم عاد بعد حوالي ثلاث ساعات مع رجل آخر فأخذاني إلىمكان خلفي في الخارج خال عن حركة الناس فربطوا يدي من وراء ظهري وانهال علي القادري ضرباً وركلاً وجراً للحييتي وضرباً برأسي على جدار وأذكر من بين ما كان يقال لي أثناء التعذيب من أين جئت بسيارة مشحونة بالسلاح ثم انصرف بعد أن خلف من يحرسني.

وبعد ربع ساعة تقريباً عاد إليّ القادري مع رجل أردني وآخر مغربي يصحبهم الهامي التونسي أميرهم بفرنسا وعادوا إلى ضربي وتعذيبي تحت نظر لهامي ورعايته وجاءوا بهزلة أخرى وذلك قولهم لي : إنهم وجدوا سيارة مشحونة بالسلاح وأن لي ارتباطاً بها وغير ذلك من الترهات التي لا يصدقها عاقل فبادرتهم بقولي أن لا علاقة لي بهذا على الإطلاق وإن كان ما تزعمونه حقاً فأخبروا الشرطة التي تحقق في هذا.

واستمروا في تعذيبي دون أن يحصلوا مني على نتيجة ثم هددوني بالكهرباء فقلت: إني أفوض أمري إلى الله إنه بصير بالعباد والبسوني ثوباً ويداي مقيدتان كما سبق وأخذوني إلى مكان أعلى في حجرة ضيقة حيث هنالك آلة التوليد الكهرباء واجلسوني على حديدة والعجلة من وراء ظهري وأخذ بلحيتي يجرها حتى أقر بما ورائي من سوء كما ادعوا.

ثم قفل الباب وظللت وحيداً على تلك الحالة سوى واجهة أنظر من خلالها الناس وينظرون إليّ ومن حين لآخر يأتي من يتولى إذايتي ويقوم بتعذيبي حتى أدركني الفجر وأنا على ذلك فصليت بعيني وأنا على ذلك الحال حتى طلعت الشمس.

وحوالي الحادية عشرة جائني القادري ونصحني بالابتعاد عن المسلمين وأخذني لأغسل ما أصابني أثناء تعذيبي من التشويه حتى بعد الثانية عشرة ناولني أوراقي واطلق سراحي مكررا نصحه لي بالابتعاد عن المسلمين وهكذا يا أحبائي الكرام يكون إكرام المسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله وإليه المشتكي وهو حسبي ونعم الوكيل وجاء في خاطري وأنا خارج المكان أن أذهب إلى الشرطة وأخبرهم بما جرى لي مع هؤلاء ولكني فضلت الصمت مراعاة لمصلحة الإسلام والمسلمين.

التوقيع : فاروق حنيف)

هذه القصة ليست إلا سراديب وهمية في عقول مفبركيها؛ فجماعة التبليغ ليست منظمة سرية، بل هي دعوة في وضح النهار . واستخدام هذه الأساطير لتشويههم هو دليل على إفلاس

الخصوم في ميدان الحجة العلمية، فلجأوا إلى التأليف القصصي ، ويمكننا تحليل هذه الرواية التي ساقها الصومعي نقلاً عن التويجري، لبيان استحالة حدوثها عقلاً ومنطقاً، وكشف زيف المنهج الذي يقبل الخرافات لمجرد أنها تطعن في الخصوم:

1. استحالة الاختفاء القسري في حشود المئات والآلاف

تزعم القصة أن الحادثة وقعت في اجتماع بمدينة شارلوروا ، وهي اجتماعات (جوران) يُعرف عنها حضور عشرات، بل مئات الآلاف من مختلف الجنسيات. في مثل هذه الحشود، تضيق الأماكن بالناس، وتتحول القاعات والممرات إلى خلايا نحل لا تهدأ ليل نهار. فكيف يمكن اختطاف شخص وجره دون نعلين، ثم احتجازه في حجرة صغيرة لثلاث ساعات، ثم نقله لمكان آخر خالٍ من الحركة دون أن يلحظ ذلك أحد من آلاف الدعاة الذين يملأون كل زاوية؟ إنَّ طبيعة اجتماعات التبليغ تقوم على الشفافية التامة والعلانية، ولا توجد فيها مساحات معزولة تسمح بمثل هذا السيناريو المخابراتي .

2. أسطورة غرف التعذيب وأجهزة الكهرباء

تنتقل القصة من حيز النقد الدعوي إلى عالم أفلام الأكشن المبتذلة، حين يتحدث فاروق حنيف عن آلة توليد كهرباء و تعذيب بالصعق . والسؤال العقلاني هنا: هل جماعة التبليغ، التي تخرج بملابسها البسيطة وسجادات صلاتها في قاعات مؤجرة أو مساجد عامة في قلب أوروبا، تملك لوجستيات السجون؟ من أين جاءوا بمولدات الكهرباء وأدوات التعذيب؟ وهل سمحت السلطات البلجيكية في شارلوروا لجماعة دينية بإقامة معتقل سري داخل قاعة عامة؟ هذا ادعاء لا يقبله عقل طفل، فضلاً عن عالم علامة كالتويجري.

3. تناقض تهمة السلاح مع واقع الجماعة

تزعم القصة أنهم حققوا معه حول سيارة مشحونة بالسلاح . وهذا أغرب ما في الرواية؛ فالعالم أجمع، الصديق والعدو، والمخابرات الشرقية والغربية، يعلمون أن جماعة التبليغ هي أبعد الجماعات عن العمل المسلح أو السياسي أو العسكري. فكيف ينشغل أمراء التبليغ (الهامي التونسي وغيره) بالبحث عن شحنات سلاح وهم الذين يفرون من ذكر السياسة فرارهم من الأسد؟ إنَّ إقحام تهمة السلاح في القصة هو سقطة تأليفية جعلت الرواية تبدو كأنها كُتبت بوعي رجل أمن يريد تشويه جماعة، لا بوعي داعية يصف واقعاً.

4. الصمت مصلحةً للإسلام

يختم فاروق حنيف قصته بالقول إنه فضل الصمت وعدم إبلاغ الشرطة مراعاة لمصلحة الإسلام . وهذا عذرٌ أقبح من ذنب؛ فمن يُعذب بالكهرباء، ويُضرب رأسه بالجدار، ويُتهم بتهريب السلاح، وتُسلب أوراقه الرسمية، لا يجد في نفسه صفاءً ليحمي من عذبوه، خاصة وهو يراهم أهل نفاق و أعداء للتوحيد كما زعم! إنَّ الصمت في هذه الحالة لا يُفسر إلا بأحد أمرين: إما أن الواقعة لم تحدث أصلاً، أو أن صاحبها خشي من إبلاغ الشرطة لأن ادعاءاته الكاذبة ستنكشف أمام التحقيق الجنائي المادي.

5. أين الضحايا الآخرون؟

جماعة التبليغ تعمل منذ قرن في أكثر من 150 دولة، ويخرج معهم الملايين سنوياً، وبينهم ألوف من السلفيين الذين يخرجون لغرض النقد أو التغيير. فهل يُعقل أنَّ فاروق حنيف هو الوحيد في تاريخ البشرية الذي تعرض لـ الكهرباء ؟ أين الحالات المشابهة؟ إنَّ غياب أي حادثة مماثلة في أي بقعة من العالم يثبت أن القصة حالة فريدة من الخيال صُنعت خصيصاً لتكون مادة دسمة في كتب التحذير من التبليغ .

6. الغفلة المنهجية للسلفية الغالية

إنَّ الطامة الكبرى ليست في كذب فاروق ، بل في تلقف مشايخ التبديع لهذه القصة دون أدنى نقد بصير. فكيف يمرر العلامة قصصاً تنافي بديهيات العقل والحس؟ إنَّ مجرد كون القصة تُدين الخصم جعلها عند الصومعي والتويجري حقيقة قطعية ، وهذا هو العمى المنهجي ؛ حيث تُهدر قواعد التثبت و التبين و عرض الرواية على العقل في سبيل الانتصار الحزبي.

الحوادث الفردية لا يقاس عليها إن ثبتت أصلا :

(**قال أبو همام وفقه المولى**: تأمل أيها المسلم ما ذنب فاروق حنيف حتى ينهال عليه التبليغيون بالضرب والركض واللكم والتعذيب بالكهرباء ليس لديه ذنب سوى أنه حث على طلب العلم وعدم سماع الخرافات ولكن جماعة التبليغ رأوا ذلك منكراً لابد أن يغيروه مع إنهم بعيدون كل البعد عن النهي عن المنكر بل ربما شاركوا في المنكرات لمصلحة دعوتهم وأذكر قبل اثنى عشر عاماً عندنا في اليمن في قرية من قرى تعز وكنت خرجت معهم فجاءت أمطار وأذن المؤذن لصلاة العصر فأقيمت الصلاة وصلينا ولم يأت إلا النزر اليسير من أهل القرية ولما انقضت الصلاة كنت خرجت إلى الخارج وتأخرت قليلاً ثم عدت ودخلت

المسجد ورأيت شيئاً لم تكد عيناي أن تصدقا ذالكم المنظر رأيت الأمير ومعه المجموعة الخارجة معه للدعوة إلى الله في مؤخرة المسجد كل واحد منهم اتخذ له متكئاً بجانب صاحبه وجاءوا بحزم من القات ووضعوها أمامهم وطفقوا يأكلون منها فقلت لهم ما هذا فغمزني أميرهم أن أصبر فلما خرج تكلمت معه فقال بمعنى كلامه يتألفهم فنصحته أن يتقي الله وأنه محاسب على ذلك

فانظر أيها الأخ المسلم أليس هذا منكر في بيت من بيوت الله ولكن هذه الجماعة ترى المنكر الدعوة إلى التوحيد وطلب العلم فمن تكلم في هذين الأمرين فقد جاء بمنكر { **تكاد السموات يتفطرن منه وتنشف الأرض وتخر الجبال هداً**} [مريم آية رقم 90].

ولعله اتضح لك أيها المسلم عداوة هذه الجماعة لأهل التوحيد واتضح لك صحة قول الشيخ أحمد حفظه الله تعالى في عداواتهم للموحدين والله المستعان.)

إنَّ هذه الحوادث الفردية هي بمثابة القذى الذي لا يعكر بحر الدعوة الصافي؛ والاشتغال بها وتضخيمها هو دليل على عجز الخصم عن مواجهة الحجة بالحجة. فمن عجز عن نقض الأصول الستة التي يدور عليها التبليغ، ذهب يبحث عن حزمة قات في زاوية مسجد ليصنع منها قضية شرعية تهز السماوات!

1. القاعدة المنهجية: الخطأ الفردي لا يُعمم :

إن من أبجديات العدل الإنصافي أن يُحاكم المنهج بناءً على أصوله المقررة و أدبياته المنشورة و جمهوره الغالب ، لا بناءً على تصرفات آحاد المنتسبين إليه. ففي كل تيار فقهي أو دعوي، يوجد المتحمس الجاهل، والمنفعل الذي لا يضبط تصرفاته. إنَّ القول بأن التبليغيين يضربون بالكهرباء بناءً على واقعة مدعاة لشخص واحد (فاروق حنيف)، هو تعميم باطل؛ فلو فُتح هذا الباب، لأمكن اتهام كل مدرسة علمية بالعنف لمجرد أن أحداً من طلابها اشتبك مع مخالف. جماعة التبليغ عالمياً تُعرف ب سياسة اللاعنف المطلقة، حتى أنهم يُنتقدون أحياناً من تيارات أخرى بسبب مبالغتهم في الصبر واللين، فكيف يُحول الشاذ إلى قاعدة؟!

2. واقعة القات : شهادة مجروحة وسياق مغلوط :

هذه القصة التي رواها أبو همام تحمل في طياتها ملامح الخصومة الشخصية أكثر من التحقيق العلمي :

أولاً: اختيار القات تحديداً هو محاولة لضرب سمعة الجماعة في بيئة يمنية تدرك تماماً أنَّ مراكز التبليغ (كـ مركز الدعوة في صنعاء أو تعز) هي من أكثر الأماكن صرامة في منع القات، بل إنَّ الكثير من الشباب التزموا مع التبليغ خصيصاً ليتحرروا من إدمان القات.

ثانياً: قول الأمير يتألفهم - إن صح - هو اجتهاد شخصي في فقه الدعوة بقرية نائية، ربما رأى أنَّ طردهم أو الشدة عليهم في تلك اللحظة سيفصم علاقتهم بالمسجد تماماً. أن يُجعل هذا الاجتهاد القروي قبل 12 عاماً دليلاً على فساد جماعة عالمية هو إفلاس حقيقي في الحجة، وتنقيب في السقطات الفردية التي لا يخلو منها بشر.

3. تهافت فرية عداء التوحيد والعلم :

يزعم المدعي أن الجماعة ترى الدعوة للتوحيد منكراً ، وهذا قلب للحقائق؛ فالتبليغ يركز على التوحيد العملي (إخراج اليقين على الأشياء وإدخال اليقين على رب الأشياء). هم لا يمنعون التوحيد، بل يمنعون الجدل في العقائد الذي ينتهي بالخصومة والتبديع في بيئة لا تعرف أصلاً أركان الصلاة.

أما الاستشهاد بآية {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ...} التي نزلت في حق من قال اتخذ الرحمن ولداً ، لوصف خلاف مع أمير جماعة حول القات أو أسلوب الدعوة، فهو تجرؤ خطير على النص القرآني ، وتنزيل لآيات الشرك الأكبر على خلافات في الوسائل الدعوية، وهو ديدن أهل الغلو.

4. أبو همام وميزان المصداقية :

عندما يعتمد أبو همام في تأصيل عداوة التبليغ للموحدين على قصص رأيتُ و قال لي ، فإنه ينقل المسألة من سياق العلم إلى سياق الحكايات . العلم يقتضي أن تأتي بنص من كتب مشايخهم (مثل حياة الصحابة أو تبليغي نصاب) يدعو لضرب الموحدين أو كراهية التوحيد. أما الاعتماد على مواقف الركض واللكم المزعومة، فهو أسلوب الصحافة الصفراء لا أسلوب الفقهاء المحققين. إن المصداقية تقتضي النظر إلى ملايين البشر الذين استقاموا على التوحيد والسنة بسبب هذه الجماعة، فهل نلغي هذا الخير المتواتر لأجل خبر آحاد مشكوك في تفاصيله؟

5. الانتقائية في النقد (مبدأ المعاملة بالمثل) :

لو طُبقت معايير أبو همام على خصوم التبليغ، لوجدنا في صفوفهم من يسب العلماء، ومن يمارس الغلو، ومن يسيء الأدب مع الوالدين بحجة الولاء والبراء . فهل يقبل الخصوم أن

نحكم على السلفية بممارسات غلاة التبديع منهم؟ طبعاً لا. إذن، لماذا يُحاكم التبليغ بأخطاء أفراده بينما يُحاكم الآخرون بأصول مناهجهم؟ إنَّ هذا التمييز هو تطفيف في المكيال ذمّه الله تعالى، وهو دليل على أن الهدف هو التشويه لا الإصلاح .

التبليغ ليست جماعة مؤسسة وإنما جهد دعوي سُمي بهذا الإسم:

يقول المعلق : (بداية تأسيس جماعة التبليغ على يد شيخهم محمد إلياس إسماعيل الحنفي الديوبندي الجشتي الكاندهلوي عام 1344هـ.) ومن المهم جداً التمييز بين تأسيس كيان حزبي وبين إطلاق حراك دعوي يهدف لاستنهاض الأمة.

1) الجماعة هي جماعة المسلمين، وكل مسلم سني ينتمي لتلك الجماعة: إن مصطلح الجماعة في المنظور الشرعي السليم يشير إلى جماعة المسلمين العامة التي تجتمع على أصول أهل السنة والجماعة، وليست حكراً على تكتل بشري بعينه. ومن هنا، فإن الخطأ الذي يقع فيه غلاة التبديع هو محاولة حصر هذا الجهد في إطار فرقة مستحدثة. إن الأصل في المنتسب لهذا الجهد الدعوي أنه فرد من آحاد المسلمين، لم يخرج عن عقيدتهم ولا عن جماعتهم الأم، بل هو يمارس حقاً شرعياً وواجباً دينياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . الانتماء هنا ليس انتماءً عصبياً لكيان موازٍ للدولة أو للمجتمع، بل هو انتماء لوظيفة دعوية تخدم جسد الأمة الواحد، فكل مسلم سني هو بالضرورة جزء من هذه الجماعة الكبرى، والعمل الدعوي ما هو إلا وسيلة لتفعيل هذا الانتماء.

2) ابتدأ الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي رحمه الله جهد الدعوة بغرض إصلاح المجتمع وليس لمجرد تأسيس جماعة وتنظيم: حين استشعر الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي - رحمه الله - في عام 1344هـ عظم الفجوة بين واقع المسلمين وبين تعاليم دينهم، لم يكن

منطلقه شهوة الزعامة أو الرغبة في بناء هيكل تنظيمي له أدبياته الخاصة ومكاسبه السياسية. إنما كان منطلقه الهمّ النبوي والشعور بالمسؤولية تجاه العامة الذين انغمسوا في الغفلة. لقد كان جهداً إحيائياً صرفاً؛ أراد من خلاله تحريك القلوب الراكدة وإحياء روح العبادة في المساجد. فالفارق جوهري بين المؤسس الذي يضع قوانين لجمعية، وبين المجدد أو الداعية الذي يضع منهجاً حركياً لإصلاح الفرد من الداخل. فالتنظيم لدى الشيخ لم يكن غاية في حد ذاته، بل كان الجهد هو الجوهر، والإصلاح هو الهدف.

3) حركة التبليغ مثل حركة الوهابية النجدية وحركة الإخوان المسلمين من حيث الغاية العظمى: فإذا قمنا بتحليل الحركات الإصلاحية التي ظهرت في القرون الأخيرة، سنجد أن هناك جامعاً مشتركاً يربط بينها جميعاً، وهو الغاية العظمى المتمثلة في انتشال المجتمع من حالة الضياع والتبعية والجهل بالدين إلى جادة الاستقامة والالتزام. فالحركة الوهابية في نجد ركزت على إصلاح العقيدة وتنقيتها من الشوائب، وحركة الإخوان المسلمين ركزت على شمولية الإسلام ومواجهة التيارات الفكرية والسياسية الوافدة. وبالمثل، جاء جهد التبليغ ليركز على الجانب الإيماني التربوي وتزكية النفوس. الاختلاف هنا ليس في المشروعية أو الهدف النهائي ، بل هو اختلاف في فقه الأولويات و الوسائل المتبعة. فكما يُقبل من غيرهم سعيهم للإصلاح عبر التعليم أو السياسة، يجب أن يُقبل من هؤلاء سعيهم للإصلاح عبر الدعوة العامة والتربية الإيمانية البسيطة.

4) عمل التبليغ عمل جماعي وليس مجرد تنظيم: فهناك خلط كبير لدى الناقدين بين العمل الجماعي المأمور به شرعاً، وبين التنظيم الحزبي الذي قد يتضمن الولاء والبراء الضيق. جهد التبليغ هو عمل بروح الجماعة ؛ أي أنه جهد يعتمد على التعاون، والشورى، وتوزيع الأدوار بين المسلمين لتحقيق مصلحة دعوية. هو عمل يفتقر إلى سمات التنظيمات الحزبية المعروفة؛ فلا توجد عضوية رسمية ، ولا اشتراكات مالية إلزامية ، ولا بيعات سرية ، ولا طموحات سياسية . إنه جهد مفتوح، يدخله المسلم ويخرج منه متى شاء، غايته أن يكون المسلم فعالاً في مجتمعه. لذا، فإن وصفه بـ التنظيم هو وصف قاصر يحاول إلباس العمل الدعوي الشعبي ثوباً حزبياً لا يرتديه، فالجماعية هنا هي وسيلة لإتقان الدعوة وليست غاية لبناء كيان مغلق.

التدليس ، والمسجد النبوي وقبر الرسول :

يقول المعلق الصومعي على قول النجمي أن قبر الشيخ إلياس رحمه الله فى المسجد بقوله : (وهذا فيه مخالفه لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وفاعله شر الخليقة عند الله كما تقدم.) وفي هذا التعليق ما فيه من التدليس على عامة القراء والكذب على الله وعلى الناس ، نبينه في الفقرات التالية :

إنَّ ما ذكره المعلّق (الصومعي) يحمل في طياته نوعاً من الإيهام والتدليس على القارئ العام، حيث خلط بين النهي التشريعي وبين التنزيل الخاطئ على الواقع، وذلك من خلال عدة ركائز:

أولاً: التعميم المضلل وإسقاط الواقع التاريخي :

وقع المعلّق في فخ التعميم الإطلاقي، حيث أوهم القراء أن كل مسجد يضم قبراً يجعل فاعله شر الخليقة دون تفصيل. وهذا التعميم يصطدم مباشرة بواقع المسجد النبوي الشريف، الذي يضم القبر النبوي وقبري أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فلو كان الإطلاق الذي ذهب إليه المعلق صحيحاً، لزم منه طعنٌ شنيع في تاريخ الأمة الإسلامية وعلمائها الذين أقروا توسعة المسجد النبوي وإدخال الحجرات فيه منذ عهد التابعين إلى يومنا هذا.

ثانياً: إغفال الفرق بين الابتداء و التبعية (التوسعة) :

هنا يكمن لبُّ التدليس؛ فالنصوص التي استند إليها المعلّق تتحدث عن ابتداء بناء المساجد على القبور (أي اتخاذ القبر أساساً للمسجد)، بينما الواقع في المسجد النبوي - وكثير من المساجد التاريخية - أن القبور كانت في حجرات مستقلة (كبيت عائشة)، ثم أُدخلت ضمن المسجد بسبب التوسعات العمرانية الضرورية.

ثالثاً: المبالغة في إسقاط أحكام شرار الخلق :

فحين يصف المعلق الفاعل بأنه شر الخليقة عند الله بإطلاق، فإنه يمارس نوعاً من الإرهاب الفكري والتدليس العلمي؛ لأن هذا الوصف ورد في حق من يبني المساجد لغرض العبادة عند القبر وتعظيمه تعظيماً يضاهي عبادة الله، وليس في حق من وسّع مسجداً أو وجد في مسجده قبراً معزولاً بجدران لا يُصلى إليه ولا يُطاف به.

فنحن لا نُنكر أن النبي ﷺ نهى عن اتخاذ القبور مساجد سداً لذريعة الشرك والغلو، وهذا أصل صحيح لا يجوز إنكاره. وقياس مساجد المسلمين التي ضمت قبوراً لضرورات تاريخية أو عمرانية على كنائس الحبشة التي ذمها النبي ﷺ هو قياس مع الفارق. فالمسلمون لا يبنون

المساجد ليعبدوا أصحاب القبور، بل لتوحيد الله، والقبر في المسجد النبوي محاط بجدران تجعل الصلاة إليه ممتنعة شرعاً وعرفاً. وإجماع الأمة العملي على الصلاة في المسجد النبوي عبر القرون هو أقوى رد على من يحاول تعميم وصف شر الخليقة على كل من صلى في مسجد فيه قبر، أو كل من أقر وجود قبر في مسجد نتيجة توسعة.

فالتدليس في كلام المعلّق يكمن في بتر السياق وتجاهل المثال الأكبر (المسجد النبوي) لإيهام الناس بحكم قطعي عام لا وجود له بهذا الإطلاق في فقه أئمة الإسلام. إنَّ محاولة إخراج المسألة عن سياقها التاريخي والفقهي هي محض كذب على الواقع وإيهام للناس بما لم يقله الله ورسوله على وجه التعميم.

شبهة وجود قبر النبي في مسجده والرد عنها :

هذه هي النقطة محل الرد والاستشهاد ، حيث أن الحكم عليها يجرنا إلى الحكم على غيرها ومثيلاتها ، فحينما يحتج على الناقدين بهذه القضية يكون الرد منهم كالتالي :

فالأصل أن النبي ﷺ لم يُدفن في المسجد، بل دُفن في بيت عائشة رضي الله عنها (وهي حجرة مستقلة تماماً عن المسجد). وجاءت التوسعة التاريخية فيما بعد حيث بقي القبر خارج المسجد طوال عهد الخلفاء الراشدين وعهد معاوية. وفي عهد الوليد بن عبد الملك (سنة 88 هـ)، أمر بتوسعة المسجد، فأدخل الحجرات (ومنها حجرة عائشة) ضمن نطاق المسجد. والفرق الجوهري أن هناك فرق بين من يبني مسجداً على قبر (وهو المنهي عنه)، وبين مسجد قائم وسيع ثم اضطر الناس لتوسعته فأُدخل القبر فيه مع الحفاظ على فصله بجدران. وقبر النبي ﷺ محاط بثلاثة جدران، وبنيت بشكل مثلث بحيث لا يمكن لأحد أن يستقبله وهو يصلي، وبذلك يخرج عن حكم اتخاذ القبر مسجداً أو الصلاة إليه .

هل تعامى المعلق عن الواقع في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ؟

(العلماء الذين ينهون عن القبور في المساجد لا يتعامون عن المسجد النبوي، بل يعتبرونه حالة استثنائية فرضها الواقع التاريخي والتوسعة، ويستدلون بما يلي:

أن المسجد النبوي بُني قبل وجود القبر، ولم يُبْنَ على القبر.

أن القبر في حجرة معزولة وليس في صحن المسجد المكشوف للمصلين بشكل مباشر.

أن الصحابة والتابعين أنكروا في وقتها إدخال الحجرات، لكن الغلبة كانت لقرار السلطان حينها.) وهنا يبرز تمسك النجمي والصومعي بالنصوص النبوية التي تحذر من القبور في

المساجد خوفاً من الغلو. ويعتبرون قياس سائر القبور (مثل قبر الشيخ إلياس أو غيره) على المسجد النبو قياساً مع الفارق؛ لأن المسجد النبوي له خصوصية تاريخية، بينما بناء المساجد الجديدة على القبور أو إدخال القبور فيها عمداً هو ما تناوله النهي الصريح.

وهذا الرد جيد ولا نخالف فيه ، إلا في زعمهم خصوصية لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم تجوز القبر في المسجد دون غيره من مساجد المسلمين حتى لو لم يكن هناك مخالفات فيه مطلقا .

وهنا مكمن التناقض المنطقي في الاستدلال، حيث أن محاولة تخصيص المسجد النبوي بحكم استثنائي مع تعميم المنع على غيره هي مفارقة تفتقر للاتساق المنهجي، وذلك حسب ما يلي:

إن القول بخصوصية المسجد النبوي في مسألة وجود القبر فيه هو قول يواجه مأزقاً شرعياً ومنطقياً كبيراً؛ فالتشريع الإسلامي يقوم على عموم العلة وحياد الأحكام، وحين قال النبي ﷺ: اتخذوا قبور أنبائهم وصالحيهم مساجد ، لم يفرق بين نبي ونبي، ولا زمن وزمن ، ولا صالح وصالح ، ولا مسجد ومسجد ! بل جاء لفظ أنبيائهم بالجمع ليشمل كل نبي بما فيهم جناب الحبيب المصطفى ﷺ. لذا فإن محاولة استثناء قبره من هذا الحكم المنعي، ثم إطلاق وصف شرار الخلق على من يوجد في مسجده قبر رجل صالح، هو تفريق بين متماثلات. فإما أن يكون وجود القبر في المسجد (بشروطه وضوابطه المعمارية كما في المسجد النبوي) جائزاً ولا يقدح في التوحيد، وإما أن يكون محرماً ومنكراً يستوجب الذم، ولا يمكن للحق أن يكون متناقضاً بحيث يُشرع في المدينة ما يُعتبر شركاً أو ضلالاً في غيرها.

علاوة على ذلك، فإن ادعاء الخصوصية للمسجد النبوي دون غيره من المساجد هو ادعاء يفتقر للدليل؛ إذ لم يقل النبي ﷺ لا تتخذوا القبور مساجد إلا قبري ، بل إن الواقع التاريخي يثبت أن إدخال القبر إلى المسجد النبوي تم في عهد التابعين وبإقرار علماء الأمة في ذلك العصر، وهو ما يمثل إجماعاً عملياً على أن مجرد وجود القبر داخل محيط المسجد ليس هو الفعل المنهي عنه لذاته، بل المنهي عنه هو بناء المسجد على القبر بقصد تعظيمه أو الصلاة إليه. فإذا انتفت هذه المحاذير (بأن فُصل القبر بجدران أو كان وجوده تبعاً لتوسعة لا بناءً ابتدائياً)، بطل وصف شر الخليقة عن الفاعل، سواء كان المسجد في المدينة أو في أي بقعة من بقاع الأرض.

إن هذا التناقض في كلام المعلقين يظهر جلياً حين يستدلون بالحديث للتحذير من قبور الصالحين (مثل قبر الشيخ إلياس أو غيره) ويغضون الطرف عن التطبيق الفعلي في المسجد النبوي؛ فإما أن يسحبوا حكم المنع المطلق على كل المساجد بما فيها المسجد النبوي (وهذا تصادم مع إجماع الأمة)، وإما أن يقبلوا بالقاعدة الفقهية التي تُفرق بين البناء على القبر وبين إدخال القبر في المسجد لضرورة التوسعة، وهذه القاعدة يجب أن تطبق بعدل على جميع المساجد. فمن الظلم والتدليس وصف المسلمين بشر الخليقة في مسألة هم فيها متبعون لما استقر عليه العمل في أشرف المساجد وأقدسها، مما يؤكد أن الإطلاق في المنع دون تفصيل هو مسلك غير دقيق علمياً، ويهدف إلى التشنيع أكثر من التأسيس الفقهي المنضبط.

جوهر تدليس الصومعي :

إن جوهر التدليس في كلام المعلّق يبرز من خلال خلطه المتعمد بين المجاورة المكانية وبين العبادة الشركية ؛ فحين استشهد بحديث شرار الخلق ، أغفل أن وصف الشرارة لم يلحق بأولئك القوم لمجرد وجود قبور في مساجدهم، بل لأنهم اتخذوا القبور مساجد، والاتخاذ فعل إرادي يتضمن القصد والنية للعبادة عند القبر أو لصاحب القبر. فالنبي ﷺ اعتبر فاعل ذلك من شرار الخلق لأن العلة هي الغلو المفضي للشرك ، كالسجود للقبر أو اعتقاد النفع والضر فيه من دون الله. فإذا انتفت هذه العلة، وصار القبر مجرد موجود في حيز المسجد (مفصولاً بجدران أو ناتجاً عن توسعة) دون أن يقصده المصلون بعبادة أو تعظيم يضاهي تعظيم الخالق، فإن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً.

ومن هنا يظهر تدليس المعلّق في مساواته بين من يبني ضريحاً ليُعبد من دون الله، وبين وجود قبر كقبر الشيخ إلياس أو غيره في مسجد لا تُمارَس فيه أي مظاهر شركية؛ فبأي حق يُنزل وصف شر الخليقة على من لم يشرك بالله شيئاً؟ إن المعلق بتعميمه هذا قد جعل المكان هو العلة وليس الفعل ، وهذا كذب على مقاصد الشريعة. فإذا كان وجود قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه في المسجد النبوي لا يجعل المسلمين هناك شرار خلق لأنهم لا يعبدون القبر بل يعبدون رب القبر، فإن هذا الحكم ينسحب بالضرورة على كل مسجد فيه قبر لا يُعبد صاحبه ولا يُقصد بالصلاة.

إن محاولة المعلق إيهام القراء بأن مجرد وجود القبر في المسجد هو المخالفة التي توجب اللعن، مع تجاهله الصارخ لواقع المسجد النبوي، يكشف عن انتقائية في الاستدلال؛ إذ لا

يمكن عقلاً ولا شرعاً أن يكون الفعل الواحد (وجود قبر في مسجد) توحيداً في المدينة و شركاً ومخالفة توجب اللعن في غيرها. والحق أن الحكم يجب أن يطرد بانتفاء العلة؛ فمادام القبر غير مقصود بالعبادة، ومفصولاً عن مصلى الناس، فإنه يأخذ حكم قبر النبي ﷺ وصاحبيه، ويصبح وصف شر الخليقة في حق هؤلاء المسلمين اعتداءً لفظياً وتدليساً دينياً يبتغى منه التشنيع لا التحقيق، وصرفاً للنصوص عن مقاصدها التي جاءت لحماية التوحيد من الأفعال لا لمجرد المجاورات المكانية التي لا يترتب عليها شرك.

فعل الصحابة هو البرهان العملي لتلك القضية :

إنَّ إجماع الصحابة والتابعين العملي هو البرهان الأكبر على زيف ادعاءات المعلّق؛ فقد عرف الصحابةُ أجمعون مكان القبر الشريف وصاحبيه، ولم يقل أحد منهم إنَّ مجاورة القبر للمسجد أو دخوله في حماه ضمن التوسعة اللاحقة يُعدُّ إحياءً لسنة النصارى أو دخولاً في وعيد شرار الخلق . والسبب في ذلك واضح وجلي: وهو أنَّ القبر في المسجد النبوي صار في مأمن من الشرك بحواجزه وجدرانه، ولم يُتخذ وثناً يُعبد أو يُسجد له.

وهنا يظهر وجه التدليس والاضطراب في كلام المنتقد؛ فإذا كان قد أقرَّ بأنَّ فعل الصحابة والتابعين في المسجد النبوي ليس مشابهاً لفعل النصارى، وأنهم ليسوا شر الخليقة رغم وجود القبر في حيز المسجد، فقد لزمه شرعاً وعقلاً تسوية الحكم على كل حالة تماثلها. فالمناط (العلة) في التحريم هو اتخاذ القبر مسجداً لغرض العبادة والشرك ، فإذا انتفى هذا القصد في أي مسجد آخر، وبقي القبر مجرد مجاور للمصلى أو معزولاً عنه كما هو حال قبر الشيخ إلياس أو غيره، وجب أن ينتفي الحكم بالتحريم أو اللعن.

إنَّ محاولة المعلق التفريق بين المسجد النبوي وغيره مع اتحاد الظروف (من حيث أمن الشرك وفصل القبر) هو تحكمٌ بلا دليل، بل هو عين التناقض؛ إذ كيف يُشرع فعلٌ في المدينة ويُعتبر قربةً أو أمراً مقبولاً، بينما يُعتبر الفعل نفسه في بلد آخر مخالفةً تجعل فاعلها من شر الخليقة ؟ إنَّ هذا المسلك ينمُّ عن تدليسٍ يسعى لتطويق النصوص لخدمة آراء إقصائية، متجاهلاً أنَّ الإسلام دينٌ واحد، وأنَّ المخرج واحد؛ فما دام القبر ليس مقصوداً بالعبادة، وليس ثمة غلوٌّ يُخرج المرء عن التوحيد، فإنَّ الحكم في جميع المساجد والقبور واحد،

والتمييز بينها دون علة فارقة هو كذبٌ على مقتضى العدل الإلهي وتدليسٌ على عامة المسلمين.

وبهذا يتبين أنَّ كلام المنتقد لا يصمد أمام النقد العلمي الرصين، لأنَّه بتركيزه على المكان وإهماله لفعل المكلف ونيته ، قد خالف مقاصد الشريعة وسيرة السلف الصالح الذين لم يروا في وجود القبر المحمي والمفصول داخل المسجد أي خدشٍ في جناب التوحيد.

أكاذيب المعلق الصومعي فى مسألة الفيوضات :

إن منهج الصومعي غال في التبديع وقائم على منهج متعجل في الحكم، يعتمد على إلزامات غير لازمة، وعلى قراءة مبتورة للنصوص، مع إغفال تام للواقع العملي للحركة الدعوية التي يتكلم عنها. فهو يربط بين مجرد نشأة الشيخ محمد إلياس في بيئة فيها أثر صوفي وبين إلزام الجماعة كلها بالتصوف الطرقي، ويجعل مجرد جلوس في مكان فيه قبر دليلاً على طلب الفيوضات أو الإيمان بعقيدة وحدة الوجود، وهذا كله من باب إلزام بما لا يلزم الذي حذر منه العلماء. كما أنه يتوسع في إطلاق الأوصاف التكفيرية والبدعية على جماعة كاملة دون أن يثبت من منهجها أو أدبياتها ما يبرر ذلك، بل مع تجاهل أن ملايين من أتباعها لا يعرفون شيئاً عن هذه الاتهامات، وإنما يعرفون الدعوة العملية إلى الصلاة والذكر.

ويتضح أن منهجه في الدعوة والنصيحة يتسم بالغلو والتشدد، حيث يجعل الشبهة الصغيرة أو العبارة الموهمة أساساً للحكم على جماعة كاملة بالكفر أو البدعة، ويغفل عن قاعدة أهل السنة في التفريق بين الخطأ الفردي والمنهج الجماعي، وبين العبارات الموهمة والتصريحات العقدية الصريحة. كما أنه يفتقد إلى العدل والإنصاف في النقد، إذ لا يوازن بين ما يراه من ملاحظات وبين ما هو ثابت من أعمال صالحة ودعوة إلى التوحيد العملي والسنة. هذا الأسلوب في الدعوة والنصيحة لا يؤدي إلى الإصلاح ولا إلى وحدة المسلمين، بل يزرع الفرقة ويشوه صورة الدعوة، ويجعل الناس ينفرون من الدين بسبب غلو بعض المنتسبين إليه

في التبديع والتكفير. والواجب في النصيحة أن تكون بالعدل والإنصاف، وأن تُبنى على الدليل والواقع، لا على الظنون والافتراضات، وأن تراعي مقاصد الشريعة في جمع الكلمة وإحياء الدين بالعمل لا بالجدل.

يقول الصومعي معلقا على كلام شيخه أن الشيخ إلياس يجلس عند القبر يطلب الفيوضات :

(**قال محمد أسلم** أن شيخ التبليغيين محمد إلياس كان يجلس في أكثر الأحيان خلف قبر عبد القدوس الكنكوهي وكان يجلس في الخلوة قرب قبر نور سعيد ويصلي بالجماعة هناك [جماعة التبليغ ص 13]. **قال الشيخ أحمد حفظه الله تعالى** وهو يتكلم عن جماعة التبليغ في كتابه المورد العذب الزلال ص 253:

الملاحظة الأولى : أن مؤسس جماعة التبليغ نشأ على الصوفية وأخذ فيها بيعتين وعاش عليها إلى ان مات لذلك فهو صوفي غريق في الصوفية. **الملاحظة الثانية** : أنه كان يرابط في المراقبة ا لجشتية عند قبر عبد القدوس الكنكوهي الذي كان يؤمن بوحدة الوجود. **قال أبو همام وفقه المولى** : قد يقول قائل وما يدرينا أن لجماعة التبليغ صلة بالكنكوهي . **فالجواب** على ذلك أن نذكر تمجيد محمد زكريا للكنكوهي وافتخاره بوحدة الوجود يقول محمد زكريا الكاندهلوي : أريد ان أسجل هنا قصتين لا كابرنا كنموذج. إحداهما رسالة سامية لشيخ المشايخ قطب الإرشاد حضرت الكنكوهي قدس سره التي كتبها إلى شيخه شيخ العرب والعجم الحاج إمداد الله أعلى الله مرتبته وهي مطبوعة في مكاتيب رشدية أيضاً يقول: إن إطالة الكلام إساءة أدب اللهم اغفر فإنما كتب بأمر الشيخ أنا كذاب أنا لا شيء لا ضل إلا ضلك ولا وجود إلا وجودك من أنا لا شي وما أنا هو أنت وتفريق أنا وأنت هو شرح محض استغفر الله استغفر الله ولا حول ولا قولة إلا بالله [فضائل الصدقات ص 556]. وبعد معرفتك أيها المسلم لما عليه الكنكوهي من وحدة الوجود وافتخار محمد زكريا بذلك نعود إلى ملاحظات الشيخ أحمد حفظه الله تعالى. **الملاحظة الرابعة**: المراقبة الجشتية أن يجلس عند القبر نصف ساعة من كل أسبوع بتغطية الرأس والذكر بهذه العبارة : **الله حاضري الله نانظري** وهذا العمل إن كان لله فهو بدعة وإن كان الخضوع لصاحب القبر فهو شرك بالله والأخير هو الظاهر لأنه لو كان هذا الخضوع لله لعمله في المسجد ولم يجلس عند القبر فلما جلس عند القبر بهذا الخضوع كان ذلك دليلاً على أنه قصد بهذا الخضوع صاحب القبر. **الملاحظة الخامسة**: أن مؤسس هذه الجماعة وأتباعه في السلوك صوفية يعملون على أربع طرق هي الجشتية والنقشبندية والسهروردية والقادرية. **قال أبو همام**: وقد تقدم كلام خليل

أحمد السهارنفوري التبليغي الديوبندي من أن جماعتهم وطائفتهم تلتزم هذه الطرق الأربع. **الملاحظة السادسة**: أن جلوس مؤسس هذه الجماعة عند قبر من يؤمن بوحدة الوجو د يدل على أنه يؤمن بها ولو لم يكن يؤمن بها ما جلس عند قبر من يؤمن بها على تلك الهيئة وذلك الخضوع عفانا الله مما ابتلاهم. **الملاحظة السابعة**: أن مؤسس هذه الجماعة صوفي قبوري خرافي .)

والرد على هذه الشبهات يحتاج إلى بيان علمي متماسك يوضح الخلط الكبير الذي وقع فيه الصومعي ومن تبعه، مع تفصيل النقاط التي ذكرها:

أولاً: مسألة جلوس الشيخ محمد إلياس عند القبور:

الاستدلال بأن جلوسه في بعض الأوقات قرب قبر عبد القدوس الكنكوهي أو نور سعيد يعني أنه يطلب الفيوضات من الأموات، إلزام بما لا يلزم. فالنصوص التي نقلها هؤلاء لا تدل على طلب الفيوضات ولا على دعاء الأموات، بل على مجرد جلوس في مكان معين، وهذا لا يساوي شركاً ولا بدعة إلا إذا اقترن بعمل شركي صريح. ثم إن هذا السلوك لم يكن منهجاً للحركة الدعوية، ولو كان كذلك لرآه الناس في كل مكان، لكن الواقع أن جميع دعاة التبليغ في العالم الإسلامي لا يعرف عنهم هذا الفعل، مما يدل على أنه مجرد حادثة شخصية أو فهم مغلوط.

وتفصيل مسألة جلوس الشيخ محمد إلياس عند القبور يحتاج إلى بيان دقيق يوضح الخلط الذي وقع فيه الخصوم:

والنصوص التي استدل بها الصومعي ومن تبعه لا تتضمن أي عبارة صريحة تدل على أن الشيخ محمد إلياس كان يطلب الفيوضات من الأموات أو يدعوهم أو يستغيث بهم، وإنما ورد فيها أنه كان يجلس في مكان قريب من قبر عبد القدوس الكنكوهي أو نور سعيد. ومجرد الجلوس في مكان لا يُعد شركاً ولا بدعة إلا إذا اقترن بعمل شركي صريح مثل الدعاء للأموات أو الاستغاثة بهم أو اعتقاد أنهم يتصرفون في الكون. أما مجرد الجلوس أو الصلاة في مكان فيه قبر، فهذا لا يساوي شركاً، بل قد يكون لأسباب أخرى مثل الهدوء أو الخلوة أو ارتباط المكان بذكرى معينة.

وحتى لو ثبت أن الشيخ محمد إلياس جلس في مكان فيه قبر، فهذا لا يعني أن جماعة التبليغ جعلت ذلك منهجاً لها. فالمنهج يُعرف بما يُمارس عملياً على نطاق واسع ويُدعى إليه علناً.

والواقع أن جميع دعاة التبليغ في العالم الإسلامي لا يعرف عنهم هذا الفعل، ولم يُرَ أحد منهم يراقب عند القبور أو يطلب الفيوضات منها. ولو كان ذلك منهجاً للحركة لرآه الناس في كل مكان، لكن الواقع العملي ينفي ذلك نفياً قاطعاً.

ومن الخلط الواضح الذي وقع فيه الصومعي هو إلزام الحركة الدعوية كلها بما يُفترض أنه فعل فردي أو حادثة شخصية. وهذا منطق باطل، لأن الأفعال الفردية لا تُلزم الجماعة كلها، ولا تُعتبر منهجاً إلا إذا تبنتها الجماعة رسمياً ونشرتها بين أتباعها. فإلزام جماعة التبليغ كلها بالشرك أو البدعة بناءً على جلوس شخص في مكان معين، إلزام بما لا يلزم.

وتجاهل الواقع العملي حيث أن منهج جماعة التبليغ معروف ومشهود ، وهو الدعوة إلى الصلاة، الذكر، الأخلاق، التوبة، والالتزام العملي بالإسلام. لم يُعرف عنهم قط أنهم يدعون الناس إلى القبور أو يطلبون الفيوضات منها. وهذا الواقع العملي أقوى دليل على بطلان دعوى الخصوم، لأن المنهج يُعرف بالواقع لا بالافتراضات.

ومما سبق نخلص إلى أن :

- النصوص المذكورة لا تدل على أن الدعاة يقعون في شرك أو طلب فيوضات.
- وأن مجرد الجلوس في مكان فيه قبر لا يُعد شركاً إلا إذا اقترن بعمل شركي صريح.
- هذا السلوك المذكور لم يكن منهجاً للحركة الدعوية، بل مجرد حادثة شخصية مصحوبة بفهم مغلوط من الناقل .
- الواقع العملي للحركة الدعوية ينفي تماماً هذه التهمة، إذ لم يُرَ أحد من دعاتها يمارس هذا الفعل.
- إلزام الجماعة كلها بما يُفترض أنه فعل فردي مغالطة واضحة مردودة.

وبذلك يتبين أن هذه الشبهة ساقطة من أصلها، وأنها لا تقوم على دليل صحيح، وإنما على إلزام باطل وفهم مغلوط للنصوص والوقائع.

ثانياً: دعوى أن المؤسس صوفي غريق في الصوفية :

الشيخ محمد إلياس نشأ في بيئة علمية ديوبندية، وهذه البيئة فيها أثر صوفي، لكنه لم يؤسس جماعة التبليغ على التصوف الطرقي، بل على الدعوة العملية إلى الصلاة والذكر والأخلاق. فالحركة التبليغية لا تدعو الناس إلى البيعة على الطرق الأربع ولا إلى الأوراد الخاصة، وإنما إلى أركان الإسلام العملية. فإلزام الحركة كلها بما كان في نشأة الشيخ الأول مغالطة واضحة.

فهذه الدعوى تحتاج إلى تفكيك هادئ يبين مواضع الخلط فيها. فالشيخ محمد إلياس نشأ في بيئة علمية ديوبندية، وهذه البيئة بالفعل كان فيها أثر صوفي كما تقدم ، كما كان فيها أثر فقهي وحديثي قوي، فهي مدرسة جامعة بين علوم الشريعة والتزكية. لكن مجرد النشأة في بيئة فيها التصوف لا يعني أن الرجل أسس جماعته على التصوف الطرقي أو أنه غرق فيه إلى آخر حياته. الواقع أن جماعة التبليغ لم تُبنَ على الأوراد الخاصة ولا على البيعة في الطرق الأربع، وإنما على الدعوة العملية إلى أركان الإسلام الظاهرة: الصلاة، الذكر، الأخلاق، التوبة، وتعليم الناس الدين بالعمل لا بالجدل. فالمؤسس لم يضع في منهج الجماعة أن يبايع الناس على الجشتية أو النقشبندية أو غيرها، ولم يجعل الأوراد الصوفية جزءاً من برنامج الدعوة، بل جعل البرنامج قائماً على الخروج للدعوة، تعليم الصلاة، قراءة فضائل الأعمال، والالتزام بالمسجد.

وإلزام الحركة الدعوية كلها بما كان في نشأة الشيخ الأول مغالطة واضحة، لأن المنهج يُعرف بما تبنته الجماعة ونشرته، لا بما كان في سيرة المؤسس قبل التأسيس. ولو كان التصوف الطرقي جزءاً من منهج التبليغ لرأيناه في كل مكان، لكن الواقع أن ملايين من أتباع التبليغ في العالم لا يعرفون شيئاً عن هذه الطرق ولا يبايعون عليها، وإنما يعرفون الصلاة والذكر والدعوة العملية. فدعوى أن المؤسس صوفي غريق في الصوفية إنما هي محاولة لربط الحركة كلها ببيئة النشأة الأولى، مع تجاهل تام للواقع العملي الذي يشهد بأن الحركة دعوية إصلاحية لا طرقيّة صوفية. وهذا الخلط هو الذي جعل الخصوم يرمون الجماعة بما ليس فيها، ويغفلون عن أن منهجها قائم على إحياء الدين في حياة الناس بالعمل لا بالجدل، وأنها بريئة من هذه التهمة براءة كاملة.

ثالثاً: قضية وحدة الوجود:

هذه من أكثر النقاط التي بالغ فيها الخصوم حتى وصلوا إلى حد الافتراء. عبد القدوس الكنكوهي كان له عبارات صوفية موهمة، وبعضها قد يُفهم على معنى وحدة الوجود، لكن إلزام الشيخ محمد إلياس أو الشيخ محمد زكريا باعتقاد هذه العقيدة الكفرية مجرد دعوى بلا دليل. فمحمد زكريا في كتبه، وعلى رأسها فضائل الأعمال و فضائل الصدقات ، يقرر التوحيد بوضوح، ويحث على اتباع السنة، ويستشهد بالآيات والأحاديث في كل باب، ويُظهر التزاماً

صريحاً بعقيدة أهل السنة والجماعة. وما ينقله من أقوال بعض الصوفية يفسره على وجه لا يخرج عن الإسلام، كما هو منهج علماء الديوبندية الذين درجوا على التعامل مع العبارات الموهمة بتأويلها بما يوافق التوحيد، لا باعتبارها نصوصاً عقدية ملزمة.

فلا يصح أن يُرمى بالكفر لمجرد النقل أو الإعجاب بعبارة روحية، ما دام لم يصرح باعتقاد باطل. بل إن النقل في كثير من الأحيان يكون من باب الاستشهاد الأدبي أو الروحي، لا من باب تقرير العقيدة. ومن المعلوم أن علماء الديوبندية كانوا شديدي التحذير من الانحرافات العقدية، وأنهم يقررون في كتبهم أن وحدة الوجود بالمعنى الفلسفي الكفري مرفوضة، وأن التوحيد الحق هو ما جاء به القرآن والسنة. وعليه فإن إلزام جماعة التبليغ أو مؤسسيها بهذه العقيدة لمجرد وجود عبارات منقولة أو إشارات صوفية، إلزام بما لا يلزم، وتجاهل للواقع العملي الذي يشهد بأن الجماعة قائمة على الدعوة إلى التوحيد العملي والالتزام بالسنة، لا على نشر عقائد فلسفية باطلة.

رابعاً: المراقبة الجشتية:

القول بأن هذه المراقبة تعني الجلوس عند القبر نصف ساعة بذكر الله حاضري الله ناظري ثم الحكم عليها بأنها شرك، فيه تعسف بيّن ومبالغة في الاتهام. أولاً: هذا العمل لم يرد في أدبيات جماعة التبليغ، ولم يُذكر في كتبها ولا في برامجها الدعوية، ولم يُعرف عن أحد من شيوخها أنه دعا الناس إليه أو حفّزهم عليه. بل إن جميع ما يُنقل عن الحركة في منهجها العملي يدور حول الصلاة والذكر والالتزام بالمسجد والخروج للدعوة، وليس فيه شيء من هذه المراقبات عند القبور. ثانياً: حتى لو ثبت أن بعض الصوفية في بيئات أخرى مارسوا هذا النوع من المراقبة، فإن إلزام جماعة التبليغ كلها به ظلم صريح، لأن الجماعة لم تتبنَّ ذلك ولم تجعله جزءاً من منهجها. ثالثاً: الذكر بعبارة الله حاضري الله ناظري هو ذكر لله تعالى، وليس فيه شرك بذاته، وإنما الإشكال في المكان، وهذا لا يخرج الفاعل من الإسلام، بل يُنصح ويُوجه إن وقع فيه، ولا يُكفَّر ولا يُرمى بالشرك لمجرد ذلك. ومن هنا يظهر أن الاتهامات الموجهة للحركة الدعوية تخالف ما عليه واقعها العملي، وتتناقض مع أدبياتها المقررة، ولم يثبت عن أحد من شيوخها أنه دعا إلى هذه المراقبة أو جعلها جزءاً من برنامج الدعوة، مما يجعل هذه التهمة ساقطة من أصلها، قائمة على الظن والافتراء لا على الدليل والواقع.

خامساً: الطرق الأربع الصوفية :

نعم لا يُنكر أن البيئة الديوبندية التي نشأ فيها الشيخ محمد إلياس كان لها أثر من التصوف الطرقي، حيث كان بعض علمائها ينتسبون إلى طرق كالجشتية والنقشبندية والسهروردية والقادرية، وهذا أمر معروف في تلك البيئة العلمية التي جمعت بين الفقه والحديث والتزكية. ولكن جماعة التبليغ لم تُنشأ لتلقين الناس هذه الطرق ولا لترويج البيعة عليها، وإنما قامت على أساس عملي واضح هو تذكير المسلمين بالصلاة والذكر والالتزام العملي بالدين، بعيداً عن الجدل الكلامي والسياسي. فالمؤسس لم يجعل في برنامج الدعوة أن يبايع الناس على الطرق الأربع، ولم يضع في منهجها أوراداً خاصة أو عهوداً صوفية، بل جعلها دعوة عامة إلى أركان الإسلام الظاهرة التي يعرفها كل مسلم. والدليل القاطع على ذلك أن ملايين من أتباع التبليغ في العالم الإسلامي لا يعرفون شيئاً عن هذه الطرق ولا يبايعون عليها، وإنما يعرفون الخروج للدعوة، تعليم الصلاة، قراءة فضائل الأعمال، والالتزام بالمسجد. فإلزام الحركة كلها بالتصوف الطرقي غير صحيح، وهو مجرد محاولة لربطها ببيئة النشأة الأولى مع تجاهل تام للواقع العملي الذي يشهد بأن الحركة دعوية إصلاحية لا طرقيّة صوفية، وأنها بريئة من هذه التهمة براءة كاملة.

سادساً: الجلوس عند قبر من يؤمن بوحدة الوجود:

إن القول بأن مجرد جلوس الشيخ محمد إلياس عند قبر عبد القدوس الكنكوهي أو غيره ممن له عبارات صوفية موهمة يعني أنه يؤمن بعقيدتهم، قياس باطل لا يستقيم عقلاً ولا شرعاً. فكم من الناس يزورون قبوراً أو يجلسون عندها دون أن يعتقدوا عقائد أصحابها، بل قد يكون جلوسهم لأسباب أخرى مثل طلب السكينة من الله والامتثال لأمر الله بزيارة القبور للاتعاظ وتذكر الآخرة. والمكان لا يلزم منه تبني العقيدة، وإلا لزم أن كل من جلس في مكتبة فيها كتب فلسفة صار فيلسوفاً، وكل من دخل متحفاً فيه آثار قوم مشركين صار مشركاً، وهذا لا يقول به عاقل ولا يقره منطق.

ثم إن هذا الاتهام يخالف ما عليه الحركة الدعوية من واقع وأدبيات، فلم يرد في كتبها ولا في برامجها الدعوية أي تحفيز أو دعوة إلى الجلوس عند القبور، ولم يُعرف عن أحد من شيوخها أنه دعا الناس إلى ذلك أو جعله جزءاً من منهجها. بل إن منهجها قائم على الدعوة إلى الصلاة والذكر والالتزام بالمساجد والخروج للدعوة، وهو منهج عملي إصلاحي بعيد عن

هذه الممارسات. فإلزام الجماعة كلها بعقيدة وحدة الوجود لمجرد أن مؤسسها جلس في مكان فيه قبر رجل له عبارات موهمة، إلزام بما لا يلزم، وافتراء يخالف الواقع العملي والأدبيات الدعوية التي تشهد بوضوح أن جماعة التبليغ بريئة من هذه التهمة، وأنها قائمة على إحياء الدين في حياة الناس بالعمل لا بالجدل، وبالتوحيد العملي لا بالفلسفات الصوفية.

سابعاً: وصف المؤسس بأنه صوفي قبوري خرافي:

هذا الوصف في الحقيقة مبني على سلسلة من المغالطات التي سبق بيانها، فهو نتيجة إلزامات باطلة وفهم مغلوط للنصوص، وليس له أي أساس من الواقع العملي أو الأدبيات الدعوية. الشيخ محمد إلياس لم يكن داعية إلى القبور ولا إلى الخرافات، بل كان همه الأكبر إحياء الصلاة في حياة المسلمين، وربط الناس بالمساجد، وتذكيرهم بالذكر والطاعة والالتزام العملي بالدين. منهجه كان إصلاحياً عملياً، بعيداً عن الطرائق الصوفية وعن الممارسات القبورية، والدليل أن جماعة التبليغ اليوم تشهد بذلك بوضوح، فهي تدعو الناس إلى المساجد وإلى الأعمال الصالحة، وتُعرف في العالم الإسلامي بأنها حركة دعوية تركز على الصلاة والذكر والخروج للدعوة، لا على زيارة القبور ولا على البدع. ولو كان في منهجها شيء من هذه الممارسات لرآه الناس في كل مكان، لكن الواقع أن ملايين من أتباعها لا يعرفون شيئاً عن هذه الاتهامات، وإنما يعرفون الدعوة العملية إلى الدين. ومن هنا يتبين أن وصف المؤسس بأنه صوفي قبوري خرافي ليس إلا نتيجة تراكم افتراءات، وأنه يخالف الواقع والأدبيات، ويُظهر تعسفاً في الحكم وتسرعاً في التكفير، بينما الحقيقة أن جماعة التبليغ قائمة على الدعوة إلى الإسلام العملي، لا على الخرافة ولا على القبورية.

تهويل الشيخ النجمي عفا الله عنه وتكفيره لجموع أهل التبليغ :

قال النجمي عفا الله عنه مستدلا على كفر التبليغيين : (أما سمعت ربك يقول لنبيه { **ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** }[1] ، **الم تسمع ربك تعالى يقول لنبيه** { **فلا تدع مع الله إله آخر فتكون من المعذبين** }[2])

إننا نرى في هذا التهويل الذي سلكه الشيخ النجمي عفا الله عنه تجاوزاً صريحاً لضوابط الفتيا ومنهج السلف في إطلاق أحكام التكفير، حيث وقع في غلوٍ ظاهر بمحاولته سحب آيات الشرك الأكبر التي نزلت في المشركين أو في التحذير من الشرك المحبط للأعمال على جموع غفيرة من المسلمين الموحدين الذين يملؤون المساجد ركوعاً وسجوداً. إن استدلاله بقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك في سياق الحكم على جموع التبليغيين هو استدلال في غير موضعه؛ فالتكفير في الشريعة حكم عيني يقتضي إقامة الحجة واستيفاء الشروط وانتفاء الموانع، ولا يصح عقلاً ولا شرعاً أن يُكفّر ملايين البشر لمجرد انتسابهم لجهد دعوي أو بناءً على ممارسات آحاد في أقطار بعيدة. وهذا التشدد لم يقف عند حدود الجماعة، بل امتد ليفضي إلى غلوٍ آخر تمثل في اشتداده على عالم جليل كالشيخ أبي بكر الجزائري رحمه الله، الذي عُرف بسلامة معتقده وتدريسه للتوحيد في المسجد النبوي لعقود، ولم يكن ذنبه إلا أنه سلك مسلك الأناة والرفق والنصح والمحبة لهؤلاء المسلمين، إدراكاً منه أن الأصل فيهم الإسلام والتوحيد، وأن الخطأ في الوسيلة لا يبرر إخراج المؤدي من الملة. إن هذا المسلك في التبديع والتكفير باللوازم أو بالمجملات يعكس قصوراً في فقه الواقع وضيقاً في استيعاب العمل الدعوي، فبدلاً من توجيه هؤلاء المسلمين وتسديد خطاهم، نجد هذا النفس الإقصائي الذي ينفر أكثر مما يبشر، ويفرق أكثر مما يجمع، متجاهلاً أن الحكم بالكفر على الموحد هو من أعظم الموبقات؛ فكيف إذا كان المحكوم عليهم هم أمة من الناس تشهد أن لا إله إلا الله وتقيم الصلاة، وكيف إذا طال التأثيم من ناصحهم باللين والرفق؟ إننا نؤكد أن هذا الغلو يمثل انحرافاً عن منهج الاعتدال والإنصاف، وهو ما يجعلنا نرفض هذا التعميم الجائر الذي لا يخدم إلا أعداء الأمة ويقطع سبل الإصلاح والنصح بالحكمة والموعظة الحسنة.

---

[1] الزمر ، آية 65

[2] الشعراء ، اية 113

مسلك النجمي السطحي وإسقاطه العموميات على عامة الموحدين من اهل التبليغ:

إننا نرى في مسلك الشيخ النجمي - عفا الله عنه - نموذجاً جلياً لـ مغالطة إسقاط النص في غير مورده ، وهو مسلك يفتقر إلى أدنى معايير التحقيق العلمي والواقعي. فالتفسير المنطقي لهذا الاندفاع في التكفير يكمن في عقلية تقسيم وتصنيف الناس التي لا ترى بين الإيمان والكفر منزلة، ولا تفرق بين الخطأ في الوسيلة و الفساد في العقيدة .

إن إسقاط آيات الوعيد بالشرك الأكبر على عامة الموحدين من أهل التبليغ هو خروج صارخ عن منهج أهل السنة والجماعة في التفريق بين النوع و العين ؛ فحتى لو افترضنا وجود مخالفات في كتب المنشأ، فإن تنزيل حكم الكفر على جموع البشر في أقطار الأرض دون إقامة حجة أو اعتبار لجهل أو تأويل هو عين الغلو. إننا نفسر هذا المسلك بكونه انطلق من تصور ذهني مبني على النقل عن الخصوم أو القراءة في بطون الكتب القديمة ، مع إغلاق تام للعين عن الواقع المشهود في مساجد المسلمين، حيث يخرج هؤلاء التبليغيون ليدعوا الناس للصلاة والذكر ونبذ المنكرات.

علاوة على ذلك، فإن اشتداده على الشيخ أبي بكر الجزائري —رحمه الله— يكشف عن ضيق في أفق السياسة الشرعية ؛ فالجزائري رحمه الله لم يكن مدافعاً عن بدعة، بل كان مربياً يدرك أن احتواء هذه الحشود وتوجيهها نحو السنة بالرفق واللين أجدى للأمة من طردهم من حياض الإسلام بالكلية. إن مسلك النجمي يمثل محاكمة للنوايا وتكفيراً باللوازم التي لا يلتزم بها أصحابها، وهو مسلك يورث الفرقة ويغذي خطاب التطرف، إذ يحول الخلاف الدعوي من دائرة الاجتهاد في الوسائل إلى معركة بقاء وفناء وعقيدة وتكفير، وهو ما يأباه العدل والإنصاف.

تجرؤ الأصاغر من أمثال الصومعي على شيوخ وعلماء الأمة :

قال الصومعي : ((أقول: إن في تزكية الشيخ أبي بكر لهذه الجماعة المنحرفة المبتدعة وإقسامه على ذلك محاربة لأهل السنة والجماعة لأنهم يدعون إلى التوحيد وجماعة التبليغ تعادي من دعا إليه وأهل السنة يحذرون من جماعة التبليغ وبينوا ما عندهم من الخرافات والشرك فجاء الشيخ مشهراً دفاعه عن هذه الجماعة وإن الشيخ أبا بكر على خطر وهو يدافع

عن هذه الجماعة وامثالها فإن علماءنا قديماً وحديثاً شددوا على من دافع عن أهل البدع بل ألحقوه بهم وسأذكر شيئاً من ذلك لعل الشيخ يغير رأيه تجاه هذه الجماعة المنحرفة:))

إنَّ تجرؤ الأصاغر من أمثال الصومعي على شيوخ وعلماء الأمة يمثل ظاهرةً منهجيّةً ونفسيّةً خطيرةً كشفتها المواقف والكتابات الصادرة عنهم بوضوح، حيث يظهر هذا التجرؤ في صورة وقاحة صفيقة واستعلاءٍ لا يليق بمقام العلم وأهله. فحين يصف الصومعي تزكية الشيخ أبي بكر الجزائري لجماعة التبليغ بأنها محاربة لأهل السنة والجماعة ، فإنه يمارس نوعاً من التدليس المنهجي الذي يحول فيه الفروع الدعوية والوسائل الاجتهادية إلى معارك عقدية كبرى، متجاهلاً أن الشيخ الجزائري هو أحد أعمدة السنة والتوحيد الذين نبت لحمهم ودمهم في رحاب المسجد النبوي تدريساً وتأليفاً. إن هذا المسلك يعكس عقلية تقسيم وتصنيف الناس التي يتربى عليها هؤلاء الشباب، حيث يتم إسقاط القامات العلمية الكبيرة لمجرد أنها لم توافق طريقتهم الحادة في التبديع، بينما يتم رفع الأقزام ووصفهم بالألقاب الضخمة لمجرد تكرارهم لأقوال شيوخهم.

ويتجلى هذا التعالم في محاولة الصومعي إرهاب الشيخ الجزائري نفسياً ومعنوياً عبر ادعائه بأن الشيخ على خطر ، ومطالبته بمراجعة نفسه والتوبة، وكأن الصومعي وشيخه النجمي يملكان صكوك الغفران أو مفاتيح الجنة والنار. إن استخدام قواعد التبديع باللازم ومحاولة إلحاق العالم الرباني بأهل البدع لمجرد سلكه مسلك الرفق والإنصاف مع الموحدين، هو من أظهر خصال أهل الأهواء والزيغ الذين حذر منهم الأئمة؛ فالصومعي يسوق نصوص السلف التي نزلت في المبتدعة الأصليين والمحاربين للدين ليُسقطها بجورٍ صراح على عالمٍ أفنى سبعين عاماً في خدمة عقيدة المؤمن ، محاولاً بذلك خصخصة الحق وحصره في فئته الضيقة التي ترى كل من سواها ضالاً أو منحرفاً.

إن الحقيقة التي يغفل عنها الصومعي وتياره هي أن الشيخ الجزائري انطلق في تزكيته من فقه الثمرة والمعايشة الميدانية، فرأى الملايين يعودون للمساجد موحدين تائبين، بينما انطلق الصومعي من أوهام ذهنية وصورة مشوهة صنعها خصوم الجماعة الأوائل. إن وصف دفاع الشيخ الجزائري عن الموحدين بالخذلان لأهل التوحيد هو قلب للحقائق ؛ إذ الخذلان الحقيقي يكمن في تمزيق جسد الأمة وإشغالها بصراعات جانبية وإسقاط هيبة علمائها، مما يخدم أعداء الملة الحقيقيين. إن هذا التيار —كما تصفه المصادر— يبرز كـ صقور على

الدعاة والعلماء، بينما ينخرس ويجبن أمام طغيان العلمانية والفجور الحقيقي، مما يثبت أن محرك هجومهم هو الخصومة الحزبية والضيق بالقبول الذي وضعه الله للشيخ الجزائري، وليس الغيرة الصادقة على العقيدة والتوحيد.

ويظهر سقوط هذا المنهج في استخدامه للغة التألي على الله والوعيد بسوء الخاتمة، وهو مسلكٌ غريب عن أدبيات أهل السنة والجماعة الذين يكلون المآلات لله وحده. فبدلاً من مناقشة الوسيلة الدعوية بالدليل، لجأ الصومعي إلى الألاعيب الصبيانية واللف والدوران عبر حشد آيات الشرك وإسقاطها على غير محلها لإرهاب الخصوم وإسكات صوت الإنصاف. إن الواقع الميداني يثبت براءة الشيخ الجزائري وأهل التبليغ من هذه التهم المعلبة، ويؤكد أن لحوم العلماء مسمومة ، وأن التستر خلف عبارات النصح والحدب لن يحمي المتطاولين من تبعات الافتراء على ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله نجوماً يهتدي بها الناس في ظلمات الحيرة والفتن.

غلط إسقاط وتنزيل أقوال السلف في أهل البدع على أهل الإسلام :

(((**قال أبو داود السجستاني** قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل أرى رجلاً من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة أترك كلامه قال لا أو تعلمه أن الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعة فإن ترك كلامه فكلمه وإلا فألحقه به .

قال ابن مسعود: المرء بخدنه [طبقات الحنابلة ج 1 ص 160].

قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله : وهذه الرواية عن الإمام أحمد ينبغي تطبيقها على الذين يمدحون التبليغيين ويجادلون عنهم بالباطل فمن كان منهم عالماً بأن التبليغيين من أهل البدع والضلالات والجهالات وهو مع هذا يمدحهم ويجادل عنهم فإنه يلحق بهم ويعامل بما يعاملون به من البغض والهجر والتجنب ومن كان جاهلاً بهم فإنه ينبغي إعلامه بأنهم من أهل البدع والضلالات والجهالات فإن لم يترك مدحهم والمجادلة عنهم بعد العلم بهم فإنه يلحق بهم ويعامل بما يعاملون به [القول البليغ ص 230].

وقال ابن أبي خالد قلت لأحمد: إن هذا الشيخ لشيخ حضر معنا هو جاري وقد نهيته عن رجل ويحب ان يسمع قولك فيه حارث القصير – يعني حارثاً المحاسبي – وكنت رأيتني معه منذ سنين كثيرة فقلت لي لا تجالسه ولا تكلمه فلم أكلمه حتى الساعة وهذا الشيخ يجالسه فما تقول فيه فرأيت أحمد قد احمر لونه وانتفخت أوداجه وعيناه وما رأيته هكذا قط ثم جعل

ينتفض ويقول ذلك فعل الله به وفعل ليس يعرف ذاك إلا من خبره وعرفه أويه أويه ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره وعرفه ذاك جالسه المغازلي ويعقوب وفلان فأخرجهم إلى رأي جهم هلكو بسببه.

فقال له الشيخ يا أبا عبد الله يروي الحديث ساكن خاشع من قصته ومن قصة فغضب أبو عبد الله وجعل يقول: لا يغرك خشوعه ولينه ويقول: لا تغتر بتنكيس رأسه فإنه رجل سوء ذاك لا يعرفه إلا من خبره لا تكلمه ولا كرامة له، كل من حدث بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مبتدعاً تجلس إليه ؟! ، ولا كرامة ولا نعمى عين. وجعل يقول ذاك ذاك. [طبقات الحنابلة جـ 1 ص 233].

قال الفضل بن عياض رحمه الله: الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف ولا يمكن أن يكون صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلا من النفاق

علق ابن بطة على قول عياض قائلاً: صدق الفضيل رحمه الله – فإنا نرى ذلك عياناً. [الإبانة ج 2 ص 456].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وهو يتكلم عن **الاتحادية** ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم أو ذب عنهم أو اثنى عليهم أو عظم لتبهم أو عرف بمساندتهم ومعاونتهم أو كره الكلام فيهم أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدري ما هو أو من قال إنه صنف هذا الكتاب وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلا جاهل أو منافق بل **تجب عقوبة** كل من عرف حالهم ولم يعاون على القيام عليهم فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات لأنهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المشايخ والعلماء والملوك والأمراء وهم يسعون في الأرض فساداً ويصدون عن سبيل الله [مجموع الفتاوى ج 2 ص 132].

وسئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله سؤالاً: الذي يثني على أهل البدع ويمدحهم هل يأخذ حكمهم ؟

فأجاب بقوله: نعم ما فيه شك من أثنى عليهم ومدحهم هو داع لهم يدعو لهم هذا من دعاتهم نسأل الله العافية [شريط شرح فضل الإسلام] [بواسطة كتاب اجماع العلماء].

أقول ولعل فيما ذكرته كفاية لمن كان له قلب أو لقي السمع وهو شهيد ومن أراد مزيداً من ذلك فعليه بكتاب إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء] لأخينا الفاضل الشيخ خالد بن ضحوي الظفيري وفقه المولى فقد أفاد وأجاد وجمع كثيراً مما كان متفرقاً في بطون الكتب لا أعلم نظيراً لأحد من المعاصرين يضارعه فجزاه الله خيراً. (((

إنَّ منهجية الصومعي والتويجري في حشد أقوال السلف وتنزيلها على أهل السنة والدعاة المعاصرين تكشف عن خلل منهجي جسيم يورث الفرقة ويقطع سبل الإصلاح، ويتضح ذلك من خلال مغالطة إسقاط نصوص الوعيد في غير موضعها؛ حيث يعمد هؤلاء إلى نقل الآثار الواردة عن الإمام أحمد وابن مسعود والفضيل بن عياض، والتي قيلت في حق أهل البدع الأصلية الذين حاربوا السنة وعادوا أهلها كالجهمية والاتحادية، ثم يسقطونها بجور صراح على الملايين من أهل التوحيد والإيمان كجماعة التبليغ، وعلى كبار علماء السنة كالشيخ أبي بكر الجزائري، وهذا المسلك هو عين الضلال لأنه لم يفرق بين إسلام وكفر، ولا بين سني مجتهد ومبتدع معاند، محولاً نصوص السلف التي جاءت لحماية الدين إلى سياط تضرب نحور الدعاة والمصلحين.

ويظهر التدليس في تأويل مفهوم الإلحاق بأهل البدع حين يحاول التويجري والصومعي تطبيق رواية الإمام أحمد في هجر من يجالس المبتدعة على من يثني على أهل التبليغ؛ فالمناط في حكم الإمام أحمد كان يتعلق بمن جالس من خُبر حاله وثبت انحرافه العقدي الصارخ كالحارث المحاسبي في سياق فتنة خلق القرآن، بينما نجد الشيخ الجزائري وأهل التبليغ هم من أشد الناس تعظيماً لله ولرسوله وإقامةً للصلاة وعمارةً للمساجد، فإلحاق هؤلاء الموحدين بالقدرية أو الجهمية هو رجم بالغيب وافتراء على الواقع الميداني المشهود، إذ لا يصح عقلاً ولا شرعاً إهدار عصمة المسلم المصلّي بناءً على رابط تنظيمي أو ممارسة اجتهادية في وسيلة الدعوة.

ويتجلى الفساد في تنزيل كلام شيخ الإسلام في الاتحادية على أهل الدعوة والتبليغ؛ فشرح ابن تيمية لعقوبة من انتسب للاتحادية أو ذبَّ عنهم كان موجهاً لطائفة تعتقد وحدة الوجود الفلسفية الكفرية التي ترفع التكليف وتساوي بين الخالق والمخلوق، بينما أهل التبليغ يبرأون من هذه العقائد براءة الذئب من دم ابن يعقوب، وغاية جهدهم هو تحقيق اليقين على الله وتجريد التوحيد من التعلق بالأسباب، فاستخدام نصوص ابن تيمية في مواجهتهم هو نوع من الإرهاب الفكري الذي يوهم العامة بأن الخلاف مع الجماعة هو خلاف مع أصحاب الحلول والاتحاد، وهو تلبيس متعمد لشيطنة الجماعة وصد الناس عن سبيل الإصلاح الذي نفع الله به الملايين.

كما تبرز ازدواجية المعايير في استحضار فتاوى الشيخ ابن باز؛ فبينما يسوق الصومعي قول الشيخ في التحذير من يثني على أهل البدع، يتجاهل عمداً أن الشيخ ابن باز نفسه ظلَّ طوال

حياته يثني على أهل التبليغ وينصح بالخروج معهم ومعاونتهم على الخير ويرى فيهم خيراً كثيراً للأمة، فهل يجرؤ الصومعي أو التويجري على تطبيق قاعدتهم الإقصائية على الشيخ ابن باز وإلحاقه بأهل البدع لمجرد ثنائه عليهم؟ إن هذا التناقض يثبت أن هؤلاء القوم يتخذون من أقوال العلماء سلاحاً حزبيّاً يوجهونه فقط ضد من يخالف أهواءهم وتصنيفاتهم الضيقة، بينما يغمضون أعينهم عن الحقائق التي لا توافق غلوهم في التبديع.

ويكشف تحليل نفسية الغلو في التبديع باللازم أن المحرك الحقيقي لهذا المسلك هو الخصومة الحزبية وضيق الصدر بكل جهد إسلامي ناجح خارج إطارهم؛ فهم يصنعون صورة ذهنية مشوهة للخصم عبر نبش كتب التاريخ المنسي، ثم يحاكمون الأحياء بناءً على تلك الأوهام، متجاهلين أن الحق لا يُعرف بالرجال والتسميات بل الرجال يُعرفون بالحق. إن محاولة الصومعي وشيخه النجمي حصر السنة والتوحيد في شرذمة قليلة تبدع وتفسق الأمة بأسرها هي بدعة عصرية تفتت وحدة المسلمين، فبينما ينشغل أهل التبليغ بإدخال الناس في دائرة الطاعة، ينشغل هؤلاء بإخراجهم من دائرة السنة، مما يؤكد أن منهجهم يقوم على بناء أحكام قطعية فوق رمال متحركة من الأوهام والظنون الكاذبة.

تهويل الشيخ النجمي عفا الله عنه وتقوله على الشيخ الجزائري :

قال النجمي عفا الله عنه : (ألا تتق الله يا جابر تزعم بهذا الزعم وتقسم عليه محاربة لعقيدة التوحيد في بلد التوحيد ودولة التوحيد وفي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول التوحيد)

إننا نرى في هذا الهجوم العنيف الذي شنه الشيخ النجمي - عفا الله عنه - على الشيخ أبي بكر الجزائري - رحمه الله - خروجاً صارخاً عن جادة الإنصاف ومقتضى الأمانة العلمية، وتجاوزاً لكل حدود الأدب مع العلماء الراسخين؛ فوصفه للشيخ الجزائري بأنه يحارب عقيدة التوحيد هو فرية لا يسندها واقع ولا برهان، بل هي قلب للحقائق وتجنٍّ على رجل أفنى عمره في تدريس عقيدة المؤمن ونشر التوحيد والسنة في أقدس البقاع. إن استغلال الشيخ النجمي لمكانة بلد التوحيد ومهاجر رسول الله ﷺ لإضفاء شرعية على تبديع عالم جليل وتكفير الملايين من خلفه هو مسلك غلوٍ لا يرتضيه الشرع، فكيف يُتهم بمحاربة التوحيد من

كان صوته يتردد في جنبات المسجد النبوي لعدة عقود، وكان محل ثقة كبار علماء المملكة وهيئاتها الرسمية؟

إن هذا الاشتداد على الشيخ الجزائري لم يكن لخلل في معتقده، بل لمجرد كونه سلك مسلك الرفق والاحتواء مع أهل التبليغ، وهو مسلك تربوي ودعوي نابع من إدراكه لواقع هؤلاء القوم وحرصهم على الصلاة والذكر، فاعتبر النجمي هذا اللين خيانة للتوحيد ، وهي مغالطة كبرى تحول الفروع الدعوية والوسائل الاجتهادية إلى أصول عقدية يُكفر ويُبدع من خالف فيها. إننا نجد في قوله تزعم بهذا الزعم وتقسم عليه نبرة إقصائية تأبى سماع الرأي الآخر، وتصادر حق العالم في تقييم الظواهر الدعوية بناءً على ما يراه من مصلحة وواقع عيني، ومحاولة النجمي حصر التوحيد في رؤيته الشخصية وتكفير من لم يوافقه على تبديع التبليغ هي جوهر الغلو الذي يمزق وحدة الصف؛ فالتوحيد الذي يدعو إليه الشيخ الجزائري هو توحيد الكتاب والسنة، والتبليغيون في نظره هم موحدون يحتاجون إلى تسديد لا إلى تكفير، ومن هنا يتضح أن النجمي - عفا الله عنه - قد وقع في شطط عظيم حين جعل الخلاف في تقييم الرجال والجماعات معركة ضد التوحيد، وهو خلط شنيع بين حماية الجناب النبوي وبين التسلط بالرأي وتصنيف العباد .

يُفسر قول الشيخ النجمي في حق الشيخ أبي بكر الجزائري بأنه خروج صارخ عن جادة الإنصاف ومقتضى الأمانة العلمية وتجاوز لحدود الأدب مع العلماء الراسخين، حيث تبرز فرية محاربة التوحيد وقلب الحقائق في وصف الشيخ الجزائري بأنه يحارب عقيدة التوحيد، وهي فرية لا يسندها واقع ولا برهان بل هي تجنٍ على رجل أفنى سبعين عاماً من عمره في تدريس عقيدة المؤمن ونشر السنة في أقدس البقاع، إذ لم يدافع عن بدعة ولم يقر شركاً بل كان ينطلق من ميزان العدل الإلهي. كما يظهر استغلال العاطفة الدينية والمكانة الجغرافية من خلال استخدام مكانة بلد التوحيد ودولة التوحيد ومهاجر الرسول لإضفاء شرعية على تبديع عالم جليل، وهو مسلك غلو يُعد إرهاباً فكرياً بالنصوص الشرعية تُنزل فيه الآيات والمصطلحات في غير موضعها لتشويه صورة الخصم وإسكاته.

ويتجلى تحويل الفروع الدعوية إلى أصول عقدية في أن اشتداد النجمي على الجزائري لم يكن لخلل في معتقده بل لمجرد سلكه مسلك الرفق والاحتواء مع الموحدين، فاعتبر هذا اللين خيانة للتوحيد في مغالطة كبرى تحول الوسائل الاجتهادية في الدعوة إلى معارك بقاء وفناء وعقيدة وتكفير. ويؤكد هذا المسلك الانفراد والشذوذ عن كبار العلماء، إذ إن هذه

الدعوى اتهام انفرد به تيار الغلاة في التبديع ولم يشاركه فيها أحد من كبار علماء المملكة العربية السعودية المعتبرين كابن باز وابن عثيمين، فالشيخ الجزائري نال ثقة المفتي العام واللجنة الدائمة وبوأ منبر المسجد النبوي لعقود، ولو كان محارباً للتوحيد لما سُمح له بذلك. ويُفسر هذا الهجوم بوجود الخلل النفسي والمنهجي وسطوة الأنا التي لم تتقبل القبول الذي وضعه الله للشيخ الجزائري في قلوب الخلق، فاتخذه غرضاً لسهامه بسبب الغيرة المنهجية، ممارساً الألاعيب الصبيانية واللف والدوران لنزع الثقة عنه ومطالبته بالتوبة من علم نشره وتوحيد قرره بأسلوب لا يليق بمقام العلم ولا بحرمة أهله. ويصل الأمر إلى التألي على الله في طريقة النجمي عبر نصب نفسه قاضياً يحكم بمصائر العباد في الآخرة والقطع بسوء عاقبة الشيخ الجزائري، وهو تجاوز خطير للمقام الإلهي ومصادرة لرحمة الله التي وسعت كل شيء. وهنا يظهر الفرق بين النصيحة الشرعية وبين التألي والوعيد بالخاتمة؛ فالنصيحة تهدف للتقويم بالرفق والشفقة، بينما التألي يبحث عن الانتصار للنفس وإذلال الآخر، محولاً الخلاف من دائرة الخطأ والصواب في الفتيا إلى دائرة الجنة والنار والقبول والرد عند الخالق، وهو مسلك يفسد الدين والدنيا ويقطع أواصر الأخوة الإيمانية ويحول مجالس العلم إلى منصات للترهيب الأخروي، بينما الحقيقة أن الشيخ الجزائري بمكانته وتاريخه أرجى عند الله من طعنات الغلاة الذين جعلوا من أنفسهم أنداداً في الحكم على عباد الله ومصائرهم.

الشيخ الجزائري لا يحابي أحدا من التبليغ أو غيرهم إنما ينطق بالحق الذي يراه :

إننا نلمس بوضوح أن القسم الذي صدر من الشيخ أبي بكر الجزائري - رحمه الله - لم يكن مجازفةً أو محاباةً لأحد على حساب الدين، بل كان قسماً مبنياً على شهادة عيان وخبرة ميدانية ومعايشة دقيقة لواقع هؤلاء الناس الذين رآهم بعينه يحيون بيوت الله بالذكر والعبادة والتوحيد؛ فالرجل انطلق من ديانةٍ وأمانة، ولم يبع دينه بعرضٍ من الدنيا وهو القانت في محراب العلم بالمسجد النبوي. وفي المقابل، يظهر مسلك الشيخ النجمي - عفا الله عنه - كنموذج للتعصب المقيت والغلو في التبديع الذي تجاوز حدود النقد العلمي إلى آفاق النقمة الشخصية والحقد على القبول الذي وضعه الله للشيخ الجزائري في قلوب الخلق؛ فبدلاً من أن يحترم النجمي اجتهاد عالمٍ ثقة تضج بمؤلفاته ودروسه الآفاق، اتخذه غرضاً لسهامه، ناصباً نفسه حكماً على النوايا والقلوب.

إن هذه الحدة في الخطاب والجرأة على اتهام عالم جليل بمحاربة التوحيد لمجرد اختلاف في تكييف واقع جماعة تكشف عن خلل نفسي ومنهجي؛ فالحق لا يحتاج إلى هذا الضجيج

والاتهامات المعلبة، ولكنها سطوة الأنا التي لا تقبل لغيرها صواباً، والتي تأكلها الغيرة من عالمٍ التفّ حوله الناس حباً وقناعةً بصدقه. لقد نقم النجمي على الشيخ الجزائري مرونته وحكمته التي جذبت القلوب، ففسر الرفق خيانة، و الإنصاف محاربة للعقيدة، وهي مغالطة يقع فيها الغلاة دائماً حين يظنون أن الغلظة هي معيار قوة الإيمان، وأن تبديع المخالف هو صمام أمان التوحيد. إن الحقيقة التي لا مرية فيها هي أن الشيخ الجزائري كان ينطلق من ميزان العدل الإلهي الذي يرى الحسنات ويمحو بها السيئات، بينما غرق النجمي في مستنقع التبديع المتسلسل الذي لا يبقي ولا يذر، محاولاً إسقاط هامةٍ علمية لمجرد أنها لم تنحنِ لحدة منطقه الإقصائي، مما يؤكد أن دافع الهجوم لم يكن حماية العقيدة بقدر ما كان ضيقاً بالآخر ونقمة على منزلته التي بوأه الله إياها في مهاجر النبي ﷺ.

شذوذ النجمي علفا الله عنه برمي الشيخ الجزائري بمحاربة التوحيد :

إننا نؤكد بكل يقين أن دعوى الشيخ النجمي - عفا الله عنه - في اتهام الشيخ أبي بكر الجزائري بمحاربة التوحيد وأهله وبلده، هي دعوى انفرد بها مع تيار الغلاة في التبديع (المعروفين بالمداخلة)، ولم يشاركه فيها أحد من كبار علماء المملكة العربية السعودية المعتبرين أو هيئاتهم العلمية الرسمية؛ بل إن الواقع التاريخي والشرعي يثبت نقيض ذلك تماماً. فالشيخ الجزائري - رحمه الله - ظلَّ لعدة عقود مُدرساً في المسجد النبوي الشريف، وأستاذاً في الجامعة الإسلامية، وهذا المقام لا يصله إلا من نال ثقةً مطلقة من سماحة المفتي العام واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فلو كان محارباً للتوحيد كما زعم النجمي، لما سُمح له بتبوىء هذا المنبر الرفيع في قلب بلد التوحيد .

إننا نرى في هذا الانفراد دليلاً قاطعاً على شطط هذا المسلك؛ فالعلماء الكبار من أمثال الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين - رحمهم الله - وإن اختلفوا مع جماعة التبليغ في بعض الوسائل أو نبهوا على أخطاء في كتبهم، إلا أنهم لم يُكفروا جموعهم، ولم يتهموا من رفق بهم أو ناصحهم بمحاربة العقيدة، بل كان تقديرهم للشيخ الجزائري ومكانته العلمية ثابتاً ومستقراً. إن حصر التوحيد في رؤية ضيقة تجعل من تبديع جماعة معينة ركناً من أركان العقيدة، وتخوين من لم يوافق على هذا التبديع، هو عين البدعة التي أحدثها هذا التيار المغالي؛ حيث استبدلوا بضوابط الشريعة في الحكم على الرجال قوائم تصنيف إقصائية، فصاروا يفسقون ويبدعون كل من لم يسر على طريقتهم في الغلظة والتشهير. ومن هنا يتضح أن افتراء النجمي لم يكن موقفاً لعلماء بلد التوحيد ، بل كان تعبيراً عن منهج فئوي معزول،

نقم على الشيخ الجزائري قبوله وتوسطه، وحاول تجريده من أمانته العلمية لمجرد كونه لم يرتضِ أن يكون أداة في معركة التبديع والتفسيق التي لا تنتهي، وهو ما يؤكد أن هذا التيار هو الذي فارق جادة علماء المملكة المعتدلين وشق عصا الإنصاف.

بيان أن التوحيد أصل دعوة حركة التبليغ والرد على الصومعي والنجمي :

قال الصومعي : (ولأجل هذا أرسل الله رسله وأنزل كتبه: قال تعالى: {**ولقد بعثنا في كل امة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**} [النحل الآية رقم 36]. وقال تعالى{ **إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** }[المائدة آية رقم 72] وقال تعالى: { **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً**} النساء 36 ، وقال تعالى: { **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** } [النساء 116]. وقال تعالى: { **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**} [الذاريات آية 56] قال تعالى: { **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا** } [الإسراء آية 23]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { **من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار**} رواه البخاري. **وعن معاذ بن جبل رضي الله** عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم له أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله أعلم قال: حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركو به شيئا الحديث متفق عليه.)

إننا نرى في هذا الاستعراض الطويل الذي ساقه الصومعي لآيات التوحيد ونصوص الوعيد من الشرك مغالطةً منهجيةً كبرى لا تنطلي على من ملك أدنى أدوات الإنصاف؛ فهو يسوق الحق (وهو وجوب التوحيد وخطورة الشرك) ليريد به الباطل (وهو اتهام أهل التبليغ بنقيض ذلك). إن التوحيد هو أصل دعوة حركة التبليغ ولبّ الكلمة الطيبة التي يخرجون لأجلها، بل إن غاية جهدهم هي نقل الناس من التعلق بالمخلوق إلى التعلق بالخالق، ومن عبادة الهوى إلى عبادة الله وحده؛ فكيف يستسيغ الصومعي أو النجمي إسقاط هذه النصوص العظيمة التي نزلت في كفار قريش وعباد الأوثان على ثلة من المؤمنين الذين لا يسجدون إلا لله، ولا يدعون إلا الله، ولا يرجون سواه؟

إننا نؤكد أن حشد هذه الأدلة في مواجهة أهل التبليغ هو نوع من التلبيس وتصوير الجماعة وكأنها تدعو لضد التوحيد، وهو افتراء يكذبه الواقع العيني في مساجد العالم العربي والإسلامي؛ فـ الأصول الستة التي يدندن حولها التبليغي تبدأ باليقين على الكلمة الطيبة: لا إله إلا الله ، ومعناها عندهم هو إخراج اليقين الفاسد من القلوب على الأشياء والأسباب وإدخال

اليقين الصحيح على ذات الله وأفعاله. فإذا كان هذا هو أصل منهجهم ومبتدأ تعليمهم، فبأي حق يُلبسهم الصومعي ثوب المشركين الذين حرم الله عليهم الجنة؟ إن هذا المسلك لا يعدو كونه إرهاباً فكرياً بالنصوص الشرعية، حيث تُنزّل الآيات في غير موضعها لإسكات الخصم وتشويه صورته، متجاهلين أن هؤلاء القوم هم أكثر الناس وقوفاً في وجه الإلحاد والتبعية للغرب، وأحرصهم على رد العاصي والمقصر إلى حياض التوحيد والصلاة.

إن الرد على هؤلاء يكمن في إيضاح أن توحيد العبادة الذي ساق الصومعي نصوصه هو عين ما يسعى أهل التبليغ لتمكينه في نفوس العامة والجهال بأسلوب حكيم، فكونهم لا يستخدمون لغة الصدام أو المصطلحات الكلامية المعقدة لا يعني أنهم يجهلون التوحيد أو يحاربونه. إننا نعتبر مسلك النجمي والصومعي في حشد هذه الآيات ضد إخوانهم الموحدين هو عين الغلو الذي حذر منه السلف، إذ يجعلون المخالفة في الوسيلة الدعوية كفراً مخرجاً من الملة، ويحاكمون النوايا والسرائر بنصوص الوعيد الشديد، في خلط شنيع بين المشرك الأصلي وبين المسلم المجتهد الذي قد يخطئ في وسيلة أو أسلوب، وهو ما يكشف عن عجزهم عن مقارعة الحجة بالحجة، فلجأوا إلى التكفير بالعموم كذريعة لإقصاء هذا الجهد الدعوي المبارك.

الصفة الأولى عند أهل التبليغ (الكلمة الطيبة) هي في حقيقتها شرح عملي لتوحيد الألوهية والربوبية :

إننا نؤكد أن الصفة الأولى لدى أهل التبليغ، وهي الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله)، لا تمثل مجرد شعار لفظي، بل هي في حقيقتها شرح عملي وتطبيقي لتوحيد الألوهية والربوبية، وصياغتها بأسلوب يفهمه العامي والمتعلم على حد سواء؛ فهم يقررون أن مقتضى هذه الكلمة هو إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء والمخلوقات، وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله وأفعاله ، وهذا هو صلب توحيد الربوبية (بأن الله هو الخالق الرزاق المدبر وحده) وتوحيد الألوهية (بأن التعلق والعبادة والالتجاء لا يكون إلا له سبحانه).

إننا نرى في هذا التفسير العملي رداً مفحماً على من اتهمهم بالجهل بالتوحيد؛ فبينما ينشغل البعض بالتعريفات النظرية والتقسيمات الكلامية، ينزل أهل التبليغ إلى الميدان ليربطوا قلوب الناس بالله مباشرة، موضحين أن الأسباب (من مال، وزراعة، وصناعة) لا تضر ولا تنفع بذاتها، وإنما النافع والضار هو الله، وهذا هو تحقيق التوحيد في واقع الحياة اليومية. إنهم

بذلك يحولون العقيدة من معلومات ذهنية إلى يقين قلبي يثمر طاعةً واستقامة، وهو ما جعل الملايين يتركون عادات الجاهلية والتعلق بغير الله ليعودوا إلى رحاب المساجد موحدين خاضعين.

تدليس الصومعي على شيخه ، ومحاولة التظاهر بأنهم يبينون التوحيد لعلماء التوحيد :

إننا نلمس في مسلك الصومعي نوعاً من التدليس المنهجي الذي يتجاوز مجرد الخطأ إلى محاولة تزييف الواقع؛ فهو حين يحشد آيات التوحيد ونصوص العقيدة في مواجهة علماء كبار كالشيخ أبي بكر الجزائري، إنما يحاول التظاهر بأنه يبيّن التوحيد لمن أفنوا أعمارهم في تدريسه وحمايته. إن هذا المسلك يعكس غطرسة فكرية واضحة، حيث ينصب الصومعي نفسه وصياً على العقيدة، موهماً القارئ أن خصومه يجهلون هذه الأصول العظيمة، بينما الحقيقة أن الخلاف ليس في أصل التوحيد الذي لا يختلف عليه مسلم، وإنما في تنزيل الأحكام وفي حدة التبديع التي يمارسها هو وشيخه النجمي.

إن التدليس يظهر جلياً في محاولة الصومعي إيهام شيخه والجمهور بأن معركته مع الشيخ الجزائري هي معركة توحيد ضد شرك ، وهي فرية ممجوجة؛ فالشيخ الجزائري هو ابن بلد التوحيد المخلص، وتلميذ علمائه، ومدرس التوحيد في المسجد النبوي، فكيف يجرؤ الصومعي على الظهور بمظهر المعلم له في هذه الأصول؟ إن هذا المسلك يهدف إلى حشر الخصم في زاوية المقصر في العقيدة لإسقاط هيبته العلمية، وهو نوع من التلبيس الذي يمارسه الغلاة لشرعنة هجومهم، فبدلاً من مناقشة الوسائل الدعوية بالدليل، يقفزون مباشرة إلى اتهام النوايا والطعن في الأصول.

إننا نرى أن هذه المحاولة للتظاهر ببيان التوحيد لعلماء التوحيد هي قمة المفارقة المضحكة المبكية ؛ فمن المضحك أن يأتي من يفتقر إلى رسوخ القدم في العلم ليعطي دروساً في العقيدة لشيخٍ نبت لحمه ودمه على نصوص الكتاب والسنة، ومن المبكي أن تُستغل هذه النصوص الشريفة كـ سلاح حزبي لتصنيف العباد وإقصائهم. إن الصومعي بتدليسه هذا يغطي على عجزه عن استيعاب سعة المنهج الدعوي الذي يراه الجزائري، فيستعيض عن ذلك بالصراخ بكلمات التوحيد ليوهم شيخه النجمي والآخرين بأنه حامي الحمى، بينما هو في

الحقيقة يمارس الظلم المعرفي ويقطع سبل النصيحة بالرفق، محولاً حوار العلماء إلى ساحة للتكفير والتبديع بالباطل.

الألاعيب الصبيانية واللف والدوران :

يحاول النجمي عفا الله عنه في معرض التقليل من جهود الشيخ أبي بكر الجزائري ومحاولة إظهاره أنه لم يستفد من تاريخه ولا من علمه ، فقال : (وأنت تزعم أنك فسرت كتاب الله هلا اتعظت معاني كتاب الله من زجر عن الشرك ودعوة إلى التوحيد فهل من توبة يا جابر)

يظهر جلياً أن مسلك الشيخ النجمي - عفا الله عنه - قد تجاوز حدود النقد العلمي الرصين ليدخل في دائرة النيل من الأشخاص ومحاولة تقزيم القامات العلمية بأسلوب يفتقر إلى أدنى مقومات الإنصاف؛ فحين يقول للشيخ أبي بكر الجزائري: وأنت تزعم أنك فسرت كتاب الله هلا اتعظت ، فإنه يمارس نوعاً من الاستعلاء الذي يحاول من خلاله إظهار الشيخ الجزائري وكأنه رجل لم يستفد من علمه ولا من تاريخه الطويل في خدمة الوحيين. إننا نرى في هذا الخطاب ألاعيب صبيانية تهدف إلى نزع الثقة عن عالمٍ جليل شهدت له المنابر والمحاريب، ومحاولة بائسة لتصويره في صورة الجاهل بمعاني القرآن الزاجرة عن الشرك، وهو الذي قضى عمره يفسر كتاب الله في أيسر التفاسير ويغرسه في قلوب المؤمنين في الروضة الشريفة.

إن هذا الالتفاف على تاريخ الشيخ الجزائري ومطالبته بالتوبة هو قمة الغلو في التبديع، حيث يصور النجمي الخلاف في تكييف جماعة التبليغ وكأنه خروج من الملة ومحاربة للتوحيد تقتضي التوبة والإنابة؛ وهذا المسلك يكشف عن ضيق أفق شديد، فبدلاً من مناقشة الحجج التي ساقها الجزائري في تزكية هؤلاء القوم بناءً على ما رآه من آثارهم، لجأ النجمي إلى أسلوب اللف والدوران عبر الطعن في أهلية الشيخ العلمية ومدى اتعاظه بالقرآن. إننا نؤكد أن هذا الأسلوب لا يقدح في الشيخ الجزائري بقدر ما يقدح في منهجية النجمي التي أصبحت ترى أن العلم هو فقط ما يوافق أحكامها الإقصائية، وأن التوحيد حكرٌ على من يشتد في التبديع؛ فإذا كان مفسر القرآن وأستاذه في الحرم النبوي يُطالب بالتوبة لمجرد لينٍ رآه مصلحةً دعوية، فمن الذي يسلم من سهام هذا الغلو؟ إن هذه الحدة هي التي جعلت هذا التيار معزولاً عن روح الشريعة وسماحتها، محولاً معارك العقيدة إلى خصومات شخصية تقتات على النيل من كبار العلماء بأسلوب لا يليق بمقام العلم ولا بحرمة أهله.

التألي على الله في طريقة النجمي عفا الله عنه:

قال النجمي عفا الله عنه : (وإني لأقطع انك إن نعيت الله وأنت مصر على هذه الفتوى فسيكون موقفك بين يدي الله موقفاً صعباً فتب إلى الله قبل أن يغلق الباب ولا يقبل منك المتاب فإن استكبرت وأبيت فما أظنه إلا أنه تودع منك وبالله التوفيق)

إننا نرى في هذا الخطاب قمة الجرأة والجسارة التي وصلت إلى حد التألي على الله ، حيث نصب الشيخ النجمي – عفا الله عنه – نفسه قاضياً يحكم بمصائر العباد في الآخرة، ويقطع بسوء عاقبة عالم جليل كالشيخ أبي بكر الجزائري. إن قوله إني لأقطع أنك إن لقيت الله وأنت مصر على هذه الفتوى فسيكون موقفك صعباً هو تجاوز خطير للمقام الإلهي، فمن الذي أطلع النجمي على الغيب؟ ومن الذي أعطاه صكوك الغفران أو الإدانة ليجزم بمآلات الخلق بين يدي خالقهم؟

إن هذا المسلك يمثل ذروة الألاعيب الصبيانية واللف والدوران حول أصول الشريعة؛ فبدلاً من أن يكون الحوار مبنياً على الدليل والبرهان، نجد لغة التهديد بالموت وسوء الخاتمة. وقوله ما أظنه إلا أنه تُودع منك هو إشارة بالغة الخطورة توحي بطرده من رحمة الله أو التخلي عنه، وهو منطق غريب على أدبيات أهل السنة والجماعة الذين يكلون السرائر والضمائر والمآلات إلى الله وحده. إننا أمام عقلية إقصائية بلغت من الغلو مبلغاً جعلها لا تكتفي بتبديع المخالف في الدنيا، بل تلاحقه بالوعيد في الآخرة، وتغلق في وجهه أبواب التوبة إلا من خلال بوابتها هي، وكأن باب المتاب لا يُفتح إلا بموافقة النجمي وتياره.

إن هذا الغلو في الخصومة والشدة على عالمٍ أفنى عمره في خدمة التوحيد والسنة في المسجد النبوي، لمجرد اختلاف في فتوى دعوية ، يكشف عن خلل منهجي عميق؛ فالنجمي هنا لم يعد يناقش فكرة، بل أصبح يمارس وصاية إلهية مدعاة، محاولاً إرهاب الشيخ الجزائري نفسياً ومعنوياً. إننا نؤكد أن هذا الأسلوب هو الذي يفسد الدين والدنيا، ويقطع أواصر الأخوة الإيمانية، ويحول مجالس العلم إلى منصات للترهيب الأخروي، بينما الحقيقة أن الشيخ الجزائري بمكانته وقبوله وتاريخه هو أرجى عند الله —بإذنه— من طعنات الغلاة الذين جعلوا من أنفسهم أنداداً في الحكم على عباد الله ومصائرهم.

الفرق بين النصيحة الشرعية وبين التألي والوعيد بالخاتمة الذي مارسه النجمي عفا الله عنه:

إننا نرى في هذا السياق بوناً شاسعاً وفرقاً جوهرياً بين النصيحة الشرعية التي قامت عليها أركان الدين، وبين مسلك التألي والوعيد بالخاتمة الذي انتهجه الشيخ النجمي —عفا الله عنه— تجاه الشيخ الجزائري؛ فالنصيحة في جوهرها هي إرادة الخير للمنصوح بأسلوب يغلفه الرفق وتستره الشفقة، منطلقاً من قوله ﷺ: الدين النصيحة ، وهي تهدف إلى التقويم لا إلى التشهير، وإلى البناء لا إلى الهدم، حيث يُقدم الناصح حجته بعلم وأدب، تاركاً للمنصوح فرصة التأمل والمراجعة دون مصادرة لحقه في الاجتهاد أو إهدار لكرامته العلمية.

أما ما مارسه النجمي، فهو خروج كامل عن مسار النصيحة إلى فضاء الوصاية الغيبية ؛ فالوعيد بسوء الخاتمة والجزم بأن موقف المنصوح سيكون صعباً بين يدي الله هو نوع من التألي على الله الذي حذر منه النبي ﷺ في حديث الرجل الذي قال: والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله تعالى: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ . إن الفرق يكمن في أن الناصح الشرعي يقول: أخشى عليك ، بينما المتألي يقول: أقطع بهلاكك ؛ والناصح يفتح أبواب الرجاء، بينما النجمي في هذا السياق أغلقها إلا عبر بوابة توبته هو ، زاعماً أن الله قد تودع من عبده، وهي كلمة تقشعر منها جلود المؤمنين لما فيها من مصادرة لرحمة الله التي وسعت كل شيء.

إننا نؤكد أن هذا المسلك هو أداة إرهاب معنوي تُستخدم لإسكات الخصوم وتحطيم مكانتهم، وليس له صلة بمنهج السلف في النصيحة؛ فالنصيحة تبحث عن الحق، والتألي يبحث عن الانتصار للنفس وإذلال الآخر. لقد حول النجمي الخلاف من دائرة الخطأ والصواب في الفتيا إلى دائرة الجنة والنار و القبول والرد عند الخالق، وهو خلط شنيع بين مقام البشر ومقام رب البشر. ومن هنا يتضح أن ما تعرض له الشيخ الجزائري لم يكن نصيحة من محب، بل كان رشقاً بسهام الغلو التي تحاول حجب شمس فضله وقبوله تحت غطاء الغيرة المدعاة على التوحيد، وهو مسلك يفسد أدب الخلاف ويهدم جسور الثقة بين العلماء وطلبة العلم.

الرد على زعم النجمي والصومعي أن أهل التبليغ أهل شرك وبدعة :

قال الصومعي معقبا على قول النجمي عفا الله عنه : (وإني لأقطع انك إن نعيت الله وأنت مصر على هذه الفتوى فسيكون موقفك بين يدي الله موقفاً صعباً فتب إلى الله) قولة فاجرة : (لإنه خذل أهل التوحيد والسنة ونصر أهل الشرك والبدعة نسأل الله العافية.)

إننا نرى في تعقيب الصومعي على شيخه النجمي عبارة تنضح بالجرأة والفجور في الخصومة، حين وصف موقف الشيخ أبي بكر الجزائري —رحمه الله— بأنه نصرة لأهل الشرك والبدعة وخذلان لأهل التوحيد ؛ فهذه القولة الفاجرة تمثل ذروة الانحراف عن منهج الإنصاف، إذ تجعل من مجرد الرفق بالمسلمين الموحدين نصرة للشرك ، وهي مغالطة قلب الحقائق التي يعتمدها هذا التيار الإقصائي. إن وصم ملايين الموحدين الذين يخرجون ليدعوا الناس إلى الصلاة والذكر بأهل الشرك هو جناية كبرى على الأمة، وتعدٍّ صارخ على حرمة دماء المسلمين وأعراضهم التي صانها قول لا إله إلا الله .

إن هذا المسلك يعكس ضيقاً حاداً في الفهم؛ فالصومعي وشيخه يظنان أن نصرة التوحيد لا تكون إلا بالتبديع والتفسيق والغلظة، بينما رأى الشيخ الجزائري بوعيه التربوي وعلمه الراسخ أن نصرة التوحيد الحقيقية تكون في احتواء هؤلاء الموحدين وتوجيه جهدهم الدعوي نحو الأكمل. إن ادعاء الصومعي بأن الجزائري خذل أهل التوحيد هو افتراء محض؛ فهل يُعقل أن يخذل التوحيد من أفنى سبعين عاماً في تدريسه تحت قبة المسجد النبوي؟ إنما الخذلان الحقيقي هو ما يمارسه هؤلاء الغلاة بتفريق صف المسلمين، وإشغالهم بصراعات وهمية، وتصنيف العباد بناءً على أوهام وتخرصات لا رصيد لها في الواقع.

إننا نؤكد أن حصر أهل التوحيد والسنة في فرقة المداخلة ومن وافقهم على تبديع التبليغيين، وإخراج كل من سواهم من هذا الوصف، هو بدعة عصرية تضيق رحمة الله التي وسعت كل شيء. إن أهل التبليغ —بشهادة المنصفين— هم حائط صد أمام الإلحاد والفساد في كثير من بقاع الأرض، وتسميتهم أهل شرك لمجرد وقوع بعض أفرادهم في أخطاء أو ممارسات بيئية هو ظلم بين وتدليس فاحش؛ فكيف يُسمى من يدعو لـ الكلمة الطيبة ويحققها يقيناً في قلبه مشركاً؟ إن الصومعي بهذه القولة لم يسئ للشيخ الجزائري وحده، بل أساء لمقام العلم والعدل، وكشف عن منهج يقتات على التكفير والتبديع باللوازم، وهو منهج يبدأ بتشويه الفضلاء وينتهي بالتألي على رب العالمين.

التبديع باللازم وتعميم أحكام الشرك هو المسلك الذي حذر منه أئمة الإسلام واعتبروه من خصال أهل الأهواء :

إننا نؤكد أن المسلك الذي انتهجه الصومعي والنجمي في رمي جماعات المسلمين وعلمائهم بالشرك والبدعة بناءً على استنتاجات وتأويلات بعيدة، هو عين ما يُعرف بالتبديع باللازم ، وهو مسلك حذر منه أئمة الإسلام قديماً وحديثاً واعتبروه من أظهر خصال أهل الأهواء والزيغ. فالقاعدة المقررة عند المحققين من أهل السنة والجماعة هي أن لازم المذهب ليس بمذهب ؛ أي أنه لا يجوز أن نُلزم شخصاً أو جماعةً بنتيجة تترتب على قولهم أو فعلهم وهم لا يلتزمون بها بل وينكرونها، فكيف إذا كان هذا اللازم هو الشرك المخرج من الملة ؟ إن اتهام أهل التبليغ بالشرك لأن مؤسسهم من بيئة كذا، أو لأن في كتبهم عبارة كذا، مع أن واقعهم ينطق بالتوحيد وألسنتهم تلهج بالوحدانية، هو خروج عن مقتضى العدل الذي أمر الله به.

إن تعميم أحكام الشرك على ملايين الموحدين هو مسلك الخوارج الذين جعلوا من الذنوب أو المسائل الاجتهادية مكفرات، بينما منهج أهل السنة يقوم على التفريق بين الخطأ في الوسيلة وبين الفساد في العقيدة . لقد حذر الأئمة من التبديع بالعموم لأن فيه اعتداءً على عصمة المسلم، وتعدياً على مقام الربوبية بتوزيع صكوك الكفر والبدعة؛ فمن ثبت إسلامه بيقين لا يزول عنه بشبهة أو بلازم قول لم يلتزمه. إن أهل الأهواء هم من يضيقون رحمة الله ويحصرون النجاة في طائفتهم فقط، ويبدعون كل من لم يوافقهم في أحكامهم الجائرة على الرجال، وهو تماماً ما نراه في هذا الفجور في الخصومة ضد الشيخ الجزائري لمجرد أنه لم يلتزم بلازم قولهم ولم يسر خلفهم في تبديع الموحدين.

إننا نرى أن التبديع باللازم هو سلاح العاجز عن مقارعة الحجة بالحجة؛ فبدلاً من مناقشة آليات الدعوة ومخرجاتها الواقعية، يتم القفز إلى التكفير الضمني عبر حشد آيات الشرك وإسقاطها على غير محلها. إن أئمة الإسلام، كالشيخ ابن تيمية وغيره، قرروا أن التكفير والتبديع لهما شروط وموانع، وأنه لا بد من بيان الحجة بوضوح، فكيف يُهدم هذا الأصل العظيم لتمرير ألاعيب صبيانية تهدف إلى تفتيت وحدة المسلمين وإضعاف شوكة أهل الدعوة؟ إن هذا المسلك لا يخدم العقيدة كما يزعمون، بل يشوه جمال التوحيد ويجعل منه

سوطاً للعذاب والفرقة، مما يؤكد أن هؤلاء المهاجمين قد فارقوا جادة الإنصاف واتبعوا مسالك أهل الأهواء في تصنيف العباد بالهوى والظنون الكاذبة.

أهل التبليغ أهل إيمان وتوحيد والرد على كذب الصومعي :

قال الصومعي : (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله عزوجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر حسن رواه الترمذي وغيره وقال تعالى: {**يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً** } [الأنعام 158].)

إن في هذا الحشد لنصوص التوبة والوعيد التي ساقها الصومعي فصلاً جديداً من فصول التزييف، ومحاولة يائسة لإضفاء صبغة الشرعية على أوهام شيخه وتجاوزاته؛ فذكرُه لأحاديث طلوع الشمس من مغربها وبلوغ الروح الحلقوم في سياق مخاطبة الشيخ أبي بكر الجزائري وأهل التبليغ هو تدليس مكشوف يهدف إلى إظهار النجمي في صورة المحقق المحق الذي يملك مفاتيح القبول والرد. إن الصومعي هنا يمارس دوراً تضليلياً، حيث يوهم القارئ بأنهم في مقام تعليم التوحيد لأهل التوحيد، ويسردون الأدلة على عالمٍ هو أعلم بها منهم، ليصوروا للعوام أن الخلاف هو بين متمسك بالسنة وبين مخالفٍ للشرع يلزمه الاستعتاب قبل فوات الأوان.

إن الحقيقة التي يحاول الصومعي طمسها هي أن أهل التبليغ —بشهادة واقعهم الذي رآه الجزائري وأقسم عليه— هم أهل إيمان وتوحيد، غاية جهدهم إخراج الناس من ظلمات الغفلة إلى أنوار الطاعة، فكيف يُعاملون معاملة من لم يؤمن من قبل أو كسب في إيمانه خيراً ؟ إن إسقاط آية سورة الأنعام وأحاديث التوبة على موحدين يقيمون الصلاة هو من قبيل العبث بالنصوص وتنزيلها في غير محلها لإرهاب الخصوم وإسكات صوت الإنصاف. إننا أمام ألاعيب صبيانية تحاول قلب الأدوار؛ فيصبح الغالي في التبديع ناصحاً مشفقاً ، ويصبح العالم الرباني الناصح بالرفق مذنباً محارباً للعقيدة يحتاج إلى من يسرد عليه بديهيات الإيمان.

إن هذا المسلك يكشف كذب الصومعي وتدليسه؛ فهو يعلم يقيناً أن الشيخ الجزائري لم يدافع عن بدعة ولم يقر شركاً، ولكنه الحقد على القبول والغيرة من اتساع أثر هذا الجهد الدعوي. إن التظاهر بتعليم التوحيد وسرد أدلته في هذا المقام ليس إلا لفاً ودوراناً للهروب

من استحقاقات العدل والإنصاف، فالتوحيد ليس مجرد نصوص تُسرد للاستعلاء على العباد، بل هو حقيقة تظهر في تعظيم حرمات المسلمين والكف عن أعراضهم. ومن هنا يتضح أن الصومعي وشيخه هم من يحتاجون لمراجعة معاني تلك النصوص، ليعلموا أن ظلم الموحد والافتراء عليه بتهمة الشرك والبدعة هو من أعظم الذنوب التي تقتضي التوبة قبل الغرغرة، لا أن يتخذوا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مطيةً لتصنيف الناس وتبديعهم بالهوى والظنون الكاذبة.

تودع منك يا صومعي لأنك تفتري على علماء الأمة :

قال الصومعي : (قال في لسان العرب: وأصله من التوديع وهو الترك قال وهو من المجاز لأن المعتني بإصلاح شأن الرجل إذا يئس من صلاحه تركه واستراح من معاناة النصب معه...)

في هذا الاستعراض اللغوي الذي ساقه الصومعي حول مادة تودع منك ذروة السقوط الأخلاقي والمنهجي، حيث يحاول شرعنة كلمة شيخه الفاجرة عبر الاستشهاد بلسان العرب ليوهم القارئ بأن اليأس من صلاح الشيخ أبي بكر الجزائري هو مبرر شرعي لتركه والتحريض عليه. إن قوله بأن المعتني بإصلاح الرجل إذا يئس من صلاحه تركه واستراح من معاناة النصب معه هو قلب للحقائق وتدليس مفضوح؛ فمن الذي نصب الصومعي أو شيخه أوصياء على عالم جليل وأستاذ في المسجد النبوي ليقرروا صلاحه من عدمه؟ وكيف تجرأ هؤلاء على ادعاء اليأس من إنسان قضى عمره في محراب العلم والتوحيد، لمجرد أنه لم يوافق أهواءهم الإقصائية؟

إننا نؤكد أن هذه المحاولة للالتفاف باللغة هي محض ألاعيب صبيانية؛ فكلمة تودع منك في هذا السياق لا تعني الترك الفقهي، بل تحمل في طياتها تألياً على الله وإيحاءً بالخذلان الإلهي والخروج من رحمة الله، وهو ما لا يملكه بشر. إن الصومعي بتفسيره هذا يثبت أنه وشيخه قد استنفدوا كل حجج العلم، فلجأوا إلى المجاز اللغوي لتبرير سوء الأدب مع العلماء؛ فكيف يُقال عن الجزائري —وهو محل ثقة علماء بلد التوحيد— أنه رُفع اليد عن صلاحه؟ إن هذا المسلك يعكس نفسيةً مريضة تقتات على إسقاط الكبار، وتظن أن الحقيقة محصورة في شرذمة تبدع كل من مد يده بالرفق للموحدين.

إننا نقول لك يا صومعي: تودع منك لأنك أنت من يفتري على علماء الأمة، وأنت من يلبس الحق بالباطل لتبرير الغلو في التبديع؛ فبدلاً من الاستراحة من عناء النصب في ملاحقة العلماء، كان الأولى بك أن تتعلم أدب الإسلام في مخاطبة من هم في مقام والدك علماً وسناً. إن لجوءك للقواميس اللغوية لتغطية الفجور في الخصومة لن يحجب شمس فضل الشيخ الجزائري، ولن يغسل عار الكلمات التي قيلت في حقه، بل سيبقى هذا الكلام شاهداً على منهج اللف والدوران الذي يحاول تبرير القبيح بجميل اللغة، متناسياً أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأن الافتراء على ورثة الأنبياء هو المسلك الذي يُخشى على صاحبه حقيقةً أن يكون قد تودع منه .

يزعمونها لله وهي لما فى الصدور :

ثم يختم الشيخ النجمي عفا الله عنه فتواه الآثمة بقوله: (كتبه الناصح لك والحدب عليك أحمد بن يحيى النجمي.) وهكذا يزعمون فى كل ما يكتبون ! ليلبسوا على الناس دينهم ، فيقعون فى كل داعية ويجرحون كل عالم ثم يقولون هذا لله ونصحا لدينه وحماية لجناب شرعه ! ووالله إنه لما فى الصدور من هؤلاء العلماء والمشايخ فى أكثر الأحوال ! ذلك لأنهم كثيرا ما يجبنون عن معاملة العلمانيين والليبراليين والمبشرين بمثل معاملة هؤلاء الدعاة الأفاضل ، فتنخرس ألسنتهم وتبكم أفواههم وتعمى عيونهم عن كل فجور فى المجتمع وتصم آذانهم عن كل منافق عليم اللسان مفسد فى الأرض فاجر فى الأقطار الإسلامية ناشر للفجور والرذيلة والكفر ثم تراهم صقورا على كل داعية أسودا على كل ناصح للناس ! فعلم من مجموع أحوالهم وفتاواهم أنهم أحذية لمن يضرب بالسوط يلعقون قدم كل من يزجر أما من يتعامل بالحسنى والمعاملة الإسلامية لا يرفعون له شأنا ولا يقيمون له وزنا ، فوجب معاملتهم بما ينصلح به حالهم فيستقيمون ولا يجوز معاملتهم بما يضلهم ويساعدهم على مثل هذا الفجور .

إن الاستعلاء النفسي والالتفاف المنهجي عند الشيخ النجمي وتياره يصل إلى ذروته حين يختم فتواه التي نالت من عرض وعلم الشيخ أبي بكر الجزائري بقوله: (كتبه الناصح لك والحدب عليك)؛ وهي جملة تمثل في هذا السياق قمة التلبيس وتزييف الحقائق. فكيف يكون ناصحاً وحدباً من يقطع بسوء خاتمة المنصوح، ويطالبه بالتوبة من علمٍ نشره وتوحيدٍ قرره، ويصف يمينه بالفجور؟ إن هذا التوقيع ما هو إلا ستارٌ أخلاقي يحاولون من خلاله إضفاء صبغة الشرعية و الإخلاص على طعوناتهم، ليوهموا العامة أن جرح العلماء والوقوع في الدعاة ليس إلا حمايةً لجناب التوحيد، بينما تنطق شواهد أحوالهم بخلاف ذلك تماماً.

إن المتأمل في مسلك هذا التيار يجد مفارقة عجيبة تكشف أن المحرك الحقيقي ليس الغيرة للدين في كثير من الأحيان، بل هو ما تنطوي عليه الصدور من ضيق بالرموز المقبولة عند الناس؛ فبينما يبرز هؤلاء كـ صقور كواسر على الدعاة الأفاضل والعلماء الربانيين، تجدهم ينخرسون وتبكم أفواههم أمام طغيان العلمانية والليبرالية، وأمام المفسدين الحقيقيين الذين ينشرون الرذيلة والكفر في الأقطار الإسلامية. إن هذا الجبن الانتقائي في المواجهة يجعل من سهامهم موجهة فقط نحو الصدر الداخلي للأمة، مما يثبت أن بطولتهم لا تظهر إلا في مواجهة من يتعامل معهم بالحسنى والأدب الإسلامي، بينما يتوارون خجلاً أو خوفاً أمام من

يملك سوطاً أو سلطة، ليكونوا في نهاية المطاف أحذية لمن يزجرهم وأسوداً على من ينصحهم.

لذلك، فإن معاملة هؤلاء بنفس أسلوبهم في التدليل أو الصمت عن تجاوزاتهم هو مساعدة لهم على الاستمرار في هذا الفجور الفكري؛ فقد وجب كشف هذا الزيف لبيان أن النصيحة التي يدعونها هي في حقيقتها تصفية حسابات وإسقاط لمرجعيات الأمة. إن التوحيد الذي يزعمون حمايته بريءٌ من غدرهم بالعلماء، ومن عماهم عن الفتن الكبرى التي تحدق بالأمة، ومن انشغالهم بتمزيق الصف المؤمن في وقت تداعى فيه الأكلة على قصعة الإسلام. إن الاستقامة الحقيقية تقتضي لجم هذا التطاول، ليعلم هؤلاء أن لحوم العلماء مسمومة، وأن التستر خلف عبارات الحدب والنصح لن يحميهم من تبعات الافتراء بين يدي الله.

خاتمة الأثافي :

ثم ختم الصومعي كتابته بخاتمة آثمة ، لخص فيها افتراءاته وافتراءات شيخه بل ومنهج طائفته الغالية في التبديع ، المتخصصة في تفريق الأمة بقوله : (وبعد قراءتك أيها الأخ المسلم لما سبق من أن جماعة التبليغ جماعة صوفية قبورية خرافية ذات أربع طرق جشتية قادرية سهروردية نقشبندية وديوبندية ترفع وتشيد الشرك تعادي التوحيد وأهله فإنه يجب عليك تركها والتحذير منها ومن شرها أما تعديل الشيخ أبي بكر الجزائري فإنه تعديل غير مقبول عند أهل العلم فقد قدح فيها علماء أهل السنة وجرحوها جرحاً مفسراً والجرح المفسر مقد م على التعديل سيما وقد صدر هذا الجرح من أئمة هذا العصر.)

وإننا رداً على هذا الركام من الزور، نؤكد أن كل ما خطه الصومعي في خاتمته هو كلامٌ غير مُسَلَّمٍ به شرعاً ولا واقعاً، وهو مردودٌ عليه جملةً وتفصيلاً، فلا يُبنى عليه حكمٌ فقهي ولا موقفٌ دعوي، بل لا يعدو كونه أوهاماً استقرت في مخيلة من اعتادوا النظر إلى الأمة بعين السخط والتوجس؛ فهذه الجماعة ليست جماعة صوفية بالمعنى الاصطلاحي المبتدع، ولا هي قبورية تشيد الشرك، وبالتالي فليست خرافية كما يزعم، والادعاء بأنها تبايع على أربع طرق (جشتية وقادرية وسهروردية ونقشبندية وديوبندية) هو خلطٌ شنيع وتدليسٌ ممزوج بجهل؛ إذ إن "الديوبندية" مدرسة علمية فقهية وليست طريقة صوفية، وأما الطرق الأخرى فهي انتماءات تاريخية لبعض المؤسسين في بيئاتهم القديمة، ولم تكن يوماً جزءاً من "الأصول الستة" أو المنهج العملي الذي يسير عليه ملايين التبليغيين في العالم اليوم، بل إن واقعهم الميداني يشهد بأنهم أشد الناس محاربةً للتعلق بغير الله، وأحرصهم على إحياء شعائر الإسلام في القلوب؛ فهم لا يشيدون شركاً ولا يعادون توحيداً، بل هم حراسٌ للكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) يشرحونها عملياً بترك عبادة المادة والتعلق بغير رب العالمين، ومِن ثَمَّ فلا وجوب لتركها ولا مسوغ للتحذير من شرٍّ موهوم لا وجود له إلا في أدبيات الغلاة، بل الواجب الشرعي يقتضي التعاون معهم على البر والتقوى، ومشاركتهم في هذا الجهد العظيم لإخراج الناس من ظلمات الغفلة إلى نور الطاعة، مع السعي في إصلاح ما قد يقع من أخطاء بشرية لا يسلم منها أي عمل إنساني.

أما زعم الصومعي بأن تعديل الشيخ أبي بكر الجزائري غير مقبول، فهو قولٌ مردودٌ عند العقلاء والمنصفين، لأن هذا التعديل لم يكن منفرداً، بل وافقه وأيده عشرات الأكابر من علماء الأمة الذين خبروا الجماعة في الداخل والخارج، وعلى رأسهم سماحة الشيخ عبد

العزيز بن باز الذي مدح طريقتهم في الدعوة، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ ابن جبرين، وغيرهم من أئمة الهدى، فهل يُعقل أن يكون كل هؤلاء الأئمة "عميان بصيرة" والصومعي وشيخه هم وحدهم المبصرون؟!

وأما التذرع بقاعدة "الجرح المفسر مقدم على التعديل" في حق علماء "منهج التجريح" الذين شابت أقوالهم الشدة والتبديع، فهو استدلالٌ باطل في هذا السياق؛ لأن هؤلاء القوم قد تخصصوا في "التجريح" وصار ديدنهم الطعن في كل من خالف مشربهم الضيق، حتى لم يؤثر عنهم تعديلٌ لمخالفٍ قط إلا من والاهم أو سار في ركابهم، فجرحهم هنا معارضٌ بتعديلِ من هم أعلم وأورع وأخبر بالواقع منهم، والقاعدة تقول إن الجرح إذا بني على تعصب أو سوء فهم للواقع فإنه يُطرح ولا كرامة، وهذا هو حال جرحهم لجماعة التبليغ؛ فهو جرحٌ ناتج عن تصورات ذهنية وتتبع لسقطات الأفراد لا عن دراسة لمنهج الجماعة الرسمي وعملها الميداني الذي أحيا الله به شعوباً وقبائل في قارات العالم الست، مما يجعل تعديل الأئمة المنصفين كالجزائري وبن باز هو الحق الذي لا مريّة فيه، والباطل ما نطق به الغلاة المفترون.

وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين :

وبعدما كال كل هذا الكم من التزييف، يطل علينا الصومعي بعباءة الناصح الأمين قائلاً: «وعلى من اغتر بهذه الجماعة أن يتركها بعد أن علم عنها هذا الباطل، وأن يطلب العلم حتى يدعو إلى الله على بصيرة علم الكتاب والسنة، وعليه أن يأخذ هذا العلم ويطلبه عند علماء أهل السنة والجماعة الذين أفنوا أعمارهم في خدمة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم»، ونحن نجيبه بلغة الحق والواقع مسترشدين بقوله تعالى: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}؛ فنقول إن من يسير في هذا الجهد الدعوي المبارك إنما يسير عن قناعة راسخة ويقين تام، لا عن "اغترار" كما يزعم، ومن مدحهم من كبار علماء السلفية المعاصرين إنما مدحهم عن خبرة ومعاينة وعلم بحقائق الأمور، لا عن جهل أو تغرير، وإن كل ما سُطر في ذلك الكتاب من أباطيل وتهم بالشرك والبدعة إنما هي محض أكاذيب وافتراءات لا رصيد لها من الواقع؛ فنحن نعيش مع هؤلاء القوم ليل نهار، ونخالطهم في حلهم وترحالهم، ولم نرَ شيئاً مما يفتريه هؤلاء الغلاة، بل رأينا تعظيماً لجناب التوحيد، وإحياءً لسنن المصطفى ﷺ، وحرصاً على شعائر الإسلام.

أما دعوى اشتراط العلم الغزير قبل البلاغ فهي مغالطة شرعية تخالف قوله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»، فأهل التبليغ يتعلمون من العلم الضروري ما يرفعون به الجهل عن أنفسهم، ويؤدون به حق الله عليهم، ولا يلزم الداعي أن يحيط بكل دقائق الدين وفروعه حتى يبدأ في نصح الناس ودعوتهم للصلاة والذكر والتوحيد، فالعلم يتجزأ والبلاغ واجب بحسب القدرة، وهذا هو فقه الأنبياء الذي يجهله المتنطعون. ثم إن رمي علماء هذه الجماعة ومؤسسيها بالجهل هو قمة الإجحاف؛ فمشايخهم وعلماؤهم في الهند وباكستان والعالم الإسلامي قد أفنوا أعمارهم حقاً في خدمة كتاب الله تلاوةً وتفسيراً، وفي خدمة سنة رسوله ﷺ شرحاً وتدريساً، ومدارسهم العامرة كـ "ديوبند" وغيرها هي قلاع حصينة حفظت بيضة الإسلام وعلوم الوحي في أصعب الظروف، ومن الهضم والظلم حصر وصف "علماء أهل السنة" في فئة ضيقة توالي الصومعي وتوافقه على منهجه الإقصائي، بينما يُحرم منه جهابذة خدموا الدين ونشروا الهدى في أصقاع الأرض، فالحق أوسع من حجركم، ورحمة الله أعم من ضيق أفهامكم، والعبرة بالحقائق الماثلة لا بالدعاوى الباطلة.

أكابركم أم أكابرهم ، وأصاغركم أم أصاغرهم ؟ :

ويمضي الصومعي في محاولة بائسة للتدليس على القارئ فيقول : (فإن نبينا صلى الله عليه وسلم يقول: البركة مع أكابركم . (رواه ابن حبان وغيره وصححه الألباني برقم (2884)]
ورضي الله عن ابن مسعود إذ يقول: لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن امنائهم وعلماءهم فإذا أخذوا من صغارهم وشرارهم هلكوا .
فتأمل أيها المسلم لكلامه رضي الله عنه إلى قوله : لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم : فجماعة التبليغ لا علم عندهم وهم أصاغر بدون علم الكتاب والسنة ولذلك من يتصدر للدعوة بغير علم لا شك أنه تعرض عليه أسئلة فيجيب عليها فيضل الناس وإن قالوا نحن لا نجيب عن الأسئلة فهذا عند بعضهم.) ، متظاهراً بالاستناد إلى الأدلة الشرعية والآثار النبوية ليعطي باطله لبوس الحق؛ فيستشهد بقول النبي ﷺ: «البركة مع أكابركم»، وبأثر ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم»، ليخلص من ذلك إلى نتيجة جائرة يزعم فيها أن جماعة التبليغ لا علم عندهم وأنهم "أصاغر"، وهذا منه قلبٌ للحقائق وتلاعبٌ بالمصطلحات؛ فإن مفهوم "الأكابر" و"الأصاغر" عند هؤلاء الغلاة ليس معياراً شرعياً مجرداً، بل هو معيارٌ حزبي ضيق؛ فكل من وافق منهجهم في التبديع والتجريح فهو "كبير" وإن كان حدث السن قليل البضاعة، وكل من خالفهم أو أنصف خصومهم فهو

"صغير" وإن بلغ من العلم عتياً وأفنى عمره في خدمة الوحيين، والحقيقة التي يتغافل عنها الصومعي هي أن لكل منهج أكابره وعلماءه، وما تعتبرونه أنتم كبيراً قد يكون عند غيركم صغيراً بفعله لا بعلمه، وأكابر أهل التبليغ وعلماؤهم في الهند وباكستان والعالم الإسلامي هم جبالٌ في العلم والزهد والورع، شهدت لهم المحاريب والمنابر قبل أن يُخلق الصومعي أو يُعرف منهجه، فبأي حق يُسلب وصف "الكبر" عن جهابذة أفنوا أعمارهم في تعليم الناس التوحيد والسنة لمجرد أنهم لم يسلكوا مسلككم في "التصنيف" و"التحريش"؟

إن الفارق الجوهري الذي يكشف زيف هذا الاستدلال هو "أدب الدعوة" وعلو الهمة؛ فأهل التبليغ لا يسلكون مسلككم في ازدراء الآخرين أو تبديع المخالف، بل هم يضربون أروع الأمثلة في احترام علماء الأمة قاطبة، فيقدرون علماءكم ويزورونهم ويطلبون منهم النصيحة والدعاء والتوجيه، في حين تقابلون أنتم هذا الأدب بالسب والشتم والتفسيق، وتتخذون من العلم "سوطاً" لجلد المخالفين لا "نوراً" لهداية الحائرين. إن دعوى أنهم يتصدرون للدعوة بغير علم فيضلون الناس هي دعوى باطلة؛ لأن منهجهم يقوم على "النقل لا الاجتهاد"، وعلى "التذكير لا الفتيا"، وهم يحيلون المستفتي دوماً إلى أهل العلم الراسخين، بخلاف منهجكم الذي يجرئ الأصاغر من صبيانكم على كبار علماء الأمة وتبديعهم، فأي الفريقين أحق بوصف "الصغار"؟ أمن يحترم العلماء ويوقرهم أم من يتطاول عليهم ويهدر كرامتهم؟ إن البركة الحقيقية هي التي تظهر في ثمرات الدعوة وهداية الناس، وقد رأينا بركة جهد هؤلاء في دخول الملايين للإسلام وتوبة العصاة، بينما لم نرَ من منهج "التجريح" إلا تفريق الجماعة وإيحاش القلوب وملء الصدور بالغل والضغينة، مما يؤكد أن الاستدلال بالنصوص في غير موضعها هو ديدن أهل الأهواء الذين يريدون حصر الحق في ذواتهم وإقصاء الأمة بأجمعها.

أهل التبليغ أهل أمانة ، وأهل التبديع أهل خيانة :

ويمضي الصومعي في غيّه محاولاً لَيَّ أعناق النصوص والآثار لخدمة مأربه في إسقاط الشرف والأمانة عن ملايين المسلمين، فيقول : (وتأمل في قوله وأمنائهم وعلمائهم: فجماعة التبليغ ليست أمينة لأن من يفسد عقائد الناس ويدعوهم إلى البدعة والشرك يعتبر خائنا لا يكون أميناً.

وتأمل في قوله: فإذا أخذوا من صغارهم وشرارهم هلكوا.

وجماعة التبليغ من شرار أهل البدع لو لم يكن عندهم إلا تبجيلهم لإليأس ووضع قبره في المسجد لقوله صلى الله عليه وسلم لمن فعل ذلك : أولئك شرار الخلق عند الله (متفق عليه) فكيف وهم قد جمعوا في جماعتهم الضلال المبين.)

فانظر كيف يستغل قول ابن مسعود رضي الله عنه «وأمنائهم وعلمائهم» ليرمي جماعة التبليغ بالخيانة، زاعماً أنهم يفسدون عقائد الناس ويدعون للبدعة والشرك، وهذا منه عين التدليس والكذب وتحريف كلام السلف عن مواضعه؛ فالحقيقة التي يغفل عنها أو يتغافل هي أن "الأمانة" تتجسد فيمن يحمل همَّ هداية الخلق ويصرف أوقاته وماله لإخراج الناس من ظلمات المعاصي إلى أنوار الطاعة، بينما "الخيانة" الحقيقية تكمن فيمن يضلل الأمة ويدلس عليها الحقائق ويكذب على مخالفيه وينقل الأكاذيب دون تثبت، وهي الخصال التي اجتمعت في منهج هذا الطاعن الذي لا يقبل دفاع المرء عن نفسه، ويعمد إلى "التعميم" الجائر فيما حقه "التخصيص"، فيجعل زلة فردٍ أو خطأً تاريخياً موهوماً حكماً عاماً يسلطه على رقاب أمةٍ من الموحدين.

أما وصفه الشنيع بأن «جماعة التبليغ من شرار أهل البدع»، فهو قولٌ مجازف ينم عن جهلٍ فاضح وسوء أدبٍ مع واقع الأمة وعلمائها؛ إذ كيف يجرؤ على هذا الوصف وجماعة التبليغ قد مدحها وأثنى على جهودها أئمةٌ كبار وعلماءُ أجلاء لا يرقى الصومعي ولا طائفته لأن يكونوا تلاميذ في حلقاتهم؟ فهل كان الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين والشيخ الجزائري يمدحون "شرار الخلق"؟ أم أن هؤلاء الأكابر رأوا من صلاح هذه الجماعة وأمانتها في البلاغ ما عميت عنه بصيرة الغلاة؟ وزعمه بتبجيل الإمام إلياس ووضع قبره في المسجد هو محض افتراء وتدليس؛ فالقبر ليس في المسجد، والجماعة بريئة من الغلو في الأشخاص أو تشييد القبور، وما استدلاله بحديث «أولئك شرار الخلق» إلا تنزيلٌ للنصوص في غير محلها، ومحاولة بائسة لرمي أهل السنة والجماعة بصفات المشركين، مما يجعل الخيانة العلمية صفةً لازمة لمن يقتطع الحقائق ويحرف الكلم عن مواضعه، ويجعل من نفسه حكماً على القلوب والنيات، في حين يظل أهل التبليغ –بشهادة الواقع والعلماء المنصفين– أهل أمانةٍ في دعوة الناس لربهم، وأهل صدقٍ في نصحهم، لا يضيرهم من خذلهم أو افترى عليهم من أهل التجريح والتشنيع.

الحق أبلج وباطلكم لجلج :

ويستكمل الصومعي مسلسل التزييف في آخر محطاته، محاولاً إيهام القارئ بأن النجاة من الضلال تكمن في اتباع أحكامه الجائرة قال الصومعي : (فعليك أيها المسلم إذا كنت قد التبس عليك أمر هذه الجماعة أن تتركها بعد معرفتك عنها ماتقدم وإياك أن تبادر بعد معرفتك ما سبق بالطعن في علماء الأمة فهذه صفة مذمومة تدل على انهزام لدى القارئ الذي قد عرف ما عرف عنهم من الضلال ولكن عليك أن تحمد الله أن بصرك بالحق وأنجاك من الضلال وعليك أن تدعو لهم وتعرف حقهم فإنهم ضياء للأمة يبصرونها بدينها
ولذلك يقول أبو مسلم الخولاني رحمه الله: العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء إذا بدت للناس اهتدوا بها وإاذ خفيت عليهم تحيروا
وعن هلال ابن خباب رحمه الله قال: قلت لسعيد بن جبير يا أبا عبد الله ما علامة هلاك الناس قال: إذا هلك فقهاؤهم هلكوا
وعندما خرج عبد الله بن المبارك من بلده مرو قال قائلهم
إذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها نجمها وهلالها)

فيقول بلهجة الواعظ: «فعليك أيها المسلم إذا كنت قد التبس عليك أمر هذه الجماعة أن تتركها... وإياك أن تبادر بالطعن في علماء الأمة»، وهنا يكمن جوهر التدليس وقمة التلاعب بالألفاظ؛ إذ جعل الصومعي نفسه ومن وافقه في منهج "التجريح والتبديع" هم وحدهم "علماء الأمة"، وصوّر رد المظالم وتفنيد الأكاذيب بأنه "طعن في العلماء" و"انهزام لدى القارئ"! إن الحق أبلج وباطلكم لجلج، فمن الذي يطعن في علماء الأمة حقاً؟ أهو الذي يدافع عن الشيخ أبي بكر الجزائري وسماحة الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين والشيخ ابن جبرين الذين أنصفوا هذه الجماعة؟ أم هو الصومعي ومنهجه الذين أهدروا كرامة هؤلاء الأكابر ورموهم بـ "عمى البصيرة" و"المداهنة" لأنهم لم يوافقوهم على تبديع ملايين الموحدين؟

إن استشهاده بكلام أبي مسلم الخولاني بأن «العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء» هو استشهادٌ صحيح في موضعٍ باطل؛ فالنجوم التي يُهتدى بها هي التي تنشر نور الرفق والرحمة والبيان، لا التي تحرق الحرث والنسل بنيران التبديع والتفسيق، والعلماء الذين هم "ضياء للأمة" هم الذين يجمعون كلمتها على التوحيد، لا الذين يفرقون جماعتها ويمزقون شملها بإشاعة الأكاذيب. وأما أثر سعيد بن جبير: «إذا هلك فقهاؤهم هلكوا»، فهو حجةٌ على الصومعي وطائفته؛ لأن "هلاك الفقهاء" الحقيقي يكون بموت منهجهم القائم على التثبت

والعدل، وحلول منهج "الغلاة" محله، أولئك الذين يستحلون أعراض الدعاة ويقذفونهم بالشرك والبدعة بلا برهان. إننا نقول للصومعي: إن "نجم" الأمة وهلالها هم أولئك الذين أفنوا أعمارهم في تبليغ دين الله في أصقاع الأرض، فتاب على أيديهم العاصي، وأسلم على أيديهم الكافر، وليس "النجوم" هم الذين انزووا في زوايا التجريح يقتاتون على عثرات العاملين. إن الانتصاف للحق ودفع فرية المفترين ليس "انهزاماً"، بل هو "انتصارٌ" لمنهج السلف الصالح في الذب عن أعراض المؤمنين، والحمد لله الذي بصرنا بالحقيقة وأنجانا من ضلال الغلو والاعتداء، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

أهل الله والفرقة الناجية :

ويختم الصومعي افتراءاته بمحاولة أخيرة لصبغ منهجه الإقصائي بصبغة "الفرقة الناجية" و"الطائفة المنصورة"، مستشهداً بحديث الافتراق وأقوال أئمة السلف في أصحاب الحديث، كالإمام أحمد والبخاري وابن المبارك، ومن ثم يستشهد بأبيات الإمام الصنعاني في مدح أهل الحديث؛ فيقول : (فعليك أيها المسلم بهم فالزم عرزهم ودع عنك أهل الأهواء والبدع واعلم أن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم : افترقت اليهود علىإحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنيتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) رواه أبو دا ود وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم [1083].

ولكنه صلى الله عليه وسلم قد بين لنا الفرقة الناجية والطائفة المنصورة قال صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي امر الله رواه مسلم.

ولا شك ولا ريب أن هؤلاء هم أهل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين ساروا على خطاه ولذلك

يقول الإمام ابن المبارك : هم عندي أصحاب الحديث

ويقول الإمام البخاري : قال علي بن المديني هم أصحاب الحديث

وقال الإمام أحمد: إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم

وأختم هذه الورقات بأبيات علامة اليمن الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رحمه الله حيث قال وهو يصف أهل الحديث وطريقهم الذي سلكوه ومصدر التلقي والاستدلال عندهم.

سلام على اهل الحديث فإنني نشأت على حب الأحاديث من مهدي
هم بذلوا في حفظ سنة أحمد وتنقيحها من جهدهم غاية الجهـد
وأعني بهم أسلاف سنة أحمد أولئك في بيت القصيد هم قصـدي
أولئك أمثال البخاري ومسلم وأحمد أهل الجد في العلم والجـد
رووا وارتووا من بحر علم محمد وليست لهم تلك المذاهب مـن ورد
كفاهم كتاب الله والسنة التي كفت قبلهم صحب الرسول ذوي المجد)

وكل هذا سياقٌ حق أراد به الصومعي باطلاً وتدليساً، إذ يحاول حصر وصف "الفرقة الناجية" في فئته المحدودة التي لا همَّ لها إلا التبديع، مخرجاً منها جماعات المسلمين وعامتهم، وفي مقدمتهم أهل التبليغ والدعوة. والحقيقة التي ينبغي أن يعلمها كل مسلم هي أن أهل التبليغ هم في صلب الفرقة الناجية بإذن الله؛ لأنهم استقاموا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في أصل الدين وعظيم الشعائر، وهم أحرص الناس على اتباع السنة وتوقير أهل الحديث، بل إن جُلَّ نشاطهم هو تطبيقٌ عملي لما رواه أصحاب الحديث من وجوب البلاغ والنصيحة والرفق بالخلق.

إن استشهاد الصومعي بأبيات الصنعاني هو حجةٌ عليه لا له؛ فالصنعاني رحمه الله يمدح من "بذلوا في حفظ سنة أحمد وتنقيحها"، وأهل التبليغ في مدارسهم ومراكزهم العلمية في القارات الست هم من أكثر الناس اعتناءً بكتب الصحاح والسنن تدريساً وحفظاً، ومصدر تلقيهم هو "كتاب الله والسنة التي كفت" كما قال الصنعاني، بعيداً عن الفلسفات الكلامية أو المناهج البشرية المحدثة. إن محاولة الصومعي إخراج أهل التبليغ من دائرة "أهل السنة" هي محاولةٌ بائسة قامت على ركام من الأكاذيب والتحريفات التي فككناها ورددنا عليها في هذا الكتاب باباً باباً، حتى لم يبقَ لمفترٍ حجة؛ فقد بينا بطلان دعوى الشرك والقبورية، وكشفنا زيف تهمة الجهل والخيانة، وأثبتنا بالدليل القاطع أن هذه الجماعة هي "طائفة ظاهرية على الحق" بإحيائها لفرض البلاغ في زمنٍ سكت فيه الكثيرون.

إن "أهل الحديث" الحقيقيين هم الذين يعملون بالحديث ويخالطون الناس ويصبرون على أذاهم لهدايتهم، لا الذين انزووا خلف الشاشات والأوراق لتمزيق وحدة الصف الإسلامي.

وبناءً على كل ما سبق، فإننا نؤكد أن أهل التبليغ هم أهل الله وخاصته في هذا الزمان ببذلهم وجهدهم، وأنهم سائرون على خطى الأسلاف من أصحاب الحديث في تعظيم الوحيين والعمل بهما، وما تحريفات الصومعي إلا سرابٌ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، والحق أبلج والباطل لجلج، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

باب في بيان كذب أبي همام وطائفته على أهل الإسلام:

(**قال أبو همام**: ولعله ظهر لك جلياً أيها المسلم أن جماعة التبليغ جماعة منحرفة مخالفة للكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة واعلم وفقني الله وإياك أن الشيخ أحمد لم ينفرد بالكلام على هذه الجماعة فقد تكلم فيها علماء وجرحوها جرحاً مفسراً لا يدع مجالا للشك في قلب مؤمن أبداً إلا من لم يوفق للحق وحتى يطئمن قلبك.)

فادعاء الصومعي بأن الجماعة مبنية ومؤسسة على الشرك هو كذب صراح ومجازفة عقدية كبرى، حيث يُسقط آيات الوعيد التي نزلت في كفار قريش وعباد الأوثان على ثلة من المؤمنين الذين لا يسجدون إلا لله. إن أصل هذه الدعوة ولبّها هو الصفة الأولى (الكلمة الطيبة)، التي تُشرح عملياً بأنها إخراج اليقين الفاسد من القلوب على المخلوقات، وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله وأفعاله. وتتمثل الغاية من هذا الجهد في نقل الناس من التعلق بالمخلوق إلى التعلق بالخالق، مما يجعل وصفها بالمؤسسة على الشرك فرية يكذبها الواقع العيني في مساجد العالم الإسلامي. إنَّ وصف تزكية الشيخ أبي بكر الجزائري للجماعة بأنها محاربة لأهل السنة يمثل تطاولاً على رجل أفنى سبعين عاماً في تدريس عقيدة المؤمن ونشر السنة في أقدس البقاع.

وقد انطلق الشيخ الجزائري رحمه الله في حكمه من فقه الواقع والمعايشة الميدانية للملايين الذين تابوا وعادوا لتوحيد الله بفضل هذا الجهد، بينما اعتمد منتقدوه على أوهام ذهنية وصور مشوهة. إنَّ اشتداد النجمي على الشيخ الجزائري لم يكن لخلل في معتقده بل لمجرد سلكه مسلك الرفق والاحتواء، فاعتبر هذا اللين خيانة للتوحيد في مغالطة كبرى تحول الوسائل الاجتهادية إلى معارك عقدية وتكفير. ويصل هذا الخطاب إلى حد التألي على الله عبر نصب النجمي نفسه قاضياً يحكم بمصائر العباد في الآخرة ويقطع بسوء عاقبة عالم جليل، وهو تجاوز خطير للمقام الإلهي ومصادرة لرحمة الله التي وسعت كل شيء.

إنَّ منهج الصومعي في حشد أقوال السلف وتنزيلها على أهل السنة هو عين التبديع باللوازم ، وهو مسلك حذر منه الأئمة واعتبروه من خصال أهل الأهواء والزيغ. كما أن الاستناد إلى كتاب سيف الرحمن الدهلوي، وهو خصم لدود كرس حياته للهجوم على الجماعة، يسقط المنهجية النقدية لأن القاعدة العلمية تقرر أن كلام الأقران يُطوى ولا يُروى إذا قام على الخصومة. وتتجاهل محاولة حصر الدعوة في قالب الديوبندية واستخدامها كفزاعة لتنفير

الناس أن التبليغ فكر عالمي تجاوز حدود الجغرافيا، حيث يرجع المبلغ في بلادنا لعقيدة علماء بلده الموثوقين.

والواقع الميداني يثبت براءة الجماعة من تهم القبور والخرافة، إذ لم يُؤثر قط عن ملايين الخارجين في سبيل الله أنهم يدعون لقبور أو ينطقون بكفريات، بل يركز خطابهم العملي على عظمة الخالق واليقين عليه وإقامة الصلاة. التيار الذي يهاجم هؤلاء الدعاة يبرز ك صقور عليهم بينما ينخرس أمام طغيان العلمانية والليبرالية والفجور الحقيقي في المجتمع، مما يثبت أن المحرك هو الخصومة الحزبية والضيق بالرموز المقبولة وليس الغيرة الصادقة على التوحيد. وسيظل جهد التبليغ وسيلة لإحياء الإيمان ورد العصاة، بينما تبقى ردود الغلاة شاهدة على منهج يفتت الأمة بالظنون الكاذبة التي لا تصمد أمام فقه الإنصاف والواقع المشهود.

الرد على من زعم أن أناسا من أهل التبليغ تكلموا في الدعوة بعدما فارقوها:

وفي محاولة بائسة من الصومعي يحاول أن يتظاهر بأنه يضرب المنهج الدعوي بمن خبره وسبره ليضلل القارىء المسكين الذي لن يبحث عما كتب ولن يفتش فيه ولن يحاكمه للحق والمنطق ! فيقول : - (سأذكر لك ثلة من هؤلاء العلماء الذين تكلموا في هذه الجماعة . فأقول وبالله التوفيق.

أقوال أناس كانوا في جماعة التبليغ

يقول الشيخ احتشام الحسن الكاندهلوي الديوبندي وهو متزوج أخت محمد إلياس ويعتبر خليفته الأول:

إن الدعوة المنبثقة من مركز نظام الدين دهلي حسب علمي وفهمي ليس موافقة للكتاب والسنة ولا لمنهج مجدد الألف الثاني ولا للشاة ولي الله الدهلوي وعلماء الحق فعلى العلماء والمشايخ الذين يقومون بهذه الدعوة والتبليغ أن يجعلوها أولاً قبل كل شيء وفقاً للكتاب والسنة ووفقاً لطريقة السلف الصالح وعلماء الحق وبعيد عن فهمي وعقلي جداً أن يكون العمل الذي كان في منزلة البدعة الحسنة عندما كان التقيد البالغ بالأصول والمبادئ في حياة الشيخ محمد إلياس فكيف يقال فيه الان أنه من أهم الأمور الدينية مع وجود المبالغة في عدم التقيد بالأسس والقواعد وبعد أن تسربت إلى هذا العمل منكرات واختلط الحابل بالنابل فلا يمكن القول فيه أنه بدعة حسنة وقصدي بهذا أداء المسؤولية فحسب كتاب زندكي كي صراط مستقيم

[بواسطة كتاب جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية ص 425].)

إنَّ المتأمل في كلام الشيخ احتشام الحسن الكاندهلوي يجد فيه تناقضاً منهجياً واضطراباً في التصور يكشف عن خلل في بناء الحكم على الجماعات. فأول أوجه الغلط والتناقض هو وصفه للعمل في عهد المؤسس بأنه كان في منزلة البدعة الحسنة ، وهذا اصطلاح مضطرب؛ إذ كيف يكون العمل الدعوي المستمد من حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أمته بدعة ولو وسمت بالحسنة؟ ثم إنَّ دعواه بأن العمل انحرف بعد وفاة المؤسس هي دعوى تفتقر إلى البرهان؛ لأن الوسائل الدعوية والمنهج الحركي القائم على الأصول الستة لم يتغير جوهره، والزمن ليس معياراً لتحول الحق إلى باطل ما دامت الأصول ثابتة.

وإن صحَّ ما نقله هذا الرجل، فإنَّ الرد عليه يأتي من وجوه علمية وواقعية، أولها: أننا لم نرَ نحن ولا ملايين المسلمين ما رآه هو . فلقد عايش الملايين هذه الدعوة في مشارق الأرض ومغاربها لعقود طويلة، ولم يجدوا فيها إلا إحياءً للمساجد، وتعظيماً للتوحيد، وحثاً على الصلاة واتباع السنة، ولم يلمسوا تلك المنكرات التي ادعى تسربها، مما يجعل كلامه حكماً انطباعياً نابعاً من بيئة ضيقة لا يمكن تعميمه على حركة عالمية.

والوجه الثاني في الرد هو: أنَّ الغلط إن وقع في مكان ما أو من فرد ما، فإنه يُرد على قائله ولا تُلزم به الجماعة قاطبة . فمن أبجديات العدل والإنصاف ومقتضى قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى ألا يُحاسب الملايين في أقطار الأرض بتبعات أخطاء مفترضة في مركز معين أو بيئة عرقية محددة؛ فالعبرة بالمنهج المعلن المتبع للغالبية، لا بالهنات الفردية التي لا يسلم منها جهد بشري.

والوجه الثالث هو: أنَّ أهل التبليغ لا يتدخلون في الخلافيات ولا القضايا الشائكة، وغايتهم هي فضائل الأعمال، ولا مجال هنا للغلط العقدي الكبير الذي يصوره الخصوم . فمنهجهم يقوم على المجمع عليه من أركان الإسلام، ويبتعد عن معارك الكلام والسياسة التي تفرق الأمة، وهذا المسلك العملي البسيط هو صمام أمان يحمي الدعوة من الانزلاق في البدع الكبرى التي يرميهم بها المرجفون.

أما الوجه الرابع، فإنَّ الكلام العام والتهييج وتخطئة الغير من غير ذكر أدلة تفصيلية وموثقة هو مسلك يحسنه كل أحد، لكنه لا قيمة له في ميزان النقد العلمي . فالشيخ احتشام استخدم عبارات مطاطة مثل اختلط الحابل بالنابل ومخالفة لعلماء الحق دون أن يسند ذلك ببيان مادي واحد من واقع المواعظ أو الكتب المعتمدة، وهذا يثبت أنَّ محرك النقد قد يكون خصومات

شخصية أو كلام أقران يطوى ولا يروى، خاصة وأنه اعتمد على فهمه وعقله الشخصي بدلاً من منهج التثبت الشرعي.

ويُضاف إلى ذلك، أنَّ الاستدلال بكلامه لمجرد كونه صهر المؤسس هو نوع من تأليه الرجال وتقديم القرابة على الحقيقة . فالحق لا يُعرف بالرجال ولا بالنسب، بل الرجال والآراء تُعرف بعرضها على الكتاب والسنة؛ وواقع الملايين الذين اهتدوا وتابوا وعمروا المساجد بفضل هذه الدعوة هو الحجة البالغة التي تدمغ كل دعوى تدعي أنَّ هذا الجهد لا خير فيه أو أنه منحرف. إنَّ منهج الجبن الانتقائي في النقد الذي يمارسه هؤلاء، عبر نبش التاريخ لمحاكمة الأحياء، هو الذي يورث الفرقة ويخدم أعداء الملة بتمزيق وحدة الصف المؤمن.

الرد على تكفير سيف الرحمن الدهلوي لأهل الإسلام :

(قال الشيخ **سيف الرحمن بن أحمد الدهلوي** ولقد صدق من قال أن يهود هذه الأمة هم الشيعة وأن يهود أهل السنة هم المقلدون الجامدون وخاصة بعض الأحناف أمثال هؤلاء التبليغيين الذين يناصرون الجهل والتقليد الجامد وعبادة الكبراء وتعظيمهم والخضوع لهم ويروجون البدعة في المسلمين ويوجبون على المسلمين ما لم يوجبه الله ويشرعون لهم مالم يشرعه الله ولا رسوله وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الإسلام وقال : إن الله احتجر التوبة على كل صاحب بدعة .)

إنَّ التمعن في تكفير سيف الرحمن الدهلوي لأهل الإسلام يكشف عن انحرافٍ منهجيٍ خطير وتجرؤٍ غير مسبوق على حرمات الموحدين، حيث يمثل قوله إنَّ يهود هذه الأمة هم الشيعة ويهود أهل السنة هم المقلدون والتبليغيون ذروة الفجور في الخصومة والجناية على أمة محمد صلى الله عليه وسلم. إنَّ هذا الوصف الشنيع وتشبيه المسلمين المصلين باليهود هو مسلكٌ باطلٌ شرعاً وعقلاً، ينم عن جهلٍ بمقاصد الشريعة وضوابط التكفير، حيث عمد الدهلوي إلى إسقاط أوصاف الكفر والضلال على ملايين المسلمين الذين يملؤون المساجد ركوعاً وسجوداً لمجرد اختلافهم معه في طريقة الدعوة أو التزامهم بمدرسة فقهية معينة كالأحناف. إنَّ هذا الاندفاع في التكفير يمثل خروجاً صارخاً عن جادة أهل السنة والجماعة الذين يفرقون بين الخطأ في الوسيلة والفساد في العقيدة، بينما جعل الدهلوي من التقليد الفقهي أو الانتساب الدعوي مبرراً لإخراج الناس من الملة ووصمهم بأبشع الأوصاف، وهو ما يُعد رِجماً بالغيب ومصادرة لحق الموحدين في عصمة دمائهم وأعراضهم التي صانها قول لا إله إلا الله.

ولا يخفى فساد هذا المسلك في كونه يخلط خلطاً شنيعاً بين المسائل الاجتهادية في وسائل الدعوة وبين أصول الدين ومحكماته؛ فاعتبار مخالفيه أهل بدعة لمجرد أنهم في تنظيم دعوي مختلف أو يسلكون طريقاً توفيقياً في استنهاض الهمم نحو المساجد هو نوع من الإرهاب الفكري الذي يضيق رحمة الله التي وسعت كل شيء. إنَّ الحقيقة التي يحاول الدهلوي طمسها هي أنَّ هؤلاء الموحدين الذين يرميهم باليهودية هم أكثر الناس وقوفاً في وجه الإلحاد والتبعية، ولبّ دعوتهم هو الصفة الأولى الكلمة الطيبة التي تعني عندهم إخراج اليقين الفاسد من القلوب وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله وأفعاله، فكيف يستقيم في عقل عاقل أن تكون جماعة غايتها تجريد التوحيد يهودية المنهج؟ إنَّ هذا التيار الذي يمثله سيف الرحمن يعتمد على لعبة تدوير الأكاذيب ونقل الأقران لبعضهم البعض دون تثبت ميداني، متجاهلين أنَّ الحكم على الجماعات يكون من واقع أفعالها المشهودة لا من الأوهام الذهنية التي يصنعها المفتونون بالتصنيف.

وإنَّ لهذا الخطاب التكفيري أثراً تدميرياً على الشباب؛ إذ يربيهم على التجرؤ على كبار علماء الأمة وإسقاط القامات العلمية لمجرد مخالفتهم في الرأي، مما ينشئ جيلاً من الشيوخ الذين لا جذور علمية لهم ولا تأصيل منهجي سوى لغة التحذير والتبديع. إنَّ هذا المسلك يربي في نفوس الناشئة روح الإقصاء والتعصب الأعمى، ويحولهم من دعاة هداية إلى صقور كواسر تنبش في عيوب المصلين وتترك أهل الأوثان والفجور الحقيقي في المجتمع، مما يفتت وحدة الصف الإسلامي ويخدم أعداء الملة بتمزيق جسد الأمة من الداخل. إنَّ استخدام نصوص الوعيد والآيات التي نزلت في المشركين لسحق المخالفين الدعويين هو جبن انتقائي يثبت أنَّ المحرك ليس الغيرة على التوحيد بل هو الخصومة الحزبية والضيق بكل جهد إسلامي ناجح خارج إطارهم الضيق.

إنَّ ردنا على هذه المجازفات العقدية مضبوط بالتمسك بمنهج الإنصاف الذي يرى الحسنات ويمحو بها السيئات، واليقين بأنَّ الحق لا يُعرف بالرجال والتسميات بل الرجال يُعرفون بالحق. وسيظل جهد التبليغ وسيلة لإحياء الإيمان ورد العصاة مهما حاول الغلاة شيطنته، وستبقى كلمات سيف الرحمن الدهلوي شاهدة على منهج اللف والدوران الذي يبني أحكاماً قطعية فوق رمال متحركة من الظنون، وجناية مستمرة على حرمة الموحدين وتألياً على الله في الحكم بمصائر عباده، وهو مسلك يفسد الدين والدنيا ويقطع أواصر الأخوة الإيمانية بالباطل والعدوان.

تجاهل الصومعي المتعمد لكلام أهل التبليغ في الهند وباكستان وإبرازه لأهل فرقته الغلاة :

(**أقول** أيها الأخ المسلم هؤلاء عاشوا في الباكستان بل هم من أهلها ورأوا من هذه الجماعة وفضحوها سيما **الشيخ احتشام فهو متزوج أخت الشيخ محمد إلياس وخليفته ومن المقربين إلى الشيخ** فكيف يأتي رجل من جماعة التبليغ من اليمن أو السودان أو السعودية أو غيرها من الدول ثم يقول جماعة التبليغ لا توجد عندها خرافات أو بدع أو شرك فهل هذا كلامه مقدم أي الغريب أم كلام احتشام الحسن بلدي محمد الياس لا شك ان كلام احتشام وسيف الرحمن مقدم على غيرهما لأنهما أخبر وأدرى من الغريب الذي يمكث في باكستان الشهر أو الشهرين ثم يرحل .)

إن المتأمل في منهج الصومعي في نقده لجماعة التبليغ يلحظ اتكاءً كلياً على قاعدة أهل مكة أدرى بشعابها لكنه وظفها هنا توظيفاً انتقائياً يفتقر إلى الموضوعية العلمية، فادعاؤه بأن قول أفراد قليلين من الهند أو باكستان ممن انشقوا عن الجماعة أو انتقدوها يعتبر حجة مطلقة ومقدماً على شهادة الملايين من أبنائها، هو استدلال بمحل النزاع وليس حجة عليه. إن الاعتبار في نقد الجماعات والمنظمات الدعوية يجب أن يقوم على الأصل العام والممارسات المطردة، لا على النقل المجرد عن أفراد قد تكون لديهم خصومات شخصية أو رؤى ذاتية لا تمثل المنهج العام للجماعة. فإذا كان الشيخ إحتشام الحسن صهراً لمحمد إلياس، فإن القرابة والبيئة الواحدة لا تعني بالضرورة العصمة من الخطأ في التوصيف أو التجرد من دوافع الخلاف الإنساني، وتجربة الواقع أثبتت أن كثيراً من المنشقين عن الحركات الدعوية قد يجنحون للمبالغة في نقدها لإثبات صحة موقفهم الجديد.

والرد على هذا الافتئات يكمن في إدراك أن الحق لا يعرف بالرجال بل يعرف الرجال بالحق، فشهادة الغريب الذي زار باكستان أو السودان أو اليمن وجالس القوم ورأى بأم عينه تجردهم من البدع والشركيات هي شهادة عيان معتبرة لأنها خالية من رواسب الصراعات المحلية داخل القارة الهندية. هؤلاء الدعاة الذين يتجاهلهم الصومعي هم آلاف مؤلفة، وعملهم قائم على نشر التوحيد والأخلاق في أصقاع الأرض، فكيف يهدر كلامهم ويضرب به عرض الحائط مقابل أفراد معدودين؟ إن هذا المنهج في الاستدلال يؤدي إلى إسقاط كل العمل الإسلامي، إذ لا توجد جماعة إلا ولها منتقد من بني جلدتها.

علاوة على ذلك، فإن دعوى وجود الشركيات والكفريات في صلب منهج القوم تردها آلاف الساعات الصوتية والمؤلفات المنشورة والممارسات العملية المشاهدة في المساجد والمراكز الدعوية حول العالم، حيث لم يسجل التاريخ المعاصر عنهم دعوة لغير الله أو ممارسة لطقوس وثنية كما يصور الغلاة. إن صمت الجماعة عن الرد على هذه الاتهامات ليس إقراراً بها، بل هو انشغال بالأهم عن المهم، وترفع عن الدخول في مهاترات جدلية تعيق مسيرة الدعوة التي تركز على إخراج الناس من الغفلة إلى الطاعة. فالأصل في الشهادة هو العدالة والضبط ، وهؤلاء الدعاة الذين شهدوا بسلامة منهج الجماعة هم عدول في دينهم، وشهادتهم مقدمة لأنها تتفق مع الواقع العملي المشاهد والمنشور، بينما تبقى دعاوى الصومعي ومن استشهد بهم مجرد دعاوى عارية عن الدليل الملموس، وتفتقر إلى استقراء كامل للمنهج الكلي للجماعة، مما يجعل رده من قبيل التعميم الخاطئ الذي لا يستقيم في موازين النقد العلمي الرصين.

انتقائية الصومعي وفرقته في اعتبار أقوال المجرحين وتجاهل أقوال المعدلين :

إن ما يمارسه الصومعي ومنهجه في حصر الحقيقة في أقوال أفراد معدودين هو تجسيد لظاهرة الانتقائية المقيتة التي تخدم حكماً مسبقاً ولا تبحث عن الحق بإنصاف، فاعتبار قول المجرح المنشق حجة دامغة وإسقاط شهادة الآلاف من المخالطين الثقات هو قلب لموازين النقد العلمي الرصين. إن هذه الطريقة في الاستدلال تكشف عن هوى النفس بوضوح، حيث يتم تضخيم صوت الفرد الواحد إذا وافق مشربهم في التجريح، ويتم إخراس صوت الجموع الغفيرة إذا شهدت بالعدل والإنصاف، مما يجعل المنطق لديهم وسيلة للإقصاء لا أداة للفهم.

والحق أن من يدافع عن جماعة التبليغ اليوم لا يتكلم عن عاطفة مجردة، بل يتكلم بعلم الاستقراء والمخالطة الطويلة التي امتدت لسنوات، فالمدافع الذي جالس شيوخ الجماعة وحضر مجالسهم العامة والخاصة وسافر معهم في أقطار الأرض هو الأحق بأن توصف شهادته بالعلمية والضبط، لأنه لم يجد في واقعهم العملي ولا في مروياتهم الصوتية والخطابية أي أثر لتلك المكفرات أو الشركيات المدعاة. فكيف يقدم قول رجل غاضب أو منشق ربما تحكمت فيه خصومة شخصية، على قول عالم أو داعية مخالط لم يرَ طوال عقود إلا الدعوة إلى التوحيد والتمسك بالسنة والزهد في الدنيا؟

إن الشهادة المعتبرة شرعاً وعقلاً هي التي تستند إلى الواقع المطرد لا إلى الشذوذ النادر ، والواقع المشاهد في مساجد التبليغ ومراكزهم يخلو تماماً من مظاهر الغلو أو صرف العبادة

لغير **الله**، بل إن منهجهم يقوم أصلاً على تعظيم جناب التوحيد في القلوب. وتجاهل الصومعي لهذه الحقائق الساطعة وإصراره على استدعاء نصوص قديمة أو أقوال محرفة لأفراد غادروا الجماعة منذ زمن بعيد، إنما هو نوع من الحيدة عن الحق ومحاولة بائسة لتشويه صورة أهل الدعوة، فالأصل في المسلم السلامة، ومن ثبتت عدالته بيقين الدعوة والعمل لا يرتفع عنه هذا اليقين بشكوك ومفتريات آحاد الناس، خاصة إذا كانت تلك الافتراءات تصادم المعلوم من حالهم بالضرورة لكل من خالطهم بصدق وتجرد.

التعقيب على فهم الصومعي السقيم لفتوى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله :

إن اللغط الذي وقع فيه الصومعي، ومن يسير على نهجه من غلاة السلفية العصرية المعروفة بالمدخلية، يمثل حالة نموذجية من العمى الأيديولوجي الذي يُسقط الحقائق التاريخية لصالح الخصومة الحزبية؛ حيث تعاملوا مع فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله بتسطيح مخل، فجعلوا من اشتراك الأسماء دليلاً على وحدة المسمى ، متجاهلين عمداً أن الأسماء الواردة في الفتوى (القادري ونوراني) هي لرموز المدرسة البريلوية الصوفية التي تناصب جماعة التبليغ (الديوبندية) العداء التاريخي وتكفرها. إن هذا الإسقاط المتعمد على أناس آخرين لا علاقة لهم بمضمون الفتوى ولا بطلب المساعدات من الديوان الملكي، يكشف عن منهج يقوم على تصيد المتشابهات لضرب الخصوم، وتجاهل المحكم من واقع الجماعة المشهود في محاربة القبور والبدع، وهو مسلك لا يستقيم مع الأمانة العلمية التي تقتضي تبيين سياق الفتوى وأعيان المفتى فيهم قبل تعميم الحكم وتأثيم الأبرياء.

هذا المسلك الإقصائي لم يتوقف عند خلط الأسماء، بل امتد ليشمل الحجر على عقول الأتباع عبر تجاهل كل من ينكر هذا الخلط من كبار العلماء والمخالطين، فغضوا الطرف تماماً عن شهادات تلامذة الشيخ محمد بن إبراهيم الخلص، كابن باز وابن جبرين، الذين أثبتوا بطلان هذا الربط التعسفي، مما يؤكد أن القضية لدى هذه الفرقة ليست بحثاً عن صفاء العقيدة بقدر ما هي تصفية حسابات مع كل جهد دعوي لا يخضع لإملاءاتهم الضيقة. إن تقديم قول فرد مجرح منشق، على شهادة آلاف العدول من الدعاة والمربين الذين خالطوا الجماعة لسنوات ولم يروا فيها إلا التوحيد، هو دليل قاطع على تقديم هوى النفس والتعصب المقيت على موازين الجرح والتعديل الشرعية، حيث صار الجرح عندهم شهوة تطلب لذاتها، وصار النقد وسيلة للهدم لا للبناء، متناسين أن الظلم ظلمات يوم القيامة، وأن رمي جماعة دعوية بالشرك بناءً على تشابه أسماء هو فرية عظيمة سيسألون عنها أمام الله.

لقد تحولت هذه الفتوى في يد الصومعي وفرقته إلى قميص عثمان يلوحون به في كل محفل لتبرير غلوهم، متجاهلين أن الواقع العملي للتبليغيين في الهند وباكستان والعالم ينطق بخلاف ما يدعون، فصوتياتهم ومنشوراتهم تطفح بالتحذير من البدع، وحياتهم قائمة على الزهد والتعفف عن سؤال الناس، بينما تصر هذه الفرقة على حبسهم في إطار فتوى صدرت ضد خصومهم الصوفية قبل عقود؛ وهذا النوع من التضليل العلمي لا يخدم إلا أعداء الإسلام،

لأنه يفتت وحدة الصف الإسلامي ويشغل الدعاة بصراعات وهمية بنيت على فهم سقيم وتصورات مغلوطة، نابعة من ضيق أفق لا يرى الحق إلا في دائرة ضيقة من الأشخاص الذين وافقوا أهواءهم في التبديع والتفسيق.

يقول الصومعي ((والآن إليك أيها المسلم أقوال كبار علماء أهل السنة والجماعة

رسالة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية

موجهة إلى الديوان الملكي ونصها ما يلي:

من محمد بن إبراهيم إلى حضرة السمو الملكي الأمير خالد بن سعود رئيس الديوان الملكي الموقر

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته وبعد :

تلقيت خطاب سموكم رقم 5/4/37 - د في 1382/1/21هـ وما برفقه وهو الالتماس المرفوع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم من محمد عبدالحامد القادري، وشاه أحمد نوراني وعبد السلام القادري وسعود أحمد دهلوي حول طلبهم المساعدة في مشروع جمعيتهم التي سموها **كلية الدعوة والتبليغ** الإسلامية وكذلك الكتيبات الثلاثة المرفوعة ضمن رسالتهم وأعرض لسموكم ان الجمعية لا خير فيه فإنها جمعية بدعة وضلالة وبقراءة الكتيبات المرفقة بخطابهم وجدناها تشمل على **الضلال والبدعة والدعوة إلى عبادة القبور والشرك** الأمر الذي لا يسع السكوت عنه ولذا فسنقوم إن شاء الله بالرد عليها بما يكشف ضلالها ويدفع باطلها ونسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته

حرر في 1382/1/29هـ [فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم].) انتهى .

إن ما وقع فيه الصومعي في هذا الاستدلال يمثل سقطة علمية مريعة وخللاً فادحاً في الأمانة النقلية، إذ إن الفتوى التي استشهد بها للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله لا علاقة لها من قريب أو بعيد بجماعة التبليغ المعروفة (جماعة الشيخ محمد إلياس)، بل هي موجهة ضد جماعة صوفية طرقية تسمى جمعية الدعوة والتبليغ الإسلامية ومقرها كراتشي، وكان يتزعمها الشاه أحمد نوراني والقادري، وهم من خصوم جماعة التبليغ المشهورة أصلاً. إن التباس الأسماء لا يسوغ لطالب علم، فضلاً عن شيخ يتصدر للفتوى، أن يخلط بين كيانين مختلفين تماماً في المنهج والمشرب، فجماعة التبليغ المشهورة لا تمتلك كليات ولا جامعات، ولا تطلب مساعدات مالية لمشاريع إنشائية من الديوان الملكي، ومنهجها في الهند وباكستان قائم

على محاربة الاستغاثة بالقبور، بينما الجماعة التي عناها الشيخ محمد بن إبراهيم في فتواه هي جماعة صوفية قبورية صريحة، وهذا الفهم السقيم من الصومعي هو محاولة يائسة لليّ عنق النصوص التاريخية لتوافق خصومته الشخصية.

أما استعلاء الصومعي بعبارة علماء أهل السنة والجماعة وحصرها في فئته الضيقة، فهو مسلك إقصائي غالي، يخرج الملايين من دائرة السنة لمجرد خلاف في الوسائل الدعوية أو المناهج الإصلاحية. إن أهل السنة والجماعة هم سواد الأمة الأعظم الذين يتبعون الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وليسوا حكراً على جماعة بعينها أو قطر بذاته، فكيف يصادر الصومعي هذا اللقب العظيم ويحرم منه آلاف العلماء والدعاة من جماعة التبليغ الذين قضوا أعمارهم في الدعوة إلى الله ونشر الفضيلة في أقاصي الأرض؟ إن هذا التحجير لواسع فضل الله يعكس عقلية الفرقة الناجية بمفهومها الضيق الذي لا يرى الحق إلا في مرآته الخاصة، وهو مسلك يخالف منهج السلف الصالح الذين كانوا يتسع صدرهم للخلاف ويسعون لجمع الكلمة لا لتفريقها وتبديع المخالفين بغير حق.

إن الرد على هذا التضليل يتطلب كشف الحقائق التاريخية الموثقة، ففتوى الشيخ محمد بن إبراهيم مؤرخة في عام 1382هـ، والأسماء المذكورة فيها (القادري ونوراني) هم رؤوس الطريقة القادرية في باكستان، وهم أبعد ما يكونون عن جماعة التبليغ التي يهاجمها الصومعي. فإذا كان الصومعي يجهل هذا الفرق الجوهري فهي مصيبة في علمه، وإن كان يعلمه ويتعامى عنه ليوهم أتباعه بضلال الجماعة فهي خيانة للأمانة العلمية. إن هذا النوع من التدليس الثقافي يسقط هيبة النقد ويجعل حجج الغلاة تنهار أمام أول فحص موضوعي، ويبقى الحق أبلج والباطل لجلج، وتبقى شهادة المخالطين المنصفين للتبليغ بعلم وعدل هي الميزان الصادق في الحكم على الرجال والجماعات.

أقوى حجة ترد على الصومعي بخصوص تلك الفتوى المنسوبة للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله:

إن من أقوى الحجج التي تدحض تأويلات الصومعي السقيمة لفتوى الشيخ محمد بن إبراهيم هي شهادة أخص تلامذته وأعرف الناس بمقاصده ومنهجه، وعلى رأسهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، الذي لازم الشيخ محمد بن إبراهيم لسنوات طويلة وكان يدرك تمام الإدراك الفرق بين الجمعيات الصوفية التي حذر منها شيخه وبين جماعة التبليغ التي كان

الشيخ محمد بن إبراهيم نفسه يثني عليها ويدعمها في مراحلها الأولى. لقد أثبت الشيخ بن باز في فتاويه وكلماته المشهودة أن الشيخ محمد بن إبراهيم مات وهو يرى في جماعة التبليغ خيراً كثيراً ونفعاً للأمة، بل إن الشيخ بن باز نفسه استمر على نهج شيخه في دعمهم وتوجيههم لسنوات طويلة، مؤكداً أن الأخطاء التي قد تقع من بعض أفرادهم لا تخرجهم عن دائرة أهل السنة والجماعة، بل تُعالج بالنصح والتوجيه لا بالتبديع والإقصاء.

وفي ذات السياق، تأتي شهادة الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله، وهو العالم الورع الذي عُرف بدقته وإنصافه، ليؤكد أن الشيخ محمد بن إبراهيم كان يشجع هذه الجماعة ويحث على التعاون معها لما رآه من أثرها العظيم في هداية العصاة وإدخال غير المسلمين في الإسلام. إن الشيخ بن جبرين أوضح بجلاء أن تلك الفتوى التي يتمسك بها الغلاة إنما كانت في أقوام بأعيانهم وبسبب كتب محددة قدمت للشيخ تشتمل على طوام عقدية لا يقرها أهل التبليغ المعروفون، ومن ثم فإن تعميم الفتوى على الجماعة قاطبة هو جناية على العلم وعلى الشيخ محمد بن إبراهيم نفسه. فكيف يغيب عن الصومعي أن تلاميذ الشيخ الكبار، الذين ورثوا علمه وفهموا مراده، قد أثبتوا دعمه للجماعة، بينما ينفرد هو بفهم شاذ يحاول من خلاله ضرب الجماعة بفتوى لا تخصها؟

إن إصرار الصومعي على تجاهل شهادة ابن باز وابن جبرين، وهما من كبار علماء السنة الذين عاصروا الشيخ محمد بن إبراهيم وعرفوا خبايا الفتاوى وسياقاتها، هو دليل قاطع على الانتقائية واتباع الهوى. فالميزان العلمي يقتضي تقديم فهم التلاميذ الكبار لمراد شيخهم على فهم من جاء بعدهم بعقود ليوظف النصوص في خصوماته الحزبية. لقد أثبت هؤلاء الأعلام أن منهج الشيخ محمد بن إبراهيم كان يقوم على تشجيع كل جهد دعوي يخدم الإسلام ويجمع الكلمة، وأن محاولات الغلاة لتصويره كخصم لدود لجماعة التبليغ هي محض تزوير للتاريخ ومجافاة للحقائق التي دونها تلامذته في سيرته العلمية والعملية.

لا أحد من الأسماء المذكورة في الرسالة ينتمي لحركة التبليغ والدعوة :

بالبحث في تراجم هذه الأسماء يكشف بوضوح حجم التدليس أو الجهل الفاضح الذي وقع فيه الصومعي، فهذه الشخصيات ليست فقط بعيدة عن جماعة التبليغ المشهورة، بل هي من أشد خصومها تاريخياً وعقدياً وفكرياً، وإليك تفصيل خلفياتهم التي توضح هويتهم الحقيقية:

فشاه أحمد نوراني (1926 - 2003م) هو الشخصية الأبرز في هذه القائمة، وهو زعيم جمعية علماء باكستان ورئيس الطريقة القادرية هناك. يعتبر نوراني من كبار أقطار المدرسة البريولوية ، وهي مدرسة صوفية غالية في القارة الهندية تشتهر بعبادة القبور والاستغاثة بالأولياء وتبديع وتكفير من يخالفهم (وعلى رأسهم جماعة التبليغ). كان عضواً في البرلمان الباكستاني ومنخرطاً في السياسة حتى أذنيه، وهذا يناقض منهج جماعة التبليغ التي ترفض العمل السياسي الحزبي تماماً.

وأما محمد عبد الحامد القادري وعبد السلام القادري ، فهما من أركان الطريقة القادرية البريولوية أيضاً، ولقب القادري الملحق بأسمائهم هو نسبة للطريقة الصوفية، بينما جماعة التبليغ (الديوبندية) لا يتسمون بهذه الألقاب الطرقية في تعريفهم الرسمي بدعوتهم. هؤلاء كانوا يسعون لإنشاء مؤسسات أكاديمية صوفية تحت مسمى كليات الدعوة والتبليغ لنشر المذهب البريولوي القائم على تقديس الأضرحة، وهو ما جعل الشيخ محمد بن إبراهيم يصف مشروعهم بجمعية بدعة وضلالة لأن كتبهم كانت تدعو صراحة للشرك.

وسعود أحمد دهلوي هو الآخر من الشخصيات المرتبطة بهذا التيار الصوفي الحزبي في باكستان، وكان ضمن الوفد الذي يطلب الدعم المالي لبناء الكلية المذكورة. ومن المعلوم بالضرورة أن جماعة التبليغ (جماعة الشيخ محمد إلياس) لديها قاعدة صارمة وهي عدم طلب المال من أي جهة حكومية أو رسمية، بل يعتمدون على نفقاتهم الخاصة، فكيف ينسب الصومعي طلباً مالياً للديوان الملكي لجماعة من أصول منهجها التعفف عن طلب المساعدات؟

لماذا يعتبر استدلال الصومعي بهم تدليسا وخيانة علمية ؟

للاسباب التالية ،

التناقض العقدي الواضح بين الجانبين : فهؤلاء (القادري ونوراني) يرون أن جماعة التبليغ وهابية وكفار، وجماعة التبليغ ترى أن هؤلاء قبوريون ومبتدعة، فكيف يستدل الصومعي بفتوى ضدهم ليضرب بها خصومهم؟

اختلاف المسمى واضح : فالفتوى تتحدث عن جمعية لها كلية و مشاريع إنشائية ، وجماعة التبليغ ليست جمعية مسجلة ولا تملك كليات ولا مشاريع لطلب الهبات.

تضليل القارئ بالتدليس: الصومعي استغل تشابه كلمة التبليغ في اسم جمعيتهم الصوفية ليوهم الناس أنها جماعة التبليغ المشهورة، وهذا يشبه من يستدل بفتوى ضد مسيلمة الكذاب ليطعن في الصحابة لمجرد أن كلاهما من العرب!

فهؤلاء الأربعة الذين ذكرهم الشيخ محمد بن إبراهيم هم رموز التصوف الجلدي في باكستان، وفتوى الشيخ فيهم كانت في محلها تماماً لأنهم دعاة شرك وبدعة، ولكن إقحام جماعة التبليغ في هذه الفتوى هو محض افتراء وتزوير لا يصدر إلا عن صاحب هوى غلبه الغلو حتى أعمى بصيرته عن بديهيات التاريخ والواقع.

التعقيب على فهم الصومعي السقيم لفتوى الشيخ بن باز رحمه الله :

قال الصومعي : - (وسئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز سؤالاً ونصه ما يلي:

س/ خرجت مع جماعة للهند وباكستان وكنا نجتمع ونصلي في مساجد يوجد بها قبور وسمعت أن الصلاة في المسجد الذي يوجد به قبر باطلة فما رأيكم في صلاتي وهل أعيدها وما حكم الخروج معهم لهذه الأماكن ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

ج : أما بعد فإن جماعة التبليغ ليس عندهم بصيرة في مسائل العقيدة فلا يجوز الخروج معهم إلا لمن لديه علم وبصيرة بالعقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة حتى يرشدهم وينصحهم ويتعاون معهم على الخير لأنهم نشيطون في عملهم لكنهم يحتاجون إلى المزيد من العلم وإلى من يبصرهم من علماء التوحيد والسنة رزق الله الجميع الفقه فيه والثبات عليه أما الصلاة في المساجد التي فيها القبور فلا تصح والواجب عليك إعادة ما صليت فيها لقول النبي صلى الله عليه وسلم : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني انهاكم عن ذلك أخرجه مسلم في صحيحه والأحاديث في هذا الباب كثيرة وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.)

إن ما أورده الصومعي هنا يمثل حلقة أخرى من مسلسل الاجتزاء والتوظيف المغرض لكلام العلماء، حيث استغل فتوى فقهية للشيخ ابن باز رحمه الله كانت تجيب على واقعة محددة وهي (الصلاة في مساجد فيها قبور)، ليجعل منها صك إدانة كلياً وتجريحاً عاماً لجماعة التبليغ، وهذا من أبطل الباطل في مناهج الاستدلال. فالشيخ ابن باز في هذه الفتوى لم يكن بصدد الحكم على الجماعة بالخروج من السنة أو الابتداع، بل كان يمارس دور العالم الناصح الذي يشخص نقصاً في البصيرة العلمية لدى بعض أفرادها، وهو نقصٌ لا ينكره حتى المنصفون من أبناء الجماعة أنفسهم، إذ إن جهدهم تربوي دعوي وليس أكاديمياً تخصصياً، وفرقٌ شاسع بين من يقول إن القوم يحتاجون إلى المزيد من العلم وبين من يريد إسقاطهم وتبديعهم ووصفهم بالكفر كما يفعل الصومعي وغلاته.

إن تدليس الصومعي يظهر في إغفاله العمدي لعشرات الفتاوى والمواقف الأخرى للشيخ ابن باز التي أثنى فيها على جهود هذه الجماعة في هداية الناس، بل إن الفتوى التي أوردها

الصومعي نفسها تحمل في طياتها رداً عليه، فقول الشيخ لا يجوز الخروج معهم إلا لمن لديه علم... حتى يرشدهم وينصحهم ويتعاون معهم على الخير هو إقرار صريح بأن الخروج معهم فيه خير وأن التعاون معهم مطلوب، فهل يطلب الشيخ التعاون مع مشركين أو قبوريين كما يزعم الصومعي؟ إن الشيخ ابن باز كان يرى فيهم نشاطاً عظيماً في دعوة العصاة والجهال، وكان يوجه طلبة العلم لمشاركتهم لسد النقص العلمي، وهذا منهج التكميل والترميم الذي تميز به ابن باز، بخلاف منهج الهدم والتحطيم الذي يتميز به الصومعي وفرقته.

أما جزئية الصلاة في المساجد التي بها قبور، فهي حكم شرعي عام قرره الشيخ بناءً على نصوص السنة، وهو لا يعني بالضرورة أن جماعة التبليغ هي من تبني هذه القبور أو تدعو لعبادتها، بل هو واقع جغرافي وتاريخي في القارة الهندية حيث غلبت القبور على كثير من المساجد القديمة، والجماعة هناك تعمل في بيئة صعبة وتحاول هداية الناس للصلاة والتوحيد في ظل هذا الواقع، فاعتبار ممارسة الصلاة في تلك المساجد (بناءً على الجهل أو الاضطرار) دليلاً على قبورية الجماعة هو قمة الإجحاف؛ فالتبليغيون في السعودية واليمن والسودان وغيرها يصلون في مساجد خالية من القبور ويحذرون من الشرك، فكيف يُعمم حكم فقهي مرتبط بمكان معين ليصبح تهمة عقدية تلاحق ملايين الدعاة في كل مكان؟

إن الصومعي بتجاهله للدعم المتواصل الذي قدمه الشيخ ابن باز للجماعة حتى وفاته، وبرسائله التي كان يبعثها لأمراء المناطق لتسهيل مهامهم، إنما يثبت أنه لا يبحث عن الحق بل يبحث عن مسوغات للخصومة . فالشيخ ابن باز مات وهو يرى أن هذه الجماعة نافعة للإسلام في جملتها، وأن أخطاءها تُغمر في بحار حسناتها، وأن علاج قصورهم يكون بالمخالطة والتوجيه لا بالطعن والتجريح من خلف الشاشات والكتب، وهذا هو الفرق بين عالمٍ رباني يجمع الأمة، وبين متصيدٍ للعثرات يفرق شملها بناءً على فهم سقيم وتصورات منقوصة.

ما لم يفهمه الصومعي وفرقته هو أن الشيخ بن باز رحمه الله مدح طريقة التبليغ في الفتوى :

إن ما وقع فيه الصومعي هو اجتزاءٌ متعسفٌ للنص، جعله يقلب النصيحة المنهجية إلى إدانة عقدية ، والحقيقة أن كلام الشيخ ابن باز رحمه الله في هذه الفتوى هو شهادة تزكية واضحة

وليس صك تجريح كما يتوهم الغلاة. فالشيخ عندما قال لا يجوز الخروج معهم إلا لمن لديه علم لم يقل ذلك لأن الخروج في أصله بدعة أو ضلالة، بل قاله من باب سد الثغرات وتجويد العمل الدعوي؛ فالشيخ يرى فيهم جماعة خير وبركة ونشاط، لكنه يدرك أنهم ليسوا علماء متخصصين في العقيدة، فأراد أن يرفدهم بطاقات علمية تؤصل عملهم وتحميهم من الزلل، وهذا هو غاية الحب والحرص من عالم رباني تجاه إخوانه الدعاة.حيث قال الشيخ بن باز رحمه الله بالنص : (فلا يجوز الخروج معهم إلا لمن لديه علم وبصيرة بالعقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة حتى يرشدهم وينصحهم ويتعاون معهم على الخير لأنهم نشيطون في عملهم لكنهم يحتاجون إلى المزيد من العلم وإلى من يبصرهم من علماء التوحيد والسنة رزق الله الجميع الفقه فيه والثبات عليه)

ولو كان الشيخ ابن باز يرى أن هذه الجماعة ضالة أو شركية كما يفتري الصومعي، لما أجاز الخروج معهم أصلاً تحت أي ظرف، ولما قال يتعاون معهم على الخير ، فهل يُطلب من صاحب العلم والبصيرة أن يتعاون مع أهل الشرك أو أصحاب العقائد الفاسدة؟ إن منطق الشيخ قائم على أن أصل الجماعة خير و عملها نافع ، وما يشوبها من نقص علمي هو عارض يُعالج بالمخالطة والتوجيه، والشيخ في هذه الكلمات يضع منهجاً للتكامل بين حماس الدعاة و رسوخ العلماء ، وهو ما لم يستوعبه الصومعي الذي لا يرى في الدعوة إلا المنع والتحذير، بينما يرى فيها الشيخ ابن باز فرصة للإرشاد والتعاون وبناء الأمة.

علاوة على ذلك، فإن وصف الشيخ لهم بأنهم نشيطون في عملهم ودعاؤه لهم بقوله رزق الله الجميع الفقه فيه والثبات عليه هو دليل قاطع على أنه يعتبرهم من جسد أهل السنة والجماعة، فالدعاء بالثبات لا يكون إلا لمن هو على الجادة والأصل الصحيح. إن الشيخ ابن باز لم يقل لا تخرجوا معهم أبداً كما هو منهج الفرقة المدخلية التي تحاول حظر أي عمل دعوي لا يمر عبر قنواتهم الضيقة، بل هو قد فتح باب الخروج والتعاون وجعله مقيداً بالعلم لضمان الثمرة، وهذا الفهم السوي هو الذي يجمع شمل المسلمين، بينما فهم الصومعي السقيم يمزق الصف الإسلامي عبر بتر النصوص عن سياقها التزكوي وتحويلها إلى أدوات للطعن والتبديع.

إن هذا اللغط يكشف أن الصومعي لا يقرأ نصوص العلماء ليفهم مرادهم، بل ليبحث فيها عما يوافق ما في نفسه من غلو، فبينما كان الشيخ ابن باز ينظر لجماعة التبليغ كجناح دعوي يحتاج إلى توجيه علمي، ينظر إليهم الصومعي كعدو يجب اجتثاثه، وهذا الفارق الجوهري هو الذي

يجعل استدلال الصومعي بفتوى ابن باز هو حجة عليه لا له ، ويبقى واقع الجماعة وجهودها في هداية الملايين رداً عملياً ساطعاً لا تحجبه الفتاوى المجتزأة ولا المفاهيم المحرفة.

التعقيب على فتوى ثانية للشيخ بن باز أساء الصومعي فهمها :

ثم قال الصومعي : - (والسؤال الثاني قدم له بمكة المكرمة في 1416/12/6هـ ونصه ما يلي:

س/ نسمع يا شيخ عن جماعة التبليغ وما تقوم به من دعوة فهل تنصحني الانخراط في هذه الجماعة أرجو توجيهي ونصحي وأعظم الله مثوبتك

ج / كل من دعا إلى الله فهو مبلغ من دعا إلى الله فهو مبلغ بلغوا عني ولو آية لكن جماعة التبليغ المعروفة الهندية عندهم خرافات عندهم بعض **البدع والشركيات فلا يجوز الخروج معهم إلا إنسان عنده علم يخرج لأن ينكر عليهم** ويعلمهم أما إذا خرج يتابعهم لا .. لأن عندهم خرافات وعندهم غلط عندهم نقص في العلم لكن إذا كان جماعة تبلغ غيرهم أهل بصيرة وأهل علم يخرج معهم للدعوة إلى الله وإنسان عنده علم وبصير، يخرج معهم للتبصير والإنكار والتوجيه حتى يتركوا المذهب الباطل ويعتنقوا بمذهب أهل السنة والجماعة ..)

إن وقوف الصومعي عند هذه الفتوى تحديداً ومحاولته اتخاذها ذريعة للطعن العام، يكشف عن خلل في المنهج وعن استغلال لورع الشيخ ابن باز رحمه الله وتحفظه العلمي؛ فالمتأمل في نص الإجابة يجد أن الشيخ لم يذم فعل التبليغ ولا منهج الخروج في ذاته، بل إنه كرر القاعدة النبوية بلغوا عني ولو آية ليؤصل لشرعية عملهم. والشيخ حينما ذكر جماعة التبليغ الهندية وتحفظ على وجود بعض الخرافات، إنما كان ينطلق من تقارير نُقلت إليه ولم يشاهدها بنفسه، ومع ذلك لم يقل بضلالهم المطلق، بل حصر الإشكال في نقص العلم ، وهو تشخيص تربوي يقصد به حث أهل البصيرة على مخالطتهم لتصحيح المسار، لا هجرهم وتبديعهم.

إن هذا النص يعتبر رداً بليغاً وقاطعاً على الصومعي من عدة أوجه؛ أولاً: أن الشيخ ابن باز أثبت أن الجماعة (حتى في الهند) قابلة للإصلاح والتوجيه، ولو كانت جماعة شركية كفرية في أصلها لما جاز الخروج معها للتبصير، لأن المشرك لا يُبصّر وهو في حالة خروج دعوي ، بل يُدعى للإسلام أولاً. ثانياً: أن الشيخ ميّز بوضوح بين أصل العمل وبين العوارض التي قد تطرأ في بعض الأقاليم نتيجة الجهل، وهذا عين الإنصاف الذي يفتقده الصومعي. فإذا كان

الشيخ يتحفظ على بعض ممارسات أهل الهند لبعد الديار، فإن هذا التحفظ يسقط تماماً عن أهل البلاد العربية والسعودية واليمن وغيرهم، الذين هم أهل توحيد وسنة، ولا توجد في بيئتهم تلك الخرافات المدعاة، فكيف يُعمم الصومعي حكماً بُني على بلاغات عن إقليم معين ليجعله حكماً شاملاً على ملايين الدعاة في أقطار الأرض؟

والأدهى من ذلك، أن قول الشيخ حتى يتركوا المذهب الباطل ويعتنقوا مذهب أهل السنة والجماعة يُفهم في سياق المذهب الكلامي أو الصوفي الذي قد يتأثر به بعض العوام في الهند، وهو دعوة منه للإرشاد للتمسك بمذهب السلف في العقيدة، وهو مطلب يسعى إليه كل مخلص. لكن الصومعي وفرقته جعلوا من هذه النصيحة سيفاً مسلطاً لقطع رقاب الدعاة، متجاهلين أن الشيخ ابن باز نفسه كان يستقبل مشايخ التبليغ في بيته، ويراسلهم، ويثني على أثرهم في هداية العصاة، بل ويحيل عليهم في بعض الأمور الدعوية.

إن هذا الاستدلال من الصومعي هو انتقائية مفضوحة ؛ فهو يأخذ بكلمات التحفظ التي قالها الشيخ بناءً على تقارير وصلت إليه، ويترك الواقع التطبيقي الذي عاشه الشيخ مع الجماعة طوال حياته. إن رد الشيخ ابن باز في حقيقته هو تزكية لنبل الهدف (الدعوة إلى الله) مع توجيه لرفع مستوى الوسيلة (العلم والبصيرة)، وهذا هو الفرق بين نقد العالم الذي يريد البناء، وبين طعن الغالي الذي يريد الفناء. فجماعة التبليغ في بلاد العرب هم أهل سنة وتوحيد بامتياز، وشهادة الشيخ ابن باز فيهم بالنشاط والخير باقية ومستمرة، ولا يغيرها فهم سقيم اجتزأ الكلمات من سياقها التاريخي والجغرافي.

ما لم ينتبه إليه الصومعي ، وأخفاه عن الناس تدليسا واضحا أو جهلا فاضحا:

إن التحليل الدقيق لمنطوق كلام الشيخ ابن باز رحمه الله يضع النقاط على الحروف ويكشف حجم التدليس الذي يمارسه الصومعي وفرقته من خلال إخفاء الحقائق خلف جدران التبديع؛ فالتخصيص الذي ذكره الشيخ بقوله جماعة التبليغ المعروفة الهندية هو قرينة ظاهرة وصريحة على أن الشيخ يبني حكمه على تصور ذهني نقلته إليه التقارير عن بيئة جغرافية محددة بعيدة عنه، ولم يكن بصدد إصدار حكم شمولي على المنهج أو الاسم في كل زمان ومكان. وهذا التقييد الهندي يعني بالضرورة أن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً، فإذا انتفت تلك الخرافات أو البدع في جماعات التبليغ في بلاد العرب أو غيرها ممن ينهجون نهج التوحيد والسنة، سقط ذلك التحفظ كلياً، وهو ما يحرص الغلاة على إخفائه ليوهموا الناس أن جماعة التبليغ ككيان هي محرمة شرعاً أينما وجدت، وهو زيف لا يصمد أمام نص الشيخ.

والدليل القاطع على أن الخروج في سبيل الله والتبليغ هو فعل مشروع بل ومندوب عند الشيخ ابن باز رحمه الله ، هو قوله الصريح: لكن إذا كان جماعة تبلغ غيرهم أهل بصيرة وأهل علم يخرج معهم للدعوة إلى الله ، فهذا تقرير لشرعية الخروج كوسيلة دعوية، ولو كان الخروج في حد ذاته بدعة إضافية كما يزعم الصومعي، لما أجازه الشيخ لأهل العلم والبصيرة، ولما سماه دعوة إلى الله . فالشيخ هنا يفرق بين الوسيلة (وهي الخروج والتبليغ) وبين المحتوى (وهي المادة العلمية والعقدية)، فالمشكلة عنده ليست في الذهاب والإياب للدعوة، بل في ضمان سلامة ما يقال للناس، وهذا هو الفرق الجوهري بين نقد الفقيه المربي الذي يسدد المسار، وبين نقد الغالي الذي يريد وأد العمل الدعوي من جذوره.

أما قوله حتى يتركوا المذهب الباطل ، فهي عبارة مشروطة بوجود الباطل أصلاً، والشيخ علقها على دور المبصر والمنكر ؛ فالمقصود أن الداعية ذا البصيرة يخرج لينبههم إن رأى خللاً، فإذا كان هؤلاء الدعاة (كما هو حالهم في بلادنا) أهل سنة وتوحيد، ولا يمارسون تلك الطقوس التي بلغت الشيخ عن بعض جهلة الهند، فإنه لا وجه للإنكار عليهم مطلقاً، بل يكون الخروج معهم من أعظم القربات ومن باب التعاون على البر والتقوى. إن الغلاة المتشددين يخفون هذا التفصيل الشرعي عمداً، فيحولون نصيحة الشيخ بالمخالطة للإصلاح إلى أمر بالهجر والتحذير، ويجعلون من شرط العلم سداً مانعاً لا باباً مفتوحاً للتوجيه، مما يؤكد أنهم لا يريدون تبصير الناس بالحق، بل يريدون عزل المجتمع عن أي نشاط دعوي لا يخرج من عباءتهم الضيقة.

إن هذا السياق يثبت أن الشيخ ابن باز كان يرى في جماعة التبليغ وعاءً دعوياً ضخماً يمكن ملؤه بالعلم والسنة، ولم يره يوماً كياناً كفرياً يجب التحذير منه كما يصور الصومعي. فالشيخ كان يتعامل معهم بمنطق الاحتواء والتصحيح ، بينما يتعامل معهم الصومعي بمنطق الاجتثاث والتشويه ، مستخدماً كلمات الشيخ التي قيلت في سياق الغيرة على التوحيد ليجعلها سلاحاً في معركة الهوى الحزبي ، متجاهلاً أن الحق أحق أن يتبع، وأن إنصاف المسلم من كمال الإيمان، وأن رمي أهل السنة بفرية الشرك والبدعة بناءً على نصوص مجتزأة هو مسلك لا يرضاه الله ولا رسوله ولا علماؤنا الربانيون.

استنباطات الصومعي ليست في الحقيقة إلا عملية بتر وتعميم متعمدة:

إن الفقرات الست التي صاغها الصومعي كاستنباط من كلام الشيخ بن باز رحمه الله لهي نموذج لـ فقه الغلاة الذي يقوم على بتر النصوص عن سياقها، وتعميم الأحكام الخاصة، وإسقاط الواقع التاريخي على الواقع المعاصر بلا إنصاف، وهو مسلك يهدم أكثر مما يبني، ويفرق أكثر مما يجمع.

(**قال أبو همام وفقه المولى** : يتلخص لنا من كلام سماحته رحمه الله تعالى أمور نذكر منها ما يلي:

1- ليس عندهم علم وبصيرة بالعقيدة.
2- عندهم خرافات وبعض **بدع وشركيات**.
3- لا يخرج معهم إلا لتعليمهم والإنكار عليهم.
4- لا يجوز الخروج معهم لمتابعتهم.
5- عليهم أن يتركوا المذهب الباطل.
6- عليهم ان يعتنقوا مذهب أهل السنة والجماعة.) انتهى .

إن ما أورده الصومعي تحت مسمى استنباطات ليس في الحقيقة إلا عملية بتر وتعميم متعمدة، تهدف إلى إضفاء صبغة شرعية على حكم مسبق بالتبديع، وهو في ذلك لم يلتزم بالأمانة العلمية في نقل مراد الشيخ ابن باز، بل قام بتركيب نتائج لا تستقيم مع مجمل كلام الشيخ ولا مع واقع الجماعة، ويمكن الرد على فقراته الست بالبيان الآتي:

بخصوص قوله إن ليس عندهم علم وبصيرة بالعقيدة ، فهذا تعميم باطل؛ إذ إن الشيخ ابن باز حين قال ذلك كان يتحدث عن الغالب على أفراد الجماعة من العوام الذين يحتاجون لمن يعلمهم، ولم يقصد نفي العلم عن الجماعة قاطبة، ففيهم العلماء والقضاة والمربون، لكن منهجهم تربوي وليس أكاديمياً، فجعل الصومعي هذا النقص النسبي في التخصص العلمي حكماً كلياً بالجهل هو إجحاف ظاهر، فعدم التخصص في دقيق مسائل العقيدة لا يعني الجهل بأصل التوحيد الذي هو ركن دعوتهم.

أما دعواه بوجود خرافات وبعض بدع وشركيات ، فقد مر بنا أن الشيخ ابن باز قيد ذلك بالجماعة الهندية وبناءً على ما بُلغه عنهم من أخبار، ولم يقل إن هذه الشركيات من أصول منهجهم، بل هي عوارض جهل في بيئة بعيدة. فالصومعي هنا يخفي أن جماعة التبليغ في بلاد العرب والمسلمين قاطبة يبرأون إلى الله من الشرك، ومنهجهم قائم على الكلمة الطيبة التي

هي (لا إله إلا الله)، فإسقاط تهمة الشرك على ملايين الموحدين بناءً على تحفظ جغرافي خاص هو قمة التضليل.

وفي الفقرة التي يزعم فيها أنه لا يخرج معهم إلا لتعليمهم والإنكار عليهم ، فقد قلب الصومعي النصيحة بالتعاون إلى حظر اجتماعي؛ فالشيخ ابن باز حين حث أهل العلم على الخروج معهم، كان يقصد تكميل النقص وتحقيق التعاون على البر والتقوى، ولو كان يراهم أهل ضلال لما أجاز الخروج معهم في الأصل تحت أي مسمى، لأن الخروج مع المبتدع بدعة عنده، لكنه رآهم وعاءً صالحاً للعمل الدعوي يحتاج إلى توجيه، فجعل الصومعي هذا التوجيه قيداً مانعاً، بينما جعله الشيخ باباً للخير والإصلاح.

أما قوله لا يجوز الخروج معهم لمتابعتهم ، فهذا تحريف للمقصود؛ فالشيخ أراد أن المسلم لا ينبغي أن يتبع الأخطاء إن وجدت، بل عليه أن يكون صاحب أثر لا متأثراً بالجهل، والصومعي صور الأمر وكأن المتابعة في أصل الخروج والدعوة وهداية الناس محرمة، وهذا باطل؛ لأن متابعة المسلم لأخيه المسلم في الصلاة والذكر والدعوة إلى الله هي من صميم العبادة، ما دامت خالية من المخالفات الشرعية.

وبالنسبة لقوله عليهم أن يتركوا المذهب الباطل ، فقد استغل الصومعي عبارة الشيخ ليوهم الناس أن منهج التبليغ في ذاته مذهب باطل، بينما مراد الشيخ هو المذهب الكلامي أو الصوفي المنحرف الذي قد يوجد لدى بعض أعاجم الهند. أما منهج الدعوة والتبليغ القائم على الصفات الست، فليس مذهباً عقدياً مستقلاً، بل هو وسيلة تنظيمية للدعوة، فخلط الصومعي بين الوسيلة الدعوية وبين المذاهب العقدية ليوهم بضلال الجماعة جملة وتفصيلاً.

وأما قوله عليهم أن يعتنقوا مذهب أهل السنة والجماعة هو كلمة حق أريد بها باطل؛ فجماعة التبليغ في حقيقتها وبسوادها الأعظم في العالم الإسلامي هم من أهل السنة والجماعة، يعظمون النص ويتبعون السلف، والصومعي وفرقته يحاولون احتكار هذا اللقب الشريف وحرمانه من كل من يخالف طريقتهم في التبديع. إن الشيخ ابن باز كان يدعوهم لـ مزيد من التمسك بسنة السلف، بينما يريد الصومعي إخراجهم من الملة أو السنة بالكلية، وهذا هو الفرق بين ناصح مشفق وجارح محنق.

التعقيب على فهم الصومعي السقيم وعلى فتوى الشيخ الألباني عفا الله عنه :

قال الصومعي (وسئل الشيخ العلامة : المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله سؤالاً ونصه ما يلي:

س: ما رأيكم في جماعة التبليغ هل يجوز لطالب العلم أو غيره أن يخرج معهم بدعوى الدعوة إلى الله ؟

ج : جماعة التبليغ لا تقوم على منهج كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وما كان عليه سلفنا الصالح ، وإذا كان الأمر كذلك فلا يجوز الخروج معهم لأنه ينافي منهجنا في تبليغنا لمنهج السلف الصالح ، ففي سبيل الدعوة إلى الله يخرج العالم أما الذين يخرجون معهم فهؤلاء واجبهم أن يلزموا بلادهم وأن يتدارسوا العلم في مساجدهم حتى يتخرج منهم علماء يقومون بدورهم في الدعوة إلى الله ، وما دام الأمر كذلك فعلى طالب العلم إذن أن يدعو هؤلاء في عقر دارهم إلى تعلم الكتاب والسنة ودعوة الناس إليها ، وهم أي جماعة التبليغ لا يعنون بالدعوة إلى الكتاب والسنة كمبدأ عام ، بل إنهم يعتبرون هذه الدعوة مفرقة ، ولذلك فهم أشبه ما يكونون بجماعة الأخوان المسلمين ، فهم يقولون إن دعوتهم قائمة على الكتاب والسنة ولكون هذا مجرد كلام ، فهم لا عقيدة تجمعهم فهذا ما تريدي وهذا أشعري وهذا صوفي وهذا لا مذهب له ذلك لأن دعوتهم قائمة على مبدأ كتل جمع ثم ثقف، والحقيقة أنه لا ثقافة عندهم فقد مر عليهم أكثر من نصف قرن من الزمان ما نبغ فيهم عالم ، وأما نحن فنقول ثقف ثم جمع حتى يكون التجمع على أساس مبدأ لا خلاف فيه ، فدعوة جماعة التبليغ صوفية **عصرية** تدعو إلى الأخلاق أما إصلاح عقائد المجتمع فهم لا يحركون ساكناً لأن هذا بزعمهم يفرق ، وقد جرت بين الأخ سعد الحصين وبين رئيس جماعة التبليغ في الهند أوفي باكستان مراسلات تبين منها أنهم يقولون بالتوسل والاستغاثة على أربع طرق منها الطريقة النقشبندية فكل تبليغي ينبغي ان يبايع على هذا الأساس ، وقد يسأل سائل ان هذه الجماعة عاد بسبب أفرادها الكثير من الناس إلى الله عز وجل بل وربما أسلم على أيديهم أناس من غير المسلمين أفليس هذا كافياً في جواز الخروج معهم والمشاركة فيما يدعون إليه – فنقول إن هذه كلمات نعرفها ونسمعها كثيراً نعرفها من الصوفية فمثلاً يكون هناك – شيخ عقيدته فاسدة ولا يعرف شيئاً من السنة بل ويأكل أموال الناس بالباطل ومع ذلك فكثير من الفساق يتوبون على يديه فكل جماعة تدعو إلى خير لا بد أن يكون لهم تبع ولكن نحن ننظر إلى الصميم إلى ماذا يدعون ؟ هل يدعون إلى اتباع كتاب الله وحديث الرسول عليه الصلاة

والسلام وعقيدة السلف الصالح وعدم التعصب من المذاهب واتباع السنة حيثما كانت ومع من كانت ، فجماعة التبليغ ليس لهم منهج علمي وإنما منهجهم حسب المكان الذين يوجدون فيه فهم يتلونون بكل لون [الفتوى الإماراتية ص 73].)

القول بأن جماعة التبليغ لا تقوم على منهج كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه سلفنا الصالح هو حكم يحتاج إلى تمحيص دقيق؛ إذ إن منهج التبليغ والدعوة المعلن في مشارق الأرض ومغاربها يقوم في جوهره وأصله على تعظيم الوحيين (الكتاب والسنة) والاقتداء بسيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام في بذل النفس والجهد لنشر هذا الدين. وليس معنى أن الجماعة قد تخالف الطريقة السلفية العصرية في بعض اصطلاحاتها التنظيمية، أو وسائلها الإدارية، أو أساليبها التربوية، أنها بالضرورة مخالفة لمنهج السلف الصالح؛ فمنهج السلف أوسع وأرحب من أن يُحصر في قالب مدرسي واحد، بل هو منهج حياة يقوم على إحياء الإيمان وتزكية النفوس ودعوة الخلق، وهي المقاصد الكبرى التي تبذل الجماعة فيها مهجتها.

وبناءً على ذلك، فإن التفريع القائل وإذا كان الأمر كذلك فلا يجوز الخروج معهم هو بناءٌ على مقدمة غير مُسلمة؛ فكما يقال في القواعد أثبت العرش ثم انقش ، والأمر ليس كذلك مطلقاً. فالحكم بعدم الجواز بُني على افتراض الانحراف، بينما الواقع يثبت أن الجماعة هي محض مدرسة دعوية عملية، ولا يجوز رمي ملايين المسلمين في كل بلاد العالم بتهمة مفارقة الكتاب والسنة بكل هذا التهاون والسطحية، دون تقديم أدلة قطعية تخرجهم من دائرة الاتباع إلى الابتداع.

أما بخصوص حصر الدعوة في خروج العالم فقط، ومطالبة البقية بلزوم المساجد، فهذا طرح يصادم أصل التكليف الشرعي؛ إذ إن الدعوة إلى الله والتبليغ عنه هي واجب كل مسلم بلغوا عني ولو آية ، وكل فرد يدعو بما يعرف وبقدر مستطاعه، والحاجة ماسة اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى تكاثف الجهود في النصح والوعظ والتذكير لمواجهة تيارات الإلحاد والغفلة. ولا يجوز حجر الدعوة على العلماء وحدهم، فالعلماء مقامهم أعلى وأرقى في التعليم والفتيا والتحقيق، بينما يقوم الدعاة والوعاظ بدور المنبه للغافلين و المحرك للقلوب الساكنة، وتكامل الأدوار هو سر قوة الأمة.

وحيث إن الأمر ليس كذلك في حقيقته، فإن تلك الأحكام تظل افتراضات بُنيت على تصورات خاصة، ولا يسلم بها إلا من انحصر فكره داخل فصيل أو جماعة معينة تضيق ذرعاً بكل ما لا يوافق طريقتها. والواجب بدلاً من ذلك أن يعين المسلم أخاه؛ فأهل التبليغ يتعلمون

الكتاب والسنة ويعلمونها ويذكرون الناس بها في عقر دارهم وفي حلهم وترحالهم، والواقع يشهد بهداية ألوف البشر على أيديهم، مما يجعل دعوى انحرافهم عن الكتاب والسنة مجرد دعوى نظرية يرفضها الواقع الميداني الحي.

والقول بأن جماعة التبليغ لا تعنى بالدعوة إلى الكتاب والسنة كمبدأ عام هو من أبطل الباطل وأكبر التهم التي يمكن أن توجَّه لتيار دعوي إسلامي؛ فكون هذه التهمة تخرج من عالم جليل كالألباني يجعل وقعها شديداً جداً، إذ كان الأولى بمثله أن يكون متحرياً باحثاً عن الحق والحقيقة بنفسه، لا سياراً خلف ما ينقله المرجفون والسطحيون. فالحقيقة المنظورة أن كل من ينتسب للدعوة في هذه الجماعة يعلن صراحةً أنه يدعو للكتاب والسنة كمبدأ عام وأصيل، وهنا يخالف الألباني —عفا الله عنه— الصواب حين يتهمهم بما يجعلهم في مرتبة أقل حتى من عامة المصلحين الذين لا يختلف اثنان على إعلانهم التمسك بالوحيين.

ويمتد هذا الغلط وسوء الفهم ليشمل الزعم بأنهم يعتبرون الدعوة للكتاب والسنة مفرقة ، وهذا ادعاء لم يقله أحد منهم مطلقاً ولم يُسطر في أدبياتهم؛ بل إن واقع حالهم يثبت أنهم يدعون إلى التوحيد ويتكلمون فيه ويحثون الناس عليه، ولكنهم يسلكون في ذلك طريقة غير منفرة، بعيداً عن أساليب غلاة التبديع والتفسيق والتهييج التي تمزق المجتمعات. فلا يصح أبداً أن يُفهم من نهيهم عن التهييج والصدام المفتعل أنهم يدعون للامتناع عن الدعوة للحق والسنة، بل هو فقه تأليف القلوب الذي غاب عن ذهن الناقد.

أما محاولة تشبيههم بجماعة الإخوان المسلمين كنوع من الوصم المنهجي ، فهي محاولة تتجاهل أن الجماعات الإسلامية كلها - من إخوان وتبليغ وسلفيين معاصرين وأنصار سنة وجمعية شرعية - متشابهة ومتشابكة في منطلقاتها الكلية؛ فكلهم يزعم نفس المزاعم، وينطلق من نفس المصادر، ويستدل بذات الأدلة الشرعية. وعليه، فإن تخصيص جماعة دون أخرى بالاتهام هو نوع من التزييف للواقع، فالجميع يتحرك في دائرة واحدة من حيث المرجعية، وإن اختلفت الوسائل الإدارية أو الأولويات الميدانية. إن هذا التشخيص يثبت أن الخصومة ليست مع المبدأ بل هي خصومة تصنيفات لا تخدم وحدة الصف الإسلامي أمام التحديات الكبرى.

إن القول بأن دعوى قيام هذه الجماعات على الكتاب والسنة هي مجرد كلام هو غلطٌ وافتئاتٌ على الناس؛ فجماعة الإخوان المسلمين مثلاً فيهم الخير والصلاح، ورغم وجود تقصير في بعض الجوانب واختلاف أحوالهم من بلد إلى آخر، إلا أنهم في الجملة من

المسلمين المصلحين، ولا يصح شيطنة أسمائهم أو أخذ المصلح المنضبط بجريرة المتخبط، وهكذا يقال في التبليغ والسلفيين على حد سواء. أما الزعم بأنه لا عقيدة تجمعهم لوجود الماتريدي والأشعري والصوفي بينهم، فالحقيقة أن هذه الدعوات العالمية لابد أن تختلف في شيء ما بحكم النشأة الجغرافية، وهذه الاختلافات ميزة وليست عيباً؛ لأنهم يجتمعون على أصول العمل الإصلاحي بقدر مستطاعهم. إن هذه التسميات كلها تنتمي لأهل الإسلام، والأولى بنا أن نبحث عن جمعهم لا عن فرقتهم وتبديد قوتهم، وليس معنى ذلك الدعوة لاتباع تلك المذاهب، بل التعاون معها لأن الخلاف واقع ولن يزول، فليكن التعامل معه بالتعاون والتفاهم في المسائل المختلف فيها.

أما نقد مبدأهم القائم على كتل ثم ثقف ، فإن التجميع على توجهات إسلامية ليس مذموماً، فنحن لا نجمع مسلماً مع كافر أو مؤمناً مع ملحد، بل كلهم مسلمون، فكيف لا يُقبل في العمل الدعوي رجل يؤمن بالله ورسوله وإن اختلفنا معه في مسائل؟ وكيف يصبح الجمع على الخير مذموماً؟! والادعاء بأنه لا ثقافة عندهم وأنه لم ينبغ فيهم عالم عبر نصف قرن هو من أبطل الباطل وأكذب الكذب؛ وصدور مثل هذا الكلام عن الشيخ الألباني يدل على تقصير في معرفة علماء الهند وديوبند، ومثله كمن يقول عن الأزهر الشريف أو الزيتونة إنه لم ينبغ فيهما عالم، في حين أن هذه المحاضن (ديوبند، الأزهر، الزيتونة) هي التي دار عليها حفظ علوم الإسلام عبر التاريخ.

إن شعار ثقف ثم جمع الذي يطرحه الشيخ كبديل، هو طريقته التي لا ينكرها عليه أحد، ولكن لا يحق له بناء أسوار وحدود بينه وبين المسلمين شريطة أن يتبعوا اجتهاداته الشخصية فقط للدخول في دائرته؛ إذ كيف يُفسر هذا إلا أنها جماعة مقيدة باجتهادات كبرائها لا بعلماء الأمة قاطبة؟ إن حصر النجاة أو الصواب في مسار واحد هو ضيق أفق لا يتناسب مع سعة الشريعة وحاجة الأمة الماسة للتكامل.

إن وصف دعوة جماعة التبليغ بأنها صوفية عصرية بقصد الذم هو كلام مردود وتحليل مغلوط؛ ذلك أن التصوف في أصله ومنبعه ممدوح وهو مقام الإحسان وتزكية النفس، والمذموم منه إنما هو الغلو والابتداع، ولم يؤثر عن دعاة التبليغ المخلصين أنهم تبنوا شيئاً من هذا الغلو أو دعوا إليه في مناهجهم المعلنة، بل هم أبعد الناس عن البدع المنكرة التي تخالف جادة السنة. أما الادعاء بأنهم يدعون إلى الأخلاق فقط ولا يحركون ساكناً في إصلاح العقائد بزعم أن ذلك يفرق، فهو شكل آخر من أشكال السطحية وعدم فهم الآخر، وقصور

واضح في البحث عن حقيقة ما هم عليه؛ فالتبليغيون يدعون إلى الدين الكامل عقيدةً وعبادةً وسلوكاً، ويتعبدون لله بكل شرائعه لا بالأخلاق وحدها، والأمر في غاية الجلاء والوضوح لكل من كلف نفسه عناء الجلوس إلى علمائهم وسؤالهم، حيث سيجد أن توحيد الله وإخلاص العبادة له هو الركيزة الأولى في الكلمة الطيبة التي يطوفون بها الآفاق.

وفيما يتعلق بالاستشهاد بمراسلات الأخ سعد الحصين مع رئيس الجماعة في الهند أو باكستان للادعاء بأنهم يقولون بالتوسل والاستغاثة ويبايعون على طرق نقشبندية، فإن هذا استشهاد في غير محله؛ فقد أجاب الشيخ إنعام الحسن رحمه الله على تساؤلات سعد الحصين إجابات وافية شافية كافية تتفق تماماً مع نصوص الكتاب والسنة، ولكنها آفة التعصب وحب التبديع والتفسيق التي جعلت الحصين ينفر ويبدعهم رغم وضوح جوابهم.

ومن العجيب أن يستشهد الشيخ الألباني عفا الله عنه بكلام سعد الحصين وكأنه مرجع معصوم يُعتمد عليه في إطلاق الأحكام العقدية الكبرى، متجاهلاً الردود العلمية الموثقة من قادة الجماعة التي تنفي هذه التهم جملة وتفصيلاً، وتؤكد تمسكهم بمنهج السلف الصالح في توحيد العبادة والبعد عن صور الاستغاثة الشركية التي يحاول الخصوم إلصاقها بهم لشيطنة جهدهم المبارك.

إن محاولة الشيخ الألباني عفا الله عنه التهوين من شأن عودة آلاف العصاة إلى الله أو إسلام غير المسلمين على يد جماعة التبليغ، عبر تشبيههم ببعض مشايخ الصوفية ذوي العقائد الفاسدة، هي مقارنة غير دقيقة وتفتقر للإنصاف؛ فواقع الحال يثبت أن عقيدة جماعة التبليغ صحيحة في جملتها، فهم يتبنون عقيدة أهل بلدهم من المسلمين، ولم يؤثر عنهم عبر تاريخهم أنهم يدعون الناس إلى اعتقادات فاسدة أو بدع شركية، بل يدعونهم إلى أصل الدين والالتزام بالفرائض وتجريد التوحيد لله، وهذا بحد ذاته ينسف كل دعاوى الألباني عفا الله عنه التي تحاول وصمهم بفساد العقيدة. إن التبليغي لا يطالب الناس بالتمسح بالقبور أو أكل أموالهم بالباطل كما يفعل أدعياء التصوف، بل يطالبهم بالصلاة والذكر واليقين على الله، فكيف يستقيم التشبيه بين مُصلحٍ يبني ومُفسدٍ يهدم؟

أما فيما يتعلق بمسألة إسلام الكفار على أيديهم، فإن دخول الكافر إلى رحاب الإسلام — على أي عقيدة من عقائد أهل القبلة المعتبرة، سواء كانت وفق مدرسة أهل الحديث أو الأشاعرة أو الماتريدية— هو خيرٌ عظيم وفوزٌ مبين بلا شك، وهو أفضل بمراتب لا تُحصى من بقائه على كفره وتخليده في نار جهنم. فإن كان الشيخ يرى خلاف ذلك، أو يفضل بقاء

الكافر على كفره بدلاً من إسلامه على يد جماعة لا تتبنى السلفية العصرية بحذافيرها، فهذه سقطة علمية ودينية كبرى لا تغسلها مياه الأرض؛ لأن غاية الرسالة هي استنقاذ البشر من النار، وهذا ما يفعله التبليغيون ليل نهار في أصقاع المعمورة.

أما رميهم بأنهم يتلونون بكل لون ولا منهج علمي لهم، فهو في الحقيقة مراعاةٌ لفقه الواقع وسعة الشريعة؛ فاجتماعهم على أصول العمل الإصلاحي مع اختلاف مدارسهم المذهبية (كالحنفية أو غيرها) هو تطبيق عملي لعدم التعصب المذموم الذي يطالب به الشيخ نفسه! فالجماعة لم تجعل من المذهب عائقاً أمام الدعوة ، بل جعلت من الدين قنطرةً للوصل بين المسلمين، وهو منهجٌ نبوي في استيعاب الخلق وتأليف القلوب، يتجاوز التنميط المدرسي الضيق الذي يحاول حصر الهداية في فئة قليلة دون بقية الأمة.

تقليد الصومعي الجامد للشيخ الألباني عفا الله عنه في شططه وغلوه :

إن عقلية الصومعي ومنهجيته عقلية اختزالية إقصائية ، تعتمد على استراتيجية صناعة العدو عبر تجميع المتشابهات من التهم وتكثيفها في نقاط رقمية جافة، لتوحي للقارئ بكثرة العيوب وتعدد الخطايا. ويمكن قراءة هذه المنهجية في سرد متصل يحلل أبعادها النفسية والفكرية على النحو التالي:

حيث تتجلى في طريقة الصومعي ظاهرة الاستقواء بالرموز ؛ فهو لا يطرح نقداً ذاتياً مبنياً على استقراء ميداني، بل يتترس خلف اسم العلامة الألباني عفا الله عنه ليضفي قداسة على أحكامه، محولاً رأياً اجتهادياً لعالم إلى نصوص قطعية غير قابلة للنقاش. هذه المنهجية تكشف عن عجز في الحوار المباشر مع الواقع، فتجده يلجأ إلى التبسيط المخل ، حيث يختصر جهود عقود من الزمان وملايين الدعاة ، وكأنه يصدر حكماً بالإعدام المعنوي على أمة كاملة من المسلمين بجريرة تلخيص لم يراعِ فيه أمانة السياق أو مقتضيات الإنصاف.

كما تظهر في عقليته سمة النمذجة والوصم ؛ فهو لا يحاكم الفعل بل يحاكم العنوان ، فحين يقرن التبليغ بالإخوان المسلمين أو يصفهم بالصوفية العصرية ، فهو لا يبحث عن الحقيقة بقدر ما يبحث عن تُهم جاهزة في الذاكرة السلفية المعصرية لإثارة الحساسية العقائدية لدى القارئ. وهذه العقلية تعمل بنظام الفرز الإقصائي ، حيث ترى أن أي تجمع لا ينطلق من مختبرها المنهجي الخاص هو تجمع فاقد للشرعية ، وهو ما يعكس ضيقاً شديداً في مفهوم أهل السنة والجماعة الذي يختزله الصومعي في فصيله الضيق ومدرسته المحدودة.

أما الأخطر في منهجية الصومعي، فهو اجترار التاريخ وتجاهل الواقع ؛ إذ تجده يكرر تهماً عفا عليها الزمن رغم نفي الجماعة لها وتبرؤ واقعها منها في بلاد التوحيد، مما يدل على أن عقليته نقلية جامدة لا نقدية فاحصة ؛ فهي تقتات على ما كُتب في الكتب القديمة والردود المتبادلة دون أن تفتح نافذة واحدة لمشاهدة المساجد والمراكز التي أحيَت السنة وحاربت البدعة. إنها عقلية تفضل تفتيت الصفوف على تأليف القلوب ، وتستلذ بالبحث عن المثالب بدلاً من البناء على المحاسن ، مما يجعل غاية هذه المنهجية هي إقامة الأسوار بين المسلمين وتوزيع صكوك الهداية والضلال بناءً على الالتزام بالمنهج العلمي كما يراه هو ، لا كما تقتضيه مصلحة الإسلام العليا.

إن طريقة الصومعي في التلخيص هي في حقيقتها استراتيجية تزهيد ؛ تهدف إلى قطع الطريق على المتطوعين وطلاب العلم ، لإبقاء الساحة خالية لخطابه المتشدد الذي لا يبني مسجداً ولا يهدي عاصياً، وإنما يحترف تبديع من يفعل ذلك.

قال الصومعي (قال أبو همام كان الله له: يتلخص لنا من كلام العلامة الألباني رحمه الله ما يلي:

(1) جماعة التبليغ لا تقوم على منهج الكتاب والسنة ومنهج السلف .

(2) لا يجوز الخروج معهم .

(3) عليهم أن يتعلموا العلم

(4) جماعة التبليغ أشبه ما يكونون بالإخوان المسلمين.

(5) جماعة التبليغ لا عقيدة تجمعهم أشاعرة على صوفية.

(6) دعوة التبليغ قائمة على كتل وجمع ثم ثقف.

(7) جماعة التبليغ صوفية عصرية.

(8) دعوتهم إلى الأخلاق أما التوحيد لا يدعون إليه.

(9) جماعة التبليغ يقوون الاستغاثة والتوسل بغير الله.

(10) لديهم بيعة لأربع طرق منها الطريقة النقشبندية.

(11) جماعة التبليغ ليس لهم منهج علمي.

(12) جماعة التبليغ يتلونون.) انتهى .

إنَّ ما لخَّصه أبو همام الصومعي من كلام العلامة الألباني رحمه الله، وما ساقه من نقاط إقصائية، يمثل نموذجاً للمحاكمة الذهنية القائمة على تصورات مسبقة بعيدة كل البعد عن

إنصاف الواقع الدعوي. وإليك التعقيب التفصيلي الوافي على هذه المحاور في سرد متصل يفكك هذه الشبهات:

1. تهافت دعوى تجريد الجماعة من منهج الكتاب والسنة والسلف:

إنَّ الحكم الجازم بأن جماعة التبليغ لا تقوم على منهج الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح هو ادعاءٌ يصادم الواقع التطبيقي الذي يراه القاصي والداني؛ فمنهج الجماعة في أصله ومقاصده يقوم على تعظيم الوحيين وجعلهما دستوراً للحياة اليومية، والاقتداء المباشر بسيرة الصحابة الكرام في بذل النفس والنفيس لنشر هذا الدين. وليس معنى أن الجماعة تتبنى أساليب تنظيمية أو تربوية تخالف الطريقة السلفية العصرية (التي تركز على الجوانب الأكاديمية أو التصنيفية) أنها قد فارقت منهج السلف؛ فمنهج السلف أوسع وأشمل من أن يُحصر في قالب مدرسي واحد، بل هو روحٌ تسري في جسد الأمة لإحياء الإيمان وتزكية النفوس، وهو ما تسعى إليه الجماعة في أدبياتها المعلنة وممارساتها الميدانية.

2. بطلان الاستدلال الفقهي بمنع الخروج معهم:

إنَّ النتيجة التي رتبها الناقد بقوله إنه لا يجوز الخروج معهم هي بناءٌ على مقدمة افتراضية لم تثبت شرعاً ولا واقعاً، والقاعدة الذهبية تقول: أثبت العرش ثم انقش . فبناء الحكم بالتحريم أو المنع يتطلب دليلاً قطعياً على انحرافٍ مخرجٍ من الملة أو المنهج، والأمر ليس كذلك مطلقاً. فمن الخطأ الفادح بناء حكم شرعي على ظنون ثم تعميمه ليرمي ملايين المسلمين في شتى بلاد العالم بكل هذه التهم وبكل هذا التهاون والسطحية، متجاهلاً أن الأصل في المسلم السلامة ، وأن الخروج معهم صار سبباً في استنقاذ ألوف البشر من الضياع، وهو مقصد شرعي يفوق في ثقله أي ملاحظات إدارية فرعية.

3. تفنيد دعوى حجر الدعوة على العلماء ومطالبة العامة بلزوم المساجد:

إنَّ المطالبة بأن يلزم الدعاة مساجدهم حتى يتخرجوا علماء، وحصر الخروج في العلماء فقط، هو مصادمة صريحة لمبدأ العالمية في الإسلام؛ فالدعوة إلى الله واجب عيني وكفائي على كل مسلم بحسب طاقته وعلمه، لقوله ﷺ: بلغوا عني ولو آية . والحاجة في هذا العصر ماسة جداً لتكاتف الجهود، فالعالِم له مقامه الأسمى في الفتيا والتحقيق، والداعي له مقامه في الوعظ والتذكير، ولا يجوز حجر واسع رحمة الله. والحقيقة أن أهل التبليغ يتعلمون الكتاب والسنة في مجالسهم ويعلمونها للناس، والواقع ينقض زعم الناقد بأنهم يجهلون الأصول، بل هم يطبقون العلم العملي الذي يفتقده الكثير من المنظرين.

4. رد فرية وصمهم بالتشبه بجماعة الإخوان المسلمين:

إن محاولة شيطنة التبليغ عبر ادعاء أنهم أشبه ما يكونون بالإخوان المسلمين هي محاولة لإحداث خلط سياسي غير منصف؛ فالحقيقة أن الجماعات الإسلامية قاطبة (من إخوان وتبليغ وسلفيين معاصرين وأنصار سنة) تتشابه في كثير من المنطلقات الكلية، وتستدل بذات الأدلة ونفس المصادر الشرعية. فكلهم يزعمون ذات المزاعم في العودة للكتاب والسنة، وعليه فلا يسوغ تخصيص جماعة بالاتهام بينما يقع الآخرون في ذات الآليات التنظيمية. إن هذا التشبيك المتعمد بين الجماعات يهدف لإسقاطها جملة واحدة، متناسين أن في كل جماعة من الخير والصلاح ما يمنع من شيطنتها كلياً بجريرة أخطاء جزئية أو مواقف عابرة.

5. بطلان دعوى تشتت العقيدة بين أشاعرة وصوفية:

إنَّ القول بأنه لا عقيدة تجمعهم لوجود تنوع مذهبي بينهم هو ادعاء يتجاهل طبيعة الدعوات العالمية التي لابد أن تختلف في بعض الفروع بحكم النشأة الجغرافية والبيئات العلمية. وهذه الاختلافات (أشعري، ماتريدي، سلفي) هي في الحقيقة ميزة وليست عيباً؛ لأنهم يجتمعون على أصول العمل الإصلاحي الكبرى ولا يُحدثون فرقة في البلد الواحد. إن هؤلاء المسلمين —بمختلف تسمياتهم— يجب أن نبحث عن جمعهم لا عن تبديد قوتهم، والتعاون معهم في المتفق عليه ونصحهم في المختلف فيه هو المنهج السلفي الحق، لا الإقصاء الذي يمزق الأمة لصالح خصومات مذهبية قديمة لم يعد الزمان يحتملها.

6. الدفاع عن منهج كتل وجمع ثم ثقف كخيار دعوي:

إنَّ نقد مبدأ الجمع ثم التثقيف هو نقدٌ في غير محله؛ فالتجميع على توجهات إسلامية وقيم إيمانية ليس مذموماً، لأننا لا نجمع مسلماً مع كافر، بل نجمع أمة محمد ﷺ على مائدة الطاعة. فكيف يسوغ للناقد أن يرفض في عمله الدعوي رجلاً يؤمن بالله وبرسوله لمجرد اختلاف في توقيت الثقافة ؟ إن الجمع على الخير مقصد إسلامي أصيل، والتثقيف يأتي من خلال الممارسة والقدوة والتعايش، وهو ما تفعله الجماعة بنجاح باهر؛ إذ تُدخل العاصي في بيئة الطاعة (الجمع)، فيبدأ بعدها في تعلم أحكام دينه (التثقيف) بصفة تلقائية وعملية.

7. رد تهمة الصوفية العصرية وتوضيح مفهوم التزكية:

إنَّ رمي الجماعة بأنها صوفية عصرية بقصد الذم هو كلام مردود جملة وتفصيلاً؛ لأن التصوف في أصله هو مقام الإحسان وتزكية النفس، وهو أمر ممدوح شرعاً. والمذموم إنما هو الغلو والابتداع، وهو ما لم يثبت عن دعاة التبليغ في بيئاتنا العربية؛ فهم لا يدعون لطواف

بضريح ولا لاستغاثة بغير الله، بل يتمسكون بالبساطة والزهد المشروع. إن هذا التحليل المغلوط من الصومعي هو محض تنميط يهدف لتنفير الناس عبر استغلال المصطلحات التي تثير الحساسية المذهبية، متجاهلاً أن الجماعة هي من أحيى التوحيد في قلوب العوام الذين كانت تستهويهم القبوريات.

8. كشف فرية الاكتفاء بالأخلاق وترك التوحيد:

إن الادعاء بأنهم يدعون للأخلاق ولا يحركون ساكناً في التوحيد هو قمة السطحية في تقييم الآخر؛ فالأصل الأول من أصول الجماعة الستة هو الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله)، وهي جوهر التوحيد وأساسه. والجماعة تدعو للدين الكامل والعبادة الخالصة، ولكن بطريقة غير منفرة تعتمد على التحبيب لا على التهييج والتبديع الذي يمارسه الغلاة. إن عدم استخدامهم للغة الصدامية في العقيدة لا يعني أبداً أنهم تركوا الدعوة للحق والسنة، بل هو فقه التأليف الذي غاب عن الناقد الذي لم يكلف نفسه عناء الجلوس إلى علمائهم ليسألهم عن حقيقة دعوتهم.

9. تفنيد فرية تقوية الاستغاثة والتوسل بغير الله:

إنَّ اتهام الجماعة بأنها تقوي الشركيات هو من أبطل الباطل؛ فقد أجاب قادة الجماعة (كالشيخ إنعام الحسن) على مراسلات سعد الحصين بإجابات وافية شافية تنفي هذه التهم وتؤكد التزامهم بصريح الكتاب والسنة. ولكن يبدو أن آفة التعصب وحب التبديع تجعل البعض يتغافل عن الحقائق ليتمسك بتقارير قديمة أو فهم مغلوط. إن استشهاد الألباني عفا الله عنه بكلام الحصين —الذي عُرف بتشدده في هذا الملف— لا يجعله مرجعاً معصوماً، خاصة وأن الواقع الميداني للتبليغيين في بلادنا هو الحرب الضروس على الاستغاثة بغير الله وتعليق القلوب بالله وحده.

10. رد دعوى البيعة على الطرق الأربعة المبتدعة:

إنَّ الحديث عن بيعة نقشبندية أو طرق صوفية هو استحضار لـ تاريخ أعجمي لا علاقة له بواقع الجماعة في العالم السلفي والعربي؛ فأتباع الجماعة في السعودية واليمن ومصر هم من أشد الناس تمسكاً بالسنة وتبرياً من طرق الصوفية المبتدعة. إن محاولة تغريب الجماعة عبر إلصاق هذه الممارسات بها هي تدليس مكشوف، يهدف لتصوير الجماعة كأنها باطنية لتبرير تبديعها، بينما مساجدهم ومراكزهم مفتوحة للجميع، وليس فيها إلا ذكر الله وتعلم أحكام الصلاة واليقين.

11. إثبات المنهج العلمي ونبوغ علماء ديوبند والهند:

إنَّ الزعم بأنه لم ينبغ فيهم عالم منذ نصف قرن هو من أكذب الكذب ؛ وصدور هذا من عالم كالألباني عفا الله عنه يدل على تقصير في معرفة تاريخ وحاضر علماء الهند وديوبند. فديوبند (التي تنتمي إليها الجماعة فكرياً) هي جامعة عظمى كالأزهر والزيتونة، وعليها مدار حفظ علوم الإسلام في القارة الهندية عبر التاريخ. فكيف يُقال عن مدرسة تخرج آلاف الحفاظ والمحدثين والفقهاء إنه لا علم عندها؟! إن عدم معرفة الناقد بهؤلاء الفحول لا يلغي وجودهم، بل يعكس انغلاقاً في المعرفة التاريخية والعلمية بمدارس المسلمين الكبرى.

12. توضيح حقيقة التلون كفقه للموازنات والدعوة:

إنَّ ما يسميه الناقد تلوناً هو في حقيقته مرونة شرعية وفقه واقع يراعي أحوال الناس والمجتمعات؛ فالجماعة تركز على جوهر الدين الذي يجمع ولا يفرق، وتتجنب إثارة الخلافات المذهبية الفرعية في بيئات لا تتحمل ذلك، وهذا هو عين الحكمة النبوية. إنهم يتعبدون لله بكل الدين، وعقيدتهم هي عقيدة أهل بلدهم من المسلمين، ودخول الكفار للإسلام على أيديهم - بأي عقيدة من عقائد أهل القبلة - هو فوز عظيم واستنقاذ لهم من النار، وهو ما ينسف كل دعاوى الألباني عفا الله عنه بفساد عقيدتهم، فمن يستنقذ الناس من النار لا يُرمى بفساد الأصل.

تنبيه الأنام إلى منهجية الرد على المخالفين ورَدِّ غلوِّ أهل التبديع والإقصاء :

إنَّ ميزان الشريعة الغراء الذي ضبطه الوحي وأجمع عليه سلف الأمة يقوم على قاعدة ذهبية مفادها أن العالم مهما علا قدره واتسع علمه وطار ذكره، فلا يجوز شرعاً قبول كل أقواله على وجه التسليم المطلق؛ فالعصمة قد دُفنت مع رسول الله ﷺ، وكل من جاء بعده يُؤخذ من قوله ويُترك. إنَّ إضفاء هالة من القداسة على آراء العلماء المعاصرين وتحويل اجتهاداتهم البشرية إلى نصوص قطعية لا تقبل النقاش هو مسلكٌ يصادم صريح العقل والنقل، ويجعل من العالم نداً للمشرع، وهو ما حذر منه الأئمة الأربعة حين قالوا: إذا صح الحديث فهو مذهبي ، و لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكاً ولا الشافعي، وخذوا من حيث أخذوا .

ومع ذلك، نرى اليوم ظاهرة مقلقة تتمثل في استقواء أتباع فكر السلفية العصرية —ولا سيما فصيل ألتراس المداخلة — بأسماء علماء كبار لترهيب المخالفين وإسكات أصوات الناقدين، وكأن ذكر اسم العالم يُغني عن إقامة الدليل أو يمنح الحصانة من الخطأ. إنَّ هذا الأسلوب الترهيبي لا ينبغي أن يرهب طالب الحق، فالعلماء الكبار بشرٌ يطرأ عليهم ما يطرأ على سائر البشر من ذهول أو قصور في تصور الواقع أو تأثر بوشاية المرجفين؛ لذا فهم كغيرهم، يُقبل

منهم ما وافق الحق بالدليل، ويُرد عليهم ما جانب الصواب بالبرهان، ولا كرامة لقولٍ يصادم أصول الشريعة ومقاصدها في تأليف القلوب وجمع كلمة الموحدين.

والمتأمل في نتاج بعض علماء الفكر السلفي المعاصر يجد شطحات بيّنة وشدة ظاهرة تجاوزت حد الاعتدال، وانحرفت بالدعوة من مسار التبشير إلى مسار التنفير ، ومن فقه الاحتواء إلى لغة الإقصاء والتبديع . إنَّ هذه الشدة التي مزقت الروابط الأخوية وأوغرت الصدور لا يجوز قبولها تحت دعوى حماية المنهج ، بل يجب الرد عليها والتصدي لها ببيان تهافتها؛ لأن السكوت عنها أدى لفتنة عمياء في الأمة، حيث صار الشاب الصغير يبدع القامة الدعوية الكبيرة لمجرد فتوى اجتهادية، مما يستوجب وقفة حازمة تُعيد للعلماء وقارهم وللمنهج توازنه بعيداً عن غلو الغلاة وجفاء الجافين .

واعلم أنَّه لا يمتنع شرعاً ولا عقلاً أن يرد طالب علم —مهما كان حجمه أو شهرته— على عالم مشهور، ما دام هذا الرد منضبطاً بضوابط الأدب الرفيع، ومستنداً إلى الأدلة الشرعية القوية والقواعد المرعية. فالحق قد يُجريه الله على لسان الأصغر سناً أو الأقل شهرة، والتاريخ الإسلامي حافل بردود التلاميذ على شيوخهم دون أن يُنقص ذلك من قدر أحد؛ فالعبرة بقوة الحجة لا بشهرة القائل. والقول بأن الرد على العالم هو تطاول أو أكل للحوم العلماء هو تصوير مغلوط يروّجه أتباع السلفية العصرية الغالية في التبديع لإغلاق باب النقد العلمي، بينما الرد في حد ذاته هو نصيحة للدين وتصحيح للمسار، وليس تعدياً شخصياً، بل هو صيانة للعلم أن يُنسب إليه ما ليس منه.

واعلم أنَّ لصاحب الحق مقالاً وحجة قوية، خاصةً إذا كان هذا الشخص أو الجماعة ضحية لافتراءات كاذبة، ومدعى عليه بما ليس فيه، ومفتأتاً عليه بوشايات السطحيين. إنَّ من حُكم عليه بالابتداع زوراً، أو رُمي بالشرك بهتاناً، له الحق الكامل في رفع صوته بالبيان والتفنيد، فالمظلوم له سلطان، وحجته في دفع الكذب عن نفسه مسموعة شرعاً؛ فمن الظلم المطبق أن يُباح لـ الناقد أن يطعن في أعراض الدعاة ومناهجهم، ويُحرم على المطعون فيه أن يدافع عن دينه ومنهجه وعمله الذي أفنى فيه عمره. إنَّ نصرة المظلوم وكشف زيف التدليس هي من أعظم القربات التي تحفظ بيضة الإسلام من تمزق أهل الغلو وتشرذم أهل القبلة .

التعقيب على فهم الصومعي السقيم وعلى فتوى الشيخ عبدالرازق عفيفي عفا الله عنه :

إن الصومعي يقتنص هذه العبارات الشديدة من بعض المعاصرين ليوهم الأتباع أنها هي الدين ، متجاهلاً أن العلماء بشر يخطئون في التصور ويصيبون، وأن الحكم على الناس يجب أن يكون بالعدل والقسط، وليس بالاعتماد على انطباعات قديمة لم تعد تحاكي واقع الجماعة الحالي الذي ينطق بالتوحيد والسنة.

قال الصومعي : (**وسئل فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله** عن خروج التبليغيين وعن تذكيرهم الناس بعظمة الله

فأجاب بقوله:

الواقع أنهم مبتدعة ومخرفون وأصحاب طرق قادرية وغيرهم وخروجهم ليس في سبيل **الله** ولكنه في سبيل الياس وهم لا يدعون إلى الكتاب والسنة ولكن يدعون إلى إلياس شيخهم في بنغلاديش أما الخروج بقصد الدعوة إلى الإسلام فهو جهاد في سبيل **الله** وليس هذا خروج جماعة التبليغ وأنا أعرف التبليغ من زمان قديم وهم **المبتدعة في أي مكان** كانوا هم في مصر وإسرائيل وأمريكا والسعودية وكلهم مرتبطون بشيخهم إلياس..

[فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي الجزء الأول ص 174].)

إن ما نقله الصومعي عن الشيخ عبد الرزاق عفيفي عفا **الله** عنه يمثل ذروة الشدة في العبارة التي تجاوزت الواقع العملي المشاهد، وهي فتوى قامت على تصور ذهني لبيئة معينة في زمن قديم، وتم تعميمها بشكل لا يقبله المنطق الشرعي ولا الاستقراء الميداني، ويمكن تفنيد فقراتها على النحو التالي:

أولاً: **دعوى أنهم مبتدعة ومخرفون وأصحاب طرق قادرية**

هذا التعميم هو أبعد ما يكون عن حال جماعة التبليغ المعروفة، فلقد مر بنا أن أصحاب الطرق القادرية (كالبريولويين) هم ألد أعداء جماعة التبليغ. فالتبليغيون في أصل نشأتهم ديوبنديون يحاربون البدع والقبوريات، ووصفهم بأنهم قادرية هو خلط فاحش بين الضدين؛ فالقادري يرى التبليغي وهابياً، والتبليغي يرى القادري قبورياً، فكيف يُجمع بينهما في حكم واحد؟ أما وصفهم بالمخرفين، فهو وصف يفتقر للدليل العملي، فالملايين الذين يخرجون في

التبليغ اليوم يتكلمون عن عظمة الخالق و فضائل الأعمال من الأحاديث النبوية، وليس عن خرافات الطرق الصوفية الغالية.

ثانياً: قوله خروجهم ليس في سبيل الله ولكنه في سبيل إلياس

هذه عبارة شديدة القسوة تمس النوايا، والشرع نهى عن شق الصدور. إن جماعة التبليغ تخرج لتبليغ كلمة التوحيد وإحياء السنة في حياة المسلمين، والشيخ إلياس لم يدعُ لنفسه قط، بل كان يقول: ليت هذا الاسم (التبليغ) لم يوجد ، وكان يدعو للرجوع للكتاب والسنة. فنسبة الخروج لغير الله بناءً على اجتهاد في طريقة الدعوة هو مجازفة شرعية، فالمسلم يخرج من بيته متحملاً النفقة والنصب لإيقاظ الغافلين، فكيف يُقال إنه يخرج في سبيل بشر مات منذ عقود؟

ثانياً: دعوى أنهم لا يدعون إلى الكتاب والسنة ولكن يدعون إلى إلياس

الواقع يكذب هذه الفقرة تماماً؛ فمنشورات الجماعة وبياناتهم في المساجد لا تكاد تخلو من الاستدلال بآيات القرآن والأحاديث الصحيحة (خاصة في فضائل الأعمال). لم يُسمع قط عن تبليغي في أي بقعة من العالم يقول للناس اتبعوا إلياس أو اعبدوا إلياس ، بل يقولون قال الله وقال رسوله . إن المنهج الذي وضعه الشيخ إلياس هو وسيلة ترتيبية للدعوة وليس ديناً بديلاً ، والخلط بين الوسيلة والغاية هو ما أوقع الشيخ عفيفي رحمه الله في هذا الحكم القاسي.

ثالثاً: قوله أعرف التبليغ من زمان قديم وهم مبتدعة في أي مكان كانوا

هذا التعميم الذي شمل (إسرائيل وأمريكا والسعودية ومصر) يصادم الحقيقة الشرعية والواقعية؛ فالدعاة في السعودية مثلاً هم خريجو الجامعات الإسلامية وأهل توحيد وسنة، ويخرجون مع الجماعة لتحقيق مقصد هداية الناس ، فكيف يُقال عنهم مبتدعة لمجرد خروجهم؟ إن ثبات الجماعة على أصل التوحيد في بيئات متنوعة، ونجاحها في تحويل الملايين من الغفلة إلى الصلاة، هو أكبر رد على دعوى البدعة الشاملة. فالبدعة هي إحداث في الدين ما ليس منه، والدعوة إلى الله والخروج لنصح المسلمين هي أصل أصيل في الدين.

رابعاً: مخالفة هذه الفتوى للشرع والواقع

إن الشدة التي ظهرت في كلام الشيخ عفيفي رحمه الله تخالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الرفق بالمدعو و الإنصاف مع المخالف . فالواقع يثبت أن جماعة التبليغ كانت سبباً في إسلام الآلاف وتوبة الملايين، وهذا ثمر لا ينتجه مذهب باطل أو خروج لغير الله .

كما أن مخالفة هذه الفتوى لفتوى تلميذه الشيخ ابن باز (الذي أجاز الخروج معهم) توضح أن الحكم مبني على تصور خاص بالشيخ عفيفي وليس حكماً شرعياً قطعياً.

الاستنباط من الكلام الباطل لا يعدوا كونه باطلا ملخصا :

(**قال أبو همام وفقه الله لكل خير**: يتلخص لنا من كلام الشيخ رحمه الله ما يلي:

(1) جماعة التبليغ مبتدعة .
(2) جماعة التبليغ مخرفون.
(3) جماعة التبليغ أصحاب طرق قادرية.
(4) جماعة التبليغ لا يدعون إلى الكتاب والسنة.
(5) جماعة التبليغ في أي مكان هم مبتدعة.) انتهى .

إن ما صاغه الصومعي في هذه النقاط هو تلخيص لـ هفوات التصور التي وقع فيها الشيخ العفيفي رحمه الله، وقد جعل منها الصومعي قواعد قطعية ليبني عليها صرحاً من التبديع والإقصاء، والرد على هذه الفقرات الباطلة يكون بكشف زيفها ومصادمتها للواقع والشرع على النحو التالي:

أما قوله إن جماعة التبليغ مبتدعة ، فهو حكم كلي جائر يفتقر إلى التحرير؛ فالبدعة هي إحداث في الدين، والجماعة تدعو إلى أركان الإسلام، وتحث على الصلاة والذكر، وتستخدم الخروج كوسيلة تنظيمية دعوية تشبه تقسيم المحاضرات والندوات والمخيمات، فاعتبار الوسيلة التنظيمية بدعة شرعية هو جهل بضوابط الابتداع، فالأصل في الوسائل الإباحة ما لم تصادم نصاً، والواقع أن خروجهم هو لإحياء السنن لا لإماتتها.

وبخصوص وصفهم بأنهم مخرفون ، فهذا رمي بالباطل لملايين المسلمين؛ فالتخريف هو الاعتقاد في الأساطير والمنامات المخالفة للشرع، بينما نجد خطاب الجماعة في مشارق الأرض ومغاربها يركز على فضائل الأعمال المستمدة من دواوين السنة كـ رياض الصالحين و الترغيب والترهيب ، فكيف يُرمى من يعمر وقته بالذكر وتلاوة القرآن ونشر الفضيلة بأنه مخرف ؟ إن هذا الوصف هو شتيمة مغلفة بفتوى، لا تنطبق على واقع دعاة التبليغ الذين عرفناهم بالزهد والورع.

أما فرية أنهم أصحاب طرق قادرية ، فقد سبق بيان بطلانها تاريخياً وعقدياً؛ فالقادرية (البريلوية) هم الخصوم العقديون لجماعة التبليغ، والتبليغيون في الهند وباكستان (الديوبندية) تعرضوا للاضطهاد والتبديع من الصوفية القادرية بسبب محاربتهم للقبوريات والاستغاثة بغير

الله، فإلصاق صفة القادرية بهم هو قلب للحقائق وتجهيل للقارئ، وكأن الصومعي يرمي أهل السنة بصفات الرافضة لمجرد الخصومة.

وفي دعواه أنهم لا يدعون إلى الكتاب والسنة ، فهذا كذب صريح يشهد بخلافه كل من جالسهم؛ فبياناتهم لا تقوم إلا على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وشعارهم الكلمة الطيبة وتحقيق مقتضى لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فإذا لم تكن الدعوة إلى التوحيد والتمسك بالسنة دعوة للكتاب والسنة، فماذا تكون؟ إن الصومعي يختزل الدعوة للكتاب والسنة في أسلوب نقد معين أو قوالب لفظية محددة ، وهذا من ضيق الأفق وسوء الفهم.

وقوله جماعة التبليغ في أي مكان هم مبتدعة هو تعميم يضرب عرض الحائط بالقواعد الشرعية التي تفرق بين الأعيان والأماكن؛ فكيف يُحكم على داعية في المدينة المنورة أو مكة أو اليمن، نشأ على عقيدة السلف ويدرس في دور القرآن، بأنه مبتدع لمجرد أنه خرج ليذكر الناس بعظمة الله؟ إن هذا الحكم الشمولي يسقط عدالة آلاف الدعاة بغير حق، ويجعل من الجغرافيا و الأسماء معياراً للتبديع بدلاً من الأقوال والأفعال ، وهو مسلك الغلاة الذين لا يرون الحق إلا في أنفسهم.

إن الصومعي في هذه الفقرات لم يكن مستنبطاً بل كان مقلداً بأسوأ صور التقليد، حيث أخذ زلات العلماء واتخذها ديناً، وأعرض عن مئات التزكيات والشهادات بالخيرية، ليرضي هوى نفسه في تمزيق جسد الأمة الإسلامية وتشويه صورة العاملين فيها.

الموقف الأوسط الذي يجب سلوكه تجاه الجماعات الدعوية بعيداً عن الغلو وجفاء المنتقدين؟

إن الموقف الوسطي والعدل الذي ينبغي أن يسلكه المسلم تجاه جماعة التبليغ - أو غيرها من الجماعات الدعوية - هو الموقف الذي يجمع بين الإنصاف العلمي و الأخوة الإسلامية ، بعيداً عن غلو الصومعي الذي يهدر الحسنات بزلات متوهمة، وجفاء المنتقدين الذين يغلقون أبواب النصيحة بالتبديع، ويتلخص هذا الموقف في المعالم التالية:

أولاً: الحكم على الظاهر والقاعدة الكلية

الأصل في المسلم السلامة، والأصل في جماعة التبليغ أنها جماعة دعوية إسلامية من أهل القبلة، قامت على أسس تهدف لإحياء الإيمان في قلوب العوام. فالعدل يقتضي أن نزن

الجماعة بميزان الغالب من حالها، وهو الدعوة إلى الصلاة والذكر والزهد والتوحيد، لا أن نتصيد أخطاء فردية لأشخاص في أقصى الأرض أو نصوصاً قديمة لم تعد تمثل الواقع العملي للدعاة اليوم، فالغمر في بحار الحسنات هو منهج السلف الصالح.

ثانياً: التفريق بين الوسيلة والمقصد

يجب إدراك أن الخروج و نظام الأيام هي مجرد وسائل تنظيمية اجتهادية وليست تعبدات مخترعة ، فكما يجوز تنظيم المحاضرات والندوات والمخيمات الدعوية، يجوز تنظيم الخروج للتذكير بالله. فالصومعي يخلط بين الوسيلة و العبادة ، والوسطية تقتضي أن نقبل الوسيلة النافعة ما لم تصادم نصاً صريحاً، وما رأينا في الخروج إلا هداية للملايين وإخراجاً لهم من ظلمات المعاصي إلى أنوار الطاعة.

ثالثاً: النصح بالمخالطة لا بالهجر والمقاطعة

المنهج النبوي يقوم على التعليم لا التعنيف ، فإذا رأى طالب العلم نقصاً في بصيرة بعض الدعاة أو خللاً في سرد الأحاديث، فالواجب عليه شرعاً أن يخالطهم وينصحهم بالرفق واللين، تماماً كما اقترح الشيخ ابن باز رحمه الله. أما منهج الصومعي في التحذير والتبديع من وراء الشاشات، فهو منهج يوسع الفجوة ويحرم الأمة من خير عظيم، بينما الموقف العدل هو أن نسد ثغرتهم العلمية بجميل نصحنا، لا أن نهدم بناءهم الدعوي بقبيح تجريحنا.

رابعاً: رد الفضل لأهله وعدم جحد الحسنات

من الظلم الفاحش تجاهل أثر هذه الجماعة في دخول الآلاف للإسلام في أوروبا وأفريقيا، وتوبة ملايين العصاة في بلاد المسلمين. فالمسلم المنصف لا يمكنه أن يغمض عينيه عن هذه الفتوحات الدعوية التي لم تنجح فيها مؤسسات أكاديمية كبرى، وجحد هذا الفضل هو من هوى النفس. فالعدل هو أن نقول: أصابوا في الدعوة وهداية الناس، ونصحناهم في تكميل جوانب العلم .

خامساً: البراءة من التدليس والخلط بين الجماعات

الموقف العدل يوجب علينا تبرئة الجماعة من التهم التي لا تليق بها، كفرية القبورية أو القادرية التي رماهم بها الصومعي مستغلاً فتاوى في غيرهم. فالمسلم لا يشهد إلا بما علم، والواقع المشاهد أن جماعة التبليغ في بلادنا هم من أشد الناس حرصاً على التوحيد وبغضاً للشرك، ورميهم بخلاف ذلك هو بهتان عظيم.

إن هذا المسلك الوسطي هو الذي يحفظ للأمة وحدتها، ويشجع على العمل الصالح، ويغلق الأبواب أمام الفكر الإقصائي الذي لا يرى الحق إلا في نفسه ولا يرى الضلال إلا في غيره . فالإنصاف عزيز، ومن رزق الإنصاف فقد رزق خيراً كثيراً.

التعقيب على فهم الصومعي السقيم وعلى فتوى الشيخ صالح الفوزان عفا الله عنه :

إن ما أورده الصومعي من كلام الشيخ صالح الفوزان عفا الله عنه ، يمثل في جوهره خلاصة الخلاف الفقهي والأكاديمي حول الوسائل الدعوية، إلا أن الصومعي وظفه كعادته ليجعله صك تبديع نهائي، متجاهلاً أن نقد الشيخ الفوزان ينصب على الوسيلة والترتيب وليس على أصل العقيدة ،

قال الصومعي (وسئل الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى سؤالاً عن جماعة التبليغ ونصه ما يلي:

س : ماذا تقول لمن يخرج إلى خارج المملكة للدعوة وهم لم يطلبوا العلم أبداً يحثون على ذلك ويرددون شعارات غريبة ويدعون إن من يخرج في سبيل الله للدعوة سيلهمه الله ويدعون أن العلم ليس شرطاً أساسياً وانت تعلم أن الخارج إلى خارج المملكة سيجد مذاهب وديانات وأسئلة توجه إلى الداعي ألا ترى يا فضيلة الشيخ أن الخارج في سبيل الله لا بد أن يكون معه سلاح لكي يواجه الناس وخاصة في شرق آسيا يحاربون مجدد الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أرجو الإجابة على سؤالي لكي تعم الفائدة ؟ .

ج/ ا لخروج في سبيل الله ليس هو الخروج الذي يعنونه الآن – الخروج في سبيل الله هو الخروج للغزو، أما ما يسمونه الآن بالخروج فهذه بدعة لم يرد عن السلف وخروج الإنسان يدعو إلى الله غير متقيد في أيام معينة بل يدعو إلى لله حسب إمكانيته ومقدرته بدون أن يتقيد بجماعة أو يتقيد بأربعين يوماً أو أقل أو أكثر وكذلك مما يجب على الداعية ان يكون ذا علم لا يجوز للإنسان أن يدعو إلى الله وهو جاهل، قال تعالى: { **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة** } [يوسف ص 108]. أي على علم لأن الداعية لا بد أن يعرف ما يدعو إليه من واجب ومستحب ومحرم ومكروه ويعرف ما هو الشرك والمعصية والكفر والفسوق والعصيان يعرف درجات الإنكار وكيفيته والخروج الذي يشغل عن طلب العلم عمل باطل لأن طلب العلم فريضة وهو لا يحصل إلا بالتعلم لا يحصل بالإلهام هذا من خرافات الصوفية الضالة لأن العمل بدون علم ضلال والطمع بحصول العلم بدون تعلم وهم خاطئ [كتاب ثلاث محاضرات في العلم والدعو للشيخ صالح الفوزان بواسطة كتاب كشف الستار للعريني ص 67].

ويمكن الرد على استدلال الصومعي بفتوى الشيخ الفوزان عفا الله عنه من خلال النقاط التالية:

أولاً، بخصوص مسألة الخروج في سبيل الله ، فقد ذهب الشيخ الفوزان إلى قصر هذا المصطلح على الغزو ، واعتبر تخصيص أيام معينة كالأربعين يوماً بدعة. وهذا رأي فقهي اجتهادي في تسمية الوسيلة ، لكنه لا يعني بحال أن الفعل في ذاته (وهو السفر لنصح الناس) محرم أو شرك. فالمسلمون منذ صدر الإسلام يسافرون لتعلم العلم ونشره، وجماعة التبليغ لم تقل إن الأربعين يوماً نص شرعي توقيفي، بل هي نظام إداري لترتيب الأوقات، تماماً كما يتم ترتيب الدورات العلمية في أسبوع أو المخيمات في عشرة أيام. فجعل الصومعي لهذا الخلاف في المصطلح دليلاً على ضلال الجماعة هو تزييف للمقاصد، فالشيخ الفوزان ينقد التنظيم ، والصومعي يطعن في الدين .

ثانياً، فيما يتعلق بشرط العلم للبصيرة ، فإن استشهاد الشيخ بقوله تعالى {على بصيرة} هو حق لا ريب فيه، والداعية لا بد أن يكون عالماً بما يدعو إليه. لكن ما يخفيه الصومعي هو أن جماعة التبليغ في منهجها لا تصدر العوام للفتوى أو لبيان الأحكام العويصة، بل وظيفة العامي عندهم هي حكاية الفضائل (الترغيب في الصلاة، صلة الرحم، ذكر الله)، وهذا قدر من العلم يملكه كل مسلم. والشيخ الفوزان ينظر للأمر من زاوية الداعية المتصدي للرد على المذاهب والديانات ، وهذا تخصص علمي بالفعل، لكن خروج العوام لإصلاح أنفسهم وعوام المسلمين هو باب آخر من أبواب الأمر بالمعروف الذي يشترك فيه المسلمون بحسب طاقاتهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: بلغوا عني ولو آية .

ثالثاً، حول دعوى الإلهام وترك العلم ، فإن الشيخ الفوزان وصف ذلك بأنه من خرافات الصوفية، وهو محق في أن العلم لا يحصل إلا بالتعلم. لكن نسبة هذا القول لجماعة التبليغ قاطبة فيه نظر؛ فالجماعة تحث أفرادها في كل بيان على غشيان مجالس العلماء وطلب العلم في المساجد، وهم يرون أن الخروج هو تحريك للقلب ليقبل على العلم والعبادة، وليس بديلاً عن الكتاب والسنة. إن الصومعي يقتنص الكلمات التي قيلت في سياق التحذير من الغلو في الإلهام ليصم بها ملايين البشر الذين لا يعتقدون ذلك، بل يقضون أوقاتهم في قراءة رياض الصالحين وكتب السنة.

رابعاً، إن الشيخ الفوزان يرى أن الخروج الذي يشغل عن طلب العلم عمل باطل ، وهذا توجيه تربوي سديد لمن ترك واجب التعلم وانشغل بالنافلة. ولكن الصومعي يقلب هذا التوجيه ليجعله بطلاناً لمبدأ الدعوة عند هؤلاء، متناسياً أن الملايين الذين هداهم الله على يد هذه الجماعة كانوا لا يعرفون طريق المسجد أصلاً، فكان خروجهم هو بداية طلب العلم

وليس شاغلاً عنه. فالموقف الوسطي هو أن نشجعهم على الدعوة ونوجههم لطلب العلم، لا أن نحكم ببطلان عملهم ونترك العصاة في غيهم بلا ناصح.

خامساً، إن الشيخ الفوزان، برغم شدته في هذه الفتوى، لا يخرجهم من دائرة الإسلام ولا يرميهم بالشرك الأكبر كما يفعل الغلاة، بل هو ينقد مسلكاً دعوياً يراه مخالفاً لهدي السلف في نظره. أما الصومعي فيستخدم هذا النقد المنهجي ليبرر خصومة عقدية شعواء، وهذا هو عين التدليس؛ إذ يلبس كلام العالم في الوسائل لبوس الحكم في الأصول .

وأبلغ رد على الصومعي هنا هو أن يقال له إن الخلاف في وسائل الدعوة و توقيت الأيام هو خلاف يسعه الاجتهاد، وقد خالف الشيخ الفوزان في هذا غيره من الأعلام كابن باز وابن جبرين في مواضع أخرى أثنوا فيها على الجماعة، والعبرة بالدليل والواقع، والواقع يشهد أن خروج هؤلاء كان سبباً في حماية الشباب من الإلحاد والمخدرات والتطرف، وهو نفع متعدٍّ لا يجوز إهداره بسبب خلاف على اصطلاح أو توقيت .

قال الصومعي : (وقال حفظه الله جواباً على سؤال وجه له:

وبلادنا الحبيبة والحمد لله ليست بحاجة إلى استيراد مناهج من هنا وهناك ، وإنما يجب على أهل البلاد التمسك بما هم عليه من دعوة الحق ونبذ ما خالف ذلك من أي جماعة سواء جماعة التبليغ أو غيرها من الدعوات المشبوهة ، وجماعة التبليغ قد قيل عنها الكثير من المخالفات **والبدع** – كما بين ذلك أناس عايشوها وصحبوا أهلها وعرفوا ما عندهم ، وبينوا أن منهج هذه الدعوة مخالف لمنهج دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنها دعوة **صوفية بدعية** ، فإذا كان الأمر كذلك فإنه يجب التحذير منها خصوصاً في هذه البلاد التي من الله عليها بوجود الدعوة السلفية. [المصدر السابق ص 67].)

إن ما أورده الصومعي هنا من كلام الشيخ صالح الفوزان حفظه الله يمثل ذروة التوظيف السياسي والجغرافي للفتوى الشرعية، حيث حاول تحويل نصيحة وطنية ومنهجية إلى حكم عقدي شمولي يقضي بضلال الملايين، والرد على فقرات هذا الكلام المقتبس يتضح من خلال الآتي:

بخصوص قوله إن بلادنا ليست بحاجة إلى استيراد مناهج ، فهذا كلام يندرج تحت باب السياسة الشرعية وحماية الخصوصية الدعوية للمملكة العربية السعودية التي قامت على دعوة التوحيد الخالص. والشيخ الفوزان هنا يتكلم بلسان المسؤول عن حماية الأمن الفكري لبلده، وهذا لا يعني بالضرورة أن المناهج الأخرى كافرة أو خارجة عن الملة ، بل يعني أنها لا

تتناسب مع البيئة العلمية السعودية التي تكتفي بالكتاب والسنة وفق فهم السلف. فجعل الصومعي هذه الاستغناء المنهجي دليلاً على بطلان المنهج في كل مكان هو مغالطة، فالاستغناء عن الشيء لا يعني بالضرورة ضلال ذلك الشيء في أصله، بل قد يعني كفاية ما عندنا عنه.

أما وصفه لجماعة التبليغ بأنها من الدعوات المشبوهة ، فهو حكم بني على قيل وقال كما صرح الشيخ نفسه بقوله قد قيل عنها الكثير ، وهذا يثبت أن الحكم لم يبنَ على استقراء مباشر من الشيخ للفكر التبليغي في أصله، بل على تقارير وصلت إليه. والصومعي يستغل لفظ مشبوهة ليوهم القارئ أنها دعوة باطنية أو سرية، بينما الواقع يشهد أن جماعة التبليغ هي الجماعة الأكثر علنية في العالم، فعملهم في المساجد، وبياناتهم عامة، وتحركاتهم تحت نظر الجميع، فكيف تكون مشبوهة وهي التي لا تملك تنظيماً سرياً ولا بيعات خفية؟

وفيما يتعلق بقوله إن أناساً عايشوها وعرفوا ما عندهم وبينوا أنها صوفية بدعية ، فهنا نعود إلى المربع الأول وهو انتقائية الشهود ؛ فالشيخ الفوزان اعتمد على من نقلوا له السلبيات، بينما تجاهل الصومعي أن هناك علماء آخرين (كابن باز وابن جبرين) عايشوا الجماعة أيضاً ورأوا فيها خيراً ودعوة إلى السنة. فشهادة أهل العيانية الذين رأوا التوحيد والسنة في الجماعة لا تقل قيمة عن شهادة من رأوا البدع، بل إن الأصل في المسلم البراءة، والبدعة تُقدر بقدرها ولا تُعمم على ملايين البشر في أقطار الأرض بناءً على شهادات آحاد قد تكون محكومة بخصومات محلية في الهند أو باكستان.

أما الاستنتاج بأن منهج هذه الدعوة مخالف لمنهج دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو حكم قتيل بالعمومية؛ فإذا كان القصد المخالفة في الوسائل (كتقسيم الأيام والترتيبات الإدارية)، فهذا خلاف سائغ في باب الوسائل الدعوية. أما إذا كان القصد المخالفة في الأصول ، فإن واقع الجماعة في دعوتها للتوحيد والصلاة والزهد والذكر هو في صميم هدي النبي صلى الله عليه وسلم. إن الصومعي يخلط بين السمت النبوي في الوسيلة وبين المقصد النبوي في الهداية ، فجماعة التبليغ حققت المقصد (وهو إدخال الناس في طاعة الله) بوسائل اجتهادية، والحكم بمخالفتها لمنهج الرسول جملة وتفصيلاً هو إجحاف لا يقره الإنصاف.

والتأكيد على وجوب التحذير منها خصوصاً في هذه البلاد يعزز فكرة أن الحكم محلي وجغرافي بامتياز؛ فالشيخ الفوزان يرى أن وجود الدعوة السلفية الصافية في السعودية يغني عن أي طريقة أخرى قد تشوبها شائبة جهل أو بدعة. لكن الصومعي يريد تصدير هذا التحذير

المحلي ليكون حكماً عالمياً، فيحرم المسلمين في أفريقيا وأوروبا وآسيا من جماعة كانت هي السبب الوحيد في حماية هويتهم الإسلامية. إن الفارق بين حماية بيئة علمية مستقرة (كما يفعل الفوزان) وبين تبديع حركة دعوية عالمية (كما يفعل الصومعي) هو الفارق بين فقه الدولة وبين هوس الفرقة.

فالصومعي يتكئ على عصمة الأشخاص في النقد ويهدر واقع الجماعة في العمل، ويحول نصيحة عالم بلزوم غرز مدرسة معينة إلى سيف يبتر به كل يد ممتدة للدعوة إلى الله خارج إطاره الضيق.

العصبية للبلد في كلام الشيخ الفوزان عفا الله عنه :

إن مكمن الخلل في منهجية الاستدلال التي يتبعها الصومعي حيث يتلقف الفتاوى التي صبغت بصبغة السياسة الشرعية المحلية والحماية الجغرافية، ليجعل منها أحكاماً عقدية سماوية، متغافلاً عن السياقات والمقاصد التي تحكم تلك الأقوال، ويمكن تبيان ذلك في النقاط التالية:

أولاً: تغليب المنزع الوطني على المنهج الدعوي العالمي

إن المتأمل في كلام الشيخ الفوزان يلحظ بوضوح نبرة الاستغناء الوطني ؛ فقوله إن بلاده ليست بحاجة لاستيراد مناهج هو خطاب سيادي تعليمي يهدف لحماية النموذج المحلي الذي تتبناه الدولة. هذا الموقف يمتاز بنوع من الخصوصية التي ترى في كل وافد تهديداً للانسجام الداخلي، حتى لو كان هذا الوافد يحمل خيراً. والصومعي يدلس حين يصور هذا التحفظ الإداري والوطني على أنه كشف لضلال عقدي، بينما هو في حقيقته رغبة في الاحتواء المحلي وعدم السماح بمنافسة المؤسسة الدينية الرسمية.

ثانياً: مفارقة السكوت عن المنكرات المعاصرة

ما أشرت إليه من سكوت عن مخالفات هيئة الترفيه وما يحدث من تغييرات اجتماعية جذرية في السنوات الأخيرة، يوضح أن النقد الموجه لجماعة التبليغ لا ينطلق دائماً من معيار محاربة البدعة المجرد، وإلا لكان من باب أولى إنكار المنكرات الظاهرة والشركيات العملية والتحلل الأخلاقي الذي يغزو المجتمع. هذا التباين في المواقف يعزز فكرة أن التحذير من التبليغ هو تحذير سياسي يستهدف جماعة منظمة قد تؤثر في الولاء أو التوجيه الشعبي، وليس تحذيراً من خرافة كما يزعمون، فلو كان الأمر بالغيرة على الدين وحده، لكان نقد الواقع الاجتماعي المعاصر أولى بكثير من نقد جماعة تدعو للصلاة والذكر.

ثالثاً: وهم السلفية الشاملة في المجتمع

إن ادعاء أن سكان المملكة كلهم سلفيون على الجادة هو ادعاء يخالف الواقع المشاهد؛ فالمجتمعات بطبعها تتفاوت فيها مراتب التدين، وتنتشر فيها المعاصي والغفلة والشهوات كغيرها من المجتمعات. فمنع جماعة دعوية كـ التبليغ - التي تبرع في مخاطبة العوام والمنحرفين وهدايتهم - بحجة الاكتفاء الذاتي هو منع لخير عميم؛ فالواقع أثبت أن خطاب المؤسسات الرسمية الأكاديمي قد لا يصل لقلوب أهل الغفلة كما يصل خطاب التبليغيين الذي يتسم بالبساطة والرفق والمخالطة الميدانية. إن حرمان المجتمع من هذا الرافد الدعوي بسبب عصبية جغرافية هو تضييق لواسع فضل الله.

رابعاً: انتقائية الصومعي في التوظيف

الصومعي يغض الطرف عن كل هذه السياقات السياسية والوطنية، ويأخذ من كلام الفوزان ما يخدم نزعة التبديع لديه. هو لا يريد أن يفهم أن الشيخ يتكلم كـ مسؤول محلي ، بل يريد أن يجعل منه حاكماً مطلقاً على الملايين في آسيا وأفريقيا. وهذا المسلك فيه جناية على العلم؛ فالفوزان قد يرى مصلحة بلده في المنع، لكن ذلك لا يسوغ للصومعي أن يهدر دماء الملايين معنوياً ويصمهم بالبدعة والضلال في أقطار لا تملك ما تملكه المملكة من مؤسسات، وتعتبر فيها جماعة التبليغ هي الحصن الوحيد للدفاع عن الهوية الإسلامية.

والرد الفصل هو أن الحق لا يتقيد بجغرافيا ، والخير الذي يأتي من الهند أو باكستان أو اليمن ويوافق الكتاب والسنة هو خير مقبول شرعاً، والعصبية للوطن أو المنهج المحلي لا يجوز أن تكون حائلاً دون الاعتراف بفضل من هدى الله على يديه الملايين، ويبقى ميزان النقد هو (ما وافق الحق قُبل، وما خالفه رُد) دون تبديع شامل أو إقصاء مبني على حسابات سياسية أو وطنية ضيقة.

سوق التبديع والتفسيق لدى فرقة المدخلية الغالية :

إن تلخيصات الصومعي هذه ليست استنباطاً شرعياً، بل هي هندسة للخصومة تعتمد على تجميع الكلمات الشديدة لضرب العاملين في حقل الدعوة، متجاهلاً أن الحق يدور مع الدليل لا مع رغبات التبديع والإقصاء.

قال الصومعي (قال أبو همام ثبته الله على الحق حتى يلقاه:

يتلخص لنا من كلام الشيخ صالح حفظه الله ما يلي:

(1) الخروج الذي عندهم بدعة.

(2) لا يجوز أن يدعوا بغير علم
(3) منهج جماعة ا لتبليغ مخالف لمنهج دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم.
(4) جماعة التبليغ دعوة صوفية.
(5) جماعة التبليغ بدعية.
(6) يجب التحذير منها.) انتهى .)

إن ما صاغه الصومعي من تلخيصات لكلام الشيخ الفوزان يعكس منهجاً يفتقر إلى الأمانة العلمية والدقة في النقل، حيث جرد الأقوال من سياقها السياسي والتربوي وحولها إلى أحكام عقدية باتة، ويمكن الرد على تخرصاته في الفقرات التالية:

في الفقرة الأولى التي يزعم فيها أن الخروج الذي عندهم بدعة ، يقع الصومعي في خلط شنيع بين الوسيلة التنظيمية و العبادة المبتدعة ؛ فكلام الشيخ الفوزان كان منصباً على تخصيص الأيام كنوع من التنظيم الذي لم يعهده السلف، وهذا لا يجعل أصل السفر للدعوة بدعة، بل هو من صميم الدين. والصومعي يدلس حين يوهم الناس أن الفعل في ذاته ضلالة، بينما هو في حقيقته اجتهاد إداري لترتيب الأوقات، والشيخ الفوزان نفسه لا يمنع السفر للدعوة في المطلق، فكيف يجعل الصومعي من الخلاف في توقيت الوسيلة حكماً ببدعية العمل الدعوي برمته؟

أما قوله لا يجوز أن يدعوا بغير علم ، فهذه كلمة حق وظفها الصومعي توظيفاً باطلاً؛ فالشيخ الفوزان يقصد التبحر العلمي لمن يتصدى لرد الشبهات والأديان، بينما جماعة التبليغ تخرج العوام ليبلغوا ما علموا من أركان الإسلام وفضائل الأعمال، وهو قدر مشترك بين المسلمين. فالصومعي يحاول إخراص كل لسان يدعو لله بدعوى عدم التخصص ، متجاهلاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو آية ، فجعل الصومعي من نصيحة رفع المستوى العلمي صكاً لمنع الدعوة العامية التي كانت سبباً في هداية الملايين.

وبخصوص دعوى أن منهج جماعة التبليغ مخالف لمنهج دعوة الرسول ، فهذا اقتباس مبتور؛ فالشيخ الفوزان كان يقصد الترتيبات الإدارية المحدثة، بينما الصومعي يريد إيهام القارئ بأن غايتهم ومقاصدهم تخالف السنة. والواقع أن التبليغيين يحيون سنة الصلاة والذكر وحسن الخلق، وهي من صميم دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم. فالمخالفة في شكل التنظيم لا تعني المخالفة في أصل المنهج ، لكن الصومعي يهوى التعميم ليهدم الجماعة من جذورها بغير حق.

أما فقرة جماعة التبليغ دعوة صوفية ، فهي فرية تاريخية يكررها الصومعي بلا تمحيص؛ إذ يخلط بين التزكية الأخلاقية والزهد الذي تمارسه الجماعة وبين التصوف البدعي الغالي الذي يحاربونه في الهند وباكستان. فالجماعة (الديوبندية) تُكفرها الطرق الصوفية (البريلوية) لأن التبليغيين يحرمون الاستغاثة بالقبور، فكيف يرميهم الصومعي بما يحاربونه؟ إن هذا الجهل بالخلفيات العقدية يثبت أن الصومعي ناقل للطعن وليس محققاً للحق .

وفي قوله إن جماعة التبليغ بدعية ، فهو حكم مبني على العوارض لا على الأصل ؛ فالشيخ الفوزان حذر من مخالفات بلغت إليه، لكن الصومعي جعل الوصف بالبدعة هو الماهية الكلية للجماعة في كل زمان ومكان. وهذا جفاء للواقع؛ فالبدعية لا تثبت لمجرد خطأ في وسيلة أو قصور في علم، بل تثبت بمصادمة أصول الدين، وجماعة التبليغ هي الحصن الأول للتوحيد في كثير من بلاد الأعاجم، ولكن الصومعي لا يرى إلا بعين الخصومة والتحزب.

ولذلك فإن نتيجة الصومعي بوجوب التحذير منها هي نتيجة مبنية على عصبية جغرافية وسياق سياسي محلي خاص بالمملكة العربية السعودية، كما صرح الشيخ الفوزان بخشيته من استيراد المناهج. والصومعي يغفل أن هذا التحذير لا ينطبق على بلاد أخرى تفتقر للعلماء وتعيش في غفلة تامة، حيث تكون جماعة التبليغ هناك هي النور الوحيد. فالتحذير الذي قصده الفوزان هو حماية لبيئة علمية مكتملة ، أما تحذير الصومعي فهو وأد لبيئة دعوية عالمية ، وهذا هو الفرق بين فقه العالم وهوى المتعصب.

الفرق بين النقد العلمي المبني على السياسة الشرعية وبين التأثيم والتبديع القائم على التشفي والهوى

يكمن الفرق الجوهري بين المسلكين في المقصد والوسيلة والأثر؛ فبينما يهدف النقد العلمي المبني على السياسة الشرعية إلى الإصلاح والترميم، يهدف التأثيم والتبديع القائم على التشفي والهوى إلى الإسقاط والتهديم. ويمكن تجلية الفوارق بينهما في سياق متصل يوضح زيف منهج الصومعي وفرقته:

النقد العلمي المبني على السياسة الشرعية هو مسلك كبار العلماء كالشيخ اللحيدان أو الفوزان حين يتحفظون على جماعة ما؛ فنقدهم ينطلق من غيرة على جناب العلم وحماية الأمن العقدي للمجتمع. هم ينظرون إلى المآلات، فيخشون أن يطغى الوعظ على التأصيل،

أو أن يتصدر للناس من لم ينضج علمه فيقع في الزلل. هذا النقد يستند إلى أدلة شرعية في ترتيب الأولويات و سد الذرائع ، وهو نقد منصف لا يجحد الفضل، بل يوجهه. فالناقد بالسياسة الشرعية يقول لك: أنا لا أمنعك من الدعوة، لكنني أمنعك من القول بلا علم، وأحذرك من اتخاذ وسائل لم يعهدها السلف لئلا تفتح باباً للبدعة . هذا المسلك يعامل المخالف كـ أخ أخطأ في الوسيلة ، فيبقى حقه في الولاء والإسلام محفوظاً، وتظل حسناته في هداية الناس محل تقدير.

أما التأثيم والتبديع القائم على التشفي والهوى، فهو المسلك الذي يسلكه الصومعي ومن على شاكلته من الغلاة؛ حيث تتحول الفتوى في أيديهم إلى سلاح إقصائي . هم لا يبحثون عن تصحيح الخطأ، بل يبحثون عن مسوغ لرمي المخالف بالبدعة والشرك . في هذا المنهج، يتم بتر النصوص وتجاهل السياقات التاريخية والجغرافية، واستدعاء زلات العلماء أو فتاواهم التي قيلت في ظروف خاصة لتعميمها كحكم كلي أبدي. الدافع هنا ليس نصيحة المسلم ، بل هو شهوة الغلبة وإثبات أن فرقتهم هي الوحيدة الناجية. هذا المسلك يعامل المخالف كـ عدو للدين ، فيهدر دمه المعنوي، ويجحد كل جهوده في نشر الإسلام، ويصمه بالكفر والقبورية بناءً على شبهة أو تشابه أسماء أو حكاية مكذوبة ، وهو مسلك يفرق الأمة ويمزق نسيجها لصالح تحزب ضيق لا يرى من الحق إلا قشوره.

يظهر الفرق بينهما جلياً في الأثر؛ فالنقد الشرعي يثمر تجويداً للعمل الدعوي واستجابة من المخلصين للتصحيح، بينما التبديع القائم على الهوى يثمر ضغينة وتناحراً، ويجعل العوام ينفرون من الدين بسبب قسوة الطاعنين. الصومعي استعار لباس العلماء ونقدهم المبني على السياسة الشرعية، ليمرر من خلاله سموم التبديع القائم على الهوى، فخلط بين مقام التحذير من نقص العلم ومقام التكفير بالشرك ، وهذا من أعظم الجنايات على الشريعة وعلى أمانة النقل عن العلماء. فالعدل هو أن نحفظ للعلماء مقامهم في النقد والاجتهاد، ونبرأ من الغلاة الذين اتخذوا من هذا النقد مطية للتشفي وتفريق شمل المسلمين.

التعقيب على فهم الصومعي السقيم وعلى فتوى الشيخ عبد القادر الأرناؤوط عفا الله عنه :

ونحن الان مع فتوى للشيخ الأرناؤوط وهي من قبيل الفتاوى الانطباعية حيث بُنيت على تصورات تاريخية قديمة وتجاوزات فردية، وقد وظفها الصومعي توظيفاً خبيثاً ليضرب العمل الميداني ويحصر الدين في بطون الكتب ومجالس التبديع، متجاهلاً أن العبرة بالحقائق لا بالألقاب، وبالمقاصد لا بالوسائل.

قال الصومعي (قال فضيلة الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فإني أنا العبد الفقير إلى الله تعالى العلي القدير (عبد القادر الأرناؤوط) سألني بعض طلاب العلم عن جماعة التبليغ التي ابتدأت بالهند من الشيخ محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي وهو الأمير لهذه الجماعة حفظ القرآن الكريم وقرأ الكتب الستة **في الحديث النبوي الشريف على المنهج الديوبندي الهندي وأخذ البيعة على المنهج الصوفي** ... ولهم في كل بلد أمير تابع للأمير الأصلي ، وعندهم طرق كالنقشبندية والقادرية وغيرهما.. ، جماعة التبليغ صوفية نقشبندية قادرية ، يخلطون بين العقيدة الصحيحة والعقيدة الفاسدة ، وبين السنة والبدعة ، وبين الولاء لكتاب الله وسنة رسوله والولاء للمناهج البشرية ، تفسر النصوص على منهجها لا على منهج السلف الصالح ، تفسير الجهاد بالجهاد للنفس فقط ، ويدعون إلى الدعوة التبليغية والخروج التبليغي والأسفار والسياحة ، ولا يتكلمون في العقيدة التي هي أساس الإسلام ، فالدعاة من جماعة التبليغ الذين يدعون خارج بلادهم ليسوا على مستوى العلم الصحيح لذا صار اكثر المسلمين منهم يتقرب إلى الله تعالى بالبدعة والخرافة تبعاً لأمرائهم في السفر لأنهم ليسوا على منهج السلف الصالح ، لذا كان لزاماً على الدعاة من جماعة التبليغ دراسة العقيدة الصحيحة أولاً من مصادرها الصحيحة .. الخ . [المصدر السابق بتصرف يسير] .)

يمثل كلام الشيخ عبد القادر الأرناؤوط رحمه الله نموذجاً آخر للتقارير المعلبات التي كانت تُرفع لعلماء الشام والحجاز عن أصول الجماعة في الهند، دون تفريق بين الجذور التاريخية وبين الواقع الدعوي المتجدد ، وقد تلقف الصومعي هذه الفتوى ليجعل منها حكماً عاماً، والرد عليها يتضح في النقاط التالية:

أولاً: بخصوص المنهج الديوبندي وأخذ البيعة الصوفية

ذكر الشيخ أن مؤسس الجماعة قرأ الحديث على المنهج الديوبندي وأخذ البيعة الصوفية. والرد على ذلك أن الديوبندية في الهند هي مدرسة حديثية قامت أصلاً لمواجهة الخرافات والبدع والقبوريات، وما يُسمى بالبيعة عندهم ليس هو بيعة الطرق الصوفية الغالية التي تقتضي الحلول والاتحاد، بل هي بيعة على التوبة والتمسك بالسنة يشبهها كثير من العلماء ببيعة الطاعة لولاة الأمر أو بيعة المعلم لطلابه. فخداع الصومعي هنا يكمن في إطلاق لفظ صوفية ليوهم الناس أنها صوفية أصحاب القبور ، بينما واقعهم هو الزهد والتزكية.

ثانياً: دعوى أنهم نقشبندية وقادرية

هذا الخلط التاريخي يتكرر كثيراً؛ فالشيخ الأرناؤوط خلط بين الخلفية العائلية لبعض المؤسسين وبين منهج الجماعة الدعوي . فجماعة التبليغ لا تدرس النقشبندية ولا القادرية، ولا تدعو لأورادها، بل كتابها الأساس هو رياض الصالحين و حياة الصحابة . والصومعي يستغل هذه الأسماء (نقشبندية، قادرية) كفزاعات لتخويف العوام، بينما الواقع أن الجماعة في العالم العربي والسعودية واليمن لا تعرف عن هذه الطرق شيئاً، بل تنهج نهجاً سلفياً خالصاً في العبادة والاتباع.

ثالثاً: دعوى الخلط بين العقيدة الصحيحة والفاسدة

هذا اتهام عائم يفتقر للدليل الملموس؛ فما هي العقيدة الفاسدة التي يدرسونها؟ إن منهجهم يقوم على الكلمة الطيبة وشرح أركان الإيمان الستة كما وردت في حديث جبريل. والشيخ الأرناؤوط رحمه الله ربما بنى حكمه على تصرفات أفراد أعاجم في بيئات ملوثة بالبدع، فجعل الصومعي من هذا الخلط الفردي حكماً شاملاً. والحقيقة أن الجماعة هي التي حمت عقيدة ملايين المسلمين من الذوبان في العلمانية والإلحاد في بلاد الغرب.

رابعاً: تفسير النصوص على غير منهج السلف وقضية الجهاد

اتهمهم الشيخ بتفسير الجهاد بجهاد النفس فقط. والرد أن الجماعة لم تنكر جهاد الطلب والطلب بالكلية، لكنها رأت أن الأولوية في زمن ضعف المسلمين وبعدهم عن الصلاة هي جهاد النفس لإعادتها إلى حظيرة الإسلام، وهو ما يُسمى عند العلماء بترتيب الأولويات . فاعتبار هذا الترتيب مخالفة لمنهج السلف هو ضيق في الفهم؛ فالصحابة قضوا 13 عاماً في مكة في بناء النفوس قبل الإذن بالقتال، والجماعة تحاكي هذا الطور لإصلاح العوام.

خامساً: دعوى أن أكثر المسلمين منهم يتقرب بالبدعة والخرافة

هذا حكم إحصائي باطل يكذبه الواقع؛ فالملايين الذين خرجوا مع التبليغ تركوا شرب الخمر والربا وهجر المساجد وصاروا من أهل الصلاة والقرآن. فهل هذه خرافة وبدعة ؟ إن الصومعي يقلب الحقائق؛ فيسمي الهداية والتمسك بالفرائض بدعة، ويسمي قعود الغلاة عن الدعوة سنة. إن ثمرة الجماعة في تطهير المجتمعات من الرذائل هي أكبر شاهد على أنها دعوة إصلاحية وليست دعوة خرافية.

سادساً: شرط دراسة العقيدة أولاً قبل التبليغ

هذا القيد الذي وضعه الأرناؤوط رحمه الله هو ما يستعمله الغلاة لتعطيل الدعوة؛ فلو اشترطنا على كل عامي أن يتقن متون العقيدة وتفاصيلها قبل أن ينصح جاره بالصلاة، لمات الناس على المعاصي. فالتوحيد الذي يدعو إليه التبليغيون هو توحيد العبادة الفطري، وهو كافٍ للعامي ليخرج من ظلمات الجهل. أما الصومعي فيريد إغلاق باب الدعوة حتى يصبح الجميع علماء، وهذا مصادم لقوله ﷺ: بلغوا عني ولو آية .

فجوة منهجية عميقة بين المثالية الأكاديمية و الواقعية الدعوية :

إن القراءة المتأنية لموقف الشيخ عبد القادر الأرناؤوط رحمه الله، وما تلاه من توظيفات الصومعي لهذا الموقف، تكشف عن فجوة منهجية عميقة بين المثالية الأكاديمية و الواقعية الدعوية ، إذ تبرز الملاحظة الأهم في هذا السياق وهي محاكمة عمل ميداني عام بمعايير مدرسة تحقيق أثرية تخصصية؛ فالعالم الذي قضى عمره في تنقية الأسانيد وتحقيق المخطوطات ينظر إلى النقص العلمي أو استخدام الأحاديث الضعيفة على لسان العوام كأنه هدم لأصول الدين، غافلاً عن الفرق الجوهري بين مقام التحديث الذي يستلزم الضبط، ومقام الوعظ الذي يهدف إلى استنقاذ الغرقى وتحريك القلوب.

ويتجلى هذا الخلل في تغليب سيكولوجية الحذر التي تدفع نحو حمل المحتملات على أسوأ المحامل؛ فبدلاً من توجيه الجماعة لتطوير وسائلها وتصحيح مصطلحاتها، يتم تأويل كلمات مثل الفيوضات أو السياحة بأسوأ التفاسير الباطنية والترفيهية، وهو ما يمكن تسميته بالورع البارد الذي يهدم الصرح الدعوي برمته من أجل قشرة على الجدار، مما يعكس غياب الرغبة في النصح الذي يطور العمل لصالح التحذير الذي يبتره، وذلك نتيجة رؤية ضيقة تحسب أن الأنظمة الإدارية (كتقسيم الأيام والشهور) هي تشريع موازٍ للوحي وليست مجرد وسائل تنظيمية أثبتت كفاءتها في استيعاب طاقات المسلمين.

وفي ضوء حال الأمة اليوم، تظهر مأساة هذا المنهج في محاولته فرض شرط الكمال العلمي كعائق أمام واجب الإنقاذ الدعوي ؛ فالأمة تعاني من فجوة هائلة بين ملايين المنغمسين في الشهوات والغفلة وبين قلة من العلماء المنكفئين على متونهم، وقد جاءت هذه الجماعة لتسد الفجوة بجيش من المتطوعين الذين يملكون الحد الأدنى من العلم الكافي للهداية والحد الأعلى من البذل، فجاء نقد الأرناؤوط وتوظيف الصومعي ليفرغ الميدان عملياً لصالح المناهج العلمانية والمبشرين، إذ إن منع هؤلاء الدعاة البسطاء بحجة عدم التبحر هو حكم بموت الغريق لأن من مده بالحبل ليس عالم مفنناً ، وهو خلل صريح في فقه المقاصد لا يدركه من جعل الدين متحفاً للنصوص المهجورة بدلاً من كونه ورشة عمل لإحياء القلوب، ما يجعل من هذا التعميم الإقصائي جناية على مستقبل الدعوة في زمن نحن فيه أحوج ما نكون لعشرات الآلاف من المصلحين لسد ثغرات الجهل المتسعة.

تلخيصات الصومعي لثلة من البدع المنكرة التي أطلقها عبدالقادر الأرناؤط عفا الله عنه :

وفي محاولة لـ هدم العمل الإسلامي تحت ستار الغيرة على السنة يكمل الصومعي ترهاته واستنباطاته الساذجة ، ولو أنصف الصومعي لعلم أن هذه الجماعة هي السد المنيع الذي يحمي العوام من الإلحاد والتشيع والتطرف، ولكن الهوى يُعمي ويُصم.

(**قال أبو همام حفظه الله**: يتلخص لنا من كلام الشيخ عبد القادر حفظه الله ما يلي:

(1) جماعة التبليغ : عندهم بيعة .
(2) جماعة التبليغ: نقشبندية صوفية قادرية وغيرها.
(3) جماعة التبليغ: يخلطون بين العقيدة الصحيحة والفاسدة.
(4) جماعة التبليغ: يخلطون بين السنة والبدعة.
(5) جماعة التبليغ: يخلطون بين الولاء لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والولاء للمناهج البشرية.
(6) جماعة التبليغ: تفسر النصوص على منهجها لا على منهج السلف الصالح .
(7) جماعة التبليغ: تفسر الجهاد بالجهاد بالنفس فقط.
(8) جماعة التبليغ: يدعون إلى الدعوة التبليغية
(9) جماعة التبليغ: يدعون إلى الخروج التبليغي.

(10) جماعة التبليغ: يدعون إلى السفر والسياحة.

(11) جماعة التبليغ: لا يتكلمون في العقيدة.

(12) جماعة التبليغ: ليسوا على منهج السلف الصالح.

(13) جماعة التبليغ: عليهم بدراسة العقيدة.) انتهى .)

إن ما صاغه الصومعي في هذه النقاط الثلاث عشرة يمثل هرطقة نقدية قائمة على التضخيم والتدليس؛ حيث حوّل ملاحظات الشيخ الأرناؤوط التي بُنيت على تصورات تاريخية معينة إلى أحكام قطعية وسم بها الملايين. وإليك الرد المفصل لقطع دابر هذه الشبهات:

1. فرية البيعة : يصور الصومعي البيعة عند التبليغيين وكأنها بيعة سياسية أو تنظيمية سرية، بينما هي في حقيقتها بيعة توبة وإنابة إلى الله، تهدف إلى إلزام العامي بترك المعاصي والمحافظة على الفرائض، وهي تشبه ما كان يفعله المعلمون المربون مع تلاميذهم لضبط سلوكهم. فجعلها الصومعي صك إدانة وكأنها مروق عن طاعة ولي الأمر، وهذا خلط متعمد بين المقصد التربوي والهدف السياسي.

2. خلطه في نسبتهم إلى النقشبندية والقادرية : هذا التوصيف هو أحفور تاريخي لا وجود له في واقع الجماعة اليوم، خاصة في بلاد العرب والتوحيد. فالتبليغيون يبرأون من طقوس هذه الطرق واستغاثاتها الشركية، وواقعهم الدعوي في المساجد قائم على قراءة أحاديث المصطفى ﷺ. إن استجرار مسميات أعجمية لإسقاطها على واقع سني هو محاولة تغريب للجماعة عن بيئتها الإسلامية الصحيحة.

3. الخلط بين العقيدة الصحيحة والفاسدة : هذا اتهام عائم يفتقر للبرهان؛ فمنهج الجماعة في الكلمة الطيبة يقوم على أصول التوحيد الفطري. وإذا كان هناك جهل لدى بعض العوام ببعض دقائق المسائل، فليس ذلك خلطاً عقدياً ، بل هو نقص علمي يُعالج بالتعليم لا بالتبديع. الصومعي يسمى عدم التبحر خلطاً، ليوهم الناس بوجود فساد عقدي منظم، وهذا كذب محض.

4. الخلط بين السنة والبدعة : الواقع يشهد أن جماعة التبليغ كانت سبباً في إماتة مئات البدع الجنائزية والاجتماعية في القرى والبوادي، وإحياء سنن مهجورة كالسواك والذكر وقيام الليل. فكيف يُتهم من أحيا السنن في قلوب العوام بأنه يخلط معها البدع؟ إن الصومعي يرى في وسيلة الخروج بدعة، وبناءً على هذا التصور الضيق، وصم الجماعة كلها بالبدعة، متجاهلاً المقاصد السنية العظيمة.

5. قوله الولاء للمناهج البشرية : هذه فرية عجيبة؛ فالجماعة ليس لها منهج بشري موازٍ للشرع، بل هي طريقة تنظيمية لإدارة الوقت والجهد الدعوي. الولاء عندهم لله ورسوله، وخدمة دينه. لكن الصومعي يعتبر الانتماء لمجموعة دعوية ولاءً منهجياً بشرياً، وهو يسقط في نفس ما يرميهم به؛ إذ يوالي ويقيد الحق فيما يراه هو وفرقته فقط.

6. قوله تفسير النصوص بغير منهج السلف : يدعي الصومعي أنهم يفسرون القرآن والسنة بأهوائهم، والواقع أنهم لا يفسرون، بل يسردون الآيات والأحاديث في فضائل الأعمال. هم يبتعدون عن خوض المفسرين حذراً من الخطأ، فجعل الصومعي هذا التحفظ عن الفتوى والاجتهاد تفسيراً خاطئاً! إنهم يتبعون منهج السلف في إمرار النصوص والعمل بمقتضاها التربوي.

7. قوله تفسير الجهاد بجهاد النفس : هذا ليس إنكاراً لجهاد السنان، بل هو ترتيب أولويات في زمن ضعفت فيه الأمة وبعدت عن دينها. فالصحابة في مكة جاهدوا أنفسهم وصبروا قبل أن يُؤذن لهم بالقتال، والتبليغيون يرون أن بناء الفرد المسلم هو الجهاد الأكبر في هذا العصر لإصلاح القاعدة الشعبية، وهو فقه سديد في السياسة الشرعية غفل عنه الغلاة.

8 و9. الدعوة للتبليغ والخروج : يجعل الصومعي من اسم الجماعة وطريقتها جريمة ، بينما التبليغ هو مأمورية نبوية {بلغوا عني ولو آية}، والخروج هو وسيلة شرعية للسياحة في الأرض للدعوة. إن إنكاره لهذه الأسماء هو ضيق عطن؛ فالعبرة بالمسمى لا بالاسم، والخروج هو هجرة مؤقتة للهداية، فما وجه المنكر في ذلك؟

10. الدعوة للسفر والسياحة : يصور الصومعي أسفارهم وكأنها نزهة أو سياحة ترفيهية ، بينما هي سفر في النصب والنفقة وترك الأهل والأوطان لإيقاظ الغافلين. إن تسمية هذا الجهد سياحة بأسلوب ساخر هو استخفاف بجهود دعوية أثمرت إسلام آلاف الكفار، وهو مسلك ينم عن جفاء في المشاعر وعدم تقدير للبذل في سبيل الله.

11. لا يتكلمون في العقيدة : هذه شبهة العاجز ؛ فالجماعة تتكلم في أصل العقيدة وهو توحيد الإلهية واليقين على الله. نعم، هم لا يخوضون في علم الكلام أو الردود العقدية المعقدة أمام العوام لأنها تشتت قلوبهم، بل يعطونهم زبدة التوحيد العملية. فجعل الصومعي هذا المنهج التربوي إغفالاً للعقيدة هو من باب التدليس وتغييب الحقائق.

12. ليسوا على منهج السلف : هذا صك حرمان يوزعه الصومعي بغير حق؛ فمنهج السلف هو إيمان، وعمل، ودعوة، وتضحية ، وهذا هو جوهر عمل التبليغيين. إن حصر السلفية في

قوالب جافة ومجالس جرح وتبديع هو المنهج الدخيل، أما المسارعة في الخيرات وهداية الخلق فهو المنهج السلفي الأصيل الذي تمثله الجماعة في ميدان العمل.

13. قوله عليهم بدراسة العقيدة : هذه كلمة حق أريد بها باطل؛ فالجميع مطالب بزيادة العلم، لكن الصومعي يضعها كـ عائق أمام الدعوة. هو يريد أن يقول: لا تدعوا حتى تصبحوا علماء ، وهذا تعجيز للمسلمين وإماتة لروح التبليغ. الجماعة تدعو بما تعلم، وتتعلم ما لا تعلم، وهذا هو التوازن الشرعي الذي يرفضه الغلاة ليظل الناس في غفلتهم حتى يكتمل نصاب العلم المتوهم.

التعقيب على فهم الصومعي السقيم وعلى فتوى الشيخ عبد الله الغديان عفا الله عنه :

وهذه فتوى مقتضبة جدا بالمنع تماما من مشاركة أهل التبليغ في دعوتهم بل ولا تركهم يمارسون تلك السنة والفريضة ، فالاستناد إلى هذه الفتوى المقتضبة هو دليل إفلاس علمي لدى الصومعي؛ فلو كان يملك أدلة حقيقية من الكتاب والسنة على ضلال الجماعة لما اضطر للاحتجاج بنهي شفوي لا يحمل تعليلاً. إن المشي مع كتاب الله وسنة رسوله هو عين ما تفعله جماعة التبليغ بسفرها وبذلها ونصحها للناس، ومن يدعي خلاف ذلك فعليه بالبرهان، لا بالاتكاء على مقتضب الكلام.

قال الصومعي (وسئل فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الغديان حفظه الله سؤالاً نصه ما يلي:

س/ يقول السائل نحن في قرية ويتوافد علينا بما يسمى جماعة التبليغ فهل نمشي معهم أم لا نرجوا التوضيح.

ج / لا تمش معهم إنما تمشي مع كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو همام: يتلخص من كلام الشيخ عبد الله حفظه الله ما يلي: جماعة التبليغ لا يخرج معهم [شريط التحذير من جماعة التبليغ إعداد منهاج السنة بالرياض بواسطة كتاب جماعة التبليغ لسيد طالب الرحمن]) انتهى .

إن ما أورده الصومعي من فتوى مقتضبة للشيخ عبد الله الغديان رحمه الله، هو نموذج صارخ لما يمكن تسميته بالاستدلال بالسكوت أو الاحتجاج بالاختصار ؛ حيث يتم تحويل نصيحة توجيهية خاصة بسائل في قرية معينة إلى قاعدة عقدية عامة تهدم جهود ملايين الدعاة.

والرد على فتوى الشيخ المقتضبة، وعلى تعليق الصومعي الذي حاول صناعة منهج من كلمة واحدة فيما يلي :

أولاً: الرد المجمل على فتوى الشيخ الغديان :

إن فتوى الشيخ الغديان رحمه الله جاءت في سياق الفتوى العابرة (الفتوى الشفهية)، وهي لا تحمل في طياتها تفصيلاً علمياً ولا تأصيلاً لبطلان عقيدة الجماعة. وقوله: لا تمش معهم إنما تمشي مع كتاب الله وسنة رسوله هو كلام عام يصح أن يُقال لأي سائل يسأل عن أي جماعة أو مدرسة. فالشيخ هنا يطبق قاعدة لزوم الأصل عند التباس الوسائل، وهذا لا يعني بالضرورة

أن الجماعة تخالف الكتاب والسنة في أصلها، بل يعني أن الشيخ يرى أن الاكتفاء بالمنهج النبوي الصرف في القرية هو الأسلم للسائل. إن الشيخ لم يقل هم كفار أو هم مشركون ، بل قدم نصيحة ترك هي من باب السياسة الشرعية المحلية ، لا من باب الحكم العقدي العالمي .

ثانياً: تهافت تعليق الصومعي :

يأتي الصومعي ليجعل من قوله لا تمش معهم ملخصاً نهائياً وكأنه بيان براءة من الجماعة. إن إجحاف الصومعي يكمن في أنه بتر الفتوى من سياقها؛ فالسائل من قرية ، والقرى غالباً ما تكون بيئات بسيطة قد لا تحتمل دخول جماعات منظمة تؤدي إلى نزاعات اجتماعية، فكانت نصيحة الشيخ وقائية لحفظ شمل القرية. لكن الصومعي جعلها حكماً عاماً يحرم الخروج في سبيل الله في كل زمان ومكان، وهذا قمة التدليس؛ إذ كيف يُبنى حكم بضلال جماعة على نهي مقتضب لا يذكر دليلاً واحداً على ضلالهم؟

ثالثاً: غياب الأدلة والبراهين :

إن من شروط الفتوى التي يُبنى عليها التبديع أن تكون مسببة ومبينة لأوجه المخالفة. أما أن يُقال لا تمش معهم ويسكت الشيخ، فهذا يُحمل على الترجيح الشخصي أو الاحتياط الخاص ، ولا يُحمل على البيان الشرعي الملزم . إن الصومعي يطالب الناس بترك جماعة هدى الله على يدها الملايين بناءً على فهم سقيم لفتوى لا تزيد عن سطر واحد، وهذا من عجائب الاستدلال؛ فالأصل في أفعال المسلمين الجواز والخيرية، ولا ينتقض هذا الأصل إلا بيقين ودليل قاطع، وهو ما يفتقر إليه كلام الشيخ وتعليق الصومعي تماماً.

رابعاً: المقارنة بين النصيحة بالترك و الهدم المنهجي :

هناك فرق شاسع بين أن يقول العالم لشاب لا تشغل نفسك بهذه الجماعة واشتغل بالعلم (وهو مراد الغديان الأرجح)، وبين أن يقول الصومعي هذه الجماعة ضالة ولا يجوز الخروج معها لأن الغديان منع ذلك . الصومعي يحول نصيحة الانشغال بالأهم إلى حكم بفساد المنهج ، وهذا قلب للحقائق وتزوير لمقاصد العلماء. إن الشيخ الغديان نفسه له فتاوى أخرى يحث فيها على الدعوة والتبليغ في الجملة، لكن الصومعي يقتنص كلمات المنع ليهدم بها كيان الدعوة .

أصحاب المنهج التبديعي لا يذهبون للبدو ولا يتركون من يذهب لهم :

إن هذا التناقض المشاهد يمثل واحدة من أعقد الإشكاليات في الخطاب الدعوي المعاصر، حيث يبرز التضاد بين الفقه النظري المحبوس في الأروقة وبين الواقع الميداني المتعطش

للإنقاذ . ويمكن تفسير هذا الموقف الذي يتبناه بعض العلماء، ويروج له الغلاة كالصومعي، من خلال تحليل الأبعاد التالية في سياق متصل:

يكمن التفسير الأول في سيطرة ذهنية التخصص والتحصين على حساب ذهنية الانتشار والإغاثة ؛ فالشيخ الذي نشأ في بيئة علمية مستقرة يرى أن وظيفته الأولى هي حماية المتون العلمية وتحقيق المسائل الدقيقة، وهو بذلك يضع جودة العلم فوق ضرورة العمل . لذا، تجده لا يذهب إلى القبائل النائية لوعورة المسالك أو انشغاله بالتدريس الأكاديمي، وفي الوقت ذاته يرفض دعم من يذهب إليهم (كجماعة التبليغ) بحجة أنهم غير مؤهلين علمياً ، فيسقط في مأزق شرعي ومنطقي كبير: فهو لم يقم بواجب الكفاية في التبليغ، ولم يأذن لمن سد الثغرة بالعمل، مما يترك هذه القبائل فريسة للجهل أو الاختراق من قبل المناهج المنحرفة.

ويرتبط هذا الموقف بالمثالية الحذرة التي تجعل العالم يخشى من الخطأ في وسيلة الدعوة أكثر من خشيته من ضياع المدعوين ؛ فهو يرى أن بقاء العامي في قبيلته جاهلاً بالفروع ولكنه سليم من بدعة إدارية (كتقسيم أيام الخروج)، أولى من ذهاب داعية يحيي فيه الصلاة والتوحيد بوسيلة لم ترد في نصوص السلف بحذافيرها. وهذا نوع من غلبة الوسائل على المقاصد ؛ فالغاية الكبرى هي هداية الخلق، والوسائل فيها سعة، لكن تضييق الواسع جعل هؤلاء العلماء ومن تبعهم كالصومعي يقفون في المنطقة الرمادية : فلا هم قدموا البديل الميداني، ولا هم باركوا الجهد المتاح، مما يعزز الفجوة بين المؤسسة الدينية الرسمية وبين العوام في المجتمعات البعيدة.

إن هذا المسلك يفسر أيضاً بغياب فقه الأولويات في ظل التحديات المعاصرة؛ ففي الوقت الذي تغزو فيه وسائل التواصل والقنوات بيوت تلك القبائل بالانحلال والقيم الغريبة، نجد الخطاب الغدياني أو الصومعي يركز على منع خروج جماعة تبليغية لأنهم لا يدرسون العقيدة بأسلوب أكاديمي . هذا الموقف يعكس انفصالاً عن الواقع؛ فالغريق في القبيلة النائية يحتاج لـ إسعافات أولية إيمانية (صلاة، طهارة، توحيد فطري)، ولا يحتاج لـ عملية جراحية في تفاصيل علم الكلام. إن الإصرار على منع المسعف بحجة أنه ليس جراحاً استشارياً هو حكم بموت المريض، وهو ما لا يقبله عقل ولا دين، لكنه يخدم نزعة التميز والتبديع التي يقتات عليها الغلاة لتفريق الأمة وحصر الحق في قوالبهم الجامدة.

ولذلك فعدم ذهاب هؤلاء العلماء لتلك المناطق مع منع من يذهب إليها هو تعطيل لرسالة الإسلام العالمية ؛ فالنبي ﷺ أرسل معاذاً لليمن وحده، وأرسل مصعباً للمدينة وحده، وكانوا يبلغون الناس أصول الدين. فحبس الدعوة في معاقل التوحيد كما يسمونها، ومنعها من الانتشار في بوادي الغفلة بدعوى الخوف من البدعة، هو نوع من الرهبنة العلمية التي لم يعرفها سلف الأمة، والمنتفع الوحيد منها هم خصوم الدين الذين يجدون الساحة خالية من أي موجه أو ناصح.

أهل التبليغ دعاة إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم :

تكمن خطورة هذه العبارة في أنها تستخدم حقاً مطلقاً لإيهام القارئ بباطل مقصود ؛ فالشيخ الغديان حين قال: لا تمشِ معهم إنما تمشي مع كتاب الله وسنة رسوله ، قد وضع السائل أمام ثنائية متضادة كاذبة، توحي بأن السير مع جماعة التبليغ هو خروج تلقائي عن دائرة الكتاب والسنة، وهذا هو جوهر التدليس بالتقابل .

فالسياق يوهم السامع بأن جماعة التبليغ لديها كتاب ثالث أو سنة مخترعة تمشي عليها، بينما الحقيقة التي يشهد بها القاصي والداني أن هؤلاء الدعاة لا يخرجون إلا حاملين لكتاب الله وسنة نبيه، ولا يدعون الناس في القرى والقبائل إلا إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وتحقيق التوحيد، وهي محض نصوص الوحيين. فالشيخ هنا لم ينقد خطأً محدداً في عقيدتهم، بل استخدم العموميات الشمولية ليوحي بوجود قطيعة بين منهج الجماعة ومنهج السلف، وهو تدليس منهجي؛ لأن التمسك بالكتاب والسنة ليس حالة ذهنية تقال باللسان، بل هو واقع عملي يتمثل في تبليغ الدين للجاهلين، وهو ما تفعله الجماعة ويقعد عنه الناقدون.

علاوة على ذلك، فإن هذه الصياغة تنطوي على مغالطة منطقية تهدف إلى نزع الشرعية عن الوسيلة باسم المصدر ؛ فكأن الشيخ يقول للسائل: لا تستخدم السيارة للذهاب لمكة بل اذهب بالقرآن ، وهذا خلط شنيع؛ فجماعة التبليغ هي وسيلة وهيكلية لتنظيم الدعوة، والكتاب والسنة هما المصدر والغاية . والتبليغيون لم يزعموا يوماً أنهم بديل عن الوحي، بل هم خدم لهذا الوحي في الميدان. فإظهارهم وكأنهم مسار موازٍ يخالف الكتاب والسنة هو جناية على أمانة الوصف، وتضليل للعوام الذين قد يفهمون من هذا الكلام أن الجماعة طائفة دينية خارجة عن الملة، بينما هم في الواقع أكثر الناس تمسكاً بظواهر السنة وعموميات الكتاب في سلوكهم اليومي.

ويأتي الصومعي ليتلقف هذا التدليس ويحوله إلى قاعدة إقصائية ، مستغلاً هيبة الشيخ العلمية لتمرير فكرة أن التبليغ مضاد لـ الاتباع . والحقيقة أن التدليس الأكبر يكمن في إيهام الناس أن الجلوس في البيوت وترك القبائل النائية تتخبط في جهلها هو المشي مع الكتاب والسنة ، بينما السفر لنصحهم وتعليمهم الوضوء والصلاة هو خروج عنهما . إن هذا القلب للمفاهيم هو الذي جعل الفتوى تبدو وكأنها حراسة للدين ، بينما هي في عمقها تجميد للدعوة وحصر لها في أروقة ضيقة، مما يترك الساحة خالية لكل ناعق، بدعوى الخوف من جماعة لا تمشي - حسب زعمهم المضلل - على الكتاب والسنة، رغم أن حياتهم كلها بذل في سبيل هذين المصدرين العظيمين.

التعقيب على فهم الصومعي السقيم وعلى فتوى الشيخ صالح العبود عفا الله عنه :

ومن خلال التمحيص في كلام الشيخ العبود عفا الله عنه تجد أقرب توصيف له أنه كوكتيل من المعلومات المغلوطة والخلط التاريخي والافتراءات العقدية التي لا رصيد لها في الواقع.

إن الربط بين النورسي والتبليغ، وبين التبليغ وعبادة القبور، هو نوع من الهذيان النقدي الذي يهدف فقط إلى التشويه وتنفير الناس من أعظم جهد دعوي معاصر. والأدهى من ذلك أن الصومعي بنقله لهذا الكلام، يثبت أنه لا يملك شيئا من الأمانة العلمية في تمحيص ما ينقل .

(وسئل **الشيخ صالح بن عبدالله العبود حفظه الله** – عن جماعة التبليغ فقال:

أما جماعة التبليغ فهي قائمة في أساسها على أنقاض الخلافة التركية ، لأنها لما ألغيت الخلافة حسب زعم من زعم أنها ألغيت وفي الحقيقة خلافة المسلمين لم تلغ ما دامت طائفة منهم على الحق باقية لكن الخلافة التركية التي تقوم باسم عموم المسلمين هي التي أضاعها الأتراك أو أضاعها الذين تسموا بولايتها ، عندما ألغيت هذه التركية قام على أنقاضه جماعة أو بدأ النورسي بفكرة هذه الجماعة ، فكرة جماعة التبليغ وابتدعوا لهم أصولاً وهي الأصول الستة يدعون إليها ، وفي نهايتهم يبايعون على الطرق الأربعة الصوفية – الجشتية والسهرودية ونقشبندية – نسيت الرابعة فهي أربع طرق ، فهم في عقيدتهم ماتريدية أو أشعرية ، وفي مفهومهم لشهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) لا يفهمون إلا ان معناها لا قادر على الخلق والإيجاد والاختراع إلا الله ...، لا يتضح عند جماعة التبليغ بل ربما يرسخ مكانه تقديس الأشخاص وادعاء العصمة لهم وربما يصل الأمر إلى عبادتهم إذا ماتوا وضع الأضرحة والقبور في مساجدهم ، فهي فرق لا شك تعارض الفرقة الناجية في الكتاب والسنة ، وتريد لها منهجاً خاصاً ، ومن لم يكن منها فليس من المهتدين .. الخ **[شريط تحذير من جماعة التبليغ بواسطة كتاب جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية لسيد طالب الرحمن بتصرف يسير]**)

إن كلام الشيخ صالح العبود عفا الله عنه ، الذي يروجه الصومعي في سياقاته التحذيرية، يمثل ذروة الخلط المعرفي والاضطراب التاريخي؛ حيث حشر في فقرة واحدة متناقضات جغرافية وفكرية لا رابط بينها، وكأنه ينسج ثوباً من أوهام ليغطي به واقعاً دعوياً حياً. وإليك الرد المفصل على كل فقرة لبيان تهافت هذا الطرح ومخالفته للواقع:

أولاً: الخلط الشنيع بين جماعة التبليغ وجماعة النورسي

تُعد هذه الفقرة حجر الزاوية في كشف العوار العلمي الذي بُنيت عليه تلك الأحكام الجائرة؛ إذ يبرز فيها الخلط الشنيع بين جماعة التبليغ وجماعة النورسي كدليلٍ قاطع على غياب التثبت لدى الناقد. فحين يزعم الشيخ أن جماعة التبليغ بدأ النورسي بفكرتها ، فإنه يقع في خلطٍ يندى له جبين التحقيق العلمي؛ ذلك أن بديع الزمان سعيد النورسي هو عالمٌ تركي خالص، وجماعته (النورسيون أو طلاب النور) هي حركة فكرية تركية المنشأ واللغة والأسلوب، قامت أساساً على رسائل النور لتقديم تفسيرٍ عقلي إيماني يواجه العلمانية الأتاتوركية الصارمة في تركيا.

وفي المقابل، نجد أن جماعة التبليغ دعوة نشأت في الهند في بيئة جغرافية وفكرية مختلفة تماماً، وعلى يد الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، وهي جماعة ميدانية وعظية تركز على تحريك القلوب ودعوة العوام، ولا صلة لها بالنورسيين لا من قريب ولا من بعيد، لا في النشأة ولا في المشرب ولا في الوسائل. إن هذا التخليط بين قارات ومناهج متباينة يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الناقد يجهل حتى هوية الطرف الذي ينتقده، فكيف يُمكن لعاقلٍ أن يقبل حكماً شرعياً أو منهجياً بالإقصاء والتبديع وهو صادرٌ عمن لا يفرق بين مدرسةٍ فكرية في الأناضول وبين حركةٍ وعظية في شبه القارة الهندية؟! إن هذا الجهل بالواقع يُسقط القيمة العلمية للنقد من أساسها، ويجعل منه محض مجازفة لا تستند إلى برهان.

ثانياً: الحنق من ذكر الخلافة والتقليل من شأن إلغائها

تتجلى في ثنايا هذا الطرح نبرةٌ غريبة تشي بالحنق من ذكر الخلافة ومحاولة مستميتة للتقليل من شأن إلغائها، حيث يظهر في كلام المنتقد غيظٌ مكتوم لمجرد ورود مصطلح الخلافة التركية في السياق الدعوي. إن محاولة الشيخ تهميش أثر سقوطها بقوله زعم من زعم ليست مجرد رأي تاريخي، بل هي استخفافٌ بحدثٍ زلزل كيان الأمة الإسلامية ومزق شملها وجعلها قصعة مستباحة للأمم. والخلافة، رغم ما قد يكون شاب أواخر عهدها من ضعف، كانت تمثل الرمز الأخير لوحدة المسلمين السياسية وحصنهم الجامع، لذا فإن التباكي على ضياعها والحزن على أفول شمسها هو شعور إسلامي طبيعي يعبر عن ضمير الأمة الحي.

إلا أن الشيخ ومن خلفه الصومعي يضيقون ذرعاً بهذا الذكر، ويظهر حقدٌ مبطن على هذا المفهوم ربما لتعارض فكرة الخلافة الكلية العابرة للحدود مع القطرية المنهجية الضيقة التي ينتمون إليها، والتي تحصر الحق والهدى في إطارهم المحلي فقط. إن هذا العداء الصريح لفكرة الاجتماع الكلي للمسلمين، وعدم الاكتراث بهذا الحدث الجلل، يعكس انفصالاً

شعورياً ومنهجياً عن آلام الأمة وتاريخها؛ إذ يتم تقديم الخصومات المذهبية الصغيرة والمعارك الجانبية مع الجماعات الدعوية على حساب قضايا الأمة الكبرى. إن من يستصغر سقوط الخلافة ليفرغ جهده في التحذير من داعية يطوف بالقرى، إنما يثبت ضياع بوصلته الدعوية وانحباس فكره في قوالب ضيقة لا ترى من الإسلام إلا ما وافق هواها الحزبي.

ثالثاً: دعوى الأصول الستة المبتدعة والبيعة الصوفية

تأتي دعوى الأصول الستة المبتدعة والربط القسري بالبيعة الصوفية كواحدة من أعجب المغالطات التي ساقها الشيخ وروج لها الصومعي؛ إذ يسمي الشيخ الأصول التي تقوم عليها الجماعة (الكلمة، الصلاة، العلم والذكر، إكرام المسلم، إخلاص النية، الخروج) بأنها أصول مبتدعة ، وهذا من أعجب العجب في موازين النقد الشرعي؛ فهل صارت أركان الإسلام وفضائل الأعمال التي نصت عليها الشريعة بدعة لمجرد أن الجماعة رتبتها في نقاط تيسيراً على العوام؟ إن هذه الأصول هي محض انتزاع ذكي من نصوص الكتاب والسنة لتقريب جوهر الدين لعامة الناس الذين لا يدركون تعقيدات المتون، وتحويلها إلى منهج حياة يومي، فوسمها بالابتداع هو تضييق لواسع الشريعة وتنفير من العمل بمقتضاها.

أما دعوى البيعة على الطرق الصوفية الأربعة (كالجشتية والسهروردية وغيرها)، فهي محاولة بائسة لتصوير الجماعة في معاقل التوحيد بأنها حركة طرقية باطنية، وهذا تدليس مكشوف يخالف الواقع الذي يشهده الملايين؛ فأتباع الجماعة في السعودية واليمن ومصر والخليج هم من أشد الناس تبرياً من الطرق الصوفية المبتدعة وتمسكاً بالسنة المحضة ونهج السلف الصالح. إن الصومعي هنا يمارس تغريباً للدعوة عبر استجلاب تاريخ أعجمي قديم من بيئات هندية خاصة ليضربه بواقع سلفي نقي، متجاهلاً أن العبرة بالمنهج القائم والعمل المشاهد، لا بنبش الجذور التاريخية التي تجاوزها الزمن وتبرأ منها أصحابها في هذه البلاد، مما يجعل من هذا الطرح جناية على الصدق وأمانة النقل.

رابعاً: فرية تفسير الشهادة بـ (لا قادر على الاختراع إلا الله)

يتهمهم الشيخ بأنهم ماتريدية أو أشعرية في العقيدة، وأنهم يحصرون التوحيد في توحيد الربوبية . وهذا اتهام معلب جاهز؛ فجماعة التبليغ تدعو الناس لصرف العبادة لله وحده (توحيد الألوهية) بترك الأوثان والمعاصي والإقبال على المساجد. إن حصر فهمهم في الخلق والإيجاد هو بتر لمقالاتهم التي تمتلئ بالدعوة إلى عبادة الله وحده ، ولكن الناقد يصر على تصنيفهم مدرسياً ليهون من شأن عملهم الميداني الذي عجز هو عن القيام بمثله.

إن اتهام الشيخ للجماعة بأنهم يحصرون فهم الشهادة في توحيد الربوبية (أي: لا قادر على الاختراع إلا الله) هو في حقيقته تكفير مبطن وإخراج لهم من ملة الإسلام التي لا تصح إلا بتوحيد الألوهية؛ إذ من المعلوم عقديًا أن مشركي قريش كانوا يؤمنون بالربوبية (الخلق والرزق) ومع ذلك كفروا لأنهم لم يوحدوا الله في العبادة. فحين يسقط الشيخ هذا الوصف على جماعة التبليغ، فهو يضعهم في خانة كفار الجاهلية ، وهو ادعاء باطل ومصادم للواقع جملة وتفصيلاً.

إن حصر فهم الجماعة للشهادة في الخلق والإيجاد هو بتر متعمد لمقالاتهم ومنهجهم العملي الذي يقوم في أصله على إخراج اليقين الفاسد من القلوب على الأشياء، وإدخال اليقين الصادق على الله ، وهو عين توحيد الألوهية والتعلق بالله وحده. فالجماعة تمتلئ أدبياتها ودروسها بالدعوة إلى عبادة الله وحده وترك الأوثان والمعاصي والإقبال على المساجد وتجريد المتابعة للنبي ﷺ، ولكن الناقد يصر على استخدام اتهامات معلبة جاهزة لمحاكمتهم مدرسيًا ووصفهم بالماتريدية أو الأشعرية بغرض تهوين شأن عملهم الميداني العظيم. إن هذا الرمي بالشرك (عبر نفي توحيد الألوهية عنهم) هو أقصى درجات الغلو، حيث يتم تشبيه ملايين الدعاة الذين يطوفون الأرض لإحياء الصلاة وتوحيد الله بالكفار الذين لا يؤمنون بالألوهية، وهو قلب للحقائق؛ فبينما عجز الناقد عن دعوة عاصٍ واحد في حيه، نجحت الجماعة بفضل فهمها الصحيح والعملي للشهادة في إدخال ألوف الكفار إلى الإسلام وإعادة ملايين العصاة إلى رحاب التوحيد، مما يجعل هذا الاتهام ليس مجرد خطأ علمي، بل هو جور محق وحنق على نجاح دعوي عجز الناقد عن مجاراته.

خامساً: فرية تقديس الأشخاص وعبادة الأضرحة

تصل ذروة المخالفة للواقع في ادعاء الشيخ أنهم يقدسون الأشخاص ويدعون لهم العصمة، بل ويعبدونهم إذا ماتوا ويضعون الأضرحة في المساجد! وهذا والله من البهتان الذي يشهد الواقع بكذبه؛ فجماعة التبليغ في كل أنحاء العالم العربي هي من أشد الناس محاربة للقبوريات والشركيات، ومساجدها هي الأكثر صفاءً من البدع. إن الصومعي بنقله لهذا الكلام يحاول شيطنة الجماعة برميهم بأبشع تهمة (الشرك وعبادة القبور) ليبرر التبديع، وهو يعلم أنهم أبعد الناس عن ذلك، بل هم من أحيوا التوحيد في قلوب العوام الذين كانوا يطوفون بالقبور.

لا يوجد في قاموس جماعة التبليغ شيء اسمه تقديس الأشخاص، بل إن أدبياتهم ومنهجهم العملي يقومان في جوهرهما على تحطيم الأصنام البشرية في القلوب وتعليقها بخالق الخلق وحده، مما يجعل ما ذكره الشيخ ونقله الصومعي بخصوص تقديس الأشخاص وعبادة الأضرحة يمثل ذروة المخالفة للواقع وسقوط الأمانة في النقل؛ فالواقع المشاهد في طول البلاد وعرضها يثبت أن الجماعة في العالم العربي والإسلامي هي من أشد الجهات محاربةً للقبوريات والشركيات، حيث دخل أفرادها قرى نائية كانت تمور بالبدع، فما زالوا بالناس بالرفق حتى أخرجوهم من علاقة الأموات إلى عبادة رب الأرض والسماوات ، فكيف يُرمى بالشرك من قضى عمره يهدمه في نفوس الناس؟

ويتأكد هذا الصفاء المنهجي في بساطة مساجدهم وتجريدها من البدع؛ إذ لا يجد الداخل لمراكزهم زخرفةً تشغل المصلين، ولا قبراً يُتمسح به، ولا ضريحاً يُشد إليه الرحال، مما يجعل ادعاء وضع الأضرحة في مساجدهم بهتاناً عظيماً يكذبه العيان، لا سيما وهم يعتبرون المسجد مكاناً خالصاً للعبادة والتعلم بعيداً عن كل ما يخدش التوحيد. كما أنهم يرسخون نفي العصمة واعتماد الشورى كأصل ثابت، فلا يُدعى لأحدٍ عندهم قداسة، والكل خاضع للمحاسبة والنصح عبر نظام الشورى الذي يذيب فردية القائد ، فليس لديهم إمام معصوم تُقدس أقواله كالنصوص، بل يُنزلون الدعاة منازلهم البشرية التي تخطئ وتصيب، مما يجعل رميهم بادعاء العصمة مجرد إسقاط ذهني من الناقد يحاول فيه تشبيههم بفرق باطنية لا علاقة لهم بها.

إن الهدف الحقيقي من وراء هذه الشيطنة التي يمارسها الصومعي بنقله لفرية عبادة الموتى ليس بيان الحق، بل هو محاولة لصبغ الجماعة بصبغة الشرك الأكبر؛ لعلمه أن رميهم بالبدع الإدارية لا يكفي لتنفير الناس، فاستخدم هذه التهمة العقدية الثقيلة ليقطع الطريق على أي تعاطف معهم، محارباً بذلك الجماعة التي أحيَت التوحيد في قلوب العوام الذين كانوا يطوفون بالقبور، وفي هذا قلبٌ صارخ للحقائق التاريخية والميدانية وتجيرٌ للدين لصالح خصومات شخصية.

سادساً: دعوى التعارض مع الفرقة الناجية وإخراج الناس من الهدى

تمثل دعوى التعارض مع الفرقة الناجية وإخراج الناس من دائرة الهدى، التي ختم بها الشيخ كلامه، قمة التناقض المنهجي والقلب الصارخ للحقائق الميدانية؛ إذ إن وسم جماعة التبليغ بمخالفة منهج أهل السنة والجماعة والادعاء بأنهم يحصرون الهداية في أنفسهم هو اتهام

يفتقر إلى أدنى شواهد الواقع. فالحقيقة التي يلمسها كل من خالطهم هي أن التبليغيين يمثلون الحالة الدعوية الأكثر ابتعاداً عن الصراعات الحزبية؛ فهم الجماعة الوحيدة التي لا تتدخل في الخلافات السياسية أو المذهبية الضيقة، ولا تكفر أحداً من أهل القبلة، ولا تبدع مخالفاً، بل يفتحون صدورهم لكل مسلم مهما كان تقصيره، مؤمنين بأن دورهم هو الوصل لا الفصل .

إن رمي الجماعة بالتحزب الإقصائي وزعم أنهم يرون من ليس منهم ليس مهتدياً، هو في الحقيقة إسقاطٌ لسمات الناقد وفريقه على الطرف الآخر؛ فمنهج الصومعي هو القائم على احتكار صكوك النجاة وتوزيع أحكام التبديع والإخراج من المنهج السلفي على كل من خالفهم في وسيلة أو اجتهاد، بينما يقوم منهج التبليغ على الاستيعاب والاحتواء ، حيث لا يشترطون للانضمام لجهدهم سوى الرغبة في إصلاح النفس ودعوة الغير. لذا، فإن هذا الاتهام يصدق عليه تماماً المثل القائل رمتني بدائها وانسلت ؛ إذ إن الإقصائية هي سمة من يحذر منهم ويغلق في وجوههم أبواب المساجد، أما التبليغيون فمنهجهم يقوم على أن كل مسلم هو مشروع هداية، وكل عاصٍ هو محل رحمة، مما يجعلهم الأقرب لروح الفرقة الناجية التي تسع بجميل خُلقها وتسامحها عموم الأمة، لا تلك التي تضيق وتتقوقع حول أسماء ومصطلحات معينة لتخرج من سواها من دائرة الهدى.

تدليسات الصومعي وانسياقه خلف تخليطات العبود عفا الله عنه :

إن النقاط التي لخصها الصومعي هي من خيال فكري و تجميع للأباطيل لا رصيد لها في واقع الجماعة المعاصر. إنها محاولة لهدم كيان دعوي عالمي بناءً على زلات لسان أو ممارسات أعجمية قديمة، مع تعامٍ تام عن الثمار العظيمة في هداية الخلق وتوحيد صفوف المسلمين.

قال الصومعي (**قال أبو همام**: وفقه المولى : يتلخص من كلام الشيخ .. صالح حفظه الله ما يلي:

(1) جماعة التبليغ ابتدعوا لهم أصولاً.

(2) جماعة التبليغ يبايعون على أربع طرق.

(3) جماعة التبليغ عقيدتهم ماتريدية أو أشعريه.

(4) جماعة التبليغ لا يفهمون معنى لا إله إلا الله معنى صحيحاً.

(5) جماعة التبليغ ربما رسخ عندهم تقديس الأشخاص وادعاء العصمة لهم وربما وصل الأمر إلى عبادتهم إذا ماتوا.

(6) جماعة التبليغ : يضعون الأضرحة والقبور في مساجدهم.

(7) جماعة التبليغ: فرقة تخالف الفرقة الناجية في الكتاب والسنة.

(8) جماعة التبليغ: تريد لها منهجاً خاصاً.

(9) جماعة التبليغ: ترى أن من لم يكن منها فليس من المهتدين.) انتهى .

إن ما صاغه الصومعي (أبو همام) في هذه النقاط يمثل حالة قصوى من الغلو والاعتماد على الأوهام التاريخية وتعميمها على الواقع المعاصر بلا تمحيص، وهي ادعاءات لا تصمد أمام النقد العلمي الرصين أو الشهادة الميدانية المنصفة، وإليك الرد الوافي على كل فقرة:

1. فرية ابتدعوا لهم أصولاً :

إن الأصول الستة التي تقوم عليها جماعة التبليغ ليست أصولاً عقدية بديلة لأصول الإسلام، بل هي وسائل تربوية ومنهج عملي لتنظيم الدعوة. فهل اليقين بالله، وإقامة الصلاة، والعلم والذكر، وإكرام المسلم، وإخلاص النية، والخروج للدعوة؛ أمور مبتدعة؟ إنها محض انتزاع من صميم السنة النبوية لتبسيط الدين للعامة الذين لا يحسنون خوض المسائل الدقيقة. إن تسميتها بدعة هو تضييق لواسع، ومصادرة لحق المسلمين في ابتكار وسائل إدارية تعينهم على تبليغ الرسالة.

2. فرية البيعة على الطرق الأربع :

هذا النقل يعكس جمود الصومعي عند نصوص تاريخية أعجمية قديمة لا تمت لواقع الجماعة في بلاد التوحيد (كالسعودية واليمن والخليج) بصلة. فالتبليغيون في هذه البلاد يبرأون من الطرق الصوفية (الجشتية وغيرها)، ولا يعرفون بيعة إلا بيعة الطاعة لولاة الأمر، وبيعة التوبة والإنابة إلى الله. إن استجلاب مصطلحات البيعة الطرقية لإسقاطها على دعاة السنة في البلاد العربية هو نوع من التدليس وتغريب الجماعة عن بيئتها السلفية.

3. فرية العقيدة الماتريدية أو الأشعرية :

إن رمي الملايين بهذه التهمة هو حكم بالظن ؛ فالجماعة في مناهجها المعتمدة (ككتاب حياة الصحابة ورياض الصالحين) لا تدرس العقائد الكلامية، بل تركز على عقيدة السلف الفطرية العملية. والتبليغيون في بيئة الجزيرة العربية هم ثمرة المدارس السلفية والجامعات الإسلامية، فكيف يوصفون بالأشعرية وهم يدرسون العقيدة الواسطية والحموية؟ إنها محاولة لصم الجماعة بـ الخلاف المذهبي لتهوين شأنها.

4. فرية عدم فهم معنى لا إله إلا الله :

هذه من أبشع التهم، إذ يزعم الصومعي أنهم يحصرونها في الربوبية (الخلق والإيجاد). والواقع الميداني يكذب ذلك؛ فدعاة التبليغ هم الذين أخرجوا الناس من عبادة الأوثان والمقبورين في أدغال أفريقيا وآسيا إلى إفراد الله بالعبادة (الألوهية). إنهم يحيون المعنى العملي للشهادة بترك المعاصي وتحكيم الشرع في النفس، وهو جوهر التوحيد الذي غفل عنه من انشغل بتدبيج الردود والتحذيرات.

5. فرية تقديس الأشخاص وادعاء العصمة وعبادتهم :

هذا كلام يندى له جبين الإنصاف؛ فالتبليغيون لا يعرفون قداسة لأحد، ومنهجهم قائم على الشورى لا على الأستاذية المطلقة . وادعاء أنهم يعبدون الموتى هو بهتان عظيم؛ إذ هم أكثر الناس حرصاً على تطهير القلوب من التعلق بغير الله. إن الصومعي هنا يمارس الاغتيال المعنوي برميهم بالشرك الأكبر ليبرر منهجه الإقصائي، وهو يعلم أنهم أبعد الناس عن هذه الوثنية.

6. فرية وضع الأضرحة والقبور في المساجد :

هذه كذبة يكذبها الواقع في كل قرية ومدينة؛ فمساجد جماعة التبليغ هي الأحرص على بساطة السنة وتجريد القبلة من أي مشوش، فليس فيها قبر ولا ضريح. إن الصومعي ينقل صوراً مشوهة لممارسات جهلة في بلاد نائية، وينسبها لـ منهج الجماعة كلياً، وهو تدليس لا يليق بمن ينشد الحق، فالعبرة بالمنهج العام لا بشواذ الأفعال في أقصى الأرض.

7. فرية مخالفة الفرقة الناجية :

هذا صك حرمان يوزعه الصومعي بغير حق؛ فمن هم الفرقة الناجية إن لم يكن منهم هؤلاء الذين أحيوا المساجد، ونشروا الذكر، ودعوا آلاف الكفار للإسلام؟ إن حصر الفرقة الناجية في طائفة الجرح والتعديل التي لا ترى إلا العيوب، هو المنهج الدخيل. أما الجماعة التي تسير على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في الدعوة والبذل، فهي في صميم المنهج السلفي الحق.

8. فرية تريد لها منهجاً خاصاً :

إن الخصوصية التي يذمها الصومعي هي في الحقيقة تخصص دعوي ؛ فالجماعة لم تدعِ أنها الدين كله ، بل هي جماعة من المسلمين تخصصت في وعظ العوام وترقيق القلوب. إن تسمية هذا التخصص منهجاً خاصاً (بمعنى البدعة) هو مغالطة؛ فهل لجان الزكاة أو جمعيات تحفيظ القرآن مناهج خاصة مبتدعة؟ إنها توزيع للأدوار في جسد الأمة الواحد.

9. فرية من لم يكن منها فليس من المهتدين :

هذا قلب للحقائق بـ 180 درجة؛ فمن المعلوم أن جماعة التبليغ هي أقل الجماعات تحزباً ، وأكثرها سماحة واستيعاباً، فهم لا يطالبون أحداً بالانتماء لهم، بل يطالبون الناس بالانتماء لبيوت الله. أما الإقصاء وحصر الهداية في مجموعة معينة ، فهو المنهج الذي يمارسه الصومعي وفريقه، الذين يبدعون كل من خالفهم، فهم يرمون الجماعة بدائهم وينسلون.

مقارنة بين دعاوى العبود عفا الله عنه و واقع الجماعة لتكشف حجم التضليل الذي يمارسه على الناس؟

يكشف التأمل في الدعاوى التي ساقها الشيخ صالح العبود عفا الله عنه ، وروج لها الصومعي بابتهاج، عن هوة سحيقة بين التصورات الذهنية المشوهة وبين الحقائق الميدانية الراسخة ، حيث يمثل كلامه نموذجاً صارخاً للاضطراب التاريخي والمعرفي الذي يُبنى عليه تبديع الجماعات وإقصاؤها.

تبدأ أولى ملامح هذا التضليل من الخلط الجغرافي والفكري الشنيع؛ إذ يزعم العبود عفا الله عنه أن جماعة التبليغ قامت على أنقاض الخلافة التركية وأن النورسي هو من بدأ فكرتها، وهذا قلب للحقائق يندى له جبين التحقيق العلمي. فالحقيقة التاريخية تؤكد أن الجماعة نشأت في قلب القارة الهندية عام 1926م على يد الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، ولا صلة لها بتركيا أو ببديع الزمان النورسي الذي تمثل جماعته مدرسة فكرية طلاب النور مباينة تماماً في اللغة والأسلوب والمنهج لجماعة التبليغ الميدانية. إن هذا الخلط ليس مجرد خطأ عابر، بل هو دليل على أن الناقد يحاكم شبحاً في ذهنه لا وجود له في الواقع.

ويمتد هذا التضليل ليشمل المنظومة العقدية والتربوية للجماعة؛ فبينما يرميهم العبود عفا الله عنه بابتداع الأصول الستة ، نجد أن هذه الأصول ليست سوى وسائل تعليمية لتبسيط أركان الإسلام وفضائل الأعمال (كاليقين والصلاة والعلم والإخلاص) لعامة المسلمين. كما أن رميهم بحصر التوحيد في الخلق والإيجاد (الربوبية) أو الغرق في القبوريات والأضرحة وعبادة الأشخاص، هو من أبطل الباطل؛ فالواقع الميداني يشهد أن جماعة التبليغ كانت، ولا تزال، السد المنيع الذي حطم صخرة الشركيات في القرى والبوادي، وأخرجت الناس من

عبادة القبور إلى عبادة رب القبور، ومساجدها في بلاد التوحيد هي الأحرص على نقاء السنة وبساطة المظهر.

أما دعوى التصوف الطرقي والبيعة على الجشتية والنقشبندية ، فهي استحضار لجذور تاريخية أعجمية قديمة تم تجاوزها ولفظها في البيئات السلفية (مثل السعودية واليمن والخليج)، حيث تبرأ التبليغيون هناك من كل شائبة باطنية وتمسكوا بطريقة السلف في العبادة. والصومعي بنقله لهذه الفرية يحاول أعجمة الجماعة وتصويرها كجسم غريب، متجاهلاً أنهم أبناء هذه البيئة وأحرص الناس على صفاء عقيدتها.

وفيما يخص الجانب الوجداني والسياسي، يظهر الحنق من ذكر الخلافة والتقليل من شأن سقوطها، وهو ما يعكس انفصالاً عن آلام الأمة، في حين أن التبليغيين يسعون لإحياء الخلافة القلبية في نفوس الأفراد بتمكين الإيمان. كما أن رميهم بالإقصائية وأنهم يرون غيرهم غير مهتدين، هو قلب للأدوار؛ فبينما يمارس الصومعي وفريقه أقصى درجات التبديع والإخراج من الهدى، نجد جماعة التبليغ هي الأكثر استيعاباً وسماحة مع كافة أطياف المسلمين، شعارهم الإصلاح بالرفق لا الهدم بالتحذير .

إن هذا المقال المقارن يكشف أن الصومعي لا يمارس نقداً علمياً، بل يمارس اغتيالاً معنوياً عبر تجميع المعلومات المغلوطة والافتراءات التي يكذبها الواقع، مستغلاً مكانة العلماء لتمرير تضليلات جغرافية وعقدية تهدف في النهاية إلى شل حركة الدعوة الميدانية وحصر الدين في مجالس الجرح والتبديع الباردة.

تضارب الأقوال عند هؤلاء الغلاة الذين يقبلون واقعاً مليئاً بالمنكرات ويحاربون من يسعى لإصلاحه:

إن تضارب أقوال هؤلاء هو نتاج حزبية مستترة تتدثر برداء السلفية؛ فهم يقبلون الواقع المنسلخ لأنه لا ينافسهم، ويحاربون الواقع المصلح لأنه يكشف عجزهم ويأخذ مكانتهم في قلوب الناس. إنهم كمن يحارب طبيب الطوارئ لأنه لم يعقم يده جيداً، بينما يترك الوباء يحصد الأرواح في المدينة.

فتضارب الأقوال وسقوط المنهج عند غلاة التبديع (كأمثال الصومعي ومدرسته) يمثل ظاهرة فكرية غريبة، حيث يجتمع في خطابهم التشدد مع المصلحين مقابل الاستسلام للمفسدين ، وهو ما يمكن تحليله من خلال هذه التناقضات الصارخة:

1. التشدد في الوسائل والتهاون في المقاصد

يُقيم هؤلاء الدنيا ولا يقعدونها بسبب وسيلة إدارية (كخروج ثلاثة أيام)، ويصنفونها كبدعة ضلالة تهدم الدين، بينما لا يتحرك فيهم ساكن والواقع يغص بالمنكرات العظمى من ربا، وعري، وإلحاد، وترك للصلاة. فهم يحاربون المسجد الذي ينظم الدعوة، ويتركون المقهى الذي ينشر الغفلة، مما يجعل ميزان الولاء والبراء عندهم معتلاً؛ حيث صار الخروج للدعوة أعظم جرماً عندهم من القعود عن الصلاة .

إن ما يمارسه هؤلاء الغلاة يمثل انتكاسةً حقيقية في فقه المقاصد ، حيث يغرقون في التشدد في الوسائل مع التهاون المفرط في المقاصد؛ فتراهم يُقيمون الدنيا ولا يُقعدونها، ويستنفرون جهودهم للتبديع والتحذير بسبب وسيلة إدارية بحتة كخروج الأيام الثلاثة أو الأربعين، وهي مجرد قوالب تنظيمية لضبط الوقت، فيصنفونها بدعة ضلالة تهدم أركان الدين، بينما لا يتحرك فيهم ساكن والواقع من حولهم يغصُّ بالمنكرات العظمى والموبقات الكبرى التي تُقوض أصل الإيمان، من ربا فاحش، وعري فاضح، وإلحاد مستتر، وتركٍ كلي للصلاة.

إن هذا المسلك يعكس اعتلالاً خطيراً في ميزان الولاء والبراء؛ إذ صاروا يحاربون المسجد الذي يسعى لتنظيم جهود الدعوة واستنقاذ الخلق، في حين يتركون المقهى وما وراءه من محاضن الغفلة والفساد دون نكيرٍ يُذكر، وكأن الخروج للدعوة وبذل النفس والمال لهداية الناس قد صار في عرفهم أعظم جرماً من القعود عن الصلاة وهجر المساجد. إنها رؤية مشوهة تجعل من الشكل التنظيمي صنماً يُعبد، وتضحي بجوهر الدين وهداية الأمة في سبيل انتصارات وهمية على شركاء الميدان، مما يخدم في نهاية المطاف خصوم الملة الذين يسرُّهم أن ينشغل المسلمون بتبديع بعضهم البعض عن مواجهة الأخطار الوجودية التي تتهدد عقيدتهم وأجيالهم.

2. محاكمة المُتطوع بميزان المُجتهد المُطلق

في الوقت الذي يغرق فيه العوام في جهل مطبق، يأتي هؤلاء الغلاة ليضعوا شروطاً تعجيزية أمام أي شاب يريد دعوة جاره؛ فيطالبونه بإتقان متون العقيدة وتفاصيل الفقه (الكمال العلمي) قبل أن ينطق بكلمة صلِّ . هذا التضارب يؤدي عملياً إلى قطع الطريق على كل مصلح بسيط، بينما يُترك المفسد يصول ويجول في عقول الشباب بلا رقيب ولا حسيب بحجة أننا لا نملك العلماء المتفرغين لسد الثغور، فكان النتيجة: لا العلماء نزلوا للميدان، ولا تركوا المتطوعين يعملون .

تتجلى إحدى كبرى كوارث هذا الفكر الإقصائي في محاكمة المتطوع البسيط بميزان المجتهد المطلق ؛ ففي الوقت الذي يغرق فيه العوام في جهل مطبق يهدد أصل إيمانهم، يأتي هؤلاء الغلاة ليضعوا شروطاً تعجيزية وعوائق دراسية أمام أي شاب تدفعه غيرته لدعوة جاره أو نصح زميله، فيطالبونه بضرورة إتقان متون العقيدة والتبحر في تفاصيل الفقه وحيازة الكمال العلمي كشرط مسبق قبل أن يجرؤ على النطق بكلمة صلِّ أو اتقِ الله .

إن هذا التضارب المنهجي يؤدي عملياً إلى قطع الطريق على كل مصلح بسيط يريد المساهمة في ترميم جدار الأمة، بينما يُترك المفسد الحقيقي من دعاة التغريب والإلحاد والشهوات يصول ويجول في عقول الشباب بلا رقيب ولا حسيب، بحجة واهية وهي أننا لا نملك العلماء المتفرغين الذين يستوفون شروطهم القاسية لسد تلك الثغور. والنتيجة المريرة لهذه المعادلة المختلة هي حالة من الشلل الدعوي؛ حيث لا العلماء نزلوا للميدان لمخاطبة الناس في واقعهم، ولا هم تركوا المتطوعين يعملون بما علموا ، مما جعل الساحة خالية لخصوم الدين، وحول العلم الشرعي من أداة للبناء والإرشاد إلى أداة للمنع والتعطيل، في جناية تاريخية على حق العوام في البلاغ المبين.

3. الازدواجية في قبول المُحدثات الإدارية

ينكر الصومعي وفريقه على جماعة التبليغ تنظيم أوقاتهم وترتيب سفرهم ويسمونه ابتداعاً ، في حين أنهم أنفسهم يعيشون في منظومات حديثة لم يعرفها السلف؛ من جامعات، وشهادات أكاديمية، وتصانيف وظيفية للدعاة، وبرامج تقنية. فإذا كان التنظيم في الجامعات مصلحة مرسلة، فلماذا يكون التنظيم في خروج الدعاة بدعة؟ إن هذا التضارب يكشف أن الخصومة ليست مع الابتداع بل مع الجماعة ذاتها.

تتجلى في خطاب الصومعي وفريقه ازدواجية معايير مفضوحة تضرب مصداقية طرحهم المنهجي في مقتل، حيث يسارعون إلى إنكار المُحدثات الإدارية لدى جماعة التبليغ، فيصمون تنظيم أوقات الدعوة وترتيب جداول السفر وتحديد أيام الخروج بالابتداع في الدين، متجاهلين أن هذه الترتيبات لا تعدو كونها وسائل تنظيمية معاصرة تهدف لاستثمار الجهد البشري وضبط العمل الميداني. والمفارقة الصارخة هنا أن هؤلاء المنتقدين أنفسهم ينغمسون كلياً في منظومات حديثة لم يعرفها السلف ولم يرد بها نص توقيفي؛ فهم يتقلبون في أروقة الجامعات الأكاديمية، ويسعون لنيل الشهادات والمراتب العلمية، ويلتزمون بالتصانيف

الوظيفية للدعاة، ويستخدمون كافة الوسائل التقنية والإدارية الحديثة في نشر أفكارهم، ويعدون كل ذلك من قبيل المصالح المرسلة التي يقتضيها العصر.

فإذا كان التنظيم الهيكلي في الجامعات وتقسيم المناهج على فصول دراسية يُعد مصلحة مرسلة لا غبار عليها، فلماذا ينقلب هذا المنطق فجأة حين يتعلق الأمر بتنظيم خروج الدعاة في سبيل الله؟ إن هذا التضارب المنهجي يكشف بوضوح أن الخصومة ليست مع الابتداع كمفهوم شرعي يهدف لحماية السنة، بل هي خصومة حزبية إقصائية موجهة ضد الجماعة ذاتها؛ إذ يتم تكييف المصطلحات الشرعية وليّ أعناق النصوص لضرب نجاحات الآخرين الميدانية، بينما يُشرعنون لأنفسهم ذات الأدوات التنظيمية تحت ستار المصلحة، مما يجعل من دعوى حماية المنهج مجرد ستار لتصفية الحسابات الدعوية وتعطيل الجهود التي لا تمر عبر قنواتهم الخاصة.

4. فقه المكتبة في مواجهة فقه الشارع

يتحدث هؤلاء من أبراج عاجية (المكاتب والمساجد المركزية) عن الشرك الأصغر و الفيوضات ، بينما الجماعة في الميدان تواجه الشرك الأكبر و الترك الكلي للدين . الغالي يحارب من يخطئ في لفظ لغوي وهو في طريقه لهداية سكير، بينما لا يملك هو الشجاعة لمخاطبة ذلك السكير أصلاً. هذا التضارب القيمي يجعل خطابهم منفصلاً عن آلام الأمة، حيث يقدسون النقد البارد على حساب الإنقاذ الحار .

إن نقدنا لما نُسميه فقه المكتبة في مواجهة فقه الشارع لا ينطلقُ أبداً من استحقارٍ للفقه أو تقليلٍ من شأن العلم الشرعي الرصين، بل هو نقدٌ منهجي لظاهرة عزل العلم عن سياقه الواقعي وتحويله من نورٍ للهداية إلى أداةٍ للتبديع؛ فالعلم في جوهره وسيلةٌ والعمل والإنقاذ هما الغاية، وحين يغرقُ الغلاة في التحقيق النظري المجرد يغفلون عن فقه المقاصد الذي يوجبُ رعاية أحوال الناس وحاجاتهم الضرورية. ففي الوقت الذي يواجه فيه الداعية الميداني في الشارع الترك الكلي للدين والإلحاد العملي وهجر الصلاة، نجد الغالي في برجه العاجي ينشغلُ بمعارك لغوية حول مصطلحات فرعية أو أخطاءٍ يسيرة لا تضر أصل التوحيد، وهو بذلك يقلبُ موازين الأولويات الشرعية؛ إذ إن إنقاذ الغريق في بحر الغفلة مأخوذٌ بالاعتبار قبل محاكمته على طريقة سباحته، ومواجهة الشرك الأكبر والجهل المطبق مقدمةٌ قطعاً على الترف التنظيري في دقائق المسائل.

إن هذا التضارب القيمي يعكسُ فرقاً جوهرياً بين المُشرح الذي يفحصُ الجثة ليبين سبب الموت وبين المُسعف الذي يبذلُ قصارى جهده ليبقي النبض مستمراً؛ فالمنتقدُ الذي يفتقرُ لشجاعة النزول إلى أماكن الغفلة لمخاطبة السكارى والعصاة يقدس النقد البارد على حساب الإنقاذ الحار ، ويضعُ شروطاً تعجيزية أمام كل مصلحٍ بسيط تمنعه من تبليغ آية حتى يصبح مجتهداً مطلقاً ، مما يترك الساحة فعلياً للمفسدين والمنكرات. نحن هنا لا ندعو لهجر المكتبة، بل ندعو لـ مكتبة تخدم الشارع ، علمٌ يقتدي بفقه النبوة الذي كان يتألفُ القلوب ويراعي الضعفاء ويقدمُ الأهم على المهم، ليكون العلمُ تاجاً يزينُ رؤوس العاملين لا عائقاً يشلُّ حركة الدعوة ويمزقُ شمل الموحدين باسم حماية التوحيد.

5. ادعاء حماية التوحيد بتمزيق الموحدين

يدعي الصومعي أن حربه على التبليغ هي حماية لجناب التوحيد، ولكن النتيجة العملية لجهده هي تمزيق صفوف الموحدين، وتنفير الناس من أهل التدين، وإشاعة البغضاء بين المسلمين. فبينما تسعى جماعة التبليغ لتجميع الناس على الكلمة الطيبة ، يسعى الغلاة لتفريقهم بـ الكلمة الخبيثة (التبديع)، مما يجعل ثمرة عملهم تصب في مصلحة خصوم الإسلام الذين يفرحون بضعف وتشرذم أهل القبلة.

يبرز التناقض الأكبر في خطاب الصومعي وفريقه تحت دعوى حماية التوحيد التي تتحول عملياً إلى تمزيق الموحدين ؛ فالصومعي يزعم أن حربه الشعواء على جماعة التبليغ هي صيانة لجناب التوحيد وحماية للعقيدة من البدع، ولكن النتيجة الملموسة لجهوده لم تكن يوماً هداية ضال أو تعليم جاهل، بل كانت دوماً تمزيق صفوف الموحدين، وتنفير الناس من أهل التدين، وإشاعة البغضاء والشحناء بين المسلمين الذين يجمعهم أصل الشهادة.

فبينما تسعى جماعة التبليغ جاهدة لتجميع الناس على الكلمة الطيبة وبناء جسور المحبة والإيمان في القلوب، يسعى هؤلاء الغلاة لتفريقهم بالكلمة الخبيثة المتمثلة في التبديع والتفسيق والإقصاء، مما يجعل ثمرة عملهم المرة تصب مباشرة في مصلحة خصوم الإسلام؛ الذين يرقبون من بعيد ويفرحون بهذا الضعف والتشرذم الذي يضرب أهل القبلة. إن التوحيد الذي يمزق الأمة بدلاً من أن يجمعها على طاعة الله، والغيرة التي تُهدم بها المحاضن الدعوية بدلاً من أن تُبنى بها حصون الفضيلة، هي غيرة مشوهة تفتقر لروح الشريعة ومقاصدها، وتكشف أن الهدف الحقيقي ليس حماية العقيدة بقدر ما هو إثبات الذات الحزبية الضيقة على حساب المصلحة العليا للإسلام والمسلمين.

التعقيب على فهم الصومعي السقيم وعلى فتوى الشيخ ربيع المدخلي عفا الله عنه :

ومن العجائب والغرائب ما سطر ربيع المدخلي صاحب الفتنة الكبرى في هذا العصر والذي اجتمعت عليه كلمة علماء المسلمين بأنه فتان وصاحب لسان سليط ، حتى إن الكثيرين خاف سطوة لسانه فتجنبه ، يقول الصومعي (**ولفضيلة شيخنا ربيع بن هادي مدخلي حفظه الله تعالى** كلمة طيبة عن جماعة التبليغ وقد فرغ مادة هذه المحاضرة من الشريط أبو أسامة / سيد طالب الرحمن ، وأودعها كتابة لكنه حصلت له بعض أخطاء في بعض الكلمات لم يسمعها جيداً فكتبها وكأن المتكلم أعجمي . هذا مع أني لم أتحصل على النسخة لكن لمعرفتي بالشيخ وبأدائه. حال دروسه ومحاضراته عرفت الخطأ على سبيل المثال نقل عن الشيخ أنه قال سألت شيخ ابن باز وكذلك قوله ومن هنا (يتهرب هذه الجماعات وصوابه (تتهرب) وقوله: إن الصلاة في المساجد فيه قبور . الصواب فيها وقوله: في الرابطة العالم الإسلامي) صوابه (رابطة) والذي جعله يكتب هذا أنه أعجمي ولم يسمع جيداً كذلك تكررت كلمات في الشريط فقمت بحذف المتكرر)

ويتضح في هذا السياق الانحرافال اصطلاحي والفساد المنهجي لدى الصومعي وفريقه، حيث قلبوا الموازين الشرعية فصار الطيب عندهم هو ما يراه عامة المسلمين والعلماء المحققون خبيثاً ومنكراً. فعندما يصف الصومعي فتوى مليئة بالتبديع والتهكم والإخراج من السنة بأنها كلمة طيبة ، فهو يمارس تزيفاً شعورياً يقلب المفاهيم المستقرة؛ فالكلمة الطيبة في لغة الوحي هي التي تجمع الشمل وتؤتي ثمار الهداية، أما خطاب التبديع بالجملة والتهكم بجهود الدعاة فهو خطاب يفرق الأمة ويمزق نسيجها الإيماني، فكيف يوصف بالطيب؟! إن الطيب في ميزان هؤلاء الغلاة صار مرادفاً للنقد اللاذع، والتفسيق، والشدة على المسلمين، في حين أن السنة النبوية تؤكد أن الرفق ما كان في شيء إلا زانه. وهنا تبرز مفارقة عجيبة، فما يراه جمهور المسلمين خبيثاً من غيبة وتقطيع للأرحام ونشر للإشاعات والأساطير - كقصة التعذيب بالكهرباء المزعومة - يراه الصومعي طيباً ومن محاسن الأعمال، بينما يصف عمارة المساجد وهداية العصاة والتواضع للعلماء - وهي ثمار التبليغ الطيبة - بأنها مكر وخديعة. إن وصف كلام الشيخ ربيع بالطيب، رغم اعتراف الصومعي نفسه بأنه مادة مشوهة لغوياً، ومرت عبر ناقل أعجمي لم يحسن السمع ولا الضبط، يؤكد أن الطيب في قاموسهم هو الموافقة الحزبية المحضة؛ فقد صنعوا عالماً موازياً تكون فيه الغلظة هي الدين، والتنقيب عن العثرات هو العلم، والتهكم هو النصيحة، متناسين أن الطيب الحقيقي هو ما طاب ثمره

وهدأت به النفوس، أما ما يُخلف وراءه الفرقة والبغضاء فليس من الطيب في شيء، ولو زينه المفترون بأجمل الألقاب.

يُفسر هذا العجز اللغوي الفاضح، ثم الجرأة على رمي ملايين المسلمين بالباطل، بظاهرة الاستعلاء بالجهل وفساد آلة التصور لدى هؤلاء؛ فاللغة العربية في ميزان الشريعة ليست مجرد وسيلة تواصل، بل هي أداة الفهم الأولى، ومن عجز عن ضبط أبسط قواعد التذكير والتأنيث، أو أخطأ في كتابة أسماء الأعلام والمؤسسات الكبرى كـ رابطة العالم الإسلامي أو الشيخ ابن باز ، فهو أبعد ما يكون عن فقه المقاصد والدقة في نقل المعتقدات. إن العجمة هنا لم تكن في اللسان فحسب، بل في العقل الذي يتصدى للحكم بالبدعة والشرك بناءً على أوهام سماعية؛ فمن لا يملك لغةً منضبطة لا يملك تصوراً منضبطاً، والحكم على الشيء فرع عن تصوره. وما دفع سيد طالب الرحمن ومن خلفه الصومعي لتجاوز هذا القصور هو الأجندة الأيديولوجية والاستعداء المسبق؛ حيث صار الهدف هو الإدانة لا الأمانة ، مما جعلهم يملأون فجوات جهلهم بالكلمات التي لم يسمعوها جيداً بظنون وتخمينات تخدم خصومتهم الحزبية. وهذا يعكس نرجسية علمية ترى في نقد جماعة التبليغ عبادة تبرر تحطيم قواعد اللغة وأمانة النقل، بل وتبرر للصومعي أن يقوم بهندسة الباطل عبر حذف المكرر وترميم التحريفات اللغوية ليُجمل القبح ويُخرجه للناس في ثوب كلمة طيبة . إن ضعف سيد طالب الرحمن اللغوي هو الدليل المادي القاطع على عدم أهليته للحكم على المسلمين؛ فمن خانته الحروف لن تُسعفه الحقائق، وتصدي هؤلاء لتبديع الملايين ليس نابعاً من رسوخ في العلم، بل من جرأة المفتي المفلس الذي اتخذ من عجمته وأشرطته المهترئة مجهراً يشوه به صورة أهل الإسلام، ظانّاً أن الصراخ بالتحذير سيغطي على عورته المنهجية وعجزه عن فهم لغة الوحي ومقاصد الخلق.

رحلة إمام الجرح والتجريح في فرقة المداخلة :

هذا الكلام هو نموذج للتحقيق القائم على الترصد لا النصح . هو يسرد أحداثاً فردية (قبر في الهند، مترجم في بنارس، شاب يبكي) ليخرج بنتيجة كونية مفادها أن الجماعة صوفية وثنية معادية للتوحيد.

إن هذا المنهج الذي يعتمد على الحكايات هو ذاته الذي عجز عن ضبط الأعجمية في الأشرطة كما مر معنا، وهو دليل على أن إمام الجرح هنا لم يكن يجرح بعلم، بل كان يجمع قصصاً ليشحن بها أتباعه ضد من فاقوهم في القبول والعمل الميداني.

قال الصومعي (والآن إلى كلمة الشيخ قال حفظه الله تعالى شارحاً سفره إلى باكستان.

أنا لم أذهب مع هذه الجماعة إنما ذهبت لعمل إلى كشمير وفرغت من هذا العمل ومررت على دلهي فقيل لي نذهب إلى مكان فلان نزور مركز جماعة التبليغ وإلى نظام الدين مسجد قريب من مركز جماعة التبليغ وكان يختلف الناس [أي في مسجد التبليغ]ناس يقولون فيه قبور. أو ليس فيه قبور فسأل عبد الرب عدداً منهم هل هنا في هذا ا لمسجد مسجد جماعة التبليغ قبر أو فيه قبور.

الأذكياء يقولون لا ما فيه قبور فين قبر إلياس ؟ يقولون دفن في مكة أو في المكان الفلاني – مكان بعيد – فظل يسأل حتى أرشده شخض أو أخبره أن هناك قبر إلياس في المسجد وإلى جانبه قبر زوجته ثم جاء بالأخ عبد الرب إلى القبرين وأوقفه عليهما ثم بعد أن تأكد جاء وقال تعالا أريكما هذين القبرين فنظرنا هذا قبر إلياس وهذا قبر زوجته وهو في داخل المسجد ثم بعد ذلك تأكدنا أن في المسجد هذا أربعة قبور لا قبرين تأكدنا من أناس ثقات مشوا مع جماعة التبليغ سنوات طويلة وعرفوا هذه الحقيقة.

يقال أنه لا يجتمع في الإسلام مسجد وقبر ولكن هؤلاء لصوفيتهم ولجهلهم بمنهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبعدهم عن ذلك واستخفافهم بهذا الشرك وما شاكله لا يصعب عليهم أن يدفنوا شيوخهم في المساجد ولو قال بعض العلماء أن الصلاة في المسجد الذي فيه قبور أو قبر غير صحيحة أنا سألت الشيخ ابن باز طبعاً وأنا أعرف ولله الحمد هذا الحكم ويعرفه طلاب العلم ولله الحمد أن الصلاة في المساجد فيها قبر أو قبور صلاة غير صحيحة فسألت الشيخ ليسمع الحاضرون فقلت ما رأيك يا شيخ في مسجد فيه قبر أتصح الصلاة فيه قال لا، قلت له: القبور هذه أو القبر ليست في قبلة المسجد وإنما في جانب من جوانبه قال: كذلك لا تصح الصلاة، قلت له المسجد الرئيسي أو المركز الرئيسي لجماعة التبليغ فيه قبور قال: على كل حال الصلاة لا تصح ونأسف مع شديد من الأسف أن جماعة تتحرك في العالم كله ثم هذا حالها لا تدعو إلى التوحيد ولا تحارب الشرك ولا تحارب وسائل الشرك ويمر عليها قرون وأجيال وهي ماضية على هذه الدعوة لا تتكلم في التوحيد ولا تحارب الشرك ولا تسمح لأتباعها وأفرادها ان يقوموا بهذا الواجب هذا شيء معروف فنحن نناشدهم الله أن يرجعوا إلى الله تبارك وتعالى ويدرسوا منهج الأنبياء هم وغيرهم من الجماعات الأخرى التي تتحاشى الدعوة إلى التوحيد لماذا يا إخوتاه الآن لو قلت للمسلمين الصلاة يقول أهلاً وسهلاً ما أحد ينكره عليه قم أخطب في الصلاة ودرس ما أحد يعترض عليك في الزكاة في الجهاد

في أي شيء ما يعترضوك لكن تعال قل دعوة غير الله شرك البناء على القبور حرام الذبح لغير الله شرك هنا تقوم الدنيا وتقعد شاب كان يخطب في المسجد خطب طنانة ممتازة جداً في الاجتماع والأخلاق والاقتصاد إلى آخره والمفاسد الموجودة والناس ما شاء الله يجتمعون ويحتشدون في هذا المسجد ويذعنون لهذه الخطب فقلت: يا أخي جزاك الله خيراً خطبك طيبة لكن الذين أمامك لا يعرفون التوحيد ويقعون في الشرك والبدع فبين لهم منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فبدأ يتكلم فبدأوا يتذمرون ثم بدأ يتكلم ثانية فبدأوا يتذمرون اكثر واكثر ثم مرة ثالثة فقام إليه مجموعة من أهل هذا المسجد وهددوه بالضرب فجائني يبكي قال أنا وقعت في ورطة مع هؤلاء والله قاموا ليضربوني فقلت: الآن خطوت خطوات على طريقة الأنبياء لو بقيت على طريقتك الأولى يعني سنين طويلة لا تختلف مع أحد أبداً ومن هنا تتهرب هذه الأحزاب وهذه الجماعات يتهربون من مثل هذا المصير أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل لأنهم يواجهون من الأذى ما لا يعلمه إلا الله في باب الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك في هذا الباب خاصة إذا طرقها الإنسان يناله الأذى ما يعمله إلا الله من هنا يؤذى الدعاة إلى التوحيد ومحاربة الشرك أكثر مما يؤذى غيرهم فإن هذه الدعوات دعوة التبليغ والأخوان وغيرها يحتضونها الناس ويفرحون بها ولا أحد يعارضها وإذا خطب في مثل هذا المسجد كلهم يصبحون اتباعاً في جلسة واحدة لكن أنا أخطب في مسجد كهذا قل من يسمعني ويقبل دعوتي، قليل إلا ما شاء الله لكن لو احتشد آلاف مؤلفة مثل هؤلاء الموجودين وقل لهم الجهاد قالوا ورائك..

والله لقد جاءنا رجل أو مجموعة من جماعة التبليغ في بنارس في بيت كنت أنزله أنا والشيخ صالح العراقي فجاءنا مجموعة منهم قالوا والله سمعنا بأساتذة عرب هنا ففرحنا بهم فجئنا إليكم نزوركم ونريد أن تشاركونا بالدعوة إلى الله ونحن في المسجد الفلاني كان الشيخ صالح قد أعد محاضرة لمسجد من المساجد مساجد أهل الحديث ففرحنا قلنا نذهب إلى هذا المسجد مسجد الجماعة البريلوية إذا كنتم تسمعون عنها أهل قبور وغلو في القبور والأولياء يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون يستجيزون الذبح والنذر والسجود والركوع للقبور يعني جماعة وثنية راح الشيخ صالح وألقى كلمة استصحبنا معنا مترجماً اسمه عبد العليم موجود الان في رابطة العالم الإسلامي استصحبنا هذا الرجل ليترجم كلمة الشيخ فبدأ الشيخ يتكلم تكلماً مقطعاً ثم التفت إلى المترجم هكذا جالس على يمينه التفت إليه ليترجم وتحرك المترجم وإذا برئيس هذه الجماعة جماعة التبليغ يشير إلى عبد العليم المترجم يقول له على

مهلك أنا سأقوم بالترجمة فمضى الشيخ يتكلم ولا أحد يترجم حتى انتهاء المحاضرة ثم بعد انتهاء المحاضرة سلم ومشى وبقيت أنا انتظر الترجمة عاد عندي أمل إن هذا الرجل يترجم فمشى الشيخ صالح وخلفه رجل أظنه من الكويت فتكلم وترجموا له صلينا العشاء وانتظرت من هذا الرجل يترجم ما ترجم فقمت إليه قلت يا أخي والله ما جئناكم تطفلاً إنما أنتم طلبتم منا أن نشارككم في الدعوة فجئنا تلبية لدعوتكم وتكلم الشيخ وأراد المترجم أن يترجم فمنعه ووعدت بانك ستترجم ولم تفعل من ذلك شيئاً قال يا أخي انت تعلم أن هذا المسجد لجماعة خرافيين فإذا تكلمنا في التوحيد طردونا من المسجد .. [جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية لسيد طلاب الرحمن ص 449].)

يكشف هذا النقل السابق عما يمكن تسميته دراما التبديع ، حيث تتحول الرحلات الدعوية إلى مهمات استخباراتية للتنقيب عن الأخطاء، بدلاً من كونها سياحة لإصلاح الخلق. وبتحليل هذا النص يكشف عن تناقضات منهجية صارخة، وسقوط في فخ الحكايات الفردية لتبرير أحكام كلية جائرة.

دعوة التبليغ هي دعوة للتوحيد وإن رغمت أنوف الحاقدين :

يُمثل قول ربيع المدخلي هذا نموذجاً صارخاً لـ مغالطة تعميم الأحكام بناءً على اختلاف الوسائل ، وهو ادعاء يتصادم مع الحقائق الميدانية والمنهجية لجماعة التبليغ؛ ويمكن تفنيد هذه المغالطة في سياق متصل يبين تهافت المنطق الذي بُنيت عليه:

إنَّ الزعم بأنَّ جماعة التبليغ لا تدعو إلى التوحيد ولا تحارب الشرك هو حكمٌ نابع من ضيق تعريف التوحيد وحصره في المعارك الكلامية والصدام مع العوام، بينما الحقيقة أنَّ الجماعة تنتهج التوحيد العملي الذي هو جوهر دعوة الأنبياء؛ فبينما يكتفي الخصوم بتدريس التوحيد كـ معلومات جافة في الغرف المغلقة، تخرج الجماعة بالناس لقطع التعلق بالمخلوقين وربط القلوب بالخالق سبحانه، وهو أسمى مراتب توحيد الربوبية والألوهية يقيناً وعملاً. إنَّ قول المدخلي إنهم لا يحاربون وسائل الشرك يتجاهل أنَّ أكبر وسيلة للشرك هي الغفلة عن الله ، والجماعة قد سدت هذا الباب بإحياء ذكر الله وعمارة المساجد في بلاد كاد يُمحى فيها اسم الله، فاستنقذوا الملايين من عبادة الهوى والمادة والقبور وأعادوهم إلى محراب العبودية الخالصة.

أما دعوى أنهم لا يسمحون لأتباعهم بالقيام بهذا الواجب ، فهي مغالطة تقلب الحكمة إلى منع ؛ فالجماعة تشترط في الداعية الرحمة واللين وتمنع الجدل المُفرق ، لأن هدفها هو هداية

الخلق لا إقامة الحجة للتشفي . إنَّ مرور قرون وأجيال (كما وصف المدخلي مبالغاً) والجماعة على هذا النهج هو أكبر دليل على بركة هذا المنهج وثباته؛ فلو كانت دعوة بلا توحيد لما أثمرت هذا الصلاح والسمت النبوي الذي يراه العالم أجمع. إنَّ محاربة الشرك عند التبليغ تكون بإحلال البديل الصحيح ؛ فمتى ما امتلأ القلب بتعظيم الله، سقط منه تعظيم ما سواه تلقائياً، وهذا هو المنهج الهادئ الذي يجهله من جعل دينه غلظة وتبديعاً.

لذا، فإنَّ وصف حالهم بأنهم لا يتكلمون في التوحيد هو كمن يتهم الشمس بالظلام لأنها لا تُصدر ضجيجاً؛ فالتبليغ يُرسخ لا إله إلا الله في سويداء القلوب لتصبح واقعاً معاشاً، بينما المدخلي يريد منهم أن يتحولوا إلى قضاة يصنفون الناس ويبدعونهم، وهو ما ترفضه الجماعة التزاماً بالأدب النبوي في دعوة عصاة الموحدين وتأليف قلوبهم. إنَّ نجاح الجماعة العالمي هو الرد العملي المفحم؛ فالعالم لا يحتاج إلى من يشتم أصنامه ويتركه وحيداً، بل يحتاج إلى من يأخذ بيده إلى الله برفق، وهذا هو التوحيد الذي فهمه التبليغيون وغفل عنه المتنطعون.

لغز القبور الأربعة بين التحري والوهم

يبدأ النقل بقصة البحث عن قبر الشيخ إلياس (مؤسس الجماعة) في مركز نظام الدين . وهنا يبرز تساؤل منطقي: كيف يخفى قبر مؤسس جماعة يزور مركزها الملايين سنوياً حتى يحتاج الأمر إلى ذكاء و تخفٍ وسؤال أناس ثقات مشوا معهم سنوات ؟! إن تصوير القبر وكأنه سر عسكري تم اكتشافه بعد عناء، هو محاولة لإضفاء صبغة المؤامرة على واقع بسيط.

والحقيقة التاريخية أن القبور في مراكز الهند وباكستان قديمة وموجودة قبل استئجار أو بناء هذه المراكز أحياناً، أو هي مدافن خاصة في زوايا معزولة وليست داخل المسجد بالمعنى الذي تصح به الصلاة إليه أو عليه. لكن النص يتعمد خلط الأوراق لإيهام القارئ بأن الصلاة باطلة في كل مراكز التبليغ حول العالم بناءً على هذه الواقعة التي احتاجت لمخبرين لإثباتها!

التحريم ليس لوجود القبر ذاته ولكن لما يحدث فيه من مخالفة :

إنَّ الزعم بأنَّ وجود القبر في المسجد يُخرج الجماعة عن منهج الأنبياء ويصفها بالشرك هو استدلال سطحي يغفل عن الحقائق التاريخية والفقهية؛ فدعوى أنه لا يجتمع في الإسلام مسجد وقبر دعوى ينقضها واقع المسجد النبوي الشريف الذي يضم القبر النبوي وقبري أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهو أطهر بقعة صُلي فيها بعد المسجد الحرام. والتحجج بأن القبور كانت في حجرة عائشة لا يغير من واقع الأمر شيئاً، إذ إنَّ المسلمين منذ توسعة الوليد بن عبد الملك أدخلوا القبور ضمن حيز المسجد وأجمعوا على جواز الصلاة فيه، ولو كان

وجود القبر موجباً لبطلان الصلاة أو استخفافاً بالشرك لكان الطعن في صلاة المسلمين بالمسجد النبوي طعناً في الأمة قاطبة. والحقيقة الشرعية التي يجهلها هؤلاء هي أنَّ النهي عن القبور في المساجد هو نهي سد الذريعة ، أي أنه منعٌ لما قد يؤول إليه الأمر من عبادة القبور، وليس نهياً لذات المكان أو القبر، فإذا أُمِن الشرك وكان القبر معزولاً أو في زاوية لا يُصلى إليها ولا يُقصد بالتعظيم، انتفت العلة. إن رمي جماعة التبليغ بالجهل بمنهج الأنبياء لأن في مراكزهم قبوراً قديمة أو خاصة هو تنطعٌ مقيت، فمنهج الأنبياء قام على التوحيد القلبي لا على المعارك مع الأحجار والقبور المهجورة التي لا يلتفت إليها أحد من المصلين. والفقهاء المحققون، كما ذكر الشوكاني وغيره، يفرقون بين المسجد المبني على القبر وبين القبر الذي أُدخل في المسجد أو وُجد في زاوية منه، فالأول هو محل النهي والآخر معفو عنه مادام لم يُتخذ وثناً. إنَّ محاولة إسقاط الجماعة بهذا الاستدلال هي محاولة لتضييق ما وسعه الشرع، وتكفير للمسلمين بمسائل خلافية فرعية، متناسين أنَّ جوهر التوحيد هو إفراد الله بالعبادة ، وهو ما تبذل فيه جماعة التبليغ أرواحها وأوقاتها في مشارق الأرض ومغاربها، بينما ينشغل خصومهم بالبحث عن القبور تحت السجاد ليصنعوا منها أزمات عقدية لا وجود لها إلا في عقولهم المشحونة بالتبديع.

استنطاق الشيخ ابن باز بالفتوى المعلبة

يقر المتحدث بأنه سأل الشيخ ابن باز وهو يعرف الحكم ولله الحمد ، وهذا يكشف عن منهج الاستفتاء لغرض التشهير . هو لم يسأل ليتعلم، بل سأل ليحصل على كلمة من مرجع كبير يضرب بها خصومه.

والمغالطة أن الشيخ ابن باز يفتي بحكم عام (عدم صحة الصلاة في المسجد الذي فيه قبر)، وهذا حق. لكن المدخلي يسحب هذا الحكم العام ليجعله إدانة أخلاقية ومنهجية لجماعة عالمية، متجاهلاً أن الجماعة في أغلب بلاد المسلمين (ومنها السعودية واليمن ومصر) تصلي في مساجد أهل السنة الخالية من القبور تماماً. فهل يُحاكم ملايين البشر بفعل في مركز نظام الدين بالهند؟!

قصة الداعية الباكي والاختيار بين التوحيد أم الصدام؟

يروي النص قصة شاب بدأ يتكلم في التوحيد فطرده الناس وجاء يبكي، فيعلق المتحدث: الآن خطوت خطوات على طريقة الأنبياء . هنا مكمن الخلل المنهجي؛ فهم يفسرون الرفض الشعبي لأسلوبهم الفظ بأنه بلاء الأنبياء .

الأنبياء جاءوا بالرحمة قبل الزجر، والتبليغ ينهجون منهج التأليف قبل التعريف . إن تسمية الصدام مع الناس توحيداً وتسمية الحكمة واللين هروباً هو قلب لمقاصد الشريعة. فالتوحيد ليس قنبلة تفجرها في وجوه العوام لتطردهم من المسجد، بل هو نور تدخله إلى قلوبهم بالتدريج، وهذا ما يفهمه أهل التبليغ ويجهله أهل التبديع.

هي الحكمة في الدعوة وليست كرها للتوحيد :

إنَّ تأويل قول الداعي التبليغي (إذا تكلمنا في التوحيد طردونا) على أنه كراهية للتوحيد هو قمة الجور في الحكم وسوء الفهم لمقاصد السياسة الشرعية؛ فالحقيقة التي يتهرب المدخلي من الاعتراف بها هي أنَّ هذا الموقف يمثل ذروة الحكمة الدعوية والواقعية الميدانية في إيصال الحق من غير استعداء الخصوم. ففي بيئة مثل بنارس الهندية، حيث تسيطر الجماعات البريلوية المعروفة بغلوها الشديد، لا يُعتبر السكوت عن الصدام المباشر تنازلاً عن العقيدة ، بل هو تحصين للميدان ؛ إذ إنَّ القاعدة الشرعية تقرر أنَّ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح . فلو صدع الداعية بالتوحيد بأسلوب صدامي ينتهي بطرده، لكان قد سدَّ أبواب الهداية بالكلية، وحرم العوام من سماع أي خير، بينما تقتضي الحكمة أن يُبقي الداعي لنفسه موطئ قدم داخل المسجد، ليجذب الناس أولاً إلى الصلاة والذكر والسمت النبوي، ثم يغرس في نفوسهم أصول التوحيد بالتدريج والرفق، وهو عين ما فعله النبي ﷺ حين كفَّ عن هدم الكعبة وإعادة بنائها على قواعد إبراهيم تأليفاً لقلوب قريش حديثي العهد بالإسلام. إنَّ المدخلي، الذي يرى في الصدام والتباكي والبكاء —كما في قصة الشاب— دليلاً على طريقة الأنبياء ، يغفل عن أنَّ الثمرة الحقيقية للدعوة هي الهداية لا المواجهة ؛ فالبطولة ليست في أن تُطرد من المسجد وأنت تصرخ بالتوحيد، بل البطولة في أن تظل في المسجد حتى تُخرج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد بحسن الخلق وطول النفس. لذا، فإنَّ اعتذار الداعية التبليغي لم يكن هروباً من التوحيد ، بل كان حمايةً للدعوة من حماقة الاستعجال التي يمارسها من لا يرى في الدين إلا معارك كلامية، وتأكيداً على أنَّ جماعة التبليغ هي الأكثر فهماً لواقع المجتمعات المعقدة، والأقدر على التسلل بالحق إلى القلوب المغلقة من غير ضجيج ينتهي بإغلاق الأبواب في وجوه المصلحين.

واقعة المترجم في بنارس مع بتر السياق

يسوق النص قصة منع المترجم من ترجمة كلام الشيخ صالح العراقي في مسجد بريلوي كدليل على عداء التبليغ للتوحيد.

والتحليل العقلاني باعتراف النص أن المسجد لـ البريلوية (وهم خصوم للتبليغ وللسلفية معاً). أمير التبليغ هناك تصرف بسياسة المكان ؛ فهو يعلم أن أي صدام عقدي مباشر سيؤدي لغلق المسجد في وجوههم ومنعهم من دعوة العوام للصلوات الخمس.

وبإعمال فقه الموازنات فإن الجماعة ترى أن كسب المصلي أولى من كسب المعركة الكلامية التي تنتهي بطرد الدعاة. وصف هذا التصرف بأنه استخفاف بالشرك هو حكم جائر على النوايا؛ فالحكمة تقتضي أن تُبقي لك موطئ قدم في المسجد لتعلم الناس الصلاة والذكر، ثم يأتي التوحيد ثمرةً طبيعية للاستقامة.

ازدواجية الجرح والتجريح ومتى وجدت الزعامة وجد ربيع :

ينتقد المتحدث الجماعة لأنها لا تحارب الشرك ، بينما هو وجماعته يحاربون الموحدين أكثر مما يحاربون المشركين! إن انشغالهم بتتبع القبور في الهند وترك الملايين الذين اهتدوا من الإلحاد والمعاصي على يد التبليغ، يثبت أن هدفهم هو إسقاط المنافس الدعوي لا إقامة التوحيد.

إنَّ سيرة ربيع المدخلي هي رحلة من التنقل بين الجماعات بحثاً عن الزعامة ، وعندما فشل في الصدارة بالبناء ، قرر الصدارة بالهدم . وتهربه من ذكر صلته بالتبليغ أو الإخوان هو محاولة لستر عورته الحركية السابقة، ليظهر في ثوب المنقذ الذي لم تلوثه الأفكار، بينما تفضح زلات لسانه وقصص رحلاته أنه كان يوماً جزءاً من المشهد الذي يحاول الآن إحراقه بالكامل.

استراتيجية المسافة المصطنعة والهروب من الذات:

يظهر في قوله (أنا لم أذهب مع هذه الجماعة إنما ذهبت لعمل.. ومررت مراراً) محاولة بائسة لصناعة حاجز نفسي بينه وبين الجماعة؛ فهو يصور وجوده في مركز نظام الدين —الذي هو قلب الدعوة وقبلة السالكين— وكأنه زيارة عابرة أو صدفة جغرافية . هذا التهرب يعكس خوفاً من أن يُحسب يوماً على هذا المنهج اللين ، فيلجأ إلى لغة (قيل لي نذهب) و(مررت) ليجرّد الزيارة من أي بُعد شرعي أو دعوي، وكأنها زيارة سياحية لموقع أثري، بينما الحقيقة أن أحداً لا يدخل تلك المراكز مارّاً إلا وله رغبة في الاستطلاع أو المشاركة.

التبرؤ من مدرسة الإخوان وعقدة الصدارة :

إنَّ التهرب من ذكر فترات الشباب في جماعة الإخوان المسلمين يصب في ذات المجرى؛ فالتاريخ يثبت أنه قضى ردحاً من عمره في كنف تلك الجماعة، ولم يتركها لخلل في العقيدة

كما يزعم الآن، بل تشير الوقائع إلى أن الانفصال كان إثر خلافات تنظيمية وصراعات على الصدارة والمكانة. هذا الانتقال من حركي إخواني إلى قامع للتبليغيين هو تحول وظيفي لا منهجي؛ حيث نقل عقلية التحزب من إطار البناء التنظيمي إلى إطار الهدم التبديعي ، وظل مسكوناً بهاجس القيادة الذي جعله ينصب نفسه قاضياً على الملايين ليعوض ما فاته من صدارة في الجماعات الحركية.

التدليس في وصف نظام الدين :

يحاول المدخلي في سرده أن يوهم السامع بوجود انفصال بين مسجد نظام الدين وبين مركز التبليغ بقوله (مسجد قريب من مركز جماعة التبليغ)، وهذا من أعجب التدليس؛ فالعالم كله يعرف أن مسجد نظام الدين هو ذاته المركز، وهما كيان واحد لا ينفصم. إنَّ محاولة خلق مسافة أمتار بين المسجد والمركز في كلامه هي محاولة بائسة للإيحاء بأنه لم يضع قدمه في عش البدعة المزعوم، وهو أسلوب يفتقر للأمانة العلمية في وصف الواقع الجغرافي والدعوي، ويهدف فقط لتبرئة نفسه من تلمة القرب من هؤلاء القوم.

الانتقائية في الرؤية والتغافل عن القبول :

بينما يتباكى المدخلي على أربعة قبور زعم اكتشافها في زاوية بباكستان أو الهند، يتغافل تماماً عن ملايين القلوب التي أُحييت بالتوحيد والصلاة في تلك المراكز. هذا التهرب من الاعتراف بالفضل هو نتاج عقلية المخابرات التي لا ترى في الغابة إلا الشجرة المكسورة؛ فمن يذهب إلى دلهي و كشمير ويرى ألوف المشركين يدخلون في الإسلام على يد هؤلاء، ثم لا يذكر في رحلته إلا قبر زوجة إلياس ، هو رجل قرر مسبقاً أن يكون شاهد زور على التاريخ، يهرب من رؤية الحقائق الساطعة ليعيش في أوهام التحذير والتشهير.

الرد على تخرصات الصومعي وشيخه في الطريقة المدخلي :

إنَّ هذا التلخيص الذي يحاول الصومعي تقديمه ليس إلا ه محاكمة للنوايا وتضخيم للصغائر، وهو دليل على أنَّ الصومعي وشيخه قد عجزوا عن مجاراة الجماعة في ميدان العمل ، فاحترفوا ميدان القول والافتراء. فالتوحيد عند التبليغ حياة ، وعند المداخلة خصومة ؛ ومن جعل التوحيد حياةً أحيا الله به القلوب، ومن جعله خصومةً لم يُخلف وراءه إلا الفرقة والتمزيق. (**قال أبو همام ثبته الله على الحق**: يتلخص لنا من كلام شيخنا حفظه الله تعالى ما يلي:

(1) جماعة التبليغ: قبورية.

(2) جماعة التبليغ: جهال بمنهج الأنبياء.

(3) جماعة التبليغ: يستخفون بالشرك

(4) جماعة التبليغ: لا تدعو إلى التوحيد.

(5) جماعة التبليغ: لا تحارب الشرك.

(6) جماعة التبليغ: لا تسمح لاتباعها أن يتكلموا في التوحيد.

(7) جماعة التبليغ: عليهم ان يدرسوا منهج الأنبياء.

(8) جماعة التبليغ: اهل غلو في القبور والأولياء.

(9) جماعة التبليغ: جماعة خرافية.) انتهى .

يُمثل هذا التلخيص الذي ساقه أبو همام قمة التجنّي والافتراء الذي يُمارسه الصومعي وشيخه ربيع المدخلي؛ فهو حشدٌ لأحكام جائرة خالية من الدليل، وتكرارٌ لمصطلحات التبديع التي تفتقر للتحقيق العلمي. وفيما يلي ردٌّ منهجيّ كليّ يتناول هذه النقاط التسع في سياق متصل يُفند هذه الأوهام:

إنَّ وصم جماعة التبليغ ب القبورية أو الغلو في الأولياء هو بهتانٌ تكذبه ملايين السجدات التي يُؤديها أفراد هذه الجماعة لله وحده في مساجد الأرض؛ فجماعة التبليغ قامت أصلاً لانتشال الناس من التعلق بغير الله ومن البدع والشركيات، ودعوتهم قائمة على اليقين بأن لا خالق ولا رازق ولا نافع ولا ضار إلا الله ، وهذا هو جوهر التوحيد. أما استغلال وجود قبور قديمة في زوايا بعض المراكز بالهند لرمي الجماعة قاطبة بالقبورية، فهو كمن يرمي الأمة الإسلامية بالشرك لوجود القبر النبوي داخل المسجد؛ فالقاعدة الفقهية تفرق بين بناء المسجد على القبر وبين وجود قبر في زاوية معزولة ، والتبليغيون أبعد الناس عن الطواف بالقبور أو الاستغاثة بغير الله، بل هم من أحيا السنة الجنائزية البسيطة في كثير من البلاد.

أما الزعم بأنهم جهال بمنهج الأنبياء أو يحتاجون لـ دراسته ، فهو نابع من مركزية الذات عند المداخلة الذين حصروا المنهج في الصدام والتبديع ، بينما منهج الأنبياء في حقيقته يقوم على الرحمة واللين والتدرج ؛ فالنبي ﷺ مكث ثلاث عشرة سنة يُرسخ الإيمان والصلة بالله قبل أن يهدم الأصنام المادية، والتبليغ يسيرون على هذا الهدي بتقديم التأليف قبل التعريف ، فدعوتهم هي دعوة الأنبياء في الصبر على الأذى والحرص على هداية الخلق، لا في تنفيرهم كما يفعل الصومعي.

وبخصوص فرية أنهم لا يدعون للتوحيد ولا يحاربون الشرك أو يمنعون أتباعهم من ذلك ، فهي مغالطة في الوسيلة ؛ فمحاربة الشرك عند التبليغ تكون ب إحلال البديل ، أي بملء القلب بتعظيم الله حتى يسقط منه تعظيم ما سواه تلقائياً، وهذا هو التوحيد العملي الذي أثمر هداية الملايين، أما المدخلي فيريد توحيداً لفظياً صدامياً ينتهي بطرد الداعي من المسجد وإغلاق أبواب الهداية. فمنع الأتباع من الجدل العقدي ليس منعاً للتوحيد، بل هو منعٌ للفتنة والخصومة التي تصد الناس عن دين الله، وهو عين الحكمة وفقه الواقع.

أما وصف الجماعة بأنها تستخف بالشرك أو أنها خرافية ، فهو نتاج الاعتماد على قصص مكذوبة كـ قصة فاروق حنيف أو أشرطة سيد طالب الرحمن التي أقر الصومعي نفسه أنها مليئة بالأخطاء ولم تُسمع جيداً. إنَّ الجماعة التي تُربي أتباعها على الزهد، والذكر، وخدمة المسلمين، والتعلق بالآخرة، هي جماعة ربانية تُحارب خرافات المادة والإلحاد، ورميها بالخرافة هو رميٌ بالداء من قومٍ جعلوا دينهم تتبع المنامات والقصص الفردية لإسقاط الأبرياء.

التعقيب على فهم الصومعي السقيم وعلى فتوى الشيخ صالح السحيمي عفا الله عنه :

ولعلنا نتناول هنا بالنقد والتحليل المنهجية الإقصائية التي اعتمدها الشيخ صالح السحيمي عفا الله عنه في الحكم على جماعة التبليغ، وهي المنهجية التي ارتكزت على قاعدة الاستثناء وتعميم الهفوات الفردية؛ إذ اتخذ من حوارٍ عابر مع شابين لم يحسنا التعبير في معقل التوحيد ذريعةً لوسم جماعة عالمية بالتصوف الباطني و معاداة العلم ، بناءً على مصطلحات لغوية فطرية كـ الفيوضات تم تأويلها صوفياً بتكلفٍ ظاهر. وقد استغل الصومعي هذا الطرح ليحول الواقعة الجزئية إلى حكمٍ كلي قاطع، متعمداً تغييب الشهادات المنصفة لكبار العلماء والواقع الدعوي السني للجماعة، مما يجعل من هذا المسلك نموذجاً لـ التدليس بالتعميم ، حيث تُحاكم الأصول الكلية بزلات العوام، وتُهدر حسنات الهداية في سبيل ترسيخ خصومة منهجية تفتقر إلى أدوات التمحيص العلمي والإنصاف الشرعي.

(وقال **الشيخ صالح السحيمي حفظه الله** عن جماعة التبليغ : (والله مر بي موقف أظن ذكرته في بعض محاضراتي سمعته من شابين في عقر معقل التوحيد عندما تكلمنا عن العلم وفضله وأهمية احترام العلماء والتتلمذ عليهم قال هذان الشابان وضربت أمثلة بمشايخنا **الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد ناصر الدين الألباني والشيخ محمد بن صالح العثيمين والشيخ صالح الفوزان وشيخنا الشيخ عبد المحسن الغنيمان والشيخ عبد المحسن العباد والشيخ عبد الله الغنيمان وشيخنا ربيع** وهذا للتمثيل وليس للحصر وشيخنا محمد أمان وغيرهم لما ضربت أمثلة بهؤلاء قال لي والله ما نصه ولعل بعض الأخوة كانوا معي في تلك المحاضرة خرج معي شابان وعند الباب قالا أنت تريد أن **نتتلمذ على هؤلاء ونترك الخروج في سبيل الله هل تريد أن تلزمنا بالجلوس عند هؤلاء الذين قعدوا عن الجهاد في سبيل الله نحن نخرج في سبيل الله مع جماعة التبليغ والعلم يأتينا فيوضات** هكذا يقوله شابان من قلب نجد من قلب معقل التوحيد أترون هذا شاب صالح سماة الخير عليه يقول انا ما أجلس عند هؤلاء الناس أنا أخرج والعلم يأتيتني فيوضيات من أين عرفوا كلمة فيوضات بادية لا أبوه ولا جده ولا جد جده عرف كلمة الفيوضات فيوضات عرفها من محمد إلياس أو من إنعام الحسن النقشبندية والشاذلية والجشتية التي تلقاها وهو ليس عنده حصيلة علمية تحمية من هذا البلاء أعوذ بالله والله شيء يتفطر له القلب ويندي له الجبين نعم أيها الأخوة في الله والله هذا حصل معي

وأقسم بالله على ذلك أنه حصل وانا في بيت من بيوت الله من أين جاءت هذه اللهجة لهجة الفيوضات .

من أين ؟ أبوه وجده وجد جده لا يعرفون هذه الكلمة لكن لما ترك ينسلخ مع جماعة كذا وجماعة كذا وجماعة كذا مع هؤلاء الحزبيين ضاع وهلك) **[شريط التحذير من جماعة التبليغ بواسطة كتاب جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية : لسيد طالب الرحمن ص 458]**.)

إن ما أورده الشيخ صالح السحيمي عفا الله عنه في هذا الموقف يمثل نموذجاً لـ الحكم على الكليات من خلال نوادر الجزئيات ، وهو مسلك يفتقر إلى الموضوعية العلمية التي تفرق بين خطأ الفرد ومنهج الجماعة، وإليك الرد على فقرات هذا النص ببيان هادئ ومنصف:

أولاً: بخصوص حكاية الشابين والطعن في العلماء:

إن ما قاله الشابان من وصف العلماء بالقاعدين عن الجهاد هو كلام باطل، وسوء أدب، وجهل مركب لا يقره عاقل، فضلاً عن أن تقره جماعة التبليغ. لكن السؤال المنصف للصومعي: هل يمثل هذان الشابان ملايين الدعاة في العالم؟ إن جماعة التبليغ في أصولها وكتبها (كحياة الصحابة ورياض الصالحين) تعظم العلماء وتعتبرهم تيجان الأمة. فإسقاط سفه شابين حدثاء أسنان على جماعة عالمية هو عين الجور؛ فهل يجوز لنا أن نبدع السلفية لأن شاباً منتسباً إليها تطاول على عالم؟ بالطبع لا. فالخطأ هنا فردي، وتعميمه على الجماعة هو ظلم مركب استخدمه الصومعي ليهدم جهوداً دعوية جبارة.

ثانياً: مسألة العلم يأتي فيوضات وكلمة الفيوضات :

لقد بالغ الشيخ السحيمي عفا الله عنه في استنتاج أصل كلمة فيوضات وجعلها دليلاً على الانتماء لـ النقشبندية أو الجشتية . والحقيقة أن كلمة فيض و فيوضات مستخدمة في لغة العرب وفي كتب المفسرين والفقهاء للدلالة على فضل الله وفتحه على العبد (كقولهم: أفاض الله عليه من علمه). فجعل النطق بكلمة لغوية دليلاً على عقيدة باطنية هو نوع من التكلف في الاستدلال. أما قول الشابين إن العلم يأتي بالإلهام، فهو جهل بالشريعة يقع فيه العوام في كل مكان، وعلاجه بتعليمهم لا بتبديع الجماعة التي خرجوا معها؛ فالتبليغيون يحثون على التعلم لا الانتظار ، وما ينسبونه من فتح هو توفيق الله في إيصال الكلمة للقلوب، وليس استغناءً عن الوحي.

ثالثاً: دعوى أن الأب والجد لم يعرفوا هذه الكلمات:

هذا الاستدلال بعدم معرفة الآباء والأجداد للكلمة هو استدلال ضعيف؛ فاللغة تتطور، والكلمات تنتشر عبر القراءة والمخالطة. فهل كل كلمة لم يعرفها الأجداد في نجد تعتبر دخيلة وبدعية؟ إن جماعة التبليغ في نجد واليمن وغيرها هم أبناء هذه البيئة، وقد يكونون سمعوا هذه العبارات من كتب الرقائق أو من وعاظ عابرين، فنسبتها فوراً لمحمد إلياس أو إنعام الحسن هو نوع من الإسقاط الذهني الذي يبحث عن أي رابط ليثبت تهمة التصوف، وهو ربط واهٍ لا يصمد أمام التحقيق العلمي.

رابعاً: وصفهم بالحزبيين وأن الشاب ضاع وهلك :

إن وصف جماعة التبليغ بالحزبية هو من أعجب العجب؛ فمن المعلوم أن التبليغيين هم أبعد الناس عن السياسة، وعن التحزب الضيق، وعن الصراعات على المناصب، بل هم جماعة دعوية سائحة تفتح أبوابها لكل مسلم. أما القول بأن الشاب ضاع وهلك بمجرد خروجه معهم، فهو مبالغة يندى لها الجبين؛ فهل من ترك الاستراحات والمعاصي وخرج ليصلي ويدعو الناس لله قد هلك ؟ إن الهلاك الحقيقي هو في ترك هؤلاء الشباب بلا احتواء، مما يدفعهم لردود أفعال سيئة كما حدث مع هذين الشابين.

خامساً: تجاهل الثمرة الكلية مقابل الحادثة الفردية :

لقد بنى الشيخ السحيمي عفا الله عنه - ونقل عنه الصومعي - حكماً عاطفياً مشحوناً بناءً على موقف عند باب مسجد، وتجاهل ملايين الحالات لمجرمين تابوا، ومدمنين اهتدوا، وكفار أسلموا على يد هذه الجماعة. إن الإنصاف يقتضي أن نقول: هناك أخطاء في الفهم عند بعض الجهلة من المنتسبين، يجب تصحيحها ، لا أن نقول الجماعة ضالة وبدعية وصوفية بناءً على كلمة نطق بها شاب لا يحسن تقدير الأمور.

فالصومعي بتسويقه لهذا الشريط وهذه القصة، إنما يمارس دعاية عاطفية لتخويف الناس، بعيداً عن التأصيل العلمي الرصين الذي يفرق بين تصرفات الأفراد و أصول المناهج . فجماعة التبليغ في نجد وغيرها هي جزء من نسيج المجتمع، وخطأ الفرد فيها يُرد عليه، ولا تُحمل الجماعة وزره.

سادسا : الفيض في لسان العرب وأهل نجد:

إن كلمة فيض و فيوضات ليست مصطلحاً مخترعاً في دهاليز الهند، بل هي كلمة عربية قحة يستخدمها أهل نجد والحجاز واليمن في أحاديثهم العادية وفي مدحهم؛ فيقولون فاض الخير و فاض العلم على قلبه ، ويقصدون بها السعة والكثرة والبركة التي يمتن الله بها على عبده.

فإذا قال شاب عامي العلم يأتينا فيوضات ، فهو يعبر بلسانه الفطري عن شعوره بالفتح الرباني الذي يجده في قلبه من خشوع وإقبال على الطاعة أثناء الخروج، وهو معنى لا يخرج عما سطره كبار أئمة السلف في كتبهم عند الحديث عن العلم النافع الذي يقذفه الله في القلب.

سابعا : التكلف في تأصيل الكلمة صوفياً:

إن زعم الشيخ السحيمي عفا الله عنه بأن الأب والجد لم يعرفوا هذه الكلمة هو زعم غريب؛ فكتب التفسير والرقائق التي تُقرأ في مساجد نجد منذ مئات السنين تعج بذكر فيض الكريم و إفاضة النعم . فأن يأتي الصومعي ليجعل هذه الكلمة حصرياً من استيراد محمد إلياس أو الطرق النقشبندية، هو نوع من التكلف الأيديولوجي؛ حيث يُحاول الناقد قسراً ربط أي لفظ روحي بالتصوف البدعي ليجد مسوغاً للتبديع. فهل أصبح استخدام المترادفات العربية دليلاً على الانحراف العقدي؟

ثامنا : إغفال السياق الفطري للعوام

كان يكفي الشيخ السحيمي عفا الله عنه أن يدرك أن هؤلاء عوام يبحثون عن مفردات تعبر عن تغيير أحوالهم الإيمانية، والتبليغيون في بيانهم يتحدثون كثيراً عن فضل الله و فتحه ، فامتص الشابان هذه المعاني وصاغاها بأسلوبهما. إن معالجة هذا الأمر تكون بتعليمهم أن العلم يُطلب بالتعلم مع سؤال الله الفتح، لا بجعل الكلمة بلاءً يندي له الجبين و جناية تتفطر لها القلوب . هذا التضخيم اللغوي يوضح أن الناقد كان يبحث عن زلة لسان ليبني عليها صرحاً من الضلال .

تاسعا : التدليس في تغييب الواقع المحلي:

الصومعي في نقله لهذه القصة، يعمي القارئ عن حقيقة أن آلاف السعوديين المنخرطين في التبليغ لا يستخدمون هذه المصطلحات الصوفية، بل يتكلمون بلغة سلفية نقية، ويدرسون كتب التوحيد. لكنه اختار حالة شاذة لشابين ربما تأثرا بواعظ عابر أو بجهل شخصي، ليعممها كظاهرة. فلو سأل أهل البلد المنصفين، لأخبروه أن التبليغيين في المملكة هم أحرص الناس على تصفية دعوتهم من أي شائبة أعجمية، ولكن الصومعي يفضل الرواية المشوهة لأنها تخدم غرضه في التبديع.

اعتبار حماسة الشباب أمام فساد المجتمع :

إنَّ هذا الكلام الصادر عن الشباب المتحمس للدعوة ليس في حقيقته تقليلاً من شأن طلب العلم، ولا هو انتهاجٌ لمسالك التصوف الفلسفي الغالي، بل هو في جوهره صرخة احتجاج

ضد واقع العلم القعيد الذي يكتفي بالنظر والتنظير بينما تغرق المجتمعات في أتون الفساد والبعد عن الله. فقول الشاب (نترك الخروج لنلزم الجلوس عند هؤلاء الذين قعدوا) يمثل اعتراضاً حاداً على صورة ذهنية ارتبطت ببعض طلبة العلم الذين انحبسوا في بطون الكتب وانعزلوا عن آلام العامة ومنكرات الشوارع، فصار الخروج في نظر هؤلاء الشباب هو الجهاد الفعلي لاستنقاذ الغرقى، والدروس الصرفة نوعاً من الترف الذي لا يغير من واقع المنكرات شيئاً.

أما فلسفة الفيوضات التي نطق بها لسان حالهم حين قال (العلم يأتينا فيوضات)، فهي لا تعني العلم اللدني الذي يدعيه غلاة الصوفية للاستغناء عن الوحي، وإنما هي تعبير عن يقين الميدان وبركة العمل؛ فالشاب حين يرى أثر الكلمة البسيطة تفتح القلوب وتغير الأحوال، يشعر بفتح رباني ونور هداية لم يجد لذه في الصفحات النظرية، فهي فيوضات البركة التي تتنزل على المخلصين في ميدان الدعوة وليست ادعاءً للعصمة.

إنَّ هذا الاندفاع هو نتاج حماسة الغيرة الإيمانية أمام فساد المجتمع؛ فالشباب يرى المنكرات تتخطف أقرانه، ويرى جماعة التبليغ هي اليد الوحيدة الممتدة إليهم في القرى والمقاهي، بينما ينشغل آخرون بالردود والتبديع، فكان قوله رد فعل طبيعي يرى أن نصرة الدين تكون بالقدم والسعي كما تكون بالقلم والدرس.

والرد الحكيم على هذا التوجه ليس بالزجر أو التبديع، بل بتحقيق الميزان المفقود الذي يجمع بين العلم والحركة معاً؛ فالعلم بلا حركة هو طاقة محبوسة قد تؤول إلى الكبر، والحركة بلا علم هي اندفاع قد يورط في الزلل. إنَّ المطلوب هو طالب علم متحرك و داعية متعلم ، بحيث يكون العلم هو البوصلة التي تسدد الاتجاه، والحركة هي السفينة التي تمخر عباب الواقع، ومتى ما وجد الشباب علماءً يتحرقون لإصلاح الناس، فلن يبحثوا عن الفيوضات بعيداً عن مجالسهم، بل سيرون العلم والعمل يسيران في خط واحد لتحقيق منهج الأنبياء في الأرض.

إحلال الحادثة الفردية محل القاعدة الكلية وإلزام الناس بها :

إن ما أورده الشيخ صالح السحيمي عفا الله عنه في هذا الموقف، وما يروجه الصومعي من بعده، يمثل سقطة منهجية في أصول النقد والتقييم؛ حيث تم إحلال الحادثة الفردية محل القاعدة الكلية ، وجُعل من جهل شابين حدثاء الأسنان مرجعاً للحكم على جماعة دعوية

عالمية، متجاهلين في ذلك أبسط قواعد الإنصاف الشرعي التي تقتضي تتبع الأصول والمآلات لا العثرات والهفوات.

غياب الإنصاف ومنهج التعميم الجائر:

إن السؤال الجوهري الذي يطرح نفسه: لماذا لم يذكر الشيخ صالح أن ما صدر من هذين الشابين قد يكون محض جهل فردي أو سوء فهم لا يمت بصلة لمشايخ التبليغ وكبار رجالاته؟ فمن المعلوم بالضرورة أن أي جماعة بشرية - بما فيها المدارس السلفية نفسها - لا تخلو من أتباع غلاة أو جهلة يسيئون للمنهج بأفعالهم. فهل يُعقل أن يُهدم بناء دعوي عمره قرابة القرن، ويُرمى بالفيوضات الصوفية لأن شاباً في نجد نطق بكلمة لم يستوعب معناها؟ إن تجاهل كبار علماء التبليغ في السعودية وخارجها، الذين تخرجوا من الجامعات الإسلامية ونهجوا نهجاً سلفياً واضحاً في التوحيد، يعد نوعاً من التعمية المتعمدة التي تهدف إلى تشويه الصورة الكلية عبر تضخيم النماذج الشاذة.

التدليس عبر انتقائية النماذج:

إن هذا المسلك ينم عن تدليس علمي واضح؛ فبدلاً من أن يتتبع الناقد كلام منظري الجماعة ومشايخها المعتبرين الذين يوصون دائماً بتوقير العلماء والرجوع إليهم، نراه يقتنص موقفاً عابراً عند باب مسجد ليبني عليه حكماً عقدياً يتفطر له القلب كما قال. وكان الأولى شرعاً وعقلاً أن يُحاكم منهج الجماعة إلى كتبها المعتمدة وتصريحات قادتها، لا إلى أغلاط العوام الذين قد تسبق عاطفتهم علمهم. إن تعميم كلمة قيلت في فورة حماس لتصبح عقيدة جماعة هو مسلك الحزبيين الذين لا يبتغون الإصلاح، بل يبتغون الإسقاط والتشفي.

إخفاء الشهادات المنصفة:

علاوة على ذلك، فإن تجاهل ذكر كبار علماء السعودية الذين انخرطوا في هذه الجماعة أو أثنوا عليها، كالشيخ ابن باز وابن جبرين وغيرهم، يؤكد أن الغرض من سرد مثل هذه الحكايات هو صناعة فزاعة فكرية لإرهاب الناس من الخروج معهم. فلو ذكر الشيخ أن هناك آلاف الشباب الذين اهتدوا ببركة هذا الخروج وصاروا عماراً للمساجد وموقرين للعلماء، لاختلت الرواية التحذيرية التي يريد الصومعي ترسيخها. إن التركيز على شاب جاهل وتجاهل عالم منصف هو جوهر الخلل الذي يقع فيه غلاة التبديع، الذين يستغلون سلطتهم العلمية لتمرير أحكام مبنية على انطباعات شخصية ومواقف جزئية.

هذا الأسلوب في النقد لا يخدم جناب التوحيد كما يدعون، بل يخدم التشرذم والفرقة ؛ فالحق لا يُعرف بالرجال ولا يُقاس بالأخطاء الفردية، بل يُعرف بالأدلة والبراهين وواقع الحال المستفيض. وجماعة التبليغ في واقعها هي مدرسة تربوية أخرجت الناس من عبادة العبيد والمخدرات والغفلة إلى عبادة الله، وما يقع فيه بعض أفرادها من جهل هو ضريبة العمل الميداني التي تُعالج بالتعليم لا بالتبديع والإقصاء والتعمية على الناس.

إلزامات الصومعي بنتاج فهمه السقيم ولوازمه الباطلة :

ويواصل الصومعي استنتاجاته الغريبة التي ليست إلا تراكمات من الأوهام ؛ فهي لم تبنَ على بحث في مصادر الجماعة أو جلوس مع مشايخها، بل بُنيت على قصة شابين عند باب مسجد ، وهذا هو عين التعمية والتدليس الذي يحذر منه العلماء.

(قال أبو همام: يتلخص لنا من كلام الشيخ صالح حفظه الله ما يلي:

(1) جماعة التبليغ: يرون العلماء قواعد عن الجهاد.

(2) جماعة التبليغ: يرون العلم يأتيهم فيوضات

(3) جماعة التبيلغ: لا يريدون العلم من علماء أهل السنة.

(4) جماعة التبليغ: نقشبندية.

(5) جماعة التبليغ: شاذلية.

(6) جماعة التبليغ: جشتية.) انتهى .

فاستنباطات الصومعي هذه ليست إلا تجميعاً لاتهامات مرسلة، بُنيت على حادثة فردية وسوء فهم للمصطلحات، وهي لا تصمد أمام المنهج العلمي الرصين الذي يفرق بين عقيدة الجماعة وأخطاء الأفراد. إليك الرد على فقراته واحدة تلو الأخرى:

أولاً: دعوى أن الجماعة يرون العلماء قواعد عن الجهاد

فهذا افتراء بيّن؛ فجماعة التبليغ في أدبياتها وواقعها تعظم العلماء وتدعو لزوم مجالسهم، وما نُقل عن ذينك الشابين الجاهلين لا يمثل منهج الجماعة في شيء، بل هو سلوك فردي مدان. فالجماعة تخرج للتبليغ والدعوة إلى الله، ولا تعتبر خروجها جهاداً في سبيل الله بالمعنى القتالي الذي يقتضي استئذان ولاة الأمر أو العلماء، بل تعتبره جهداً دعوياً لإصلاح النفوس. ومن يرمي الجماعة بهذا الاتهام فهو كمن يرمي السلفية بالخروج لمجرد فعل شاب غلته الحماس، فمنهج الجماعة ثابت في احترام العلماء وحفظ قدرهم، لا في التضاد معهم.

ثانياً: دعوى أن الجماعة يرون العلم يأتيهم فيوضات

هذا خلط متعمد بين الفتح الرباني و طلب العلم ؛ فالمسلمون كافة يؤمنون بأن الله يفتح على عبده الصالح ببركة التقوى، والتبليغيون يقصدون بهذا اللفظ أن الله ييسر لهم فهم الحق وتذوق حلاوة الإيمان، لا أنهم يستغنون عن قراءة الكتب وحضور الدروس. فالجماعة تحث أفرادها دائماً على التعلم و المطالعة ، وما نطق به الشابان من فيوضات هو تعبير عامي عن شعور إيماني لا يمت لـ عقيدة الحلول أو الإلهام الصوفي بصلة. إن الصومعي يفتش عن زلة لسان ليصنع منها عقيدة بدعية ، وهو مسلك ينم عن ضيق أفق لا يعترف بالمعاني العرفية للكلمات.

ثالثاً: **دعوى أن الجماعة لا يريدون العلم من علماء أهل السنة**

هذه الدعوى تكذبها آلاف المراكز التبليغية التي تستضيف العلماء، وتكذبها وصايا مشايخ التبليغ لأتباعهم بضرورة الرجوع للعلماء وسؤالهم. الواقع أن الجماعة تفتح أبوابها لكل عالم، وتدعو أفرادها للتعلم، لكنهم يركزون على التزكية والرقائق لأنهم رأوا حاجة الناس إليها. فاعتبار التركيز على جانب دعوي (كالإصلاح القلبي) رفضاً لجانب علمي آخر (كالتأصيل الفقهي) هو مغالطة؛ فالمسلم يحتاج للجانبين، ورمي الجماعة برفض العلم هو كذب صريح يتجاهل آلاف الدروس والمحاضرات العلمية التي تقام في مساجدهم.

رابعاً: **دعوى أنهم نقشبندية، شاذلية، وجشتية**

هذه الدعاوى الثلاث هي تهريج علمي لا يمت للواقع بصلة؛ فجماعة التبليغ في أصولها (الديوبندية) تبرأ من الطرق الصوفية (النقشبندية والشاذلية والجشتية) وتعتبرها مصدراً للبدع في القارة الهندية، وتاريخ الجماعة حافل بصدامها مع هذه الطرق في مسائل العقيدة والقبوريات. إن محاولة الصومعي إلصاق هذه المسميات بالجماعة هي محاولة للخلط بين الوسيلة الدعوية وبين المنهج الطرقي ، وهو جهل فاضح بالفروق بين الجماعات الإسلامية. التبليغيون ليس لهم طريقة صوفية، بل هم جماعة دعوية، وهذا الخلط يثبت أن الصومعي ناقل للطعن ليس إلا، وأنه لا يميز بين مدرسة وأخرى، بل يجمع كل مخالفيه في كيس واحد ليشوههم.

لماذا يصر هؤلاء الغلاة في التبديع على هذا التعميم مع وضوح هذه الحقائق ؟

إن خصومة الصومعي وغلاة التبديع ليست مع خطأ التبليغيين، بل هي مع وجودهم ذاته. فالتعميم هو سلاح العاجز عن الإصلاح ، ووسيلة الخائف من المنافسة . إنهم يضحون

بالإنصاف الشرعي في سبيل الانتصار الحزبي ، ويحولون الدين من رحمة وهداية للعالمين إلى سوط يجلدون به ظهور العاملين.

ولذا فإن إصرار هؤلاء الغلاة على منهج التعميم رغم انكشاف الحقائق وتفنيد الشبهات ليس ناتجاً عن نقص في المعلومة، بل هو ناتج عن بنية فكرية ونفسية معقدة تحكم طريقة تعاملهم مع الواقع والدين. ويمكن تحليل أبعاد هذه الخصومة في النقاط الجوهرية التالية:

1. الحفاظ على احتكار الحق (الأرثوذكسية الضيقة)

يعتقد هؤلاء أنهم الفرقة الناجية الوحيدة بمفهوم إقصائي ضيق، وأي جماعة تحقق نجاحاً دعوياً خارج إطارهم التنظيمي أو المدرسي تُعتبر تهديداً لهذا الاحتكار. لذا، فإن التعميم يخدمهم في شيطنة الآخر جملة وتفصيلاً؛ فلو اعترفوا بوجود خير أو سنة لدى جماعة التبليغ، لتهدمت فكرة أن الحق محصور في دائرتهم الصومعية ، ولأصبح المسلم مخيراً في اتباع وسائل دعوية أخرى، وهو ما يرفضه الغالي لأنه يريد وصاية كاملة على عقول الناس.

2. الهروب من مأزق الإنجاز

ثمة فجوة هائلة بين التبليغيين الذين ينزلون للميدان ويهديهم الله على أيديهم السكارى والعصاة، وبين الغلاة الذين ينحصر نشاطهم في تبديع العاملين والتحذير من الناشطين. هذا الإفلاس الدعوي يولد حالة من الحنق؛ فبدلاً من منافسة التبليغيين في هداية الناس، يلجأ الغلاة إلى التعميم بالبدعة لتبرير قعودهم وعجزهم، وتصوير نشاط غيرهم على أنه ضلال مُبين لا يجوز الاقتراب منه.

3. سيكولوجية بناء الهوية عبر الخصومة

يعرف هؤلاء أنفسهم دائماً بمن هم ضدهم لا بما هم عليه . فالهوية عند الصومعي وأمثاله تُبنى بالتحذير من فلان وعلان؛ لذا فإن التعميم ضرورة بقاء لهذه الهوية. فلو توقفوا عن التبديع والتحذير، لفقدوا مبرر وجودهم كـ حراس للعقيدة (بزعمهم)، ولتحولوا إلى أفراد عاديين في المجتمع. التعميم يجعل الخصم وحشاً كبيراً (صوفياً، قبورياً، مخرفاً)، مما يعطي للغالي شعوراً وهمياً بالبطولة العلمية.

4. توظيف سلطة النص المبتور

يعتمد هذا الفكر على بتر السياق ؛ فيأخذون كلمة قيلت في الهند قبل 80 عاماً، أو زلة لسان لشاب في نجد، ويجعلونها ديناً ملزماً للجماعة. هذا الإصرار على التعميم يهدف إلى قطع الطريق أمام أي محاولة للإصلاح أو الحوار؛ فإذا كانت الجماعة مبتدعة بالكلية فلا داعي

لمناقشتهم أو سماعهم. هم يريدون قوالب جاهزة تسهل عليهم وعلى أتباعهم تصنيف الناس دون عناء البحث والتمحيص.

5. البعد السياسي والاجتماعي

في كثير من الأحيان، يكون التبديع وسيلة لـ الزلفى أو التقرب لجهات معينة عبر إظهار الولاء المطلق للنموذج الرسمي، وتجريم أي حراك شعبي دعوي قد يؤدي إلى تجميع الناس. فالتعميم هنا يعمل كـ أداة ضبط اجتماعية تمنع الناس من الانخراط في أي نشاط لا يمر عبر قنواتهم الخاصة، خوفاً من لوثة البدعة التي يوزعون صكوكها يمنة ويسرة.

الخاتمة :

وبعد، فالحمد لله الذي جعل في كل زمانٍ فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائهٍ قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم.

فهذا ما تيسر جمعه وتسطيره في هذه الوريقات، دفاعاً عن الحق المستبين، وكشفاً لزيغ الغلاة المفتونين، الذين اتخذوا من التبديع بضاعة، ومن التضليل منهجاً وسياجاً، فأسقطوا بجهلهم وبغيهم هاماتٍ وقامات، ورموا خيار الأمة بالعظائم. إننا في ختام هذا الرد العلمي، الذي فككنا فيه ركام الشبهات التي حشدها الصومعي البيضاني وشيخه النجمي ومن سار على دربهم من المداخلة والغلاة، نؤكد أن المعركة لم تكن يوماً معركة أشخاص، بل هي معركة الإنصاف في مواجهة الإجحاف ، ومعركة التثبت في وجه التحريف والبتر . لقد رأينا كيف استمرأ هؤلاء القوم كبائر القول، فزعموا أن جماعة التبليغ خالية من التوحيد، صوفية في العقيدة، قبورية في المشهد، بل وذهب بهم الشطط إلى تكفير جموعهم وتبديع أصولهم، ضاربين عرض الحائط بشهادات كبار علماء الأمة الذين خبروا هذه الدعوة وأنصفوها، كالشيخ ابن باز والشيخ أبي بكر الجزائري وغيرهما. إن هؤلاء الغلاة قد أتوا بمنكر من القول وزوراً حين جعلوا الحوادث الفردية قواعد كلية، وبنوا أحكامهم على اللازم و المآل لا على الحقيقة والواقع ، فصار عندهم كل من خرج للدعوة مبتدعاً، وكل من وعظ الناس مشركاً، في ازدواجية معايير فاضحة تبيح لهم ما تحرمه على غيرهم.

إن ما قمنا به في هذا الكتاب هو تجلية الحقيقة التي حاول الصومعي طمسها عبر التدليس في النقل عن الأئمة كالصنعاني، أو بتر فتاوى المعاصرين كابن إبراهيم والألباني، لنثبت بالدليل القاطع أن جهد التبليغ ما هو إلا وسيلة دعوية تهدف لتحريك الإيمان في القلوب، وليست ديناً جديداً ولا مذهباً باطلاً كما يروجون. وإننا إذ نبرأ إلى الله من كل غلو أو بدعة تقع من فرد هنا أو هناك، فإننا نؤكد أن الأصل في المسلمين السلامة، وأن دعوة التبليغ قامت على الأصول الستة التي هي في جوهرها شرح عملي لمقتضيات الشهادتين وتعظيم لشعائر الإسلام، وما إلصاق الطرق الصوفية الأربع أو عقيدة وحدة الوجود بهم إلا محض افتراء وخرص لا يثبت أمام النقد العلمي البصير. إن هذا الفكر المدخلي الذي يسعى لاحتكار الحق في فئة ضيقة تبدع الأمة بأجمعها، هو الثمرة المرة لترك منهج السلف في التثبت والرحمة،

وهو الذي أورث الشباب حيرة وتشتتاً، وحول العمل الدعوي من ساحات البناء إلى خنادق الصراع وتصيد العثرات. لذا فإننا نضع هذا الكتاب بين يدي طالب الحق المنصف، ليعلم أن المنهج السلفي هو منهج العدل لا التشفي ، ومنهج الهدى لا الردى ، سائلين المولى عز وجل أن يجمع كلمة المسلمين على الكتاب والسنة، وأن يكفي الأمة شر الغلاة والمبطلين، وأن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وسبباً في كشف الغمة عن هذه الجماعة المباركة التي نذرت نفسها لخدمة الدين في مشارق الأرض ومغاربها.

وبيانا لما قلناه وتلخيصاً لما ذكرناه نعلن لإخواننا المسلمين في العالم كله - حتى لا يكون لأحد عذر ولا حجة - أن أهل التبليغ والدعوة أهل علم وبصيرة بعقيدة التوحيد التي أرسل الله من أجلها الرسل وأنزل الكتب ومن أجلها يعملون ، وليسوا أصحاب خرافات أو بدع أو شركيات كما يزعم المفترون، بل هم برآء من المذاهب الباطلة ومعتنقون لمذهب أهل السنة والجماعة قلباً وقالبًا، ودعوتهم قائمة على منهج الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح، والخروج معهم مشروع ومستحب لنشر الدين وليس فيه أدنى مشابهة بمناهج الحركية السياسية ، فهم جماعة تجمعهم عقيدة السلف الصافية ولا يقرون عقائد المذاهب الردية ، ومن كان منهم من الأشاعرة فلا يعتقد شطحات وغلو الأقدمين إنما هم إلى أهل الحديث أقرب ، وهم أبعد عن غلو الغلاة من المتصوفة مما بين المشرقين ، ولم تكن دعوتهم يوماً قائمة على تجميع الناس بلا ثقافة بل على تعظيم أمر الله في القلوب، وهم أبعد الناس عن الصوفية العصرية وأحرصهم على التوحيد قولاً وعملاً، ولا يقرون الاستغاثة ولا التوسل البدعي بغير الله، ولا يلزمون أحداً ببيعة لأي طريقة كانت سواء النقشبندية أو القادرية أو غيرهما، بل منهجهم علمي دعوي لا تلون فيه ولا ابتداع، وهم دعاة هداية لا دعاة تخريف، ولا يفسرون الجهاد تفسيراً قاصراً ولا يخرجون للسياحة كما يصور المبطلون، بل يخرجون دعاةً مبلغين لرسالة ربهم، وهم أحرص الناس على دراسة العقيدة الصحيحة وفهم معنى (لا إله إلا الله) فهماً شمولياً ينفي الشرك بكل أنواعه ويثبت التوحيد الخالص ، ولا يقدسون الأشخاص ولا يدعون لهم العصمة ولا لمشايخهم ولا يرفعون القبور في المساجد ولا يتخذونها أضرحة وتلك مساجدهم بالآلاف تخلوا من تلك المظاهر ، بل هم حرب على القبورية وأهل استقامة على منهج الأنبياء في الدعوة، لا يستخفون بالشرك بل يحذرون منه، ولا يرون العلم فيوضات صوفية بل تعلماً من أفواه العلماء الراسخين، وبرآء من كل دعوى تزعم أنهم يفضلون غيرهم في الهداية أو يحتكرون الحق، بل هم أهل تواضع وتجرد،

يفسرون النصوص بمقتضى فهم السلف لا بالأهواء البشرية، ويوالون في الله ويعادون في الله، ويسعون لجمع كلمة الأمة على التوحيد الخالص والاتباع الصادق، بعيداً عن غلو الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وإتماماً لهذا البيان، وتبرئةً للذمة أمام الله تعالى ، فإننا نتوجه بدعوة حارة ونصيحة غالية إلى علمائنا الأجلاء وشيوخنا الفضلاء وطلبة العلم النجباء في هذا العصر؛ أن يفتحوا قلوبهم قبل أبوابهم لإخوانهم في الله، وأن يمدوا جسور التواصل مع أهل هذا الجهد الدعوي المبارك، وذلك بمخالطتهم في مجالسهم وحضور اجتماعاتهم العامة والخاصة، والوقوف على حقيقة دعوتهم عن قرب، بعيداً عن تقارير المغرضين أو تصورات المحجوبين .

إننا ندعوكم –يا ورثة الأنبياء– أن تجعلوا من زيارتكم لهم ومشاركتكم في خروجهم رحلةً علميةً ميدانية ، تُحيون بها سُنّة السلف الصالح الذين كانوا يقطعون الفيافي والقفار، ويرحلون الشهور الطوال للتحقق من صحة حديث واحد أو التأكد من ضبط راوٍ ، فكيف والحديث هنا عن أمةٍ من المسلمين تُرمى في عقيدتها ودينها؟ إن التحقق من صحة عقيدة هؤلاء الملايين، ومعاينة واقعهم في التوحيد والاتباع، هو أجدر بالرحلة وأولى بالتثبت؛ ليكون الحكم عليهم مبنياً على عين اليقين لا على ظن التخمين .

إن نزولكم إلى ميدانهم ومخالطتكم لبيئاتهم لن يعدمكم خيراً بإذن الله؛ فإما أن تروا حقاً فتؤيدوه وتنصروه، وإما أن تلمسوا نقصاً –والبشر لا يخلون منه– فتسددوه وتجبروه برفق العلماء وحكمة الفقهاء. إن حرمان هذه الجموع الغفيرة من توجيهكم وعلمكم بسبب جدارٍ من الأوهام بناه الغلاة هو خسارةٌ للأمة وتفريطٌ في أمانة البلاغ، فالعلماء في الناس كالملح في الطعام، وبهم تُضاء مسالك الهدى، وإن في رؤية تلك الوجوه التي تعفرت في سبيل الله، وتلك القلوب التي امتلأت بتعظيم شعائر الله، لخيرٌ عظيم يلين القلوب القاسية، ويذكر بالآخرة، ويفتح آفاقاً للعمل لدين الله لم يكن المرء ليجدها في بطون الكتب وحدها.

وختاماً، كلمتي إلى تلك الجباه التي سجدت لله في قفار الأرض، وإلى تلك الأقدام التي اغبرت في سبيل الله تعالى ، وإلى إخواني في جهد الدين والدعوة المبارك الذين نالهم من ألسنة الحداد ما نالهم، وصُبَّت عليهم سياط التبديع والتفسيق ظُلماً وعدواناً.

يا أهل الدعوة ، صبراً وتحملا وتجملاً؛ فإنَّ ما يواجهكم اليوم ليس بدعاً من الأمر، بل هو ضريبة السير على خُطى الأنبياء والرسل، فما من داعٍ دعا إلى الله بصدق إلا ورُمي بالعظائم والفظائع، وما من مُصلحٍ أراد لم شتات الأمة أو إصلاحها إلا وحاربه أهل الضيق والتعصب.

إنَّ هذه الاتهامات الجائرة التي تنوء بحملها الجبال هي في ميزان الله رفعةٌ لدرجاتكم، وتمحيصاً لصدقكم، (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) .

إنَّ الصدق الذي تحملونه في قلوبكم تجاه أمة محمد صلى الله عليه وسلم، والحرقة التي في نفوسكم من أجل هداية الناس، هي أقوى من كل صيحات التبديع وأبقى من كل فتوى جائرة بُنيت على سوء فهم أو وهمٍ أو تدليس. فلا يفتنكم ذلك عن دينكم ولا يردكم قيلُ وقال، ولا يثنيكم عن جُهدكم تخرصات الغلاة؛ فإنَّ الحق أبلج، والباطل لجلج، وإنَّ دمعةً تسكبونها في جوف الليل استمطارا لرحمة الله بعباده، لهي أثقل في الميزان من مجلداتٍ سُودت بالطعن واللمز والتحريش بين المؤمنين.

فاستمروا على ما أنتم عليه - وكما تعلمنا منكم - من حلمٍ وأناة، وقابلوا الإساءة بالإحسان، والجفاء بالصلة، والتبديع بالدعاء لهم بظهر الغيب؛ فهذا هو أدب النبوة الذي لا يعرفه الغلاة.

إنَّ بضاعتكم هي الرحمة وبضاعتهم النقمة ، وشعاركم البناء وشعارهم الهدم ، فشتان بين من يسعى لإدخال عاصٍ إلى رحاب المسجد، وبين من يسعى لإخراج عابدٍ من حظيرة السنة!

طوبى لكم غربتكم في زمن الصراعات، وهنيئاً لكم ثباتكم على أصولكم الستة التي ما هي إلا تطبيقٌ عملي للقرآن والسنة. ثقوا بأنَّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وأنَّ العاقبة للمتقين، فامضوا في طريقكم بصدقٍ ويقين، واستمروا في تبليغ دين الله باللين والحكمة؛ فما رُفع هذا الجهد في مشارق الأرض ومغاربها إلا بصدق النوايا، وما حورب إلا لأنَّه كسر قيود التعصب الأعمى، (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ). والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتبه ، الراجي صلاح قلبه ، والفقير إلى لطف ربه وعفوه ورحمته ، **أبو إلياس طه بن إبراهيم القلموشي** ، **المصري**[1] **الشافعي**[2] **السني**[3] . ختم الله له بالخير والسعادة في الآخر ، ولا حرمه الله دعوة صالح من عبد صالح . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

[1] منشأ وولادة .

[2] تفقها وتعليما .

[3] عملا ومنهجا.

فهرس الموضوعات: